الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

تُرجمت روايات ستيڤن كينغ إلى 36 لغة وبيع منها أكثر من 300 مليون نسخة!

Stephen King

ستيڤن كينغ

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com
علي مولا

كريستين

CHRISTINE

كريستين

CHRISTINE

كريستين
CHRISTINE

تأليف

ستيفن كينـغ

Stephen King

ترجمة

بسام شيحا

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Christine
حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونيا من
Signet
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 1983 by Stephen King
All rights reserved
Arabic Copyright © 2010 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-614-01-0051-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

المحتويات

مقدمة 9

الفصل الأول

أغاني دينيس المراهق

1. النظرات الأولى..15
2. الشجار الأول..29
3. صباح اليوم التالي 41
4. آرني يتزوج 44
5. كيف وصلنا إلى دارنل 62
6. في الخارج..80
7. أحلام سيئة 83
8. التغيرات الأولى..94
9. بادي ريبرتون 99
10. وفاة ليبي 111
11. الجنازة...116
12. بعض من تاريخ الأسرة 126
13. في وقت لاحق من ذلك المساء.......................................147
14. كريستين ودارنل..158
15. أحزان كرة القدم 174

16. دخول لي، خروج بادي 182
17. كريستين تسير على الطرقات مجدداً.. 197
18. على المدرجات... 211
19. الحادث.. 222

الفصل الثاني

أغاني آرني المراهق

20. الشجار الثاني.. 229
21. آرني ومايكل 238
22. ساندي... 251
23. آرني ولي 253
24. شوهدت في الليل 267
25. بادي يزور المطار 270
26. كريستين محطمة.. 275
27. آرني وريجينا 278
28. لي تقوم بزيارة... 283
29. مناسبة الشكر 290
30. موتشي ويلش... 301
31. بعد يوم واحد 308
32. ريجينا ومايكل.. 313
33. جانكينز 315
34. لي وكريستين... 328
35. والآن هذا الفاصل القصير 350
36. بادي وكريستين 352
37. دارنل يفكّر... 369
38. انقطاع العلاقات.. 385

39. جانكينز مرة أخرى.. 401
40. آرني في مشكلة.. 412
41. قدوم العاصفة.. 425
42. العاصفة تضرب.. 444

الفصل الثالث

كريستين - أغاني الموت المراهقة

43. لي تأتي للزيارة.. 461
44. عمل محققين.. 475
45. ليلة رأس السنة... 492
46. جورج ليبي من جديد 517
47. الخيانة 534
48. الاستعدادات.. 544
49. آرني 555
50. بيتونيا 565
51. كريستين.. 574

خاتمة.. 615

مُقَـدِّمـَـة

أعتقد أنكم ستقولون إن هذه قصة حب تجمع بين ثلاثة أشخاص - آرني كانينغهام ولي كابوت، وبالطبع، كريستين - لكنني أريدكم أن تفهموا أن كريستين كانت موجودة أولاً. كانت كريستين الحب الأول بالنسبة إلى آرني، وأعتقد أنها كانت حبه الحقيقي الوحيد، مع أنني لن أؤكد ذلك (ليس من منطلق الحكمة التي اكتسبتها من سنواتي الاثنتين والعشرين، على كل حال). ولهذا سأسمي ما حدث مأساة.

نشأت وآرني معاً في نفس الحي، ودرسنا في مدرسة أوين أندروز غرامر الابتدائية وإعدادية داربي، ثم ثانوية ليبرتيفيل معاً. أعتقد أنني كنت السبب الأساسي في عدم التهام آرني في المدرسة الثانوية. لقد كنت شاباً ضخماً - أجل، لكن هذا لا يعني شيئاً في الحقيقة، لأنك بعد خمس سنوات من تخرجك لن تستطيع حتى أن تطلب كأساً مجانية من شراب الشعير اعتماداً على أنك كنت في المدرسة الثانوية قائد فريقي كرة القدم وكرة القاعدة وسباحاً متفوقاً. مع ذلك، فآرني لم *يُقتَل* لأنني كنت ذاك الشاب الضخم. صحيح أنه تعرَّض للكثير من الإساءات، إلا أنه لم يُقتَل.

كان آرني فاشلاً من الناحية الاجتماعية. وكما تعلمون، كل مدرسة ثانوية لا بد أن تحتوي على الأقل اثنين من هؤلاء الفاشلين،

ذكــــر وأنثـــى. إنه أشبه بقانون وطني. إنهم مكب نفايات الجميع. هل كـــان يـــومك سيئاً؟ هل أخفقت في امتحان هام؟ هل تشاجرت مع والديك وعوقبت لعطلة نهاية الأسبوع؟ ليست مشكلة. ما عليك إلا أن تجد واحداً من هؤلاء الفاشلين البائسين، الذين يحومون في الممرات بقلق كالمجـــرمين قبل أن يُقرَع جرس دخول الصف، وتنقض عليه. في بعض الأحـــيان، إنهم يتعرضون لكل أنواع القتل – باستثناء الجسدية منها – وفي أحـــيان أخـــرى يجدون شيئاً ما يتمسكون به فيبقيهم بعيدين عن الأذى نـــوعاً مـــا. وآرني كان لديه أنا. ومن ثم كريستين. أما لي فقد جاءت لاحقاً.

أردت أن تفهموا ذلك فقط.

كان آرني منبوذاً بطبيعته. كان منبوذاً بالنسبة إلى الرياضيين، لأنه كـــان نحـــيلاً جـــداً – 177 سنتم ونحو 63 كلغ مع ثياب مبللة كلها بالعـــرق، إضـــافة إلى جزمة ديزيرت درايفر. وكان منبوذاً بالنسبة إلى الأذكياء في المدرسة الثانوية (هم أنفسهم يمثلون مجموعة منبوذة في بلدة مـــثل ليبرتيفيل) لأنه لم يكن يملك شيئاً مميزاً خاصاً به. صحيح أنه كان ذكـــياً، لكـــن ذكاءه لم يكن مختصاً في أمر معين... إلا في ميكانيك السيارات، فهو كان بارعاً إلى أقصى الحدود في هذا المجال. بالنسبة إلى السيارات، كان الفتى موهوباً بالفطرة. لكن والديه، اللذين كانا يعلّمان في جامعة هورليكس، لم يريا ولدهما – الذي اجتاز اختبار الذكاء عند الأولاد بـــنجاح، ووضـــعته نتيجته بين الخمسة بالمائة الأوائل – وهو يحضر فصولاً عملية خاصة بالميكانيك. في الحقيقة، كان محظوظاً لأنهما سمحا له بإكمال المنهج الأول والثاني والثالث – بالطبع، بعد لجوئه لكل أســـاليب الضغط الممكنة. وكان منبوذاً بالنسبة إلى متعاطيي المخدرات لأنـــه لم يكـــن يـــتعاطاها. وكان منبوذاً بالنسبة إلى مجموعة الشبان

الذكوريين العدائيين – أولئك الذين يرتدون الجينـــز المخرَّز بالدبابيس ويدخـــنون سجائر لاكي سترايت – لأنه لم يكن يعاقر الشراب، ولأنه كان يبكي إذا ما ضربته بشدة كافية.

آرني كان منبوذاً بالنسبة إلى الفتيات بالطبع. كانت غدده خارجاً عن السيطرة كلياً. أعني أنه كان مرتعاً للبثور. كان يغسل وجهه خمس مـــرات في الـــيوم تقريباً. وربما كان يستحم أكثر من عشرين مرة في الأسبوع. كما جرَّب جميع المراهم والعلاجات المعروفة للعلم الحديث، لكـــن أيـــاً منها لم يفده في شيء. كان وجه آرني يبدو مثل قطعة بيتزا مدعومة، وكان في طريقه لامتلاك أحد تلك الوجوه المحفَّرة والمنفِّرة إلى الأبد.

لكـــنني أحببته بالرغم من كل ذلك. كان آرني يملك حساً غريباً بالفكاهـــة وعقـــلاً لا يتوقف عن طرح الأسئلة، وممارسة الألاعيب، والقيام ببعض الأشياء غير المألوفة. كان هو من علَّمني كيف أبني مزرعة للنمل عندما كنا في السابعة من عمرنا، وقد أمضينا صيفاً بأكمله تقريباً في مراقبة تلك المخلوقات الصغيرة، مذهولَيْن بجدِّها وجدِّيتها الفائقتين. وبناءً على اقتراح آرني تسللنا ذات ليلة عندما كنا في العاشرة، وأخذنا كمـــية مـــن روث خيول جاف من إسطبلات الطريق 17، ووضعناها تحت الحصان البلاستيكي البشع فوق مرج فندق ليبرتيفيل على الحدود مع بلدة مونروفيل. تعلَّم آرني الشطرنج قبلي، وكذلك ألعاب الورق. وعلَّمني كيف أزيد نتيجتي في لعبة السكرابل إلى أقصى حدّ ممكن. وفي الأيام الماطرة – إلى أن وقعت في الحب (في الحقيقة – إلى حدٍّ ما – كانت أحـــد أعضاء فريق التشجيع ذات جسد رائع وأنا متأكد من أن هذا ما كنت أحبه، وحتى عندما أخبرني آرني أن عقلها كان ضحلاً وسطحياً بقـــدر كلمات أغاني شون كاسيدي، لم أستطيع أن أقول له إنه وغد،

لأنه كان محقاً في الواقع) - كان آرني هو أول من كنت أفكر فيه، لأنه كـــان يعرف كيف يشغل نفسه في الأيام الماطرة تماماً كما كان يعرف كيف يزيد نتائج لعبة السكرابل. لعلها إحدى الوسائل التي يمكنك من خلالهـــا تمييز الأشخاص الوحدانيين... يمكنهم دائماً إيجاد شيء بديع يقومـــون بـــه في الأيـــام الماطرة. وبوسعك استدعاؤهم دائماً، لأنهم يتواجدون في البيت دائماً - *دائماً*.

أما بالنسبة إليّ، فأنا علّمته السباحة. ومارست التمارين الرياضية معـــه وحملـــته على تناول الخضار من أجل تقوية جسده النحيل قليلاً. كمـــا حصلت له على عمل في أحد طواقم العمل في شق الطرقات في السنة قبل الأخيرة في المدرسة الثانوية - ومن أجل ذلك خضنا معركة شرســـة مع والديه، اللذين كانا يعتبران نفسيهما صديقين كبيرين لعمال المـــزارع في كاليفورنيا وعمال الفولاذ في البلدة، لكنهما مع ذلك كانا مـــرعوبين من فكرة أن ولدهما الموهوب (من بين الخمسة بالمائة الأوائل في اختبار الذكاء، تذكّروا) سيعرِّض يديه للاتساخ ورقبته للاحمرار.

بعد ذلك، قبل نهاية تلك العطلة الصيفية بفترة وجيزة، وقعت عينا آرني على كريستين للمرة الأولى فهوى في حبها على الفور. كنت معه في ذلـــك الـــيوم - كنا في طريقنا إلى البيت عائدين من العمل - وأنا سأشـــهد بذلك والله على ما أقول شهيد. لقد وقع في الحب، وكانت وقعته شديدة. وكانت القصة ستكون مسلية لو أنها لم تكن حزينة، ولو أنها لم تصبح مرعبة بالسرعة التي تطوَّرت بها. كانت ستكون مسلية لو أنها لم تكن حافلة بالشرور.

ما مدى شرورها؟

كانت القصة شريرة منذ البداية، وازدات سوءاً بسرعة شديدة.

الفصل الأول

أغاني دينيس المراهق

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

1
النظرات الأولى

"يا الله!" صاح صديقي آرني كانينغهام فجأة.

سـألته: "ما الأمر؟" كانت عيناه تجحظان من وراء نظارته ذات الإطـار الفولاذي، ويده ملصقة على وجهه بحيث كانت راحته تغطي جـزءاً من فمه، ورقبته ملوِّية إلى الوراء وكأنها كانت تدور على محمل كريات.

"أوقف السيارة دينيس! ارجع إلى الوراء!".

"ماذا -".

"ارجع إلى الوراء، أريد أن ألقي نظرة عليها مجدداً!".

فجأة فهمت ما كان يرمي إليه. "أوه، يا رجل، دعك من ذلك. أتعني ذلك الشيء الذي مررنا به للتو -".

"ارجع إلى الوراء!" طلب مني ذلك بطريقة قريبة إلى الصراخ.

رجعـت معتقداً أنها واحدة من مقالب آرني الظريفة، لكنها لم تكن كذلك في الواقع. كان آرني غائباً عن الوعي تماماً. لقد وقع في الحب.

كانت نكتة سمجة. ولا أعرف حتى الآن ما الذي أعجبه فيها في ذلـك اليوم. كـان الجانب الأيسر من الزجاج الأمامي يشبه شبكة عنكـبوت معقدة من التشققات. وكان الجزء الخلفي من جانبها الأيمن مطعـوجاً، مـع بقعة صدئة بشعة نمت داخل التجويف. وكان المصد الخلفـي مائلاً، وغطاء الصندوق مفتوحاً قليلاً. وكانت بطانة التنجيد بارزة من خلال عدة ثقوب طويلة في غطاء المقعدين الأمامي والخلفي،

كأن شخصاً ما ضربهما بالسكين. وكان أحد الدواليب مثقوباً، والبقية كانـــت مهترئة لدرجة أن خيوط أغلفتها كانت ظاهرة. والأسوأ من ذلك كله وجود بقعة وقود داكنة أسفل صندوق المحرك.

لقـــد وقـــع آرني في حب سيارة بليموث فيوري طراز 1958، إحـــدى الـــسيارات الطويلة المزودة بزعانف كبيرة. كانت هناك لافتة قديمة باهتة بفعل التعرض المديد للشمس ملصقة على الجانب الأيمن من الزجاج الأمامي؛ الجانب غير المتشقق.

قـــال آرني بـــصوت هامس: "انظر إلى حوافها يا دينيس!" كان يـــركض حـــول السيارة مثل رجل مهووس وشعره المبلل بالعرق يطير ويهبط بقوة. حاول فتح الباب الخلفي من جهة الراكب فانفتح مصدراً صريراً.

قلت له: "آرني، إنك تمزح معي، أليس كذلك؟ إنها ضربة شمس، صـــحيح؟ سآخذك إلى المنـــزل، وأضعك تحت المكيف، وستنسى كل هـــذا الأمر، موافق؟" لكنني قلت ذلك من دون كثير من الأمل. كان آرني يعرف كيف يمزح، لكن وجهه لم يكن يشير إلى أنه كان في وارد المزاح حينئذ. بل كان هناك نوع من الجنون السخيف لم يعجبني كثيراً.

حـــتى إنـــه لم يزعج نفسه بالردّ عليّ. عندما فتح الباب الخلفي انبعثت هبة هواء ساخنة معبأة برائحة التقدم بالعمر، والوقود، والتحلل. لكـــنه لم يلاحـــظ ذلك أيضاً. دخل إلى السيارة، وجلس على المقعد الخلفي الممزق والباهت؛ قبل عشرين عاماً كان لونه أحمر، لكنه أصبح وردياً باهتاً.

مددت يدي، وانتزعت قطعة صغيرة من البطانة، ونظرت إليها ثم نفخـــتها وقلـــت له: "يبدو وكأن الجيش الروسي سار فوقها وهو في طريقه إلى برلين".

أخيراً، لاحظ أنني لا أزال موجوداً. "أجل... أجل. ولكن يمكن إصـــلاحها. يمكـــنها أن تكون... يمكنها أن تكون قوية، قطعة مثيرة للانتباه، شيئاً –".

"أنتما، أنتما! ماذا تفعلان أيها الولدان؟".

كان رجلاً عجوزاً، بدا وكأنه كان يمضي صيفه السبعين تقريباً؛ ربمـــا أقـــل. كان شعره، أو ما بقي منه، طويلاً وخشناً. وكانت هناك علامة واضحة على إصابته بداء الصدف في الجزء الأصلع من رأسه.

كـــان يرتدي سروالاً أخضر من دون قميص. وكان هناك شيء مـــشدود علـــى خصره يشبه الكورسيه؛ القميص التحتي الذي ترتديه النساء. لكنه عندما اقترب أكثر عرفت أنه كان مشدّاً للظهر. ويمكنني القول من مجرد النظر إلى المشد إن آخر مرة بدَّله فيها كانت قرابة الفترة التي توفي فيها ليندون جونسون.

"ماذا تفعلان أيها الولدان؟" كان صوته خشناً وقوياً.

سأله آرني: "هل هذه سيارتك يا سيدي؟". لا شك في أنها كانت كذلك، فهي كانت مركونة في حديقة المنـــزل الذي خرج منه الرجل العجوز. كانت الحديقة في حالة مزرية، لكنها بدت رائعة بالمقارنة مع هذه السيارة الموضوعة للعرض في المقدمة.

"وماذا لو كانت لي؟".

"أنا"، بلع آرني ريقه، "أريد أن أشتريها".

لمعت عينا العجوز، واختفت علائم الغضب على وجهه، وحل محلها وميض خفي في العينين وابتسامة ازدراء حول الشفتين، ثم ابتسامة عريضة بـــشعة. عندئذ أحسست بقشعريرة باردة تسري في جسدي، وأحببت لو أنني أمسكت بآرني وأبعدته عن المكان. كان هناك شيء ما في عينيّ الرجل العجوز. ليس الوميض فقط، بل شيء ما خلف الوميض.

"حسناً، كان ينبغي لك أن تقول ذلك منذ البداية"، قال العجوز مادًّا يده نحو آرني الذي مدّ يده بدوره وصافحه. "اسمي ليبـــي. رونالد دي ليبـــي. متقاعد من الجيش الأميركي".

"آرني كانينغهام".

ســحب العجــوز يده، ولوَّح لي من دون أن يصافحني. لم يكن بحاجـــة إلى ذلـــك لأنني كنت خارج اللعبة، فقد وجد ضالته. بل لعل آرني سلَّم العجوز ليبـــي محفظته أيضاً.

ســأله آرني: "كـــم ثمنها؟" ثم أردف قائلاً بشكل طائش: "مهما كان ما تريد فيها فهو ليس بالكثير".

ابــتلعت تنهــيدة كادت أن تخرج من صدري. لقد انضم دفتر شيكات آرني إلى محفظته.

تقلــصت تكــشيرة ليبـــــي للحظة، وتضيقت عيناه بشيء من الارتــياب. أعــتقد أنه كان يقيِّم إمكانية أن يكون عرضة للخداع. تفحّـــص وجه آرني المتشوق بوضوح للكشف عن أي إشارة إلى المكر ثم سأله السؤال الصعب:

"بني، هل امتلكت سيارة من قبل؟".

قلت على الفور: "إنه يملك موستانغ ماتش II. لقد اشتراها والداه له. إنها تحوي ناقل حركة من نوع هيرست وجهاز تعزيز طاقة المحرك، وبإمكانها حرق الطريق من الترس الأول. إنها –".

قـــال آرني بهدوء: "لا، لقد حصلت على شهادة السوق الخاصة بـــي هذا الربيع".

رمقـــني ليبـــي بنظرة خاطفة، ولكن ماكرة، قبل أن يحوِّل انتباهه كلياً إلى هدفه الأساسي. وضع كلتا يديه وراء ظهره وتمطط، فالتقطت رائحة عرق كريهة.

"أُصـــبت بمـــشكلة في الظهر في الجيش. عجز كامل. لم يتمكن الأطباء من علاجها. إذا سألكما أي شخص عن عيوب هذا العالم، أيها الـــولدان، فقـــولا له إنها ثلاثة أشياء: الأطباء، والشيوعيون، والزنوج المتطـــرفون. وأســـوأ الـــثلاثة هما الشيوعيون والمتطرفون الزنوج. وإذا سألكما من أخبركما بذلك قولا له إنه رونالد دي ليبـــي يا سيدي".

تحسس غطاء المحرك القديم المقشوط بشيء من الحب المحيِّر.

"هذه أفضل سيارة امتلكتها في حياتي. لقد اشتريتها في أيلول من العام 1957. في تلك الأيام، كانت تلك هي الفترة التي تحصل فيها على مـــوديل الـــسنة الجديدة، في أيلول. طوال الصيف كانوا يعرضون لك صـــور ســـيارات تحت أغطية وسياراة تحت أقشمة مشمَّعة حتى كنت تكـــاد تموت لتعرف كيف كانت تبدو تلك السيارات. لم تكن الحال كمـــا هـــي اليوم". كان صوته ينضح بالاشمئزاز من الزمن الذي عاش لـــيراه. "كانت جديدة كلياً. وتفوح منها رائحة سيارة جديدة، وهي تقريباً أجمل رائحة في العالم".

فكَّر لوهلة، ثم أردف قائلاً: "ربما باستثناء رائحة...".

نظرت إلى آرني، وأنا أعض على جانبيّ وجنتيّ محاولاً منع نفسي مـــن الانفجار في ضحكة مدوية على كل ما كان يجري أمامي. بدوره نظـــر آرني إليّ بذهول. أما العجوز فلم يلاحظ أياً منا. كان شارداً في عالمه الخاص.

تابـــع ليبـــــــي كلامه، بينما كانت يده لا تزال تتحسس غطاء المحـــرك: "مكـــثت في الجيش لمدة أربعة وثلاثين عاماً. انضممت إلى الجيش في سن السادسة عشرة، في العام 1923. لقد أكلت الغبار في تكساس، ورأيت سرطانات برية بحجم سرطانات البحر. رأيت رجالاً تخـــرج أحشاؤهم من آذانهم في الحرب العالمية الثانية. لقد رأيت ذلك

في فرنسا. كانت أحشاؤهم تخرج من آذانهم. هل تصدِّق ذلك يا بني؟".

قال آرني: "نعم يا سيدي" - أعتقد أنه لم يسمع كلمة واحدة مما كان يقول. كان يتنقل من قدم إلى أخرى، وكأنه كان بحاجة ماسة إلى التبول - "وماذا بشأن السيارة -".

قاطعه ليبي، قائلاً: "هل ترتاد الجامعة؟ هناك في هورليكس؟".

"لا يا سيدي. أنا أرتاد مدرسة ليبرتيفيل الثانوية".

قال ليبي بصرامة: "جيد. ابقَ بعيداً عن الجامعات فهي مليئة بمحبي الزنوج الذين يريدون التنازل عن قناة باناما. يدعونها *مراكز بحوث*. وأنا أدعوها *مراكز بحوث لعينة*".

نظر بحب إلى السيارة القابعة فوق دولابها المثقوب. كان طلاؤها الصدئ يشع بفعل ضوء شمس أواخر فترة بعد الظهر.

"أُصيب ظهري في ربيع العام 1957. كان الجيش في طريقه إلى الانحلال حتى في ذلك الحين. لقد خرجت في الوقت المناسب، وعدت إلى ليبرتيفيل مجدداً. وهناك قمت بتفحص السيارات. لم أكن متعجلاً، بل أخذت كل وقتي. ثم دخلت إلى وكالة بليموث التي يملكها نورمان كوب - حيث توجد الآن صالة لعب البولينغ بجانب شارع مين - وطلبت هذه السيارة. قلت لهم أريدها حمراء وبيضاء موديل السنة القادمة. حمراء مثل سيارات الإطفاء من الداخل. ولبَّوا طلبي. عندما حصلت عليها كان عداد الأميال فيها يشير إلى ستة فقط. أجل يا سيدي".

ثم بصق على الأرض.

نظرت من فوق كتف آرني إلى عداد الأميال. كان الزجاج غائماً، لكنني استطعت رؤية الضرر بالرغم من ذلك: 97,432 ميلاً، وستة أعشار. يا الله!

سألت العجوز: "إذا كنت تحب السيارة إلى هذا الحدّ، فلماذا تبيعها؟".

رمقني بنظرة غامضة، مخيفة نوعاً ما، ثم قال: "هل تحاول أن تتذاكى عليّ يا بنيّ؟".

لم أجبه لكنني لم أبعد نظري عنه.

بعد عدة لحظات من المبارزة بالنظرات (وهو ما تجاهله آرني كلياً - كان يمرر يده بحب على إحدى الزعنفتين الخلفيتين)، قال: "لم يعد باستطاعتي القيادة، فحال ظهري أصبحت سيئة جداً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى العينين".

فجأة فهمت، أو هذا ما اعتقدته. إذا كان قد أعطانا التواريخ الصحيحة، فذلك يعني أنه في الواحد والسبعين من عمره. وعندما يصل المرء إلى السبعين يصبح مرغماً على أداء اختبار حدة البصر كل سنة قبل تجديد رخصة السوق. وإما أن يكون ليبي قد فشل في أحد اختبارات نظره أو أنه كان يخشى من الفشل. وبدلاً من التعرض لمثل هذه المهانة، قرر عرض السيارة للبيع. وبعد ذلك بدأت السيارة تهرم بسرعة.

سأله آرني مجدداً: "كم تريد ثمنها؟" كان كمن يستعجل نهايته.

نظر العجوز إلى السماء، وكأنه كان يستطلعها بحثاً عن المطر، ثم حوّل ناظريه إلى آرني مجدداً مع ابتسامة كبيرة، تماماً مثل الابتسامة البشعة السابقة التي أظهرها لي.

"كنت أطلب ثلاثمائة. لكنك تبدو شاباً لطيفاً للغاية. سأجعله مائتين وخمسين من أجلك".

قلت بذهول: "يا الله".

لكـــنه كان يعرف المغفَّل الذي يتعامل معه، ويعرف تماماً كيف يغـــرس الإســـفين بيننا. أو بحسب تعبير جدي، *إنه لم يسقط من عربة الشعير البارحة*.

فجأة قال العجوز: "حسناً، إذا كان هذا ما تريدانه، لديّ مسلسل أشـــاهده عـــند الساعة الرابعة والنصف، حافة الليل. إنني لا أفوِّته إن استطعت. استمتعت بالحديث معكما أيها الولدان. وداعاً".

رمقني آرني بنظرة حانقة ومتألمة جعلتني أتراجع خطوة إلى الوراء. ثم لحـــق بالعجوز، وأخذه من مرفقه، وراحا يتحدثان. صحيح أنني لم أستطع سماعهمـــا، لكـــن مـــا رأيته كان أكثر من كافٍ كي أفهم ما كان يدور بيـــنهما. كانت كرامة العجوز مجروحة، وآرني كان يعتذر له بكل صدق. وكـــان العجـــوز يأمل أن يتفهّم آرني أنه لم يستطع السكوت وهو يرى ســـيارته الـــتي أوصلته آمناً إلى أواخر عمره تتعرض للمهانة. وتفهَّم آرني ذلـــك. وشـــيئاً فشيئاً سمح العجوز لنفسه أن يُدفَع للرجوع مجدداً. ومرة أخـــرى شعرت بشيء داخلي مخيف بشأنه... إنه أشبه بريح تشرينية باردة قادرة على التفكير. لا يمكنني أن أعبر عنه بأفضل من ذلك.

قـــال ليبـــي رافعاً سبابته القاسية السميكة في وجهي: "إذا قال كلمة واحدة أخرى، سأغسل يدي من الأمر برمته".

قال آرني على الفور: "لن يفتح فمه، لن يفتح فمه. قلت ثلاثمائة، أليس كذلك؟".

"نعم، أعتقد أن هذا ما -".

قلت بصوت عال: "بل مائتان وخمسون هو السعر المقدَّر".

"مائـــتان وخمـــسون ستفي بالغرض على ما أعتقد" قال ليبـــي موافقاً، ثم رمقني بنظرة أخرى. أدركت حينها وجود نوع من التفاهم في ما بيننا؛ إنه لا يحبني وأنا لا أحبه.

أحسست بالفزع عندما أخرج آرني محفظته وراح يفتش فيها. في تلك الأثناء خيَّم الصمت علينا نحن الثلاثة. كان ليبـــي يراقب آرني أما أنا فقد حوَّلت نظري إلى صبـــي يقود بجنون لوح تزلج أخضر اللون. كان لدي أمل واحد فقط لإخراج آرني من تلك الورطة، وهو أن ذلك الـــيوم كـــان اليوم الذي يسبق دفع الأجور. وتلك الحمى الشديدة قد تزول خلال أربع وعشرين ساعة. كان آرني قد بدأ يذكّرني بشخصية الضفدع تود في قصة **الريح في أشجار الصفصاف**.

عندما نظرت إليهما مجدداً، كان آرني وليبـــي ينظران إلى ورقتين مـــن فـــئة الخمسة دولارات وست أوراق من فئة الدولار الواحد؛ من الواضح أن ذلك كل ما كان يملكه في محفظته.

قال آرني: "ما رأيك بشيك؟".

ردَّ ليبـــي على آرني بابتسامة جافة من دون أن ينبس ببنت شفة.

تابع آرني: "شيك مضمون". في الحقيقة، لقد عملنا طوال الصيف لـــصالح شركة كارسون إخوان على الوصلة I-376، الوصلة التي كان سكان منطقة بيتسبورغ يجزمون أنها لن تُنجَز أبداً. كان آرني يقول في بعـــض الأحيان إن وزارة المواصلات في ولاية بنسلفانيا بدأت باستلام العـــروض على تلك الوصلة بعد فترة قصيرة من انتهاء الحرب الأهلية. لكـــن هذا لا يعني أن أياً منا كان يملك الحق في التذمر. فبالرغم من أن الكثير من الأولاد كانوا إما عاطلين عن العمل أو يعملون بأجور تشبه أجور العبيد، فقد كنا أنا وآرني نحصل على أجر جيد، ونعمل ساعات إضـــافية أيضاً في بعض الأوقات. وبصراحة، كان المشرف براد جيفريز متردداً حيال قبوله تشغيل ولد مثل آرني، لكنه وافق في النهاية على أن يعمل كحامل راية، ذلك أن الفتاة التي كان يخطط لاستخدامها هربت مـــن البيت كي تتزوج بعدما اكتشفت حملها. وهكذا بدأ آرني بإعطاء

الإشـــارات، لكـــنه دخل بشكل تدريجي إلى الأعمال الأشد صعوبة، معـــتمداً على شجاعته وعزيمته. كان ذلك أول عمل حقيقي له، ولهذا فهـــو لم يكـــن يريد أن يخفق فيه، وهذا ما أثار إعجاب المشرف براد. كمـــا أن شمس الصيف ساعدت على تخفيف ثوران بشرة آرني؛ لعلها الأشعة فوق البنفسجية.

"أنا متأكد من أنه شيك مضمون يا بني، لكنني أريد أن أبيع نقداً، هل تفهمني؟".

لا أعـــرف إن فهم آرني، لكنني فهمت. لأنه سيكون من السهل إيقـــاف الدفع بموجب شيك محلي إذا ما أسقطت هذه السيارة الصدئة قضيباً أو أسطوانة ونحن في طريقنا إلى المنـــزل.

قال آرني بيأس: "بوسعك الاتصال بالبنك".

أجابه ليبـــي وهو يحك تحت إبطه فوق المشد القذر: "لا. اقتربت الساعة من الخامسة والنصف والبنوك أقفلت منذ وقت طويل".

قـــال آرني باسطاً يده التي كانت لا تزال تحمل الدولارات الستة عـــشر: "إذاً، فليكن عربوناً". لعلكم تجدون صعوبة في تصديق أن فتىً بالكاد بلغ من العمر ما يؤهله للتصويت تحمَّس كثيراً لشراء سيارة قديمة مهترئة في ظرف خمس عشرة دقيقة فقط. لا غرابة في ذلك، فأنا أيضاً عانيت من صعوبة التصديق وقتها. باستثناء رونالد دي ليبـــي الذي بدا أنـــه كان يصدق آرني، والسبب في ذلك، كما اعتقدت آنذاك، هو أن شخـــصاً في عمـــره لا بد وأنه رأى كل شيء. و لم أصل إلى الاعتقاد بوجود أسباب أخرى لثقته الغريبة تلك إلا بعد حين.

قال ليبـــي: "ينبغي أن أستلم على الأقل عشرة بالمائة كدفعة أولى". لقـــد أصبحت السمكة خارج الماء، وستقع في الشباك خلال لحظة. "إذا حصلت على عشرة بالمائة سأعتبره عربوناً لأربع وعشرين ساعة".

سـألني آرني: "دينـيس، هل يمكنك أن تقرضني تسعة دولارات حتى الغد؟".

كنت أملك اثني عشر دولاراً في محفظتي، و لم يكن بذهني الذهاب إلى مكـان محـدد. صحيح أن نثر التراب وحفر الخنادق بشكل يومي كـان لهما أثر رائع بالنسبة إلى ممارسة كرة القدم، لكنني لم أكن أملك حياة اجتماعية على الإطلاق. حتى إنني مؤخراً لم أكن أهاجم حصون جسد صديقتي المشجِّعة بالطريقة التي اعتادت عليها. كنت ثرياً، ولكنني وحيد.

قلت له: "اقترب ولنفكر في الأمر".

قطَّب ليبـي جبينه، لكنه كان معلَّقاً بمساهمتي، سواء أعجبه ذلك أم لم يعجـبه. كان لا يزال يضع يده بتملُّك على غطاء محرك السيارة وشعره الأبيض المجعّد يتطاير مع النسيم الخفيف.

مـشيت وآرني إلى الرصيف حيث ركنت سيارتي؛ دستر موديل العـام 1975. وضـعت يـدي حول كتفيه، ولسبب أجهله تذكَّرت وجـودي معـه في غرفته في يوم خريفي ماطر عندما كنا لا نتجاوز الـسادسة من عمرينا. كان التلفزيون يعرض رسوماً متحركة بالأبيض والأسـود بينما كنا نلوِّن بأقلام كرايولا قديمة موضوعة في علبة قهوة فارغة. أشعرتني تلك الصورة بالحزن وببعض الخوف. يبدو لي أن سن الـسادسة هي العمر الأفضل بالنسبة إلى الإنسان، ولهذا السبب إنه لا يدوم سوى 7.2 ثانية في الزمن الحقيقي.

"هل فهمت يا دينيس؟ سأعيد المبلغ لك غداً بعد الظهر".

"نعـم، فهمـت. ولكن، ما الذي تفعله بحق الله يا آرني؟ ذلك العجوز السمج يعاني من إعاقة كاملة؟ إن الصدق لا تجوز على أمثاله، وأنت لست مؤسسة خيرية".

"إنني لا أفهم. ما الذي تتحدث عنه؟".

"إنـــه يخدعك. إنه يخدعك لمجرد المتعة. لو أخذ تلك السيارة إلى مـــرأب دارنل لما استطاع أن يحصل على خمسين دولاراً مقابل قطعها. إنها خردة".

"لا، لا، إنهـــا ليـــست كـــذلك". من دون بشرته السيئة، كان صـــديقي آرني ســـيبدو طبيعياً تماماً. لكنني أعتقد أن الله، يعطي كل شخص ميزة جيدة واحدة على الأقل، وبالنسبة إلى آرني، كانت عيناه هي تلك الميزة. كان لونهما رمادياً صافياً – لون الغيوم في يوم خريفي غـــائم – وتنـــضحان بالذكاء، بالرغم من أن النظارة كانت تحجبهما عـــادة. وكنت ستراهما حادتين وسابرتين بصورة تدعو للقلق تقريباً إذا كان مهتماً بشيء ما يجري أمامه، لكنهما في تلك اللحظة كانتا بعيدتين وحالمتين. "إنها ليست خردة على الإطلاق".

عندئذ بدأت أدرك أن الأمر كان أكثر من مجرد أن آرني قرر فجأة أنه يريد شراء سيارة. فهو لم يعرب حتى عن اهتمامه بامتلاك سيارة من قـــبل. لقد كان راضياً بالركوب معي والمساهمة في شراء البنـــزين أو قيادة دراجته الهوائية ذات السرعات الثلاث. كما أنه لم يكن بحاجة إلى ســـيارة كي يتسنى له مواعدة الفتيات، فعلى حدّ علمي، لم يخرج آرني في موعد مع أي فتاة في السابق. لكن الأمر هنا كان مختلفاً. كان عشقاً، أو شيئاً من هذا القبيل.

قلـــت له: "على الأقل اطلب منه أن يشغِّل السيارة لك يا آرني. وافتح غطاء المحرك. هناك بقعة من الزيت في الأسفل. أظن أن صندوق البستونات مكسور. أعتقد ذلك فعلاً –".

"هل يمكنك أن تقرضني الدولارات التسعة؟" كانت عيناه مثبتتين على عينيّ.

عندها فقط استسلمت. أخرجت محفظتي وأعطيته الدولارات.

"شكراً لك دينيس".

"إنك ترتكب خطأً يا رجل".

لم ينتبه إلى ما قلته. وضع دولاراتي التسعة مع الستة عشر دولاراً التي كانت بحوزته، وعاد أدراجه إلى حيث كان يقف ليبي بجانب سيارته. سلَّمه النقود، وبدأ ليبي يعدها بحرص مبللاً إبهامه بريقه بين الحين والآخر.

"سأحجزها لمدة أربع وعشرين ساعة فقط، هل تفهمني؟".

"أجل يا سيدي، هذا مناسب".

"سأدخل البيت، وأكتب لك إيصالاً. ماذا كان اسمك، أيها الجندي؟".

ابتسم آرني قليلاً وقال: "كانينغهام، آرنولد كانينغهام".

همهم ليبي، ثم توجه نحو الباب الخلفي لمنزله. كان الباب الخارجي واحداً من تلك الأبواب المفتقرة إلى الذوق والمكونة من الخشب والألمنيوم مع حرف كبير ملتف في الوسط؛ حرف لام في هذه الحالة.

دخل المنزل، وصفق الباب خلفه.

"هذا الرجل غريب الأطوار، آرني. إنه غريب الأطوار فعلاً".

لكن آرني لم يكن هنا. كان جالساً وراء مقود السيارة يعلو وجهه نفس ذلك التعبير المتبلد.

ذهبت إلى مقدمة السيارة، ووجدت الغطاء محرراً. جذبته فانفتح مصدراً صريراً عالياً. سمعت صوت سقوط بعض القطع المعدنية الصغيرة. كانت البطارية قديمة من نوع أولستيت، وكانت نهايتاها مغطاتين بصدأ أخضر لزج بحيث إنك لم تكن تستطيع معرفة أيهما

المـــوجب وأيهمـــا السالب. سحبت مصفاة الهواء، ونظرت بقرف إلى كاربوراتور ذي أربع أسطوانات أسود مثل مدخل منجم.

أغلقت الغطاء، وعدت إلى حيث كان آرني جالساً. كان يمرر يده علـــى حافـــة لوحة العدادات فوق عداد السرعة، الذي كان مدرَّجاً بـــسخافة مطلقة حتى 120 ميلاً في الساعة. هل كانت السيارات تصل إلى تلك السرعة فعلاً؟

"آرني، أعتقد أن صندوق البستونات مكسور. أعتقد ذلك حقاً. هـــذه السيارة معطوبة يا صديقي، معطوبة تماماً. إذا كنت تريد سيارة، فبوســـعنا إيجـــاد سيارة أفضل من هذه بكثير مقابل مائتين وخمسين. صدِّقني، أفضل بكثير".

قـــال آرني: "عمرها خمس وعشرون سنة. هل تدرك أن السيارة تصبح أثرية رسمياً عندما يبلغ عمرها خمساً وعشرين سنة؟".

"صحيح، إن ساحة الخردة خلف شركة دارنل مليئة بمثلها، تعرف ما أعنيه".

"دينيس –".

عـــندئذ سمعنا صوت الباب يُصفَق مجدداً. كان ليبـــي قادماً. علـــى كل حال، إن أي نقاش إضافي لن يكون له أي معنى. قد لا أكـــون أكثـــر الكائـــنات البشرية حساسية، ولكن عندما تكون الإشـــارات قـــوية بما يكفي فبإمكاني التقاطها. كان آرني يشعر أنه بحاجـــة إلى امـــتلاك تلـــك السيارة، وأنا لم أكن قادراً على إقناعه بالعدول عن ذلك. وأعتقد أن أي شخص لم يكن ليقدر على إقناعه وقتها.

ســـلَّمه ليبـــــي الإيصال بشيء من التباهي. كانت ورقة بيضاء وكـــان الخط غير منتظم ومرتجفاً قليلاً. *استلمت من آرنولد كانينغهام*

25.00 دولاراً كعربون لمدة 24 ساعة على بليموث 1958، كريستين.
وفي الأسفل وقَّع اسمه.

"ما هذه الكريستين؟" سألته معتقداً أنني أخطأت في قراءتها أو أنه أخطأ في كتابتها.

زمَّ شفتيه ورفع كتفيه قليلاً، وكأنه كان يتوقع أن يُسخَر منه... أو كأنـــه كـــان يتحداني كي أسخر منه. "كريستين هو الاسم الذي أدعوها به دائماً".

قال آرني: "كريستين. لقد أعجبني، ألا يعجبك يا دينيس؟".

أجبته: "لا. إذا كنت مضطراً إلى تسميتها، لم لا تسميها ورطة؟".

بـــدا وكـــأنني جـــرحت شعوره، لكنني لم أعد أهتم. عدت إلى ســـيارتي كـــي أنتظـــره هناك متمنياً لو أنني سلكت طريقاً آخر نحو المنـــزل".

2
الشجار الأول

أعـــدت آرني إلى منـــزله، ودخلت معه لأتناول قطعة من الكيك وكأســـاً من الحليب قبل الذهاب إلى منـــزلي. كان قراراً ندمت عليه سريعاً.

كان آرني يعيش في شارع لوريل، وهو حي سكني هادئ يقع في الجهـــة الغربية من ليبرتيفيل. في الحقيقة، معظم مناطق ليبرتيفيل هادئة ومؤلفة من أحياء سكنية. إنها ليست منطقة فاخرة مثل ضاحية فوكس تشابل المجاورة (حيث معظم البيوت فيها عبارة عن عقارات تشبه تلك التي اعتدتم أن تروها أسبوعياً في مسلسل كولومبو)، لكنها ليست مثل

مديـــنة مونـــروفيل أيضاً، حيث الأسواق الشاسعة، ومستودعات بيع الدوالـــيب المـــستعملة، ومتاجر الكتب الوسخة. إنها تقريباً مجرد مجمَّع ســـكني مـــن أجل الجامعة المجاورة. صحيح أنها ليست فاخرة، لكنها موطن للأذكياء، على الأقل.

كان آرني هادئاً ومتأملاً طوال طريق عودتنا إلى المنـــزل. حاولت إخراجه من تلك الحالة فلم أفلح. سألته عما سيفعل بالسيارة، فأجاب بشرود، "سأصلحها". ثم عاد ليغرق في صمته مجدداً.

في الواقـــع، كـــان آرني يمتلك المقدرة لفعل ذلك، وأنا لم أكن أشـــك في هذا. فهو يعرف كيف يستخدم الأدوات وكيف يكتشف أســـباب الأعطـــال. ويداه كانتا بارعتين وحساستين في التعامل مع الآلات الميكانيكية. أما إذا كان بين الناس، وخصوصاً الفتيات، فإنهما تصبحان قلقتين ومضطربتين، فتارة تجدهما تطقطقان مفاصلهما وتارة أخـــرى تدسّان نفسيهما في جيبيه، والأسوأ من هذا وذاك هو عندما تـــتحولان إلى تـــضاريس وجهه الذي يشبه الأرض المحروقة فتثيران الانتباه إليه.

كان باستطاعته إصلاح السيارة، لكن المال الذي كسبه في ذلك الـــصيف كان مخصصاً للجامعة. كما أنه لم يمتلك سيارة من قبل ولا يعرف الطريقة الخبيثة التي تمتص فيها السيارات القديمة النقود. صحيح أنه كان يستطيع تجنب دفع أجور العمال في معظم الحالات من خلال قيامه بالعمل بنفسه، لكن قطع التبديل وحدها كانت ستجرده من كل نقوده حتى قبل أن ينتهي من إصلاحها.

قلت له بعض هذه الأشياء، لكنها عبرت أذناً وخرجت من الأذن الأخـــرى. كانـــت عيـــناه لا تزالان ساهمتين، حالمتين. ولهذا، ليس بمقدوري إخباركم بما كان يفكر.

كان مايكل وريجينا كانينغهام في المنزل - كانت ريجينا تعمل على حل واحدة من سلسلة لا تنتهي من الصور المجزَّأة السخيفة (وتلك الصورة كانت مكونة من نحو ستة آلاف قطعة، ولو كنت مكانها لفقدت صوابي خلال خمس عشرة دقيقة)، في حين كان مايكل يستمع إلى الموسيقى في غرفة الجلوس.

سرعان ما تمنيت لو أنني لم أدخل لأتناول الكيك والحليب. فما إن أخبرهما آرني بما فعله وأراهما الوصل حتى جن جنونهما.

عليكم أن تفهموا أن مايكل وريجينا كانا شخصين جامعيين حتى العظم. كان يحبان فعل الخير، وهذا كان يعني بالنسبة إليهما الانخراط في المظاهرات والاحتجاجات. لقد تظاهرا لصالح الاتحاد في بداية الستينيات، ثم انتقلا إلى مسألة فيتنام، وعندما انتهت الحرب كان هناك نيكسون، وقضايا المساواة العرقية في المدارس (كان بوسعهما تزويدكم بتفاصيل عن قضية آلان باك إلى أن تغط في النوم)، ووحشية الشرطة، وعنف الآباء والأمهات. ثم كان هناك النقاش، النقاش ثم النقاش. كانا يحبان المناقشة تقريباً بقدر ولعهما بالتظاهر. كانا مستعدين للمشاركة في جلسة نقاش غير رسمية تدوم طوال الليل حول البرنامج الفضائي، أو في محاضرة طويلة حول تعديل قانون الحقوق المتساوية، أو في حلقة بحث حول الخيارات الممكنة للوقود الأحفوري، عند أول رأي يُطرَح. كما اشتركا في العديد من *الخطوط الساخنة* (الله وحده يعرف كم عددها)؛ خطوط ساخنة حول الاغتصاب، وأخرى حول المخدرات، وأخرى حول الأطفال الهاربين من منازلهم، وأخرى حول الأشخاص الذي يفكرون في الانتحار، حيث كان بوسعهم الاتصال والإصغاء لصوت متعاطف يقول لهم، لا تفعل ذلك يا صديقي، إنك تملك التزاماً اجتماعياً بمركبة الأرض الفضائية. إذا أمضيتم عشرين أو ثلاثين عاماً في

التدريس الجامعي، فمن المؤكد أن لعابكم سيسيل كما كان لعاب كلاب بافلوف يسيل عندما كان الجرس يُقرَع. وأعتقد أنكم ستحبون ذلك بعد حين.

كانت ريجينا (كانا يصرّان عليّ أن أدعوهما باسميهما الأولين) في الخامسة والأربعين من عمرها، وأنيقة بطريقة شبه أرستقراطية وباردة نوعاً ما؛ كانت تنجح في الظهور بمظهر أرستقراطي حتى عندما كانت ترتدي الجينز الأزرق، وهو ما كانت تفعله في معظم الأوقات. وكانت اللغة الإنكليزية هي مجال تخصصها، لكن هذا ليس كافياً، بالطبع، عندما تكون مدرِّساً في الجامعة: هذا أشبه بقولك "أميركا" عندما يسألك شخص ما عن مسقط رأسك. لقد تخصصت في مجال الشعر الإنكليزي القديم، وقدَّمت أطروحتها حول روبرت هيريك.

أما مايكل فكان متخصصاً في التاريخ. كان يبدو حزيناً وكئيباً مثل الموسيقى التي كان يستمع إليها من مسجلته، بالرغم من أن الحزن والكآبة لم تكونا في العادة جزءاً من شخصيته. في بعض الأحيان كان يجعلني أفكر في ما قاله رينغو ستار عندما جاءت فرقة البيتلز إلى أميركا لأول مرة وسأله أحد الصحفيين ما إذا كان حزيناً كما يبدو عليه. أجابه رينغو: "لا، إنه وجهي فقط". وكان مايكل يشبه رينغو في هذا الخصوص. كما أن وجهه النحيل ونظارته السميكة يجعلانه يبدو تقريباً مثل بروفيسور كاريكاتوري في أحد الرسوم الكاريكاتورية الصحفية غير الودية. كان شعره يتراجع ويربّي سكسوكة كثيفة صغيرة.

رحَّبت ريجينا بنا عند دخولنا المنزل: "هاي آرني، أهلاً دينيس". وكان ذلك تقريباً آخر شيء بهيج تقوله لأي منا في ذلك اليوم.

رددنـــا التحـــية بأحسن منها، ثم ذهبنا لتناول الكيك والحليب. جلسنا في الزاوية المخصصة للفطور. كان طعام العشاء يُطهَى في الفرن، وأنا متأسف لما سأقوله، لكن الرائحة كانت بشعة نوعاً ما. كان مايكل وريجينا يميلان للأطعمة النباتية منذ بعض الوقت، وفي ذلك المساء كانت الـــرائحة تشير إلى أن ريجينا كانت تعد فطيرة أعشاب بحر أو شيئاً من هذا القبيل. وقد تمنيت في نفسي ألا يدعواني للبقاء على العشاء.

تـــوقفت الموســـيقى، وذهب مايكل باتجاه المطبخ. كان يرتدي ســـروالاً قصيراً مقصوصاً من سروال جينـــز أزرق، ويبدو وكأن أعز أصدقائه قد توفي للتو.

قـــال مايكل: "لقد تأخرتما يا شباب. هل حدث شيء ما؟" فتح الـــبراد، وبدأ يفتش فيه. لعل رائحة فطيرة أعشاب البحر لم ترقه كثيراً هو الآخر.

قـــال آرني وهـــو يقطـــع لنفسه قطعة أخرى من الكيك: "لقد اشتريت سيارة".

صـــرخت أمـــه على الفور من الغرفة الأخرى: "فعلت ماذا؟" ثم نهضت بسرعة، وسمعنا صوت ارتطام نتج عن اصطدام فخذيها بطرف الطاولـــة التي كانت تركِّب عليها أحجية الصورة المجزَّأة، أتبعه طقطقة ســـريعة بسبب سقوط الأجزاء على الأرض. تلك كانت اللحظة التي تمنيت فيها لو أنني ذهبت إلى منـــزلي.

التفت مايكل كانينغهام من البراد وهو يحمل تفاحة خضراء في يد وعلـــبة مـــن اللبن في اليد الأخرى، وقال: "إنك تمزح". للمرة الأولى لاحظـــت أن سكسوكته - التي كان يربيها منذ العام 1970 تقريباً - كانت تحوي جزءاً لا بأس به من الشيب. "آرني، أنت تمزح، صحيح؟ قل إنك تمزح".

جـــاءت ريجينا، وتمعنت في وجه آرني، وعرفت أنه لم يكن يمزح. ثم قالت: "لا يمكنك أن تشتري سيارة. ما الذي تتحدث عنه؟ إنك في السابعة عشرة فقط".

نظـــر آرني بـــبطء إلى أبـــيه الواقف بجانب البراد ثم إلى أمه في الممر المؤدي إلى غرفة الجلوس. كان هناك تعبير قاسٍ وعنيد يعلو وجهه، تعبير لا أذكر أنني رأيته من قبل. لو أنه كان يبدو بهذا الشكل دائماً في المدرسة – فكَّرت في نفسي – لما تجرأ الأولاد العنيفون على مضايقته غالباً.

قال آرني: "في الواقع، إنك غير مصيبة، فأنا قادر على شرائها من دون أي صعوبة. بالطبع، إن تسجيل سيارة في السابعة عشرة من العمر أمر مختلف تماماً. وفي هذا الخصوص سأحتاج إلى موافقتكما".

كانـــا ينظران إليه بذهول وقلق وغضب متصاعد؛ وهذا الأخير جعلـــني أشـــعر بانقباض في معدتي. بالرغم من كل تفكيرهما الليبرالي والتـــزامهما بعمـــال المـــزارع والزوجات اللواتي تتعرضن للإساءات والأمهـــات غير المتزوجات وغير ذلك، إلا أنهما كانا يتحكمان بآرني. وآرني سمح لهما بذلك.

قال مايكل: "لا أعتقد أن هناك أي سبب يجعلك تتكلم مع أمك بهـــذه الطريقة". أعاد اللبن، وظل ممسكاً بالتفاحة، ثم أغلق بهدوء باب البراد. "إنك لا تزال صغيراً جداً على امتلاك سيارة".

أجابه آرني على الفور: "دينيس يملك واحدة".

عـــندئذ قلت: "واو! انظر كم تأخر الوقت! عليّ أن أذهب إلى البيت. ينبغي لي الذهاب إلى البيت في الحال! أنا –".

قالـــت ريجيـــنا بصوت بارد لم أعهده فيها أبداً من قبل: "إن ما يخـــتاره والدا دينيس وما يختاره والداك أمران مختلفان. وأنت لا تملك الحق لفعل مثل هذا الشيء من دون استشارتنا –".

زمجـــر آرني فجأة، واندلق كأس الحليب: "استشارتكما!" كانت أوردة عنقه ناتئة من شدة الغضب.

تـــراجعت ريجيـــنا خطوة إلى الوراء، وفغرت فمها مدهوشة. أنا مستعد للمراهنة أنها لم تتعرض لمثل هذا الموقف من ابنها الصغير القبيح طـــوال حـــياتها. و لم يكن مايكل أقل ذهولاً من ريجينا. كانا قد بدآ يشعران بما سبق وشعرته مسبقاً؛ لأسباب خاصة به غير قابلة للتفسير، اكتـــشف آرني أخـــيراً أنه يريد شيئاً ما بقوة. وليكن الله في عون أي شخص يقف في طريقه.

"استـــشارتكما! لقـــد استـــشرتكما في كل شيء لعين فعلته في الـــسابق! كل شيء كان أشبه باجتماع لجنة رسمية، وإذا كان شيئاً لا أريـــد فعله، كانت نتيجة التصويت اثنين مقابل واحد لصالحكما. لكن هذا ليس اجتماع لجنة لعينة. لقد اشتريت سيارة... وانتهى الأمر!".

عندئذ قالت ريجينا: "بل لم ينتهِ حتماً". تضيَّقت شفتاها، وبشكل غريب (أو ربما ليس غريباً) لم تعد تبدو نصف أرستقراطية، بل بدت في تلـــك اللحظة مثل ملكة إنكلترا، أو أي مكان آخر، حتى مع الجينـــز. كـــان مايكل خارج المعمعة في تلك الأثناء. وكان يبدو محتاراً وحزيناً لدرجـــة أنـــني شعرت بالإشفاق عليه. ما كان يحصل هو صراع على الـــسلطة بـــين الحرس القديم والحرس الجديد، وسيُحسَم بالطريقة التي تُحسَم فيها تلك الأمور غالباً، بمرارة ووحشية شديدتين. وكان واضحاً أن ريجيـــنا كانت مستعدة لذلك بعكس مايكل. وأنا لم أكن أريد أن أكون جزءاً من ذلك. لذلك نهضت، وتوجهت نحو الباب.

"وأنت تركته يفعل ذلك؟" سألتني ريجينا وهي تنظر إلي بعجرفة، وكأننا لم نتضاحك معاً أو نخبز الفطائر معاً أو نذهب في رحلات تخييم عائلية معاً. "دينيس، إنني مندهشة منك".

لقـــد آلمني هذا الكلام. لطالما أحببت والدة آرني، مع أنني لم أأمن جانــبها أبداً، على الأقل منذ تلك الحادثة التي وقعت عندما كنت في الثامنة تقريباً.

ذهبـــنا أنا وآرني على دراجتينا الهوائيتين إلى وسط المدينة لحضور فـــيلم سينمائي بعد ظهر يوم سبت. وفي طريق عودتنا، سقط آرني من علـــى دراجته عندما كان يحاول تجنب كلب ظهر أمامه فجأة، فتأذت ســـاقه بـــشدة. وضعته على دراجتي وعدت به إلى المنـــزل، ثم أخذته ريجيـــنا إلى الإســـعاف وهناك خاط أحد الأطباء جرحه بست قطب. وبعد ذلك، ولسبب ما - بعد أن انتهى كل شيء وبدا واضحاً أن آرني ســـيكون في حـــال ممـــتازة - التفتت ريجينا نحوي، وبدأت بتقريعي وتأنيبـــي مثل رقيب في الجيش. وعندما انتهت، كان جسدي بأكمله يـــرتعش وكـــنت أوشك على البكاء - اللعنة، كنت في الثامنة فقط، وكـــان هـــناك الكـــثير من الدماء. لا يمكنني تذكُّر كل تفاصيل ذلك الـــصراخ، لكـــن ما علق بذهني هو أنها بدأت باتهامي بعدم مراقبته بما يكفـــي - وكأن آرني كان أصغر مني بكثير في حين أننا كنا في نفس العمر تقريباً - وانتهت بالقول - أو بما معناه - إنني أنا من كان يجب أن يتعرض لتلك الحادثة.

هـــذا مـــا بدا أنه يتكرر من جديد - دينيس، إنك لم تراقبه بما يكفـــي - فأحســـست بغضب شديد. لكن تلك الحادثة ليست هي الـــسبب الأساســـي في الحذر الذي أشعر به تجاه ريجينا، ولكي أكون صـــادقاً تماماً، لعلها تشكل الجزء الأصغر منه. عندما تكون طفلاً (في الـــنهاية، ليست سن السابعة عشرة إلا نهاية مرحلة الطفولة) إنك تميل إلى مساندة الأطفال الآخرين. إنك تعلم فطرياً أنك إن لم تحطم أسواراً جديـــدة وتهدم بعض البوابات، فإن أبويك - انطلاقاً من أحسن ما في

العـــالم من نوايا – سيكونان سعيدين لإبقائك في حضانة الأطفال إلى الأبد.

أحسست بالغضب لكنني كظمته في داخلي بقدر استطاعتي.

قلت لها: "إنني لم أسمح له بفعل أي شيء. كان يريدها فاشتراها". قـــبل أن يبدر منهما ما بدر، كان من الممكن أن أقول لهما إنه لم يفعل أكثر من تقديم عربون، لكنني لم أعد أريد أن أقول ذلك. "لقد حاولت ثنيه عن فعل ذلك في الواقع".

قالت ريجينا: "أشك في أنك حاولت بقوة". وكان من الممكن أن تقـــول أيضاً، *لا تحاول خداعي يا دينيس. أنا أعلم أنكما مشتركان في الأمـــر معـــاً*. كانـــت عيناها تقدحان شرراً مع احمرار يعلو عظمتي وجنتـــيها. كانـــت تحـــاول أن تجعلني أشعر وكأنني في الثامنة مجدداً، وكانت ماهرة في مسعاها، لكنني قاومت ذلك الشعور.

"لـــو عـــرفتما كل الحقائق، لوجدتما أن هذا الأمر لا يستحق أن تغضبا بسببه. لقد اشتراها مقابل مائتين وخمسين دولاراً، و–".

وقـــبل أن أكمـــل جملتي قال مايكل مستغرباً: "مائتان وخمسون دولاراً! أي نـــوع من السيارات يمكنك شراؤها مقابل مائتين وخمسين دولاراً؟" ثم رمـــق ابـــنه بنظرة ازدراء واضحة أثارت اشمئزازي قليلاً. أحـــب أن يكـــون لدي أطفال يوماً ما، ولو تحقق ذلك، فإنني آمل أن أبقي هذا التعبير خارج ذخيرتي التعبيرية.

ظللت أقول لنفسي إن عليّ المحافظة على هدوئي، فذلك لم يكن مـــن شـــأني، وتلك المعركة لم تكن معركتي... لكن قطعة الكيك التي أكلـــتها كانت قد بدأت تزعج معدتي وكانت الحرارة تلسع جلدي. كانت عائلة كانينغهام عائلتي الثانية منذ كنت طفلاً صغيراً، ولهذا كنت أشعر بكل الأعراض الجسدية المزعجة الناجمة عن شجار عائلي داخلي.

"يمكـــنك تعلُّم الكثير حول السيارات عندما تقوم بإصلاح سيارة قديمـــة". فجأة أحسست وأنا أقول ذلك وكأنني أقلد بصورة سخيفة رونالد ليبـــي. "وهي ستتطلب الكثير من العمل قبل أن تصبح صالحة قانونـــياً للسير على الطريق" (هذا إذا كان ذلك ممكناً أساساً، قلت في نفسي) "يمكنكما النظر إلى الأمر على أنه... هواية -".

قالت ريجينا: "إنني أنظر إليه على أنه جنون".

لقـــد وضعت نفسي بطريقة ما في موضع الدفاع عن سيارة آرني بالـــرغم من أنني كنت أعتقد أن الأمر برمته كان بعيداً كلياً عن المنطق منذ البداية.

"فلـــيكن، ولكـــن دعـــوني خارج هذا الموضوع. أنا ذاهب إلى البيت".

فقالت ريجينا بحدة: "جيد".

قال آرني ببرود: "حسناً"، ثم نهض واقفاً وأضاف: "أنا ذاهب من هنا".

شـــهقت ريجيـــنا، ورمشت عينا مايكل من الدهشة وكأنه تلقى صفعة على وجهه.

قالت ريجينا: "ماذا قلت؟ ماذا -".

قـــال آرني بـــصوت هـــادئ وغريب: "إنني لا أفهم ممَّ أنتما منـــــزعجان. لـــن أبقـــى هنا وأستمع إلى المزيد من الجنون من أي منكما. أردتما أن أحضر المناهج الجامعية، وأنا أحضرها". ثم نظر إلى أمـــه وقـــال: "وأردتـــني أن أسجل في نادي الشطرنج بدلاً من فرقة المدرســـة الموســـيقية، حسناً، لقد فعلت ذلك أيضاً. لقد نجحت في اجتـــياز ســـبع عشرة سنة من دون إحراجكما أمام نادي البريدج أو دخول السجن".

كانا يحدقان إليه بأعين جاحظة، وكأن أحد جدران المطبخ أصبح فجأة يملك فماً، وبدأ يتكلم.

قال مايكل: "آرني، إن التأمين –".

صرخت ريجينا مقاطعةً: "توقف يا مايكل!" لم تكن تريد التحدث حول مشاكل محددة لأن ذلك كان بمثابة الخطوة الأولى على طريق القبول، بل كانت ببساطة تريد سحق التمرد تحت قدميها، بسرعة ونهائياً. ثمة لحظات يجبرك فيها البالغون على الشعور بالاشمئزاز بسبل لا يفهمونها. وقد شهدت مثل هذه اللحظات في حينه. عندما صرخت ريجينا في زوجها، وجدتها فظة وخائفة، ولأنني كنت أحبها، لم أكن أتمنى أن أراها في أي من الحالتين.

كنت لا أزال واقفاً في الممر، راغباً بالمغادرة وبل مذهولاً بما كان يجري أمامي؛ أول شجار كبير أشهده في عائلة كانينغهام.

قالت ريجينا بتجهم: "دينيس، من الأفضل لك أن تذهب بينما نحل هذه المشكلة".

"حسناً، ولكن ألا تريان، إنكما تجعلان من كومة تراب جبلاً كبيراً. هذه السيارة – ريجينا... مايكل – لو فقط رأيتماها... إنها قد تبلغ السرعة ثلاثين خلال عشرين دقيقة، هذا إن تحركت –".

"دينيس! اذهب!".

ذهبت.

قبل أن أصل إلى سيارتي، خرج آرني من الباب الخلفي. وخرج أبواه خلفه والقلق – إضافة إلى الغضب هذه المرة – باد على وجهيهما. كان بوسعي أن أتفهم شعورهما، فقد كان الأمر أشبه بإعصار يأتي فجأة من سماء زرقاء صافية.

شغلت المحرك، ورجعت إلى الوراء باتجاه الشارع الهادئ. لقد حدث الكثير منذ خروجنا من العمل عند الساعة الرابعة، قبل ساعتين. وقتها كنت أحس بجوع شديد إلى درجة أنني كنت مستعداً لتناول أي شيء (باستثناء فطيرة أعشاب البحر). أما الآن فقد كانت معدتي مهتاجة بحيث كنت أشعر أنني سأفرغ كل ما ابتلعته.

عندما غادرت كان الثلاثة يقفون في الممر المؤدي إلى منزلهم أمام مرأبهم الذي يتسع لسيارتين (سيارة مايكل، وهي من نوع بورش، وسيارة ريجينا، وهي من نوع فولفو). وكانوا لا يزالون يتجادلون.

كنت أشعر بشيء من الحزن إضافة إلى الانزعاج. قلت في نفسي، *إنهما سيثنيانه عن قراره، وليبي سيحصل على 25 دولاراً، وسيارة البليموث 58 ستقبع هناك لألف سنة قادمة*. لقد فعلا ما يشبه ذلك من قبل. وهذا لأنه كان فاشلاً، وحتى أبواه كانا يعرفان ذلك. لكنه كان ذكياً، وخلف مظهره الخارجي الخجول والحذر، كان مرحاً ومراعياً لمشاعر الآخرين و... لطيف المعشر. أعتقد أنها العبارة التي كنت أبحث عنها.

لطيف ولكنه فاشل.

كانا يعلمان أنه فاشل، وكانا سيثنيانه عن قراره.

هذا ما اعتقدته، لكنني لم أكن مصيباً في تلك المرة.

3

صباح اليوم التالي

تـــوجهت إلى منــــــزل آرني عند السادسة والنصف صباح اليوم الـــتالي، وركـــــنت الـــسيارة بجانب الرصيف. لم أكن أرغب بدخول المنــــزل بالرغم من أن أبويه يكونان نائمين في تلك الساعة؛ ما حصل في المطبخ مساء أمس جعلني أشعر بعدم الارتياح بخصوص تناول القهوة والكعك المعتادين قبل التوجه إلى العمل.

انتظـــــرت نحـــو خمس دقائق و لم يخرج آرني، فبدأت أعتقد أنه لم يفلـــــح في تهديده بمغادرة المنــــزل. ثم انفتح الباب الخلفي، وخرج منه متجهاً نحوي حاملاً معه الغداء.

دخـــــل السيارة وأغلق الباب ثم قال: "انطلق يا حلاّل المشاكل". كانـــــت هـــــذه واحدة من تعليقات آرني المعتادة عندما يكون في مزاج جيد.

انطلقت بالسيارة وأنا أنظر إليه بحذر. كنت أريد أن أقول له شيئاً مـــــا، لكـــــنني قررت أن أنتظره حتى يبدأ هو بالحديث.. هذا إذا كان يملك شيئاً يقوله.

قطعـــــنا معظـــــم المسافة باتجاه موقع العمل من دون أن نتفوه بأي كلمــــة. كنا نصغي إلى محطة WMDY، محطة موسيقى الروك والسول المحلية. وكان آرني ينقر على ساقه على أنغام الموسيقى.

أخـــــيراً نطـــــق آرني: "آسف لاضطرارك إلى التورط في ما حدث مساء أمس".

"لا عليك يا آرني".

ثم قــال فجأة: "هل حصل معك ذات يوم أن رأيت آباءً ليسوا ســوى أطفــال كبار يجرُّهم أولادُهم جرًّا نحو النضج؟ وهم يرفسون ويصرخون كالعادة؟".

هززت رأسي.

"أأقــول لك ما أعتقده". كنا قد وصلنا إلى موقع البناء، على بعد تلّــتين فقط من المكتب المؤقت لشركة كارسون إخوان. كانت حركة المــرور خفــيفة وبطيئة في ذلك الوقت المبكر. وكانت السماء بلون الدراق. "أعتقد أن جزءاً من كونك أباً يعني محاولتك قتل أولادك".

"يبدو أن ما تقوله منطقي جداً. أبواي يحاولان قتلي على الدوام. في اللــيلة الفائتة تسللت أمي إلى غرفتي وبيدها وسادة ووضعتها فوق وجهــي. وقبلها بليلة طارد أبــي أختي وأنا في أرجاء المنــزل حاملاً مفكــاً للبراغــي". كنت أمزح بالطبع، لكنني تساءلت في نفسي ماذا سيكون ردّ فعل مايكل وريجينا لو أنهما سمعا هذا الكلام الفارغ.

قــال آرني من دون أي ردّ فعل: "أعلم أن الأمر يبدو مجنوناً قليلاً في البداية، ولكن هناك الكثير من الأشياء التي تبدو مجنونة إلى أن تفكر فيها جدياً... الصراعات الأوديبية، كفَن تورينو".

"هذا كله هراء باعتقادي. لقد تشاجرت مع أبويك، هذا كل ما في الأمر".

قال آرني بجدية: "مع ذلك فأنا أعتقد بذلك فعلاً. وهما لا يعلمان بما يفعلانه، لا أعتقد ذلك مطلقاً. وهل تعرف لماذا؟".

"أخبرني".

"لأنك حالما تصبح أباً فإنك تعلم علم اليقين أنك في طريقك إلى الموت. عندما تملك ولداً ترى قبرك بعينيك".

"هل تعلم يا آرني؟".

"ماذا؟".

"أعتقد أن هذا مثير للاشمئزاز". وانفجرنا في الضحك سوية.

"لا أعني ذلك بتلك الطريقة"، قال آرني.

ركـــنت الـــسيارة في المرأب، وأوقفت عمل المحرك، وجلسنا في السيارة لدقيقة أو دقيقتين.

"أخبرهما أنني قررت عدم التسجيل في المعاهد التي تدرِّس المناهج الجامعية. وأخبرهما أنني سأسجل في معهد التدريب المهني".

والـــتدريب المهني يشبه ما يأخذه الأولاد في المؤسسة الإصلاحية، باستثناء أنهم لا يذهبون إلى منازلهم في الليل.

"آرني"، هممت بالحديث غير متأكد كيف سأعبِّر عما كان يجول بخاطـــري. فالطريقة التي بدأ بها هذا الأمر من لا شيء كانت لا تزال تـــزعجني. "آرني، إنـــك لا تزال قاصراً. لا بد لهما من أن يوقّعا على برنامجك -".

"بالتأكيد، هذا صحيح". ابتسم لي بشكل ساخر. بدا لي في ضوء ذلـــك الفجر البارد مثل طفل كبير. "لديهما الصلاحية لإلغاء برنامجي كلـــه، لعام آخر، إذا ما أرادا ذلك، ووضع برنامجهما الخاص بدلاً منه. بوسعهما تسجيلي في مدرسة التدبير المنـــزلي وعالم الموضة إذا ما أرادا ذلك. القانون يقول إنهما يستطيعان فعل ذلك. ولكن، لا يوجد قانون يقول إنهما يستطيعان أن يجعلاني أنجح في ما يختارانه لي".

كيف أمكن لتلك السيارة المهترئة القديمة أن تصبح بتلك الأهمية بالنـــسبة إليه وبتلك السرعة؟ ظل هذا السؤال يلح عليّ بطرائق مختلفة خـــلال الأيـــام القليلة التالية. عندما أخبر آرني مايكل وريجينا أنه كان عازمـــاً على شرائها، من المؤكد أنه لم يكن يمزح. لقد خالف كل ما كانا يتوقعانه منه بطريقة قاسية أثارت دهشتي. صحيح أنني لست واثقاً

مـــن أن التكتيكات اللطيفة كانت ستنجح مع ريجينا، لكن مجرّد قدرة آرني علـــى القـــيام بذلك أساساً هي التي أدهشتني - بل أذهلتني، في الواقـــع. مع ذلك، إذا أمضى آرني آخر سنة له في الثانوية في التدريب المهني، فقل وداعاً للجامعة. وهذه استحالة بالنسبة إلى مايكل وريجينا.

"هكذا إذاً... لقد سلّما بالأمر الواقع؟" كان موعد توقيع الأسماء للـــبدء في العمـــل قد أصبح وشيكاً، لكنني لم أستطع أن أغادر قبل أن أعرف كل شيء.

"لـــيس تمامـــاً. لقد أخبرتهما أنني سأجد مكاناً لركنها وأنني لن أحاول معاينتها أو تسجيلها إلا بعد موافقتهما".

"وهل تعتقد أنك ستحصل عليها؟".

نظـــر إلي بابتسامة جدية بدت واثقة ومخيفة في آن واحد. كانت أشـــبه بابتسامة سائق بولدوزر بينما هو يخفض شفرة آليته أمام جذع شجرة بالغ الصعوبة.

"سأحصل عليها. عندما سأكون جاهزاً، سأحصل عليها".

أتعرفون؟ كنت متيقناً من أنه سيحصل عليها.

4

آرني يتزوج

كـــان بوسعنا أن نعمل لساعتين إضافتين مساء يوم الجمعة ذاك لكنـــنا رفـــضنا. أخـــذنا إيصالي القبض من المكتب، وذهبنا إلى فرع ليـــبرتيفيل التابع لمصرف بيتسبورغ للتوفير والقروض وصرفناهما هناك. وضـــعت معظـــم أجري في حسابـــي التوفيري، وخمسين دولاراً في حـــسابـــي الجاري (مجرد امتلاك واحد من هذه الحسابات كان يجعلني

أشعر أنني أصبحت بالغاً؛ لكن هذا الشعور، باعتقادي، يخفت تدريجياً بمرور الزمن)، وأبقيت عشرين في جيبـــي.

أما آرني فقد سحب كل أجره.

قـــال آرني وهـــو يمـــد يـــده نحوي حاملاً ورقة من فئة العشرة دولارات: "خذ".

"لا، احـــتفظ بهـــا يا رجل. ستحتاج إلى كل قرش منها قبل أن تنتهي من قطعة الخردة تلك".

"خذها. إنني أدفع ديوني يا دينيس".

"احتفظ بها. إنني أعني ذلك".

قال بعناد: "خذها".

أخـــذت الـــنقود. لكـــنني أجبرته على أخذ الدولار الباقي من الدولارات التسعة التي أقرضته إياها.

ركبـــنا الـــسيارة، واتجهنا إلى منـــزل ليبـــي. خلال الطريق بدا آرني عصبياً، حيث رفع صوت المذياع عالياً جداً، وهو ينقر بيديه على أنغـــام الموسيقى، أولاً على فخذيه ومن ثم على لوحة العدادات. كانت فرقة فورينير تغني أغنية **Dirty White Boy فتى أبيض قذر**.

قلـــت له: "إنها قصة حياتي يا صديقي آرني". فقهقه بصوت عالٍ جداً ولوقت طويل جداً.

كان يتصرف مثل رجل ينتظر زوجته التي تضع مولودهما. لكنني أخيراً خمّنت أنه كان يخشى أن يكون ليبـــي قد باع السيارة لشخص آخر.

"آرني، اهدأ. إنها ستكون موجودة هناك بانتظارك".

قال وهو يرسم على وجهه ابتسامة كبيرة مزيفة: "أنا هادئ، أنا هادئ". كانت بشرته في ذلك اليوم في أسوأ حالاتها على الإطلاق.

"حـــسناً، كـــفَّ عن القلق على الأقل. إنك ستصنع ليمونادة في سروالك قبل أن نصل إلى هناك".

"إنني لست قلقاً". قال ذلك، وراح ينقر مجدداً على لوحة العداد كي يثبت لي أنه لم يكن قلقاً.

"ما القصة بالضبط. ما هي قصة هذه السيارة؟".

مـــرّ وقـــت طويل قبل أن يتفوه بأي كلمة، منشغلاً بالنظر إلى الشارع العام في ليبرتيفيل. فجأة أوقف المذياع بحركة سريعة.

"لا أعرف تماماً. ربما لأنها المرة الأولى التي أشاهد فيها شيئاً أكثر قبحاً مني منذ أن بلغت الحادية عشرة، وبدأت البثور تظهر على بشرتي. هل هذا ما تريدني أن أقوله؟".

"هيي، آرني، ما بالك يا رجل؟ هذا أنا دينيس، هل تتذكرني؟".

"أذكر، ونحن لا نـــزال صديقين، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد. ولكن ما علاقة هذا بـــ".

"وهـــذا يعني أنه ينبغي لنا ألا نكذب على بعضنا، أو على الأقل هذا ما يُفترَض أن تعنيه الصداقة باعتقادي. ولهذا عليّ أن أقول لك إن هذا الكلام ليس فارغاً. أنا أعرف نفسي جيداً. إنني قبيح، ولا أكسب الأصـــدقاء بسهولة. إنني... أنفِّر الناس مني. أنا لا أقصد ذلك، لكنني بطريقة ما أنفِّرهم فعلاً. أنت تعلم ذلك؟".

أومـــأت برأسي مكرهاً بعض الشيء. كما قال، "نحن صديقان وهذا يعني أننا يجب أن نكون صادقين قدر الإمكان".

أومـــأ برأسه موافقاً، ثم قال: "الأشخاص الآخرون..."، توقف قليلاً ثم أضـــاف بحذر، "أنت على سبيل المثال، دينيس، إنك لا تفهم دائماً ماذا يعني ذلك. عندما تكون قبيحاً والناس يسخرون منك، فذلك يغير الطريقة التي تنظر فيها إلى العالم. إنه يجعل من الصعب بالنسبة إليك أن تحافظ على

حـــس الفكاهـــة والمرح. إن ذلك يوقف عقلك عن التفكير. وفي بعض الأحيان يجعلك تجد صعوبة في الحفاظ على عقلانيتك".

"حسناً، يمكنني أن أفهم هذا. ولكن -".

قـــاطعني بهـــدوء: "لا. لا يمكـــنك أن تفهم هذا. قد تعتقد أنك تـــستطيع، لكـــنك لست قادراً على فهمه. ليس تماماً. لكنك تحبني يا دينيس -".

"أنا أحبك يا رجل. أنت تعلم ذلك".

"لعلك تحبني. وأنا أقدِّر ذلك. وإذا كنت تحبني، فهذا لأنك تعلم أن هناك شيئاً آخر - شيئاً تحت البثور والوجه الغبـــي -".

"وجهك ليس غبياً يا آرني. قد يكون غريب الشكل، ربما، ولكن ليس غبياً".

قال آرني مبتسماً: "اللعنة عليك".

"وعليك أيضاً".

"علـــى كـــل حال، تلك السيارة تشبه حالتي. ثمة شيء ما فيها. شيء آخر. شيء أفضل. وأنا أراه. هذا كل ما في الأمر".

"حقاً؟".

"نعم يا دينيس. حقاً".

كنا قد بدأنا نقترب من منـــزل ليبـــي. فجأة خطرت ببالي فكرة مـــزعجة حقاً. ماذا لو طلب والد آرني من أحد أصدقائه أو طلابه أن يـــذهب إلى منـــزل ليبـــي ويشتري تلك السيارة من وراء ظهر ابنه؟ ســـتكون حركة ميكيافيلية - لعلكم تقولون ذلك - لكن مايكل ليس مخادعاً تافهاً. إنه مختص في التاريخ العسكري.

"رأيـــت تلك السيارة وأحسست بانجذاب نحوها... لا يمكنني أن أفـــسر ذلك بصورة جيدة حتى لنفسي. ولكن..." شرد قليلاً وراحت

عيـــناه تنظران بشكل حالم أمامه. ثم عاد إلى الحديث: "لكنني وجدت أنني أستطيع أن أجعلها في حال أفضل".

"تعني أن تصلحها؟".

"نعـــم... أو، لا. هذا يفتقر إلى الدفء. إنك تصلح الطاولات، الكراســـي، وأشـــياء مـــن هذا القبيل. جزازة العشب عندما تتعطل. والسيارات العادية".

لعلـــه لاحـــظ حاجبـــــي يرتفعان، فضحك بالرغم من ذلك؛ ضحكة دفاعية صغيرة.

"نعم، أعرف كيف يبدو ذلك. حتى إنني لا أحب أن أفصح عنه، لأنني أعرف كيف يبدو. لكنك صديقي، وهذا يعني أنني لا أستطيع أن أكـــذب عليك. لا أعتقد أنها سيارة عادية على الإطلاق. لا أعرف ما الذي يجعلني أعتقد بذلك... لكنني أعتقد ذلك فعلاً".

فـــتحت فمي لأقول شيئاً كان من الممكن أن أندم عليه لاحقاً، شيئاً مثل محاولة وضع الأمور في نصابها أو حتى تجنب التصرفات المبالغ بها. ولكن في تلك اللحظة بالذات انعطفنا إلى الشارع حيث يقع منـــزل ليبـــي.

لاحظت في حديقة منـــزله بقعة مستطيلة أكثر اصفراراً وبشاعة وأقـــل عشباً من بقية مساحة الحديقة. وبالقرب من أحد أطرافها كان هناك أثر لبقعة من الزيت غارت في الأرض، وقتلت كل ما نما فيها. إنها البقعة التي كانت تقف عليها سيارة البليموث 1958 يوم أمس.

قلت لآرني بينما كنت أقترب بسيارتي من الرصيف: "آرني، كن هادئاً. لا تتصرف من دون تفكير بحق الله".

لم يعـــرني أي انتـــباه. وأشك أنه سمع كلمة مما قلته. كان وجهه شـــاحباً، ما جعل البثور المحمرة التي كانت تغطيه تبرز بشكل أوضح. فتح باب السيارة، وخرج منها حتى قبل أن تقف تماماً.

"آرني –".

قال بغضب: "إنه أبـــي. أشم رائحة ذلك السافل هنا".

ثم راح يركض عابراً الحديقة باتجاه باب منـــزل ليبـــي.

خـــرجت من السيارة، وأسرعت وراءه، معتقداً أن حفلة الجنون تلك لن تنتهي أبداً. لم أصدق أن آرني نعت والده للتو بالسافل.

كـــان آرني يـــستعد لطـــرق قبضته على الباب عندما انفتح وظهر رونالد دي ليبـــي بذاته. هذه المرة كان يرتدي قميصاً قصير الكمّـــين فـــوق مشد ظهره. نظر إلى وجه آرني الغاضب بابتسامة جشعة.

"أهلاً بني".

"أيـــن هي؟ لقد عقدنا اتفاقاً! اللعنة، لقد عقدنا اتفاقاً! وأنا أملك إيصالاً!".

قـــال ليبـــــي: "اهدأ". ثم نظر نحوي – كنت واقفاً عند أسفل الـــدرج واضـــعاً يديَّ في جيبيّ – وقال موجهاً كلامه إلي: "ما الذي يغضب صديقك يا بني؟".

"السيارة ليست موجودة. هذا الذي يغضب صديقي".

صرخ آرني: "من الذي اشتراها؟" لم يسبق لي أن رأيت آرني بهذا الجـــنون أبداً من قبل. لو أنه كان يملك مسدساً في تلك اللحظة، أعتقد أنه كان سيضعه في رأس ليبـــي. كنت مذهولاً رغماً عني.

قال ليبـــي بهدوء: "من الذي اشتراها؟ لماذا؟ لم يشترها أحد بعد يـــا بني. لكنك حجزتها باسمك. لقد ركنتها في المرأب، هذا كل ما في الأمـــر. وقمـــت بتغيير الدولاب والزيت". نظر إلينا بشيء من الفخر ومنحنا ابتسامة لطيفة سخيفة.

قلت له: "إنك شخص نـــزيه فعلاً".

نظـــر إلـــيه آرني بارتياب، ثم لوى رأسه بصعوبة لينظر إلى الباب المقفـــل للمـــرأب المتواضـــع الذي يتسع لسيارة واحدة. كان المرأب موصـــولاً بالبيت بواسطة ممر مسقوف. وهذا الممر المسقوف، مثل كل شيء آخر حول منـــزل ليبـــي، كان في حالة سيئة للغاية.

"إضـــافة إلى ذلك، لم أرد أن أتركها في الخارج بعد أن وضعت نقـــوداً علـــيها. لدي بعض المشاكل مع شخص أو شخصين في هذا الشارع. ذات ليلة رمى أحد الأولاد حجراً على سيارتي".

مـــسح الجانـــب البعيد من الشارع بنظرة قناص مهددة، مغطياً الـــسيارات الاقتـــصادية الأنيقة التي يملكها موظفون يعملون في مناطق بعيدة، والأطفال الذين يلعبون لعبة الجري واللمس والقفز على الحبل، والأشخاص الجالسين على شرفات منازلهم يحتسون بعض المشروبات في برودة أول المساء.

ثم أضـــاف بهـــدوء: "ليتني أعرف من رمى ذلك الحجر. نعم يا سيدي، ليتني أعرف من هو".

بلع آرني ريقه وقال: "إنني أعتذر لما بدر مني".

قال ليبـــي بسرعة: "لا عليك. أحب أن أرى شخصاً يدافع عما يملكه... أو بالكاد يملكه. هل جلبت النقود يا بني؟".

"أجل، إنها معي".

"حـــسناً، إذاً، فلندخل إلى المنـــزل. أنت وصديقك معاً. سأوقّع لك عقداً وسنحتسي كأساً من شراب الشعير احتفالاً بالمناسبة".

قلت: "لا شكراً. سأبقى هنا، إذا كان هذا مناسباً".

"كما تريد يا بني"، ثم غمزني بعينه. وحتى هذا اليوم لا أعرف ما الـــذي عناه بتلك الغمزة. دخلا المنـــزل، وأوصدا الباب خلفهما. لقد علقت السمكة في الصنارة، وأصبحت جاهزة للتنظيف.

غمرني شعور بالحزن، فمشيت عبر الممر المسقوف باتجاه المرأب. حاولـــت فـــتح الباب، فانفتح بسهولة وانبعثت منه نفس الروائح التي شممتها عندما فتحت باب السيارة أمس؛ زيت، وتنجيد قديم، وحرارة تراكمت طوال الصيف.

كانـــت هـــناك بعض الأدوات التي تُستخدَم في تشذيب الجنائن مـــصفوفة علـــى امتداد أحد الجدران. وعلى الجدار الآخر كان هناك خـــرطوم مياه قديم جداً، ومنفاخ دراجة هوائية، وكيس غولف عتيق يحـــوي مـــضارب صدئة. وفي الوسط، كانت سيارة آرني، كريستين، واقفـــة ومقدمـــتها باتجـــاه الخارج. كانت التشققات التي تشبه شبكة العنكـــبوت على جانب الزجاج الأمامي تستقبل الضوء وتحوله في كل الاتجاهات. لعله صبـــي يحمل حجراً، كما قال ليبـــي؛ أو لعله حادث صغير أثناء عودته من صالة المحاربين القدامى بعد ليلة من شرب الشراب الاســـكتلندي وشراب الشعير وسرد الحكايات حول معركة الثغرة أو معركة تلال بورك تشوب. تلك الأيام القديمة الجميلة، عندما تمكنوا من رؤيـــة أوروبا، والمحيط الهادئ، والشرق الغامض من وراء منظار قاذف الصواريخ، بازوكا. من يعلم... ومن يهتم بذلك؟ على كل حال، لن يكون من السهل إيجاد بديل لزجاج أمامي قديم مثل هذا.

قلـــت في نفسي: *أوه يا آرني. إنك تضع نفسك في ورطة سيئة يا رجل.*

كان الدولاب المثقوب الذي نـــزعه ليبـــي مستنداً إلى الجدار. جثوت على يدي وركبتي ونظرت إلى أسفل السيارة، فوجدت بقعة زيـــت جديدة تتكون هناك. بقعة سوداء فوق أثر بني لبقعة أوسع وأقـــدم امتصها الإسمنت على مدى سنوات. لا بد من أن صندوق البستونات مكسور.

اتجهـــت نحو جانب السائق، وبينما كنت أمد يدي كي أفتح الباب، رأيـــت صندوق نفايات في الزاوية البعيدة من المرأب. كانت هناك زجاجة بلاستيكية بارزة منه، وعلى حوافها كُتبت أحرف SAPPH.

لقد غيَّر الزيت إذاً. يا له من صنيع. لقد أفرغ الزيت القديم – أو مـــا بقـــي منه – ووضع مكانه بضعة لترات من زيت محرك من نوع ســـافير. يمكنك الحصول على هذه المادة مقابل 3.50 دولاراً لكل علبة فارغة سعة خمسة جالونات ترجعها لمحال ماموث مارت من أجل إعادة تدويرها. يا له من رجل طيب.

فـــتحت باب السيارة، وجلست وراء المقود. كان المقود عريضاً وأحمر اللون. نظرت إلى عداد السرعة المذهل مرة أخرى، ذلك العداد الذي لم يكن مقسماً إلى 70 أو 80 ميلاً في الساعة بل إلى 120 ميلاً في الساعة. لم تكن هناك كيلومترات بأرقام حمراء صغيرة في الأسفل – لم تكن فكرة التقسيم المتري قد خطرت ببال أي شخص في واشنطن في ذلك الحين. و لم يكن هناك رقم 55 أحمر كبير على عداد السرعة أيضاً. في ذلك الزمن كان سعر جالون البنـــزين يبلغ 29.9 دولارات، أو حتى أقل من ذلك إذا كانت بلدتك تشهد حرب أسعار.

قلـــت في نفـــسي: *الأيام القديمة الجميلة*. وابتسمت رغماً عني. تحسست الجانب الأيسر من المقعد فوجدت زرًّا صغيراً لتحريك المقعد إلى الأمام والخلف، وإلى الأسفل والأعلى (هذا إذا كان لا يزال يعمل). كـــان هناك جهاز لتثبيت السرعة، ومذياع ذو أزرار مكوّن من الكثير من الكروم؛ موجة AM فقط، بالطبع.

وضعت يديّ على المقود فحدث شيء ما.

حـــتى هذه اللحظة، وبعد طول تفكير، لست متأكداً مما حدث. لعلـــه حلـــم. لقـــد شعرت للحظة فقط أن الشقوق في فرش السيارة

اختفت، وأن المقاعد سليمة وتفوح منها رائحة فينيل جميلة... أو لعلها رائحة جلد حقيقي، وأن المقود المصنوع من الكروم يلمع بشكل مبهج تحت ضوء المساء المتسلل عبر باب المرأب.

بدا لي وكأن كريستين همست لي في صمت مرأب ليبـــي: *دعنا نذهب في جولة أيها الشاب الضخم. هيا، دعنا نتجول.*

للحظـــة فقط بدا لي أن كل شيء تغير. اختفت تلك التشققات البـــشعة مـــن الزجاج الأمامي، و لم تعد تلك القطعة في حديقة ليبـــي صـــفراء أو قلـــيلة العـــشب - كـــنت أستطيع رؤيتها من مكاني في الـــسيارة - بل أصبحت خضراء داكنة ومقصوصة حديثاً. وكان الممر الجانبـــــي خلفها مرصوفاً منذ فترة قريبة بالإسمنت. كما شاهدت (أو اعتقدت أنني شاهدت، أو حلمت) سيارة كاديلاك موديل 1957 عند مقدمة الحديقة. وكانت هذه السيارة خضراء غامقة بلون النعناع، من دون أي أثـــر للـــصدأ عليها، مع دواليب كبيرة ذات جوانب بيضاء وأغطـــية عاكـــسة كالمـــرايا. سيارة كاديلاك بحجم قارب، و لم لا؟ فالبنـــزين كان تقريباً بسعر مياه الشرب.

لنذهب في جولة، أيها الشاب الضخم... هيا، دعنا نتجول.

حسناً، لم لا. كان بإمكاني التوجه بالسيارة إلى وسط المدينة نحو المدرسة الثانوية القديمة التي كانت لا تزال موجودة - لن تُحرَق إلا بعد ســـت سنوات، ليس قبل العام 1964 - وكان بإمكاني تشغيل المذياع والـــتقاط تـــشاك بيري وهو يغني **ميبيلين** أو فريق إيفيرليز وهم يغنون **استيقظي يا سوزي الصغيرة** أو روبين لوك يغني **حبيبتي سوزي**. وبعد ذلك كان بإمكاني...

ثم خرجت من تلك السيارة بأسرع ما يمكن. انفتح الباب مصدراً صـــريراً صدئاً مزعجاً، وصدمت مرفقي بأحد جدران المرأب. دفعت

بـــاب السيارة وأغلقته (لم أكن أريد حتى أن ألمسه، كي أكون صادقاً) ثم وقفـــت هناك أنظر إلى البليموث التي ستصبح بعد فترة وجيزة – إذا لم تحدث معجزة – ملكاً لصديقي آرني. فركت مرفقي المجروح بيدي، ولاحظت أن قلبـــي يدق بسرعة كبيرة.

لم يـــتغير أي شيء. لا كروم جديد ولا فرش جديد. الصدأ ذاته والطعجـــات ذاتها، وكان هناك مصباح أمامي مفقود (لم ألاحظ ذلك في الـــيوم الـــسابق)، وهوائي المذياع كان مائلاً بشدة. إضافة إلى تلك الرائحة النتنة البشعة المميزة للتقدم بالعمر.

في تلك اللحظة شعرت بالكره نحو سيارة صديقي آرني.

خرجت من المرأب وأنا أنظر إلى الخلف – لا أعرف لماذا، لكنني لم أشعر بالراحة لكونها تقف ورائي. أعرف كم يبدو هذا غبياً، ولكن هذا ما شعرت به حينئذ. كانت مركونة هناك فقط، ولم يكن فيها أي شيء شرير أو حتى غريب، مجرد سيارة بليموث قديمة مع ملصق معاينة انتهت مدة صلاحيته في الأول من حزيران 1976؛ منذ فترة طويلة.

في تلك اللحظة خرج آرني وليبـــي من المنـــزل. كان آرني يحمل ورقـــة بيـــضاء في يـــده؛ خمّنت أنها عقد البيع. أما يدا ليبـــي فكانتا فارغتين. يبدو أنه أخفى النقود مسبقاً.

قـــال ليبـــي لآرني: "آمل أن تستمتع بها". عندها تصورت قوّاداً عجـــوزاً يحاول اجتذاب فتى شاب، فشعرت بالاشمئزاز منه؛ منه، ومن داء الـــصدف علـــى رأسه، ومشد ظهره المنقوع بالعرق. "أعتقد أنك ستستمتع بها. في الوقت المناسب".

التقطـــتني عيناه، السائلتان قليلاً، وتركزتا عليّ للحظات ثم عادتا لتنظران إلى آرني.

ثم كرر الجملة الأخيرة: "في الوقت المناسب".

قـــال آرني بـــشرود: "أجل يا سيدي. أنا واثق من ذلك". ثم ســـار نحـــو المـــرأب مثل السائر في نومه، ووقف وراح ينظر إلى سيارته.

قال ليبـــي: "المفاتيح موجودة فيها".

"هل سيعمل محركها؟".

"لقد عمل معي مساء أمس". ثم التفت ونظر إلى الأفق. وبعد ذلـــك، وبنبرة رجل نفض يديه من الأمر برمته، أضاف: "صديقك هـــنا لا بد من أنه يملك وصلتين للبطارية في صندوق سيارته، كما أظن".

في الواقع، كنت أملك فعلاً كابلين في صندوق السيارة، ولكن لم يعجبني أن ليبـــي خمّن وجودهما. لم يعجبني ذلك لأنني لم أكن أريد أن أتـــورط في علاقة آرني المستقبلية مع هذه الخردة العتيقة التي اشتراها، لكنني كنت أجد نفسي متورطاً فيها شيئاً فشيئاً.

خـــرج آرني مـــن الحوار كلياً واتجه نحو المرأب، ودخل السيارة. كانـــت الشمس قد أصبحت مائلة بحدة في ذلك الوقت. عندما جلس آرني، ووضـــع يديه بارتخاء على المقود شعرت بالقلق مجدداً. أحسست وكأن السيارة ابتلعته.

انحـــنى آرني قلـــيلاً، ثم بدأ بتشغيل المحرك. التفتّ ورميت ليبـــي بنظـــرة اتهامية غاضبة. لكنه كان يتفحص السماء مجدداً، وكأنه كان يستكشفها بحثاً عن المطر.

لـــن يعمـــل. من المحال أن يعمل. لقد امتلكت سيارتين قديمتين (ولكـــن لـــيس مثل كريستين) قبل سيارتي الدستر الحالية، وأصبحت خبيراً بذلك الصوت في صباحات الشتاء الباردة، ذلك الصوت المزمجر البطيء والمتعب.

ررررر... رررر... رررر.... رررر...

قلت: "لا تتعب نفسك يا آرني. لن يعمل المحرك".

لم يكترث آرني لما قلت. نقر المفتاح من جديد فصدر ذلك الصوت المزعج مجدداً.

اتجهت نحو ليبي وقلت له: "لم تستطع حتى أن تتركه يعمل بما يكفي لشحن البطارية، أليس كذلك؟".

نظر ليبي إلي بلؤم من دون أن يتفوه بكلمة، ثم راح يتفحص السماء من جديد.

"أو لعله لم يعمل أساساً. لعلك طلبت من بعض أصدقائك أن يأتوا ويساعدوك في جرّ السيارة إلى المرأب. هذا إذا كان عجوز بائس مثلك يملك أي أصدقاء".

نظر إلي وقال: "بني، إنك لا تعرف كل شيء. حتى إنك تفتقر إلى الخبرة. عندما تخوض حربين كما فعلت أنا -".

قلت له عامداً: "اللعنة على حربيك". ثم اتجهت نحو المرأب حيث كان آرني لا يزال يحاول تشغيل محرك سيارته.

سرعان ما ستفرغ تلك البطارية القديمة الصدئة مما بقي فيها شحنات كهربائية، ولن يبقى هناك إلا ذلك الصوت المحبط، صوت يشبه حجرة الموت.

فتحت الباب الجانبي وقلت: "سأجلب الكابلين".

نظر إلي وقال: "أظن أن المحرك سيعمل من أجلي".

أحسست أن شفتيّ امططتا في ابتسامة كبيرة غير مقنعة، ثم قلت: "حسناً، سأجلبهما تحسباً لعدم عمل المحرك".

قال بشرود: "حسناً، كما تريد"، ثم أضاف بصوت خافت بالكاد سمعته: "هيا يا كريستين. ما رأيك؟".

في تلك اللحظة استيقظ ذلك الصوت في رأسي من جديد – *دعنا نـــذهب في جولة أيها الشاب الضخم. هيا، دعنا نتجول* – فأحسست بقشعريرة تسري في جسدي.

نقـــر المفـــتاح مجدداً، فسمعت صوت المحرك يعمل فجأة. التقط المحـــرك الإشارة الكهربائية، عمل لفترة وجيزة، وبعد ذلك توقف. نقر آرني المفـــتاح مجدداً، فعمل المحرك بسرعة أكبر، ثم صدرت فرقعة عالية مـــن أنبوب العادم جعلتني أقفز من مكاني. لكن آرني لم يتحرك. كان غائباً في عالمه الخاص.

لو كنت مكانه في تلك الحالة، لكنت قد شتمتها عدة مرات حتى الآن – لمـــساعدة محركها على العمل بالطبع. *هيا أيتها الساقطة! هذه تنجح دائماً*. وهناك واحدة أخرى جيدة أيضاً: *اعمل يا محرك الساقطة!* وفي بعض الأحيان، مجرد أن تصرخ بقوة ومن كل قلبك *اعمل يا محرك اللعينة كريستين!* قد تفي بالغرض. معظم الشباب الذين أعرفهم كانوا سيفعلون ذات الشيء؛ أعتقد أنه أحد الأشياء التي تتعلمها من أبيك.

بـــيد أن آرني لم يـــوجه لهـــا أي شتيمة، بل كان يتمتم بصوت هامس: "هيا يا دميتي، ما رأيك؟".

نقـــر المفـــتاح، فطقطق المحرك مرتين، ثم حدثت فرقعة أخرى في العـــادم وبعـــد ذلك راح يعمل. كان الصوت مريعاً، وكأن أربعة من المكـــابس الثمانية كانت في إجازة، لكنه جعلها تدور على كل حال. كـــنت غير مصدِّق، لكنني لم أرد البقاء هناك ومناقشة الأمر معه، ذلك أن المرأب كان قد بدأ يمتلئ بدخان أزرق وأبخرة. فخرجت منه.

قـــال ليبـــي: "تبيّن أنها في حال جيدة في النهاية، أليس كذلك؟ ولست بحاجة إلى المجازفة ببطاريتك الثمينة". ثم بصق على الأرض.

لم أستطع قول أي كلمة. بصراحة، كنت محرجاً نوعاً ما.

خرجت السيارة ببطء من المرأب. بدت طويلة جداً لدرجة تدفعك إلى الضحك أو البكاء، أو أي شيء آخر. ومن فرط طولها بدا آرني صغيراً جداً وراء المقود.

أنزل زجاج النافذة ولوَّح لي. كان علينا رفع صوتينا كي نسمع بعضنا بوضوح - وهذا شيء آخر يتعلق بفتاة آرني، كريستين؛ كان صوتها عالياً وهادراً بصورة غير عادية. وكانت بحاجة إلى إسكات صوتها بسرعة، إن بقي شيء من نظام العادم لوصل كاتم عليه. في أثناء جلوس آرني وراء المقود كان الجزء الحاسب المتعلق بأمور السيارات في ذهني يجمع المصاريف التي سيتوجب على آرني دفعها من أجل إصلاح السيارة، وقد قدَّرت الرقم بنحو 600 دولار؛ من دون حساب الواجهة الزجاجية المكسورة. الله يعلم كم سيكلِّفه استبدالها.

صاح آرني: "سآخذها إلى مرأب دارنل، فإعلانه في الجريدة يفيد أنني أستطيع أن أركنها في إحدى المساحات الخلفية مقابل عشرين دولاراً في الأسبوع".

"آرني، عشرون دولاراً في الأسبوع في تلك المساحات الخلفية كثير جداً".

هذه سرقة إضافية لذلك الشاب البريء. فمرأب دارنل كان يقع بجانب مكب للسيارات التالفة تبلغ مساحته أربعة هكتارات، وكان يُستخدَم تحت اسم مزيف هو "دارنل لقطع التبديل المستخدمة". وقد ذهبت إلى ذلك المكان عدة مرات من قبل، ذات مرة لشراء مارش لسيارتي الدستر، ومرة أخرى لشراء كربوراتور مصلَّح للميركوري، وهي سيارتي الأولى. كان ويل دارنل رجلاً سميناً قذراً، وكان يشرب كثيراً، ويدخن نوعاً طويلاً وكريه الرائحة من السيجار بالرغم من أنه كان يعاني من ربو حاد. وكان يجاهر بكرهه لكل المراهقين الذين

يملكون سيارات في ليبرتيفيل... لكن هذا لم يكن يمنعه من تزويدهم بما يحتاجون إليه ومن الاحتيال عليهم أيضاً.

"أعـــرف ذلـــك، ولكن لأسبوع أو أسبوعين فقط، إلى أن أجد مكاناً أرخص. لا يمكنني أن آخذها إلى البيت بهذه الحالة يا دينيس، فقد يصاب أبـــي وأمي بنوبة قلبية".

كـــان ذلك صحيحاً فعلاً. فتحت فمي لأقول شيئاً آخر - كأن أرجـــوه مجـــدداً بإيقاف هذا الجنون قبل أن يخرج عن السيطرة كلياً - لكـــنني تـــوقفت مرة أخرى. فالصفقة كانت قد تمت وانتهى الأمر، وبالإضـــافة إلى ذلـــك، لم أكن أريد المصارعة مع صوت المحرك الهادر أكثـــر من ذلك، أو الوقوف هنا واستنشاق المزيد من دخان الكربون المؤذي الخارج من العادم.

"حسناً، سأتبعك".

"جـــيد. سأســـلك شارع وولنت وطريق بيزين. أريد أن أتجنب الطرقات الرئيسة".

"حسناً".

"شكراً دينيس".

وضـــع آرني ناقـــل الحركة على وضعية السير الأمامي، فوثبت الـــسيارة لمسافة قدمين ثم كادت أن تتوقف، لكنه سارع بالضغط على دواسة البنـــزين أكثر، فأصدرت كريستين دخاناً قذراً، ثم بدأت تسير بـــبطء على الممر الخاص بمنـــزل ليبـــي باتجاه الشارع. وعندما ضغط علـــى الكابح، اشتعل ضوء واحد فقط من الضوئين الخلفيين، فأضافت حاسبة السيارات في ذهني على الفور خمسة دولارات أخرى.

أدار المقود إلى اليسار، ونـــزل إلى الشارع فاحتكت بقية العادم بـــنهاية الممر. ضغط آرني على دواسة البنـــزين أكثر فزمجرت السيارة

بقـــوة. رفع بعض الأشخاص رؤوسهم من فوق شرفات المنازل المحاذية للشارع، وخرج آخرون من الأبواب لرؤية ما كان يجري.

ســـارت كريستين في الشارع، وهي تهدر وتزمجر، بسرعة عشرة أميال في الساعة تقريباً، مصدرة سحباً زرقاء ملوثة من دخان البنـــزين.

تـــوقفت عـــند إشارة التوقف بعد خمسة وثلاثين متراً تقريباً. مرّ صبـــي يقود مزلاجاً بجانب السيارة، وصاح بوجه آرني بوقاحة وثقة: "ضعها في طاحونة النفايات يا سيد".

أخرج آرني قبضة يده من النافذة رافعاً إصبعه الوسطى في الهواء. ســـابقة أخـــرى. إذ لم يسبق لي أن رأيت آرني يفعلها من قبل مع أي شخص.

عنَّ المارش، فهدر المحرك مجدداً، تلت ذلك - هذه المرة - سلسلة مجلجلة من الفرقعات الصادرة من العادم؛ كأن رجلاً فتح النار فجأة من بندقـــية أوتوماتيكية في عرض الشارع. ضغطت على أسناني بقوة من شدة الإحراج.

ســـيستدعي شخص ما الشرطة عاجلاً، مبلّغاً عن حالة إزعاج، وعـــندها سيقبضون على آرني لقيادته سيارة غير مسجَّلة وغير معايَنة؛ وربمـــا بـــتهمة الإزعـــاج أيضاً. وهذا لن يخفف من الوضع المتأزم في المنـــزل بالتأكيد.

صـــدرت فرقعة مدوية أخرى، سُمع أصداؤها في الشارع مثل دوي قذيفـــة هـــاون، ثم انعطفت السيارة نحو شارع مارتن الذي يفـــضي إلى شـــارع وولنت بعد نحو ميل. حوَّلت الشمس الآخذة بالغروب لونها الأحمر لفترة وجيزة إلى اللون الذهبـــي بينما كانت في طـــريقها للاختفاء عن الأنظار. كان كوع آرني مسترخياً على حافة النافذة.

التفتُّ نحو ليبي والغضب يعتمل في صدري. كنت أشعر بإشمئزاز شديد، وأنوي توجيه المزيد من الشتائم إليه. لكن ما رأيته أنهى كل غضبي.

كان رونالد ليبي يبكي.

كان واقفاً في حديقته الجرداء غير بعيد عن بقعة الزيت التي قضت على كل الأعشاب تحتها. وكان يمسك في يده منديلاً كبيراً من النوع الذي يحمله العجائز، ويمسح عينيه به. كانت دموعه تلتمع على خديه مثل حبات العرق، وكانت تفاحة آدم تنخفض وترتفع.

أشحت بوجهي حتى لا أنظر إليه وهو يبكي، فوقعت عيناي على مرأبه. منذ دقائق فقط، كان المرأب يبدو ممتلئاً بالفعل، بوجود تلك السيارة الضخمة بمصابيحها الأمامية المزدوجة وزجاجها الأمامي الملفوف وغطاء محركها الكبير. أما الآن فقد كانت الأشياء المصفوفة على امتداد الجدران تثير الانتباه إلى خلائه. كان فاغراً مثل فم بلا أسنان.

عندما نظرت إلى ليبي مجدداً، كان السافل العجوز قد سيطر على نفسه؛ إلى حدٍّ ما، على الأقل. لقد توقف عن البكاء، وحشر المنديل في جيب سرواله الخلفي. لكن وجهه كان لا يزال متجهماً... متجهماً للغاية.

قال بصوت متحشرج: "حسناً، هكذا إذاً. لقد انتهيت منها يا بني".

"سيد ليبي، أتمنى لو أن بوسع صديقي أن يقول ذات الشيء. لو أنك تعلم المشكلة التي حصلت مع والديه حول هذه السيارة الصدئة -".

"اذهب من هنا. إنك تبدو مثل خروف لعين. ماااء، ماااء، ماااء، هذا كل ما أسمعه من فمك. أعتقد أن صديقك يعلم أكثر مما تعلم أنت. اذهب وانظر إذا كان بحاجة إلى مساعدة".

ســـرت عبر الحديقة باتجاه سيارتي. لم أكن أريد أن أبقى بجانب ليبـــي ولو لثانية إضافية.

صرخ من ورائي بنـــزق: "لا شيء إلا ماااء، ماااء، ماااء! إنك لا تعلم نصف الذي تعتقد أنك تعلمه!".

دخلـــت ســـيارتي، وانطلقت بعيداً عنه. نظرت إلى الخلف لمرة واحدة بينما كنت أنعطف نحو شارع مارتن فرأيته لا يزال واقفاً هناك والشمس تلتمع فوق رأسه الأصلع.

في الحقـــيقة، كان محقاً، فأنا لم أكن أعلم نصف ما كنت أعتقد أنني كنت أعلمه؛ كما سيتبين لي لاحقاً.

5

كيف وصلنا إلى دارنل

تحولت من شارع مارتن إلى شارع وولنت ثم انعطفت يميناً باتجاه طـــريق بيـــزين. لم أستغرق وقتاً طويلاً لألحق بآرني. كانت كريستين متوقفة بجانب الرصيف وغطاء محركها مفتوحاً. رأيت مرفاع سيارات عتـــيقاً - إلى درجـــة أنه كان يبدو وكأنه كان يُستخدَم لتغير دواليب عربات نقل البضائع التي كانت تجرها الخيول في القرنين الثامن والتاسع عـــشر - تحـــت المصد الخلفي المعوجّ. كان الدولاب الأيمن الخلفي مثقوباً.

أوقفت سيارتي خلف كريستين. وما إن خرجت منها حتى رأيت امـــرأة شـــابة تخرج من بيتها، وتمشي متمايلة باتجاهنا بمحاذاة تشكيلة جمـــيلة مـــن النـــباتات المزروعة في مرجها. كان هناك طائرا فلامينغوورديـــان، وأربـــع أو خمس بطات رمادية اللون تسير في صف واحد

خلــف أمهــا وبئر جميلة مع دلو فيه أزهار زاهية الألوان. كانت المرأة بحاجة ماسة إلى مراقبة وزنها.

قالـــت وهـــي تلوك لبانة في فمها: "لا تترك هذه الخردة هنا. لا يمكنك أن تركن هذه الخردة أمام منـــزلنا. آمل أن تفهم ذلك".

قـــال آرني: "يـــا سيدتي، هناك دولاب مثقوب، هذا كل ما في الأمر. سأخرجها من هنا حالما -".

"لا يمكـــنك أن تتركها هنا، وأتمنى أن تعرف ذلك. سيأتي زوجي عما قريب وهو لن يرغب بوجود خردة كهذه أمام المنـــزل".

"إنهـــا ليست خردة". ردّ عليها آرني بنبرة جعلتها تتراجع خطوة إلى الوراء.

قالت المرأة السمينة بشيء من الغطرسة: "لا تستخدم هذه اللهجة معي يا بني. وزوجي يتملّكه الغضب من أبسط الأسباب".

قـــال آرني بذلك الصوت الهادئ نفسه الذي استخدمه عندما بدأ مايكـــل وريجيـــنا هجومهما في المنـــزل: "اسمعي". أمسكته من كتفه بقوة، وقلت: "شكراً لك سيدتي. سنتولى الأمر في الحال. سنتولى الأمر بـــسرعة كافـــية بحـــيث إنك ستعتقدين أنك حلمتِ بهذا السيارة و لم تشاهديها في الحقيقة".

"مـــن الأفـــضل لكما أن تفعلا هذا". ثم أشارت بإصبعها إلى سيارتي الدستر وأضافت: "وسيارتك مركونة أمام الممر المؤدي إلى المنـــزل".

راقبـــتني بينما كنت أبعد سيارتي عن الممر، ثم عادت إلى المنـــزل حـــيث كـــان بانتظارها عند الباب صبـــي وفتاة صغيران يحملان في يديهما شطيرتين كبيرتين مغذّيتين. كانا سمينين بدورهما.

"ماذا هناك يا أمي؟".

قالت الأم: "اسكتا". ثم جرَّهما نحو المنـــزل. أحب دائماً أن أرى أهلاً كهذه الأم، فهم يعطونني أملاً في المستقبل.

رجعت إلى آرني وقلت له مازحاً: "حسناً، إنه مثقوبة من الأسفل فقط".

ابتسم آرني وقال: "لدي مشكلة صغيرة يا دينيس".

عرفت ما هي المشكلة على الفور؛ لم يكن يملك دولاباً إضافياً.

أخرج آرني - آلمني أن أراه يفعل ذلك مجدداً - محفظته ونظر فيها ثم قال: "يجب أن أحصل على دولاب جديد".

"أجل، أعتقد أنك بحاجة إلى واحد... مستعمل -".

"لا دواليب مستعملة. لا أريد أن أبدأ بهذه الطريقة".

لم أقــل شيئاً. لكنني التفت إلى سيارتي بشكل لاإرادي. اثنان من دواليبها الأربعة كانا مستعملين، وكانا في حالة جيدة.

"كــم تعــتقد يا دينيس سيكلِّفني شراء دولاب جديد من نوع جوديير أو فايرستون؟".

هــزت كتفيّ، واستشرت المحاسب الصغير في ذهني، فخمَّن أن آرني يستطيع الحصول على دولاب جديد مقابل خمسة وثلاثين دولاراً.

ســحب ورقتين من فئة العشرين دولاراً، وأعطاني إياهما ثم قال: "إذا كلَّفــك أكثر من ذلك - مع الضريبة وكل شيء آخر - سأرده إليك في ما بعد".

نظــرت إلــيه بحزن وقلت: "كم بقي من أجرتك الأسبوعية يا دينيس؟".

تضيَّقت عيناه لوهلة، ثم أشاح بهما وقال: "ما يكفي".

قــررت أن أحاول معه مرة أخرى: "لا يمكنك أن تقحم نفسك في لعبة قمار حتى آخر بنس. لقد أنفقت تقريباً كل ما تملكه على هذه

السيارة. سيصبح إخراج محفظتك فعلاً اعتيادياً لديك يا آرني. أرجوك يا رجل فكِّر في الأمر".

قدحت عيناه شرراً. لم يسبق لي أن رأيت ذلك التعبير على وجهه من قبل، ولعلكم ستقولون إنني أكثر المراهقين سذاجة في أميركا، لكنني لا أذكر حقاً أنني رأيته على أي وجه آخر من قبل. أحسست بمزيج من الدهشة والإحباط؛ أحسست وكأنني اكتشفت فجأة أنني أحاول إجراء نقاش عقلاني مع شخص تبيَّن أنه مجنون. غير أنني رأيت ذلك التعبير مراراً منذ ذلك الحين، وأعتقد أنكم رأيتموه أيضاً. إنه التعبير الذي يرتسم على وجه رجل عندما تخبره أن زوجته تخونه.

"لا تبدأ بهذا يا دينيس".

رفعت يديّ إلى الأعلى مسلِّماً، وقلت: "حسناً، حسناً!".

"ولست مضطراً إلى البحث عن الدولاب اللعين، إذا لم تكن ترغب بذلك". كان ذلك التعبير الخانق والعنيد لا يزال مرتسماً على وجهه. "سأجد وسيلة".

هممت بالرد عليه، ولعلي كنت سأقول شيئاً لاذعاً، ولكن تصادف أنني التفتُّ إلى يساري، فرأيت الولدين واقفين عند نهاية مرجهما. كانا يركبان دراجتين هوائيتين متطابقتين، ولكل واحدة منهما ثلاثة دواليب وأصابعهما ملطخة بالشوكولاته. كانا يراقباننا بتجهم.

"لا عليك يا رجل. سأجلب الدولاب".

"فقط إذا كنت تريد ذلك يا دينيس. أعلم أن الوقت متأخر".

"لا عليك".

قال الصبي الصغير وهو يلعق الشوكولاته من على إصبعه: "يا سيد؟".

قال آرني: "ماذا؟".

"تقول أمي إن هذه السيارة مثل البراز".

قالت الفتاة: "هذا صحيح. بوبـــي – كاكا".

"هـــذه ملاحظة قوية جداً، أليس كذلك أيها الولدان؟ هل أمكما فيلسوفة؟".

قال الصبـــي: "لا، إنها عقرب وأنا ميزان. وأختي –".

قلت مقاطعاً: "سأعود بأسرع ما يمكن".

"حسناً".

"ابقَ هادئاً".

"لا تقلق. لن ألكم أحداً".

مـــشيت نحـــو سيارتي. وما إن جلست خلف المقود حتى سمعت الفـــتاة الـــصغيرة تسأل آرني بصوت عالٍ: "لماذا وجهك ملخبط بهذا الشكل يا سيد؟".

قطعـــت ميلاً ونصف على امتداد شارع جون كنيدي الذي كان في الفترة التي اغتيل فيها كنيدي (وفقاً لأمي، نشأ كنيدي في ليبرتيفيل) يقـــع في قلـــب الحي الأكثر جمالاً في المدينة. لعل إعادة تسمية شارع بارنـــسوالو باسم الرئيس القتيل كانت فألاً سيئاً، لأن الحي منذ بداية الـــستينيات تحـــوَّل إلى مجـــرد شريط محيط بالمدينة. كانت فيه سينما للمـــسافرين، ومطعم ماكدونالد، وواحد لبرغر كينغ، وآخر لآبـــي، وصالة بولينغ، وثماني أو عشر محطات بنـــزين، لأن شارع كنيدي كان يؤدي إلى طريق بنسلفانيا التي يفرض عليها رسوم مرور.

كـــان يفتـــرض بـــي الحصول بسرعة كبيرة على دولاب جديد لآرني، لكن أول محطتين صادفتهما كانتا من تلك المحطات ذاتية الخدمة الـــتي لا تبيع حتى الزيت. كان هناك بنـــزين فقط، وفتاة شبه متخلفة

عقلـــياً، تجلس أمام كمبيوتر في مقصورة من الزجاج المضاد للرصاص، وكانت تقرأ صحيفة ناشيونال إنكوايرر، وتلوك لبانة كبيرة إلى درجة أنها قادرة على خنق بغل من بغال ميسوري.

أما الثالثة - كانت تابعة لسلسلة تيكساكو - فكانت تملك قسماً لبـــيع الدواليب. كان بوسعي شراء دولاب جديد لسيارة آرني بثمانية وعشرين دولاراً وخمسين سنتاً فقط بالإضافة إلى الضريبة، ولكن كان هـــناك شـــخص واحــــد فقط يعمل هناك وكان مضطراً إلى تركيب الـــدولاب الجديد على إطار آرني المعدني وضخ البنـــزين في آن واحد. اســـتغرقت العملية خمساً وأربعين دقيقة. لقد عرضت على العامل أن أزود السيارات بالوقود نيابة عنه بينما يقوم هو بتركيب الدولاب، لكنه قال إن رئيسه سيقتله لو سمع بذلك.

عـــندما وضعت الدولاب المركّب في صندوق سيارتي، ودفعت للعامل دولارين تقديراً لعمله، كان ضوء نهاية النهار قد تحول إلى اللون الأرجـــواني الفاتح. وبينما كنت أقود السيارة في طريق عودتي، رأيت شمس المغيب، تبث أشعتها بشكل أفقي تقريباً في الفراغ المليء بالقمامة بـــين مطعم آبــــي وصالة البولينغ. كان الضوء بلون الذهب وفي غاية الجمال.

أحســــست فجأة بشيء من الذعر يسري داخلي. كانت تلك المـــرة الأولى التي ينتابني فيها مثل هذا الشعور في تلك السنة - تلك الـــسنة الطـــويلة والغريبة - لكنها لم تكن الأخيرة. مع ذلك، من الصعب عليّ أن أفسره أو حتى أن أعرِّفه. كان الأمر متعلقاً بكوني سأصـــبح في الشهر القادم - أيلول 1978 - طالباً في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية. عندما تبدأ المدرسة مجدداً فهذا يعني نهاية مرحلة طـــويلة وهادئة من حياتي. بعبارة أخرى، كنت في طريقي لأصبح

راشـــداً. وأعـــتقد أنني أدركت حينئذ أن ما يخيفنا من النضج هو انتهاؤنا من مرحلة تعلُّم كيفية الحياة - أي مرحلة الطفولة - والبدء بتعلُّم كيف نموت.

اختفى ذلك الشعور، لكنه خلَّف وراءه شعوراً آخر بفقدان الثقة والحزن، وكلاهما ليسا من طبيعتي.

عـــندما انعطفـــت إلى شـــارع بيزين كنت قد تحررت كلياً من مـــشاكل آرني، وأحـــاول التأقلم مع مشاكلي الخاصة؛ أدَّى تفكيري بالنضج إلى تلك الأفكار الكبيرة (على الأقل بدت كذلك بالنسبة إليّ) والمزعجة إلى حدٍّ ما، مثل الجامعة، والعيش بعيداً عن المنـــزل، ومحاولة إثـــبات الذات في فريق كرة القدم في الولاية بوجود ستين لاعباً مؤهلاً يتنافسون على مركزي بدلاً من عشرة أو اثني عشر لاعباً فقط. لعلكم تقولـــون الآن، يـــا لها من مشاكل عويصة يا دينيس، ولكن ما أحاول قـــوله هنا هو إن تلك الأشياء بدت هامة فعلاً بالنسبة إليّ، ومرعبة بحق.

عندما رأيت أن زوج ملكة الجاز قد وصل إلى المنـــزل فعلاً، وأنه كان واقفاً قبالة آرني، وجهاً لوجه، في وضعية استعداد للتصادم في أي لحظة، لم يساعد ذلك في التخفيف من مزاجي العكر.

كـــان الـــولدان الـــصغيران لا يزالان جالسين على دراجتيهما الهوائيـــتين. كانت أعينهما تتنقلان من والدهما إلى آرني وبالعكس مثل مـــشاهدي لعبة تنس تنافسية. بدا لي وكأنهما كانا ينتظران اللحظة التي ينقض فيها البابا على صديقي النحيل ويكسر عظامه.

ركنت السيارة بسرعة، وترجلت منها، ثم هرعت نحوهما.

صـــرخ الأب: "لقد انتهيت من الكلام يا صاحب الوجه البشع. أقـــول لـــك إنني أريدها بعيداً من هنا، وأريدها بعيداً الآن". كان أنفه

المسطح محمراً، وخداه بلون قطعة آجر جديدة، وشرايين عنقه بارزة من شدة الغضب.

قـــال آرني: "لن أقودها على الإطار المعدني. لقد أخبرتك ذلك. إنك لن تفعل هذا لو كانت لك".

"ســـأقودك أنت على الإطار المعدني، يا وجه البيتزا". من الواضح أن الأب كـــان عازماً على تعليم ولديه كيف يحل الكبار مشاكلهم في العـــالم الواقعي. "لن تركن هذه الخردة أمام منـــزلي. لا تثر غضبـــي أيها الولد، وإلا فستصاب بأذى".

عندئذ قلت: "لن يُصاب أحد بأذى. هوِّن عليك يا سيدي. أعطنا فرصة".

التفت آرني إلي بامتنان واضح، ورأيت الرعب في عينيه. ثم التفت الـــرجل وقال: "واحد آخر". كأنه كان مندهشاً من وجود عدد كبير من الأغبياء في العالم. "هل تريد أن أهتم لكما معاً. هل هذا ما تريدانه؟ صدّقاني، يمكنني ذلك؟".

"نحـــن لا نريد أن نثير غضبك. بالله عليك إن إطاره مثقوب! ألم يحدث ذلك معك من قبل؟".

صـــاحت الـــزوجة الـــسمينة مـــن شرفة منـــزلها بصوت عال ومتحمس: "رالف، أريدهما بعيداً من هنا!" خرج بعض الجيران لمراقبة الـــتطورات، ففكرت مجدداً في أنه إن لم يستدعِ أحدهم الشرطة حتى الآن، فلا بد أن شخصاً ما سيفعل عاجلاً.

قـــال رالـــف بصوت عال: "لم يسبق لي أن تركت سيارة عتيقة بـــدولاب مثقوب أمام منـــزل أحدهم لثلاث ساعات". كانت شفتاه متـــراجعتين، فتمكـــنت مـــن رؤية اللعاب يلمع على أسنانه في ضوء الشمس الغاربة.

قلت بهدوء: "إنها ساعة فقط، إذا كان ذلك -".

"لا تتذاكى عليّ يا ولد. لا يهمني ذلك. إنكما لا تعجبانني. إنني أعمـــل كي أعيش، وأعود إلى البيت متعباً، وليس لدي وقت للجدال. أريدها بعيداً من هنا، وأريدها بعيداً الآن".

قلت له بالهدوء نفسه: "لدي دولاب إضافي في صندوق سيارتي. لو يمكننا فقط أن نركبه -".

عندئذ قال آرني بحدة: "لو كنت تتمتع بأي نوع من اللياقة -".

وهـــنا فقد الرجل أعصابه، وهجم على آرني. في الحقيقة، لو أن هناك شيئاً واحداً جعل صديقنا رالف يتردد أمام طفليه فهي تلك اللياقة بالذات. لا أعلم كيف كان سينتهي الأمر - ربما بدخول آرني السجن، وحجـــز ســـيارته الثميـــنة - لكنني تمكنت بطريقة ما من رفع يدي، وإمـــساك يـــد رالف من المعصم. كان لاقترابهما من بعضهما صوت مجلجل عند الغروب.

انفجـــرت الفـــتاة السمينة الصغيرة بالبكاء، في حين ظل أخوها جالساً على دراجته ذات العجلات الثلاث، وفكّه السفلي متدلٍّ لدرجة أنه كاد يلامس صدره.

أمـــا آرني، الذي كان في المدرسة يهرب دائماً وبسرعة البرق من مـــنطقة المـــشكلة، فإنه حتى لم يجفل. لا بل إنه بدا وكأنه كان ينتظر حدوث ذلك.

الـــتفت رالف نحوي والشرر يتطاير من عينيه. وقال: "حسناً أيها التافه الصغير، أنت أولاً".

قلـــت له بصوت منخفض، ويدي لا تزال ممسكة بصعوبة بيده: "هدِّئ من روعك يا رجل. الدولاب في صندوق سيارتي. امنحنا خمس دقائق لتركيبه. من فضلك".

تـــراخت يده بشكل تدريجي. نظر إلى ولديه، فرأى الفتاة تبكي، والـــصبـــي جـــاحظ العينين، ويبدو أن منظرهما هو الذي جعله يتخذ قراره.

قـــال رالف موجهاً كلامه إليّ: "خمس دقائق". ثم نظر إلى آرني وأضاف: "إنك محظوظ لأنني لن أتصل بالشرطة. فهذه السيارة ليست لـــديها إجازة سلامة من دائرة الميكانيك كما أن لا لوحات تبيّن رقم تسجيلها عليها".

انتظرت آرني ليقول شيئاً مستفزاً آخر ليمنح اللعبة شوطاً إضافياً، لكن يبدو أنه لم ينسَ كل شيء عن التعقل.

"شكراً لك. أعتذر إذا كنت قد غضبت".

همهـــم رالف بكلمات غير مفهومة، ثم راح يعيد، وضع قميصه داخـــل ســـرواله بحركات عنيفة. نظر إلى ولديه مجدداً وصاح فيهما: "ادخـــلا إلى المنـــــزل! مـــاذا تفعلان هنا؟ هل تريدان أن أوسعكما ضرباً؟".

يا الله، يا لها من عائلة، قلت في نفسي. لا تضربهما أيها الوالد – قد يعملان بوبـــي – كاكا في سرواليهما.

هرب الولدان إلى أمهما تاركين دراجتيهما الهوائيتين وراءهما.

قال رالف متوعداً: "خمس دقائق".

وضـــعنا مـــرفاع آرني تحت مصد السيارة. و لم يكد يكمل آرني ثـــلاث رفعات حتى انفلق المرفاع نصفين، مصدراً صوتاً صدئاً ومثيراً الغبار في المكان. نظر آرني إليّ بعينين حزينتين ومصدومتين في آنٍ معاً.

"لا عليك يا آرني، سنستخدم مرفاعي".

كـــان الظـــلام قد بدأ يحل في تلك اللحظات. كان قلبـــي يدق بسرعة كبيرة، وفمي جافاً من تلك المواجهة مع رالف.

قال آرني بصوت منخفض: "أنا آسف يا دينيس. لن أورطك في أي من هذا مرة أخرى".

"انسَ الأمر، دعنا نركب الإطار وحسب".

استخدمنا مرفاعي لرفع السيارة (لعدة لحظات مرعبة اعتقدت أن المـــصد الخلفـــي الـــصدئ كان سينكسر هو الآخر) وأخرجنا الإطار المثقوب. ثم ركّبنا الإطار الجديد، وشددنا الصمولات قليلاً، وأنـــزلنا السيارة. أحسست بارتياح كبير لرؤية السيارة على الأرض مجدداً.

قـــال آرني بيـــنما كـــان يـــركب الغطاء العتيق المطعوج فوق الصمولات: "ها قد انتهينا".

كان رالف واقفاً على شرفة منـــزله يراقبنا بوجه متجهم، ويحمل في إحـــدى يديه شطيرة برغر يقطر الدهن منها وفي اليد الأخرى علبة آيرون سيتي.

قلـــت لآرني بصوت خافت بينما كنت أضع المرفاع المكسور في صندوق البليموث: "إنه وسيم، أليس كذلك؟".

"مجرد روبرت ديدفورد اعتيادي". فانفجرنا بالضحك معاً. كما يضحك المرء أحياناً بعد انتهاء موقف عصيب وطويل.

رمى آرني الإطار المثقوب في الصندوق فوق المرفاع، وراح يقهقه مجدداً واضعاً يديه فوق فمه. بدا مثل طفل قُبض عليه وهو يغزو مرطبان المربى. وهذه الفكرة جعلتني أنفجر في نوبة جديدة من الضحك.

فجأة زمجر رالف: "على ماذا تضحكان أيها التافهان؟" ثم نـــزل ســـلّم الـــشرفة وأضـــاف: "هل تريدان أن تجرِّبا الضحك على الجهة الأخرى من وجهيكما؟ بإمكاني أن أريكما كيف، صدِّقاني!".

قلت لآرني: "لنخرج من هنا بسرعة". ثم أسرعت باتجاه سيارتي. لم يعـــد بالإمكـــان إيقاف الضحك الآن، كان يخرج بشكل تلقائي.

جلست وراء المقود، وشغلت المحرك. وأمامي اشتغل محرك سيارة آرني مـــصدرة هديراً مدوياً وسحابة كثيفة من الدخان الأزرق. وبالرغم من ذلك، كان باستطاعتي سماع قهقهته الهستيرية العالية.

مـــشى رالف نحونا. كان لا يزال ممسكاً بشطيرة البرغر المتقطّرة وعلبة شراب الشعير.

"على ماذا تضحكان أيها التافهان؟ هه؟".

صـــاح آرني بنبرة المنتصر: "عليك أنت، أيها البشع!" ثم انسحب مـــن المكـــان مطلقاً سلسلة هادرة من الفرقعات الصادرة من العادم. ضـــغطت على دواسة البنـــزين في سيارتي، واضطررت إلى الانحراف كي أتفادى رالف الذي كان، على ما يبدو، عازماً على ارتكاب جريمة قـــتل حينئذ. كنت لا أزال أضحك، لكنها لم تعد ضحكة عادية، بل صوتاً زاعقاً منقطع النفس، أقرب إلى الصراخ.

زمجر رالف: "سأقتلك أيها الحقير!".

ضـــغطت على دواسة البنـــزين مرة أخرى، ولحقت بسيارة آرني رافعاً إصبعي الوسطى في الهواء.

حـــاول اللحاق بنا لعدة ثوانٍ، لكنه توقف بعد ذلك وهو يلهث، ويشتم، ويتوعد.

قلـــت بـــصوت عالٍ: "يا له من يوم مجنون. يا له من يوم لعين مجنون".

كان مرأب دارنل للخدمة الذاتية يقع على شارع هامبتون، وكان عبارة عن مبنى متطاول مغطى السقف والجوانب بصفيح صدئ متموج الـــشكل. وعلى الواجهة كانت هناك لافتة كُتب عليها: وفّر نقودك! خـــبرتك، أدواتنا! وفي الأسفل لافتة أصغر حجماً تقول: *مرأب للإيجار بالأسبوع أو الشهر أو السنة.*

كانت الساحة التي تحوي السيارات التالفة تقع خلف المرأب، وكانت هي الأخرى محاطة بألواح بارتفاع خمس أقدام من الصفيح المموج الصدئ نفسه؛ تعبير عن لامبالاة ويل دارنل تجاه مجلس تقسيم الأراضي في البلدة. وليس السبب في ذلك هو عدم قدرة المجلس المذكور على فرض قوانينه على دارنل، ولا لأن اثنين من أعضاء المجلس كانا صديقيه، ولكن لأنه كان يعرف تقريباً كل الأشخاص المتنفذين في ليبرتيفيل. كان ويل دارنل واحداً من أولئك الأشخاص الذين تجدهم في معظم البلدات أو المدن الصغيرة، واحداً من أولئك الذين يتحركون بهدوء خلف الكواليس.

كنت قد سمعت أنه كان متورطاً بعملية ترويج المخدرات – التي كانت نشطة في تلك الأيام – في مدرستي ليبرتيفيل ودارب جونيور الثانويتين، وسمعت أيضاً أنه كان على علاقة غير ظاهرة مع أكبر المجرمين في بيتسبورغ وفيلادلفيا. صحيح أنني لم أصدق تلك الإشاعات، لكنني كنت أعلم أنك إذا أردت شراء جميع أنواع المفرقعات النارية من أجل الاحتفال بالرابع من تموز، فإن ويل دارنل سيبيعك إياها. وسمعت أيضاً – من والدي – أن دارنل اتُّهم قبل اثنتي عشرة سنة (كنت آنذاك في الخامسة من عمري) بكونه واحداً من زعماء حلقة اتّجار بالسيارات المسروقة كانت تمتد أنشطتها من منطقتنا من الولايات المتحدة مروراً بمدينة نيويورك ووصولاً إلى بانغور ومين. غير أن الاتهامات أُسقطت في نهاية المطاف. لكن والدي قال أيضاً إنه متأكد من أن ويل دارنل كان متورطاً في أنشطة إجرامية أخرى، من التهريب إلى الاتجار بالقطع الأثرية المزيفة.

عليك أن تبقى بعيداً عن ذلك المكان يا دينيس. هذا ما قاله والدي قبل عام، بعد فترة ليست بطويلة من حصولي على سيارتي

القديمة الأولى وإنفاق عشرين دولاراً من أجل استئجار إحدى فسح *اخدمْ نفسك* في مرأب دارنل من أجل تجريب واستبدال الكربوراتور؛ تجربة انتهت بفشل ذريع.

بالرغم من تحذير والدي، وجدت نفسي أدخل عبر البوابة الرئيسة لمرأب دارنل وراء صديقي آرني. لم يكن قد بقي شيء من النهار سوى أثر ضئيل من وهج أحمر اللون في الأفق. كان منظر قطع السيارات البالية، والسيارات المحطمة، والأجزاء المتناثرة في كافة أرجاء المكان كافياً لبث شعور الإحباط والإرهاق في نفسي أكثر من كل ما مررت به في ذلك اليوم الغريب. تذكرت حينئذ أنني لم أتصل بالمنزل أبداً، وأنه من المؤكد أن أبي وأمي كانا قلقين للغاية بشأن غيابي.

قاد آرني سيارته حتى وصل إلى بوابة كبيرة، وُضع على جانبها لافتة تقول: *زمِّرْ كي تدخل*. كان هناك ضوء خافت منبعث من نافذة وسخة بجانب البوابة. يبدو أن أحداً ما كان في الداخل. بصعوبة بالغة منعت نفسي عن مدّ رأسي من النافذة والقول لآرني أن يقود سيارته إلى منزلي، ويتركها هناك حتى الصباح. تخيلت أننا ندخل بالصدفة على ويل دارنل وأصدقائه بينما هم يجرُدون تلفزيونات ملونة مهرَّبة أو يعيدون طلاء سيارت كاديلاك مسروقة.

وقف آرني هناك من دون أن يزمِّر، أو يفعل أي شيء. كان يبدو محرجاً إلى حدٍّ كبير حتى تحت الضوء الخافت.

قال آرني بخجل: "هل تزمِّر من أجلي يا دينيس؟ يبدو أن زمور كريستين لا يعمل".

"بالتأكيد".

"شكراً".

زمّـــرت مرتين، وبعد عدة لحظات ارتفعت البوابة الكبيرة. ظهر ويل دارنل بنفسه يتقدمه كرشه الضخم البارز من فوق حزامه، ثم لوَّح بعصبية لآرني كي يدخل.

أدرت سيارتي، وجعلت مقدمتها متجهة نحو الخارج، ثم ركنتها، ودخلت.

كـــان المكـــان من الداخل ضخماً، أشبه بمدفن، وصامتاً بشكل مخـــيف. وكان هناك نحو ستين فسحة مخصصة لإيقاف السيارات، كل واحدة منها مجهزة بصندوق عدَّة من أجل الأشخاص الذين لا يملكون عدَّة ويريدون إصلاح سياراتهم بأنفسهم. وكان السقف عالياً ومغطىً بشبكة متقاطعة من العوارض الخشبية.

كانت اللافتات ملصقة في كل مكان: *يجب معاينة جميع الأدوات قـــبل المغـــادرة ويجب تحديد موعد الرفع مسبقاً؛ الكتيبات الإرشادية متوفرة من اليوم الأول والخدمة الأولى؛ لا يُسمَح بالتجديف والسباب* والعشرات غيرها.

صـــاح دارنـــل في آرني بصوته العصبـــي والصفيري: "الموقف عـــشرون! الموقف عشرون! اركنها هناك، وأوقف عمل المحرك قبل أن نختنق جميعنا!".

كـــان يقـــصد *بجميعنا* مجموعة من الرجال الجالسين حول طاولة كـــبيرة موجودة في الزاوية البعيدة من المبنى، تتوزع عليها أوراق اللعب وزجاجات شراب الشعير. كانوا ينظرون إلى سيارة آرني بتعابير متنوعة تنم عن الاشمئزاز والسخرية.

تـــوجه آرني نحـــو الموقف عشرين، وركن السيارة هناك، ثم أوقـــف عمـــل المحرك، فتطاير دخان العادم الأزرق في فضاء المكان الواسع والأجوف.

الـــتفت دارنـــل نحوي. كان يرتدي قميصاً أبيض يشبه الشراع وسروالاً كاكياً بني اللون. كانت قطع الدهن متدلية على شكل طبقات ملتفة ضخمة تحت ذقنه.

"أيها الفتى، إذا كنت قد بعته قطعة الخردة تلك فيجب أن تكون خجلاً من نفسك".

" لم أبعــه إياها. لقد حاولت ثنيه عن فعل ذلك". لسبب سخيف ما وجدت نفسي مضطراً إلى التبرير أمامه بطريقة لم أقم بها أمام والدي نفسه.

"كان ينبغي لك أن تحاول بقوة أكبر". ثم توجه نحو المكان الذي ركن فيه آرني سيارته، وراح يصرخ عليه حتى قبل أن يلتفت آرني إليه. لقـــد كرهه من النظرة الأولى، شأنه شأن الفتيان في منطقة التدخين في المدرســـة، ورالف في طريق بيزين، وبادي ريبرتون (سنتحدث عنه بعد قليل).

"حـــسناً، هذه هي المرة الأخيرة التي تدخل فيها هذه الآلة الحقيرة إلى هـــنا من دون أنبوب عادم! إذا أمسكتك وأنت تقوم بذلك فأنت مطرود، هل تفهم؟".

"نعم". بدا آرني صغيراً، ومتعباً، ومهزوماً. كل الطاقة الهائجة التي دفعـــته إلى ذلـــك المدى كانت قد تبددت في تلك اللحظة. ورؤيته في تلك الحالة جعلت قلبـــي ينفطر حزناً عليه. "أنا -".

لم يدعـــه دارنل يكمل. "إذا كنت تريد أنبوب عادم، فهذا يكلفك دولاريـــن ونصف في الساعة إذا حجزت مقدماً. وسأقول لك شيئاً آخر الآن، وعلـــيك أن تحفظه غيباً يا صديقي الشاب. إنني لا أقبل أي تفاهات مـــنكم أنتم الأولاد. لست مضطراً إلى ذلك. هذا المكان مخصص للرجال العـــاملين المـــضطرين إلى الحفاظ على سياراتهم من أجل وضع الخبز على

المائدة وليس لأولاد الجامعات الأثرياء الذين يريدون الخروج من أجل التدخين على طريق أورانج بيلت. إنني لا أسمح بالتدخين هنا. إذا كنت تريد أن تدخن، فاخرج ودخن في ساحة السيارات التالفة".

"أنا لا أدخ -".

"لا تقاطعني يا بني. لا تقاطعني ولا تتذاكى عليّ". كان يقف في مواجهة آرني. وبما أنه كان أطول وأضخم فقد حجب صديقي آرني كلياً عني.

بدأ الغضب يثور في صدري مجدداً. كنت أشعر بجسدي يئن احتجاجاً على أعصابي المتوترة منذ ذهابنا إلى منزل ليبي واكتشافنا عدم وجود تلك السيارة الملعونة في الحديقة.

الأطفال طبقة مقهورة. بعد بضع سنوات ستتعلم كيف تقوم بنسختك الخاصة مما يقوم به العم توم أمام كارهي الأطفال مثل ويل دارنل: *نعم يا سيدي، كلا يا سيدي، حسناً، بالتأكيد.*

فجأة أمسكت بذراع دارنل، وقلت: "سيدي؟" أعتقد أنه كلما زاد كرهي للبالغين، زاد معه ميلي لمناداتهم *سيدي.*

استدار بحركة سريعة نحوي وقال: "ماذا؟".

"أولئك الرجال هناك يدخنون". أشرت بإصبعي إلى الأشخاص المتحلقين حول الطاولة تحت سحابة من الدخان.

نظر دارنل إليهم، ثم عاد ونظر إليّ بوجه صارم، وقال: "هل تحاول مساعدة صديقك للخروج من هنا، أيها الصغير؟".

"لا... يا سيدي".

"أطبق فمك إذاً".

التفت مجدداً نحو آرني، ووضع يديه السمينتين على ردفيه العريضين، وقال له: "إنني أعرف الشخص البغيض عندما أنظر إليه.

وأعـــتقد أنني أنظر إلى أحدهم الآن. إنك في فترة اختبار أيها الولد. إذا عبـــثت معي مرة واحدة فقط، لا يهم كم ستدفع لي مقدماً، سأرميك خارجاً".

صـــعدت شرارة من الغضب العارم من معدتي إلى رأسي وجعلته ينـــبض. توســـلت إلى آرني في داخلـــي أن يشتم هذا السافل السمين بكلمـــات تناسبه. بالطبع عندئذ سيتدخل أصدقاء دارنل وربما سينتهي بـــنا المطـــاف في غرفة الطوارئ في مستشفى ليبرتيفيل العام من أجل تقطيب رأسينا... لكن ذلك كان يستحق هذا الثمن.

وقـــف آرني مكانه لفترة طويلة، مطأطأ الرأس، ثم قال: "حاضر ســـيدي". كان صوته منخفضاً لدرجة غير مسموعة تقريباً. بدا وكأنه كان يختنق بتلك الكلمة.

"ماذا قلت؟".

رفـــع آرني رأســـه. كان وجهه شاحباً للغاية وعيناه مغرورقتين بالدمـــوع. آلمني جداً أن أراه على تلك الحالة، فأشحت بنظري بعيداً. توقـــف لاعـــبو الورق عن اللعب لمتابعة التطورات الجارية في الموقف عشرين.

"قلت حاضر سيدي". قال ذلك بصوت مرتجف، وكأنه وقّع للتو باسمـــه علـــى اعتراف رهيب. نظرت إلى السيارة مجدداً، بليموث 58، القابعـــة هنا في حين أنها كان يجب أن تكون هناك في ساحة السيارات الـــتالفة مـــع بقـــية الخردة المنتشرة في مرأب دارنل، وأحسست بكره متجدد نحوها لما فعلته بصديقي آرني.

"حسناً، أخرجا من هنا. لقد أقفلنا".

مشى آرني بخطوات مترنحة. كان سائراً باتجاه كومة من الدواليب القديمـــة، لو لم أمسكه من ذراعه وأبعده عنها. عاد دارنل إلى الطاولة

حيث الرجال يلعبون، وعندما وصل إليها، قال شيئاً للآخرين جعلهم ينفجرون من الضحك.

"أنا بخير يا دينيس. أنا بخير. اتركني، أنا بخير". كانت أسنانه مطبقة وصدره يعلو وينخفض بأنفاس قصيرة وسريعة.

قال أحدهم: "واترك جرعتك في المنزل!".

انكمش آرني. صحيح أنه كان صديقي، لكنني كنت أكرهه عندما كان ينكمش بتلك الطريقة.

خرجنا إلى الظلام البارد، وانغلقت البوابة وراءنا. وهذه هي قصة إيصال كريستين إلى مرأب دارنل. يا له من وقت ممتع، هه؟

6

في الخارج

استقللنا سيارتي، وانطلقت بها بعيداً عن الساحة. كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساء. كم يجري الزمن سريعاً في أوقات المرح. كان الهلال ساطعاً في السماء؛ وقد تكفل هو والأضواء البرتقالية في باحة مرأب مونروفيل مول بكل نجمات الأماني الموجودة في تلك الليلة.

قطعنا الشارعين أو الثلاثة الأولى في صمت تام، قبل أن ينفجر آرني في نوبة من النحيب. كنت أعرف أنه سيبكي، لكن قوة ذلك النحيب أفزعتني، فأوقفت السيارة على الفور.

"آرني -".

لم أكمل محاولتي لأنني عرفت أن شيئاً لن يوقفه حينئذ. كانت دموعه تنهمر بغزارة وبكاؤه عالياً ومتواصلاً؛ لقد استنفذ آرني كل قدرته على ضبط النفس في ذلك اليوم. في البداية، اعتقدت أن ذلك

كان مجرد ردّ فعل، فأنا كنت أشعر بذات الشيء، باستثناء أن ردّ فعلي توجه إلى رأسي، فجعلته ينبض من الألم مثل ضرس متعفن، وإلى معدتي المنقبضة بشدة.

نعـــم، هذا ما اعتقدته في البداية. نوع من عملية تنفيس عفوية، ولعلها كانت كذلك في البداية. لكنها تحولت، بعد دقيقة أو دقيقتين، إلى شيء أعمق بكثير. وبدأت أفهم بعض الكلمات من الأصوات التي كـــان يـــصدرها: كانـــت قليلة في البداية، لكنها أصبحت سيلاً من الكلمات بعد ذلك.

"سأنتقم منهم! سأنتقم من أبناء الساقطات أولئك! سأنتقم منهم يـــا دينيس سأجعلهم يشعرون بالندم! سأجعل أولئك السفلة يندمون! يندمون!".

قلت وقد انابني الفزع: "توقف! آرني، توقف!".

لكـــنه لم يتوقف، وبدأ يضرب بقبضته بقوة على لوحة العدادات المنجَّدة، بقوة كافية لترك آثار عليها.

"سأنال منهم، سترى يا دينيس!".

تحولت الكلمات الهستيرية إلى تنهيدات ونحيب من جديد. اختفى الغضب وبقي البكاء، بكاء عميق صارخ وعنيف.

جلست هناك وراء المقود، لا أعرف ما يجب عليّ فعله، متمنياً لو أنـــني كنت في مكان آخر - أي مكان آخر - أو لو أنني كنت أكبر عمراً؛ لو أننا كلينا كنا أكبر عمراً.

لكن ذلك كان مجرد عذر. كنت أعرف ما ينبغي لي فعله، بالرغم من أنني لم أكن أرغب بفعله. اقتربت منه، وطوقته بذراعي، وضممته. كان باستطاعتي الشعور بحرارة وجهه المحموم الملتصق بصدري. جلسنا علـــى هذه الحال لمدة خمس دقائق تقريباً. وبعد ذلك عدت إلى مكاني

خلف المقود، وقدت السيارة حتى وصلت إلى منـــزله، فأنـــزلته هناك. ثم تـــوجهت إلى منــــــزلي. لم يتحدث أي منا لاحقاً عما حدث، عن عناقـــي له في السيارة. لحسن حظنا، لم يأتِ أحد إلى الرصيف ويرانا علـــى تلك الحالة. أعتقد أننا كنا سنبدو لأي شخص يرانا آنذاك مثل شخـــصين شـــاذين في وضـــعية مريبة. لقد جلست هناك، وعانقته، وتعاطفـــت معـــه، وتساءلت في نفسي كيف شاءت الأقدار أن أكون صـــديق آرني كانينغهام الوحيد، لأنني في تلك الأثناء، صدِّقوني، لم أشأ أن أكون صديق آرني.

مـــع ذلـــك، لقد أدركت حينئذ - وإن بشكل ضبابـــي - أن كريـــستين أصبحت ربما صديقته أيضاً. ولم يعجبني هذا الأمر كذلك، بالرغم من المشاق التي عانينا كلينا بسببها في ذلك اليوم المجنون الطويل.

عـــندما أوصلت آرني إلى منـــزله، قلت له: "هل ستكون بخير يا رجل؟".

رســـم ابتسامة متكلفة وأجاب: "نعم، سأكون بخير". ثم نظر إليّ بحـــزن وأضاف: "عليك أن تجد جمعية خيرية أخرى، صندوق القلب، جمعية السرطان، شيء ما".

"آآه، اخرج من هنا".

"أنت تعلم ما أعنيه".

"إذا كـــنت تقصد أنك رخو بعض الشيء، فإنك لا تخبرني شيئاً جديداً".

أُنير ضوء الشرفة الأمامية، وخرج مايكل وريجينا من المنـــزل والقلق بادٍ عليهما، ربما كي يريا ما إذا كنا نحن من جئنا أم شرطة الـــولاية لتـــبلغهما أن ابـــنهما الوحـــيد المحبوب قد صدمته سيارة على الطريق.

صاحت ريجينا بلهفة: "آرني".

قـــال آرني مـــع ابتسامة أكثر صدقاً هذه المرة: "ابتعد من هنا يا دينـــيس"، لـــست بحاجة إلى هذا الهراء". ثم خرج من السيارة وقال: "هاي بابا، هاي ماما".

سأله مايكل: "أين كنت؟ لقد أفزعت أمك كثيراً أيها الشاب".

كان آرني محقاً، فقد كنت بغنىً عن مشهد التئام الشمل ذاك. نظرت لفتـــرة وجيزة في مرآة الرؤية الخلفية فرأيته واقفاً هناك وحيداً وضعيفاً، قبل أن يطوِّقه والداه ويسوقاه إلى العش الذي يبلغ ثمنه 60,000 دولار. لا شك في أنهمـــا ســـيحاولان بكـــل طاقتيهما تطبيق آخر تجاربهما التربوية عليه؛ تدريب الفعالية الأبوية، والله يعلم أي شيء آخر. لقد لعبا دوراً كبيراً جداً في ما أصبح عليه، وكانا مدركين تماماً لذلك.

شـــغَّلت المذياع على المحطة FM 104، حيث كان بوب سيجر وفريق سيلفر بوليت يغنون "Still the Same". لم تكن الأغنية مناسبة على الإطلاق، فغيرتها إلى المحطة التي تبث مباراة فيلادلفيا.

كان فريق فيلادلفيا خاسراً؛ أمر متوقَّع في تلك الظروف.

7

أحلام سيئة

عندما وصلت إلى المنـــزل كان أبـــي وأختي جالسين في المطبخ يتـــناولان شطيرتين. بدأت أشعر بالجوع على الفور، وأدركت حينئذ فقط أنني لم أتناول أي شيء منذ الغداء.

قالـــت إيلين من دون ترفع رأسها عن مجلة **16** أو **كريم** أو **تايغر بـــيت** أو أي شيء آخر: "أين كنت أيها الزعيم؟" لقد بدأت تدعوني

بالزعيم منذ العام السابق عندما اكتشفْتُ بروس سبرينغستين وأصبحت مولعاً به. وكانت تقصد بذلك إثارة غيظي.

إيلــين كانت في الرابعة عشرة من عمرها آنذاك. كانت في طور الانــتقال من مرحلة الطفولة لتصبح في ما بعد حسناء أميركية مكتملة الأوصاف؛ طويلة، شعر أسود، وعينان زرقاوان. لكنها في أواخر ذلك الصيف من العام 1978 كانت مجرد مراهقة شغوفة بالنجوم. بدأت في ســن التاســعة بمسلسل **دومي وماري**، ثم أصبحت في الحادية عشرة مــولعة بجــون ترافولتا (ارتكبت ذات يوم خطأ تسميته جون ريفولتا فخدشــتني بأظافرها بشدة في وجنتي إلى درجة أنني كنت بحاجة تقريباً إلى تقطــيب الجرح؛ اعتقدت حينئذ أنني كنت أستحق ذلك، إلى حدٍّ ما). في الثانية عشرة تحول إعجابها إلى شون كاسيدي. بعد ذلك جاء دور أندي جيب. ومؤخراً فقط طورت إيلين ذوقاً أكثر خطورة: فرق الروك مثل ديب بيربل ومجموعة جديدة تُدعى ستيكس.

"كنت أساعد آرني في ترتيب أمور سيارته". كنت أوجه كلامي إلى أبــي وبالقدر نفسه إلى إيلين، أو أكثر في الواقع.

قالت إيلين: "ذلك الكريه". ثم قلبت الصفحة في المجلة التي كانت تقرأ.

أحســست بدافع مفاجئ ومثير لانتزاع المجلة من بين يديها، وتمزيقها إلى نــصفين، ورميها في وجهها. وقد بيَّن لي رد الفعل هذا كم أثَّر ذلك الــيوم علــى أعصابــي. في الحقيقة، لم تكن إيلين تعتقد أن آرني كريه، لكنها كانت تستغل أي فرصة ممكنة لإزعاجي. ولعلي سمعت كلمة كريه، أو ما يُشبهها، تُطلَق على آرني مراراً في الساعات القليلة الماضية.

قلت لها بهدوء: "ما الذي تفعله كيس هذه الأيام؟ هل كتبت أي رسائل حب إلى إريك إسترادا مؤخراً؟ *أوه إريك، أنا مستعدة للموت*

مـــن أجلـــك. يـــتوقف قلبـــي عن الخفقان كل مرة أفكر في شفتيك المليئتين الطريتين وهما تسحقان شفتي...".

فـــردّت علـــيّ ببرود قائلة: "أنت حيوان. مجرد حيوان، هذا هو أنت".

"وهذا ما أعرفه".

"هـــذا صـــحيح". أخذت مجلتها وشطيرتها، واندفعت بخطوات سريعة نحو غرفة المعيشة.

"لا تـــسقطي شيئاً مما تأكلينه على الأرض"، قال أبـــي، مفسداً عليها نوعاً ما خروجها الاستفزازي.

ذهـــبت إلى البراد، وأخرجت منه بعض السجق وحبة بندورة. كان هـــناك أيـــضاً نصف صرة من الجبن المبستر، لكن الهجمات الضارية التي تعرضـــت لها أفقدت رغبتي فيها على ما يبدو. واخترت أيضاً ربع لتر من الحليب لأشربه مع شطيرتي، وفتحت علبة لحم بقر من نوع تشانكي بيف.

ســـألني أبـــي: "هـــل حصل عليها؟" يعمل أبـــي كمستشار ضريبـــي لصالح شركة H&R Block. وهو يقوم أيضاً ببعض الأعمال الـــضريبية المستقلة. في الماضي كان يعمل محاسباً بدوام كامل في أكبر شـــركة بناء في بيتسبورغ، لكنه أُصيب بنوبة قلبية واستقال. إنه رجل صالح.

"نعم، لقد حصل عليها".

"هل لا تزال تبدو سيئة بالنسبة إليك كما كانت؟".

"أسوأ. أين أمي؟".

"في صفّها".

الـــتقت عيـــناه بعـــيني، وكدنا أن نضحك. وعلى الفور أشحنا بناظـــرينا في اتجاهين متعاكسين خجلاً من نفسينا؛ ولكن، حتى خجلنا

الصادق من نفسينا لم يساعدنا كثيراً. كانت أمي في الثالثة والأربعين من عمرها وتعمل كمتخصصة في الرعاية السنية. لقد توقفت عن ممارسة مهنتها منذ وقت طويل، لكنها اضطرت إلى العودة بعد تعرض أبي للنوبة القلبية.

قبل أربع سنوات قررت أمي فجأة أنها كاتبة لم تأخذ حقها في الشهرة، فبدأت بكتابة قصائد عن الأزهار وقصص عن رجال رائعين في خريف حياتهم. وبين الحين الآخر، كانت تُصاب بنوبة من الواقعية الصلبة فتكتب قصة عن شابة تنتابها رغبة شديدة في التخلص من عذريتها، لكنها تقرر في النهاية أنه سيكون من الأفضل بما لا يقاس بالنسبة إليها أن تحفظ هذا الأمر لسرير الزوجية. وقد سجَّلت نفسها هذا الصيف في فصل حول الكتابة الموجَّهة في جامعة هورليكس - حيث يدرِّس مايكل وريجينا كانينغهام - وهي تعمل على وضع كل موضوعاتها وقصصها في كتاب أسمته **سكيتشات الحب والجمال**.

لعلكم تقولون لأنفسكم الآن إن ليس هناك أي شيء يدعو إلى الضحك من امرأة تنجح في الحفاظ على عملها، والعناية بعائلتها، وفي الوقت نفسه تحاول شيئاً جديداً؛ توسع أفقها قليلاً. وأنتم محقون في ذلك بالتأكيد. ومن الممكن أنكم تقولون أيضاً إنني وأبي نملك كل الأسباب التي تدفعنا للخجل من نفسينا؛ إننا شخصان ذكوريان متعاليان. ومرة أخرى أنتم محقون تماماً. لن أناقش أياً من النقطتين، مع أنني سأقول إنكم لو كنتم تخضعون لقراءات شفهية متكررة من **سكيتشات الحب والجمال**، كما خضعنا أنا وأبي - وإيلين أيضاً - لفهمتم ربما مصدر الضحك بشكل أفضل.

حسناً، إنها أم رائعة، وأعتقد أنها زوجة رائعة لوالدي أيضاً - على الأقل لم أسمعه يتذمر يوماً، ولم يسبق له أن أمضى الليل بأكمله وهو

يـــشرب. وكل ما يمكنني أن أقوله دفاعاً عن نفسينا هو أننا لم نضحك أبـــداً في وجههـــا. إنه عذر واه، أعرف، لكنه أفضل من لا شيء على الأقل. لم نكن لنقدم على إيذاء مشاعرها لأي سبب كان.

وضعت يدي على فمي محاولاً كبح الضحك، فيما بدا والدي أنه يغـــص في إحـــدى اللقمات. لا أعرف بالضبط بماذا كان يفكر، لكن الذي علق بذهني هو مقالة حديثة نوعاً ما.

ذهـــبت إلى الخـــزانات فوق حوض غسل الصحون، وأحضرت كأســـاً من أجل الحليب، ثم نظرت مجدداً فوجدت أن أبـــي قد سيطر على نفسه مجدداً، فساعدني ذلك على ضبط نفسي أنا الآخر.

"بـــدوت مهمـــوماً قليلاً عندما دخلت، هل أحوال آرني على ما يرام، دينيس؟".

"آرني بخـــير". صببت الحليب في قدر، ووضعته على الفرن. "لقد اشـــترى ســـيارة، وهذا يربك قليلاً، لكنه بخير". بالطبع، آرني لم يكن بخير، ولكن ثمة أشياء لا يمكنك قولها لأبيك مهما كان ناجحاً في وظيفة الأبوة الأميركية.

أضـــاف أبـــــي: "أحـــياناً لا يرى الناس الأشياء إلى أن يروها بأنفسهم".

"آمـــل أن يـــرى الأمر قريباً. لقد وضع السيارة في مرأب دارنل مقابل عشرين دولاراً في الأسبوع لأن والديه لا يريدان أن يركنها أمام المنـــزل".

"عـــشرون في الأســـبوع؟ من أجل الإيقاف فقط؟ أم الإيقاف والأدوات؟".

"إيقاف فقط".

"هذه سرقة".

"أجـــل". لاحظـــت أن أبـــي لم يعرض عليّ أن يركنها بجانب منــــزلنا.

"هل تريد أن تلعب الكريبج؟".

"أظن ذلك".

"هوِّن عليك يا دينيس. لا يمكنك أن تخطئ عن الآخرين".

"نعم، فعلاً".

لعبـــنا ثلاثة أو أربعة أدوار من الكريبج، وفاز أبـــي فيها كلها – إنـــه يفوز دائماً تقريباً، ما لم يكن متعباً أو شرب كأسين من الشراب. وهذا لم يكن يزعجني، مع ذلك، لأن الأدوار التي أربحها كانت تعني لي أكثر. على كل حال، بعد انتهائنا من اللعب بقليل، دخلت أمي. كان لـــونها مشرقاً وعيناها تبرقان، وتبدو أصغر من أن تكون أمي. كانت تحتضن كتاب قصصها وسكيتشاتها بقوة على صدرها. قبَّلت أبـــي؛ لم تكـــن قبلتها السطحية الاعتيادية، بل قبلة حقيقية جعلتني أشعر أن عليّ أن أكون في مكان آخر.

سألتني الأسئلة نفسها حول آرني وسيارته، الموضوع الذي أصبح بـــشكل سريع محور النقاش في منــــزلنا منذ إفلاس خالي، سيد، وطلبه قرضـــاً مـــن والدي. أعطيتها الأجوبة نفسها التي أعطيتها لوالدي، ثم صـــعدت إلى الطابـــق العلوي كي أنام. بدا لي أن أبـــي وأمي لديهما عمل خاص بهما ليهتما به.

كانت إيلين في سريرها تستمع إلى آخر مجموعة منوعة من الأغاني الـــرائجة. طلـــبت منها أن تخفض الصوت لأنني أريد أن أنام، فمدت لـــسانها في وجهي. وبما أنني لا أسمح بمثل هذا الشيء، رحت أدغدغها مـــن دون توقـــف حتى قالت إنها ستتقيأ. فقلت لها: "هيا تفضَّلي، إنه ســـريرك". وتابعـــت الدغدغة إلى أن رسمت على وجهها تعبيراً جدياً

وكأنها تريد أن تقول لي إنها كانت جادة في كلامها. عندئذ عانقتها (لم أعد أفعل ذلك إلا نادراً منذ أن أصبح نهداها يكبران، لأن ذلك لم يكن يشعرني بالارتياح، وكذلك الدغدغة، إذا شئتم الصدق) وذهبت إلى غرفتي.

أعتقد في نهاية المطاف أن ذلك اليوم لم ينتهِ بشكل سيئ. فهنالك أشخاص حولي يعتقدون أنني إنسان طبيعي، وهذا رأيهم في آرني كذلك. سأطلب منه أن يأتي غداً أو يوم الأحد كي نمضي الوقت معاً. ربما سنشاهد مباراة فيلادلفيا على التلفزيون، أو نلعب الشطرنج أو الداما، ونتخلص من شعورنا بالغرابة ونشعر أننا محترمان من جديد.

هكذا توجهت إلى السرير وكل شيء مستقر في ذهني معتقداً أنني سأنام على الفور. لكنني لم أفعل. لأن الأشياء لم تكن *مستقرة*، وأنا كنت أعرف ذلك.

اضطجعت على السرير في الظلام، أتقلب يمنة ويسرى حتى انفلت الشرشف من مكانه وتكوَّر وتجعَّد تحتي. كنت أفكر في ليبي وهو يقول لي، *اسمها كريستين*. ولسبب ما تعلَّق آرني بهذا الاسم. عندما كنا صغاراً كانت لدينا دراجتان هوائيتان وأنا أطلقت اسماً على دراجتي لكن آرني لم يفعل لأنه كان يعتقد أن الأسماء تُطلَق على الكلاب والقطط والدمى فقط. لكن الأمور تغيرت الآن، وهو يسمِّي سيارة البليموث كريستين ويتعامل معها وكأنها فتاة لا كشيء جامد.

وهذا لم يعجبني بتاتاً، ولا أعرف لماذا.

حتى أبي كان يتحدث عن الأمر وكأن آرني تزوج، وليس أنه اشترى سيارة. لكن ذلك لم يكن صحيحاً. ليس صحيحاً على الإطلاق. أليس كذلك.

أوقــف السيارة يا دينيس. ارجع إلى الوراء، أريد أن ألقي نظرة عليها مجدداً.

بهذه البساطة.

لم يفكر في الأمر مطلقاً. وهذا ليس من طبع آرني، الذي كان في العــادة يفكــر ملياً قبل الإقدام على فعل أي شيء؛ لقد جعلته حياته مدركاً تماماً لما يحدث لأشخاص مثله حين يقدمون على فعل شيء من دون أي تفكير مسبق. لكنه في هذه الحالة كان أشبه برجل يقابل فتاة اســتعراض جمــيلة، وينغمس على الفور في مغازلتها، وينتهي به الأمر بزوجة جديدة صباح يوم الاثنين.

كان الأمر أشبه... لنقل... بحب من النظرة الأولى.

قلت لنفسي: *ليست مشكلة، سنبدأ مجدداً غداً. سنفكر في الأمر غداً.*

وأخيراً غرقت في النوم. وحلمت.

صوت مارش يعنُّ في الظلام.

يلتقط المحرك الشرارة، يخفق في العمل، ثم يعمل.

صوت محرك يعمل في الظلام.

ثم يُضاء المصباحان الأماميان. شعاعان عاليان من الضوء يُسلّطان عليّ مثل حشرة على لوح زجاج.

إنــني أقف في مدخل مرأب رونالد ليبــي وكريستين قابعة هناك في الداخل - كريستين جديدة من دون أي خدش أو أثر لصدأ. زجاج أمامــي نظيف وعاتم مع شريط أزرق في الأعلى. والراديو يبث ألحاناً صاخبة لفريق ديل هوكينــز وهم يؤدون أغنية "Susie-Q" - صوت من عصر بائد، مليء بحيوية مخيفة.

تتمـــتم الـــسيارة بكلمـــات قوية عبر كاتم صوت مغلف بطبقة مزدوجة من الألياف الزجاجية.

وبطـــريقة ما عرفت أن في داخلها ناقل حركة من نوع هيرست، وأنابـــيب من نوع فيولي. مع زيت محرك جديد بلون الكهرمان النقي؛ دم السيارات.

وفجـــأة تبدأ المساحتان بالعمل، وذلك غريب لأنه لا يوجد أحد وراء المقود. السيارة فارغة.

- هيا أيها الشاب الضخم. دعنا نذهب في جولة. دعنا نتجول.

أهـــز رأســـي رافضاً. لا أريد أن أدخل السيارة. أنا خائف من الدخـــول. لا أريـــد الذهاب في جولة. وفجأة يتسارع المحرك قليلاً ثم يتباطأ، يتسارع ثم يتباطأ. صوت جائع، مخيف. وكل مرة يتسارع فيها المحـــرك تبدو كريستين وكأنها تثب إلى الأمام قليلاً، مثل كلب شرس مقـــيد بقيد رخو... وأنا أريد أن أتحرك... لكن قدميّ تبدوان وكأنهما مسمرتان على أرض الممر المشققة.

- الفرصة الأخيرة أيها الشاب.

وقـــبل أن أجيب - أو حتى قبل أن أفكر في إجابة - أسمع دوي احـــتكاك المطاط بالأرض الإسمنتية ثم تهجم كريستين عليّ. مصابيحها الأمامية متوهجة وشبكة قضبان المبرِّد تبدو مثل فم مفتوح مليء بأسنان من الكروم -.

أفقـــت من النوم وأنا أصرخ. كانت الساعة قد بلغت الثانية بعد منتـــصف اللـــيل. أفزعني صوت صراخي، وأفزعني أكثر صوت خبط أقـــدام عاريـــة تجري عبر الممر. كانت يداي تقبضان على الشرشف المنفلت من مكانه والمكور وسط الفراش. وكان جسدي مبللاً بالعرق.

سمعت صوت إيلين تصيح فزعة من الممر، "ما الذي حدث؟".

أُضـــيء مصباح غرفتي، وكانت أمي عند الباب مرتدية ثوب نوم قـــصيراً يكشف أجزاء من جسدها لا تسمح بكشفها في العادة إلا في الظـــروف الطارئة جداً. وخلفها مباشرة وقف أبـــي يشد على جسده العاري رداء الاستحمام.

قالـــت أمـــي: "حبيبـــــي، ما الأمر؟" كانت عيناها جاحظتين ومـــرعوبتين. لم أستطع أن أتذكر آخر مرة نادتني فيها حبيبـــي بهذه الطريقة - عندما كنت في الرابعة عشرة؟ الثانية عشرة؟ ربما العاشرة؟ لا أدري.

"دينيس؟" قال أبـــي.

ثم جاءت إيلين، ووقفت خلفهما في الوسط وهي ترتجف.

قلت لهم: "اذهبوا إلى أسرَّتكم. كان حلماً، هذا كل ما في الأمر. لا عليكم".

قالت إيلين: "واو، لا بد أنه كان فيلم رعب حقيقياً. بماذا حلمت دينيس؟".

"حلمت أنك تزوجت ميلتون دود ثم جئتم لتعيشوا معي".

قالت أمي: "لا تزعج أختك. بماذا حلمت يا دينيس؟".

"لا أذكر".

أدركت فجأة أن الشرشف كان في حالة فوضوية ورأيت مجموعة داكـــنة من شعر العانة عليه. نفضت الشعيرات، وأعدت ترتيب السرير علـــى عجل. للحظة أو لحظتين لم أكن متأكداً تماماً مما رأيت، كانت هناك فقط تلك الصورة الداكنة والمرعبة والمتملكة للسيارة وهي تهجم عليّ كلما تسارع المحرك وقضبان المبرِّد التي تبدو مثل أسنان فولاذية -. *الفرصة الأخيرة أيها الشاب الضخم.*

ثم أحسست بيد أمي، الجافة والباردة، تتحس جبهتي لترى إذا كنت محموماً.

"أنا على ما يرام أمي. لا يوجد أي شيء. مجرد كابوس".

"لكنك لا تتذكر -".

"لا. لقد غاب عن ذهني الآن".

"كنت خائفة". ضحكت ضحكة صغيرة وأضافت، "أعتقد أنك لن تعرف ما هو الخوف حتى يصرخ أحد أولادك في الظلام".

قالت إيلين: "آه، يا للقرف، لا تتحدثي بهذه الطريقة".

هنا تدخَّل أبي: "اذهبي إلى الفراش يا صغيرة". وصفعها صفعة خفيفة على فخذها.

ذهبت وعلائم عدم الرضا بادية على وجهها. يبدو أنها كانت تأمل حينما خافت في البداية أنني سأنهار وأفقد تماسكي.

سألتني أمي مجدداً: "أأنت بخير حقاً؟ دينيس؟ حبيبي؟".

"أنا بخير فعلاً".

"حسناً، اترك المصباح مناراً. إنه يساعد في بعض الأحيان".

نظرت إلى أبي نظرة متشككة أخيرة ثم ذهبت. تساءلت في نفسي ما إذا كانت أمي قد حلمت بكابوس في يوم من الأيام. على كل حال، حتى لو كانت قد اختبرت الكوابيس فهي لم تدع أياً منها يظهر في **سكيتشات الحب والجمال**.

جلس أبي على سريري وقال: "أحقاً لا تتذكر الحلم؟".

هززت رأسي نافياً.

"لا بد أنه كان سيئاً ليجعلك تصرخ بتلك الطريقة". كانت عيناه تحدقان إلى عينيّ، كأنهما كانتا تسألان ما إذا كان هنالك شيء ينبغي أن يعرفه.

كـــنت علـــى وشك أن أخبره أنها كانت السيارة، سيارة آرني اللعيـــنة، كريستين ملكة الصدأ، في العشرين من العمر، بشعة لدرجة القـــرف. لكـــن الكلام اختنق في حلقي، وكأن ذلك كان يعني خيانة صديقي الطيب آرني.

"حـــسناً". قبّلني على وجنتي. شعرت بحبه، فعانقته بقوة، وعانقني بالمثل.

هكـــذا ذهبوا جميعاً، وبقيت مستلقياً هناك خائفاً من العودة إلى النوم. جلبت كتاباً، وعدت إلى السرير. كنت متأكداً من أن والديّ لم يناما بعد.

قـــررت أن الـــنوم محال، وقلت لنفسي إنني سأقرأ حتى الصباح، وسآخذ فترة من القيلولة بعد الظهر، أو ربما في الجزء الممل من المباراة. وبيـــنما كـــنت أفكر في هذا غفوت، واستيقظت في الصباح، فرأيت الكتاب مغلقاً وملقياً على الأرض بجانب السرير.

8

التغيرات الأولى

اعتقدت أن آرني سيأتي يوم السبت ذاك، ولهذا بقيت في المنـــزل. جـــززت العشب، ونظّفت المرأب، وغسلت السيارات الثلاثة. راقبت أمي هذه الإنجازات بشيء من الدهشة، وعلّقت على ذلك عندما كنت أتـــناول طعـــام الغداء، المكوّن من المقانق والسلطة، أن عليّ أن أرى الكوابيس بين الحين والآخر.

لم أكن أريد الاتصال بآرني في منـــزله بعد ما رأيته هناك مؤخراً. ولكن، عندما بدأ العرض الذي يسبق المباراة – ولم يكن قد أتى بعد –

استجمعت شجاعتي، واتصلت به، فردّت عليّ ريجينا. بالرغم من أنها كانت تتحدث وكأن شيئاً لم يحصل، إلا أنني أعتقد أنني وجدت برودة غير مألوفة في صوتها، وقد جعلني ذلك أشعر بالسوء. لقد أُغري ولدها الوحيد من قبل ساقطة مسنة مترهلة تُدعى كريستين، ولا بد أن لصديقه القديم دينيس يداً في ذلك. ولعله هو من سمسر عليها. قالت لي إن آرني ليس في البيت، وأنه ذهب إلى مرأب دارنل منذ التاسعة صباحاً.

"أوه، واو، لم أعلم بذلك". كانت كذبة غير مقنعة.

قالت ريجينا بالنبرة الباردة نفسها: "لا؟ مع السلامة دينيس".

أقفلت الخط. نظرت إلى السماعة لفترة وجيزة، ثم أعدتها إلى مكانها.

كان أبـي قابعاً أمام التلفزيون بسرواله القصير الأرجواني البشع وحذائه الرياضي الخفيف، مع نصف دزينة من علب شراب الشعير من نوع ستروه ملقاة في المبرِّدة بجانبه. كان فريق فيلادفيا في يوم سعده، حيث كان يمسح الأرض بفريق أتلانتا. لقد ذهبت أمي لزيارة إحدى زميلاتها، في حين ذهبت إيلين إلى منزل صديقتها ديلا. كان المنزل هادئاً، وفي الخارج كانت الشمس تلعب لعبة الملاحقة مع بعض الغيوم البيضاء الحميدة. أعطاني أبـي علبة من شراب الشعير؛ لا يفعل ذلك إلا إذا كان في حالة سعادة غامرة.

لكن يوم السبت كان لا يزال مملاً. وعقلي كان لا يزال منشغلاً بآرني.

وعندما بدأت الجولة السابعة من المباراة نهضت وهممت بالخروج.

قال أبـي: "إلى أين؟".

صحيح، إلى أين أنا ذاهب؟ إلى مرأب دارنل؟ كي أرعاه؟ لأستمع إلى دارنل وهو يهتم بحالته؟ لأختبر تجربة أخرى من البؤس؟ اللعنة! لقد أصبح آرني شاباً الآن.

"لــــيس إلى أي مكــــان". وجـــدت قطعة توينكي (كيك محشي بالكريما) مخبأة بعناية في الجزء الخلفي من سلة الخبز، فأخذتها بشيء من الـــسعادة عارفاً كم ستغضب إيلين عندما ستنهض متعبةً خلال إحدى الفترات الإعلانية في برنامج **ساترداي نايت لايف** وتكتشف اختفاءها.

"ليس إلى مكان".

عــــدت إلى غرفة الجلوس، وجلست، وتناولت علبة شراب شعير أخرى، وأكلت التوينكي الخاصة بإيلين. تابعنا فريق فيلادلفيا وهو ينهي عملـــه بالقضاء على أتلانتا. (كان بإمكاني سماع صوت جدي، الذي توفي قبل خمس سنوات، وهو يقول لي بصوته الخشن: *لقد قضوا عليهم يا ديني. لقد قضوا عليهم تماماً*) و لم أفكر في آرني أبداً.

ليس تماماً.

جـــاء آرني إلى منـــزلنا بعد ظهر اليوم التالي على دراجته الهوائية القديمة. كنت وإيلين نلعب الكريكيت في الحديقة الخلفية.

قـــال آرني بيـــنما كان يمشي عند زاوية المنـــزل: "هيي. إما أنه مخلوق من البحيرة السوداء وعروس فرانكشتاين أو دينيس وإيلي".

"ماذا تقول يا رجل. أمسك مضرباً".

قالـــت إيلين: "أنا لن ألعب". ثم ألقت مضربها على الأرض. "إنه يغش أكثر مما تفعل أنت. *يا رجال!*".

وبيـــنما كانـــت تمشي مبتعدة بغضب، قال آرني بصوت مرتجف مقصود: "إنها المرة الأولى التي تناديني بها يا رجل، دينيس".

ســـقط على ركبتيه راسماً تعبير اهتمام وتقدير فبدأت بالضحك. كـــان يتقن فعل ذلك إذا ما أراد. وكان ذلك أحد أسباب حبـــي له، مـــع أن تلك الصفة كانت سرية نوعاً ما، إذ لا أعتقد أن أحداً شاهد قدرته على الإضحاك غيري.

لعبنا الكريكيت لبعض الوقت - لم نكن نلعب حقاً بل كنا فقط نضرب كرات بعضنا بعضاً. وأخيراً مرت إحدى الكرات عبر السياج، ودخلت حديقة عائلة بلاكفورد. وعندما جلبتها من هناك لم يعد أي منا يرغب باللعب مجدداً، فاكتفينا بالجلوس على الكراسي الموجودة في الحديقة. وبعد قليل جاء قطُّنا، سكريمنغ جي هوكينز، زاحفاً من تحت شرفة المنزل؛ لعله كان يأمل بإيجاد سنجاب صغير لطيف ليلتهمه ببطء وقسوة. كانت عيناه الخضراوان تلمعان في ضوء بعد الظهر الخافت بسبب الجو الغائم.

"اعتقدت أنك ستأتي لتشاهد المباراة البارحة. كانت مباراة جيدة".

"كنت في مرأب دارنل. لكنني سمعتها على الراديو". وفجأة ارتفع صوته ثلاثة أوكتافات مقلداً بشكل بارع صوت جدي: "لقد قضوا عليهم! لقد قضوا عليهم، ديني!".

ضحكت، وهززت رأسي موافقاً. كان فيه شيء مختلف في ذلك اليوم؛ لعل الضوء هو السبب. فبالرغم من علائم التعب البادية على وجهه - كانت هناك دوائر سوداء تحت عينيه - إلا أن بشرته كانت أفضل بقليل مما كانت عليه مؤخراً. كان يشرب الكثير من الكوكاكولا في العمل، بالرغم من علمه بتأثيرها على بشرته، لكنه كان يضعف أمام الإغراء بين الحين والآخر. وكانت مشاكله الجلدية تنتابه بشكل دوري في العادة، مثل معظم المراهقين؛ استناداً إلى حالتهم النفسية. ولكن، في حالة آرني، كانت النوبات الدورية من سيئة إلى أسوأ، ومن ثم إلى سيئة من جديد.

سألته: "ما الذي فعلته فيها؟".

"ليس كثيراً. غيَّرت الزيت. وألقيت نظرة على صندوق البستونات. إنه ليس مكسوراً، دينيس. لعل ليبي أو شخص آخر ترك

ســـدادة المصفاة مفتوحة، هذا كل ما في الأمر. لقد تسرَّب الكثير من الـــزيت القـــديم. كنت محظوظاً لأنني لم أحرق أحد البستونات عندما كنت أقود السيارة ليلة الجمعة".

"مـــاذا ســـتفعل بشأن رفع السيارة؟ اعتقدت أن عليك أن تحجز ذلك مسبقاً؟".

أشـــاح بنظره عني وقال: "ليست هناك مشكلة" - لاحظت شيئاً من الخداع في صوته - "لقد قمت ببعض المهام للسيد دارنل".

فـــتحت فمي لأسأله عن تلك المهام، ثم قررت أنني لا أريد أن أسمع شـــيئاً عـــن الأمر. لعلها لم تكن إلا الذهاب إلى مطعم سكيرمر من أجل جلـــب القهوة للزوار الدائمين، أو ترتيب بعض قطع التبديل المستعملة من أجل بيعها لاحقاً. لكنني لم أكن أريد التدخل في أي شيء يخص كريستين في حياة آرني، وهذا يتضمن كيفية تدبير شؤونه في مرأب دارنل.

كـــان هـــناك شيء آخر؛ شعور بالتخلي. إما أنني لم أستطع أن أحـــدد ذلك الشعور في حينه أو أنني لم أرد أن أحدده. ولكن، يمكنني الآن أن أقول إنه الإحساس الذي ينتابك عندما يقع صديق لك في حب ســـاقطة متمرســـة ويتزوج بها. إنك لا تحب تلك الساقطة وفي تسعة وتـــسعين بالمائة من الحالات هي لا تحبك أيضاً. وفي النهاية، إما أنك تتخلـــى عن صديقك أو صديقك يتخلى عنك؛ عادةً بموافقة متحمسة من الساقطة.

قال آرني بقلق: "دعنا نذهب إلى السينما".

"ما هو الفيلم؟".

"هـــناك أحـــد أفلام الكونغ فو العنيفة في صالة ستيت توين، ما رأيك؟ هيييي - *يا!*" تظاهر أنه يوجِّه رفسة كاراتيه عنيفة إلى سكريمنغ جي هوكينـــز، فانطلق القط هارباً مثل طلقة.

"يبدو جيداً. بروس لي؟".

"لا، شخص آخر".

"ما هو عنوان الفيلم؟".

"لا أعرف. قبضات خطرة، أيادي الموت الطائرة، أو ربما شيء ما يتضمن معنى الغضب. لا أعرف. ما قولك؟ يمكننا أن نعود ونخبر إيلين بالأجزاء العنيفة من الفيلم ونجعلها تتقيأ".

"حسناً، لنذهب".

تبيَّن أن الفيلم كان من بطولة تشاك نوريس. لم يكن سيئاً على الإطلاق. وفي يوم الاثنين، عدنا إلى العمل على الوصلة I-376. نسيت كل شيء عن الحلم. وبشكل تدريجي، وجدت أنني لم أعد أشاهد آرني كثيراً كما اعتدت أن أفعل؛ مرة أخرى، إنه الانقطاع عن رؤية الصديق الذي تزوج منذ فترة قريبة. وإضافة إلى ذلك، كانت علاقتي مع المشجعة تسخن أكثر؛ لقد أوصلتها إلى المنزل أكثر من مرة من المطعم مع ألم كبير في خصيتي بحيث كنت أمشي بصعوبة.

وفي تلك الأثناء، كان آرني يمضي معظم أمسياته في مرأب دارنل.

9

بادي ريبرتون

كان آخر أسبوع كامل لنا في العمل قبل بدء المدرسة هو الأسبوع السابق على مناسبة العمال. عندما ركنت سيارتي أمام منزل آرني لأقله في ذلك الصباح، خرج من المنزل بكدمة سوداء مزرقّة حول إحدى عينيه وجرح قبيح في الجزء الأعلى من وجهه.

"ماذا أصابك؟".

أجـــاب بعبوس: "لا أريد التحدث عن الأمر. لقد اضطررت إلى الـــتحدث مع والدي حول الأمر حتى كدت أفقد صوتي". رمى سلة الغـــداء في الخلف، وجلس من دون أن ينبس ببنت شفة طوال الطريق إلى أن وصـــلنا إلى مكان العمل. وهناك سمع بعض التعليقات الساخرة من بعض الأشخاص حول الكدمة، لكنه لم يعرهم أي انتباه.

و لم أسأله عما حدث في طريق عودتنا إلى المنـــزل كذلك. ولعلي لم أكـــن لأسمع القصة نهائياً لو لم يغرني ذلك المطعم الإيطالي الإيرلندي العظـــيم المسمى جينو قبل أن نقطع شارع مين بقليل. يقع المطعم على الـــزاوية بـــين شارعي مين وبيزين. في تلك الأيام، في كل مرة كنت أشـــاهد تلك اللافتة التي تطير فيها البيتزا في الهواء مع أحرف I المنقّطة بنبات النفل (كانت تومض في الليل)، كنت أشعر بالإغراء مجدداً. وفي تلك الليلة كانت أمي في صفها، وذلك يعني عشاءً هزيلاً في المنـــزل؛ صـــورة لم تسعدني كثيراً. و لم نكن أنا وأبـــي ماهرين في الطبخ، أما إيلين فكانت تحرق كل شيء، حتى الماء.

قلـــت لآرني بيـــنما كنت أدخل بالسيارة موقف السيارات أمام المطعـــم: "لنتناول قطعة من البيتزا، ما رأيك؟ قطعة مدهنة كبيرة تفوح منها رائحة تحت الإبط".

"يا الله، دينيس، هذا مقرف".

"إبط نظيف. هيا".

"لا، ليس معي الكثير من النقود".

"أنا سأشتري. بإمكانك حتى أن تطلب الأنشوفة المريعة تلك. ما رأيك؟".

"دينيس، إنني فعلاً لا –".

"وبيبسي".

"البيبسي تهيج بشرتي، أنت تعلم ذلك".

"نعم أعرف. بيبسي كبيرة، آرني".

"بيبسي كبيرة". لمعت عيناه الرماديتان للمرة الأولى في ذلك اليوم، "إنك لئيم يا دينيس، حقاً".

"اثنـــتان إذا شئت". كان ذلك لئيماً فعلاً - مثل تقديم أصابع من شوكولاته هيرشي لامرأة بدينة.

أمسكني من كتفي وقال: "اثنتان! اثنتان من البيبسي، دينيس!" ثم بـــدأ يتنطط في الكرسي واضعاً يديه على حلقه وهو يصرخ: "اثنتان! أســـرع! اثنـــتان! أســـرع!" فضحكت بقوة لدرجة أنني كدت أفقد السيطرة على السيارة.

يدير مطعم جينو رجل إيطالي رائع يُدعى بات دوناهو. إنه يضع ملصقاً على حاسبة النقود كُتب عليه *مافيا إيرلندية*، وهو يقدم شراب شـــعير أخـــضر في ذكـــرى سان باتريك (في 17 آذار لا يمكنك حتى الاقتراب من المطعم، في حين تصدح آلة الجوكبوكس بأغنية لروزماري كلـــووني بعـــنوان *عندما تبتسم الأعين الإيرلندية*)، ويعتمر قبعة دائرية سوداء بشكل مائل جداً خلف رأسه.

آلـــة الجوكبوكس من طراز وورليتزر وهي من مخلفات أواخر الأربعينـــيات، وكـــل الأســـطوانات فيها - ليس فقط روزماري كلـــووني - قديمـــة جداً. ولعلها الوحيدة من نوعها في أميركا التي يمكـــنك أن تـــستمع منها إلى ثلاث أغنيات مقابل ربع دولار. في المـــرات الـــنادرة التي كنت أدخن فيها المخدرات لم أكن أتخيل إلا مطعـــم جينو - أدخل إليه وأطلب ثلاثة من البيتزا المدعومة، وعلبة بيبـــسي، وست أو سبع قطع من الكيك المصنوع في منـــزل بات دوناهـــو. وبعد ذلك أتخيل أنني أجلس هناك وألتهم كل شيء على

نغمات أغنيات شهيرة لفريق بيتش بويز أو رولينغ ستونـــز صادرة من تلك الجوكبوكس.

دخلـــنا، وطلبنا ما نريد، وجلسنا نراقب الطباخين الثلاث وهم يقذفـــون العجين في الهواء ثم يلتقطونه. كانوا يتبادلون تعليقات إيطالية لاذعـــة من قبيل "رأيتك في مرقص شراينرز ليلة أمس، من كانت تلك الهيرويـــين الـــتي كانت بصحبة أخيك؟" "واو، إنها هي؟ تلك كانت أختك".

دخـــل الكـــثير من الأشخاص المطعم وخرجوا منه؛ العديد منهم أولاد من المدرسة. ولن يمضي وقت طويل حتى أراهم في ممرات المدرسة مـــن جديـــد. أحسست بحنين قوي وبشيء من الخوف المفاجئ. كان باســـتطاعتي سماع جرس الصف يُقرَع لكن صوته العالي بدا مثل جرس إنـــذار: *ها نحن نعود من جديد يا دينيس، إنها المرة الأخيرة، بعد هذه الـــسنة سيتوجب عليك أن تتعلم كيف تنضج*. وكان باستطاعتي سماع أبـــواب الخـــزائن تُغلَـــق بقوة، وسماع صوت ارتطام لاعبـــي الهجوم بالدمـــى أثناء التدريب على الإعاقة، وسماع مارتي بيليرمان وهو يصيح بحمـــاس، "مؤخـــرتي ووجهـــك، بيترســـون! تذكَّر ذلك، مؤخرتي ووجهك!" وكان باستطاعتي أيضاً أن أشم رائحة الطباشير في الصفوف في جـــناح الرياضـــيات، وسمـــاع صوت الآلات الكاتبة من قاعات السكريتاريا الكبيرة في الطابق الثاني، وسماع المدير، السيد ميتشام، وهو يلقـــي تـــصريحه في نهايـــة الدوام بصوته الجهوري الجاف. مجموعة جديـــدة مـــن طـــلاب السنة الأولى في الثانوية يبدو عليهم الغباء والـــضياع. وفي نهايـــة المطاف، تجد نفسك تمشي في الممر في ذلك الرداء الأرجواني الفضفاض، وينتهي الأمر. المرحلة الثانوية انتهت. وها أنت تدخل عالماً جديداً.

فجأة جاءني صوت آرني ليخرجني من حلم يقظتي: "دينيس، هل تعرف بادي ريبرتون؟" كانت البيتزا قد وصلت.

"بادي من؟".

"ريبرتون".

كان الاسم مألوفاً. بدأت الأكل من الجانب المقابل لي من قطعة البيتزا محاولاً تخيُّل وجه ذلك الشخص. وبعد قليل، تذكَّرته. لقد تشاجرت معه عندما كنت أحد أولئك الطلاب الجدد الأغبياء في الثانوية. حدث ذلك في صالة للرقص. كانت الفرقة تأخذ فترة استراحة، وكنت أقف في صف المشروبات الباردة للحصول على مشروب غازي. دفعني ريبرتون، وقال لي إن الطلاب الجدد يجب أن ينتظروا حتى يحصل جميع الطلاب القدامى على مشروباتهم. كان في السنة الثانية حينئذ. كان طالباً ضخماً وشريراً في السنة الثانية. كان فكه عريضاً وبارزاً، وشعره أسود كثيفاً، وعيناه صغيرتين وقريبتين من بعضهما. لكن تلك العينين لم تكونا غبيتين تماماً، إذ كان يشع منهما شيء من الذكاء غير المريح. كان واحداً من أولئك الطلاب الذين يمضون كل مرحلتهم الثانوية في منطقة التدخين.

قلت له إن الأقدمية في الدراسة لا تعني أي شيء في صف المشروبات، فدعاني ريبرتون للقائه في الخارج. في تلك الأثناء تفرَّق ذلك الصف، وأعاد تنظيم نفسه في واحدة من تلك الدوائر الصغيرة الحذرة، ولكن المتلهفة، التي تنذر غالباً بحدوث عراك. لكن أحد المشرفين جاء في اللحظة المناسبة، وأنهى المسألة عند ذلك الحدّ. توعَّدني ريبرتون أنه سينال مني، لكنه لم يفِ بوعده أبداً. كان ذلك هو الاحتكاك الوحيد معه، باستثناء رؤية اسمه بين الحين والآخر في لائحة عقوبة الحجز التي كانت تُوزَّع على الصفوف في نهاية اليوم الدراسي.

أعـــتقد أنـــه فُـــصل من المدرسة عدة مرات أيضاً. وتلك كان إشارة واضحة على أن الشاب لم يكن عضواً في اتحاد الشباب.

أخـــبرت آرني بتجـــربتي الوحيدة مع ريبرتون، فهز رأسه بقلق. تحـــسس الكدمة حول عينه، والتي كانت حينئذ قد بدأت تتحول إلى اللون الأصفر الليموني، وقال: "إنه هو".

"ريبرتون هو من تسبب بذلك؟".

"نعم".

أخـــبرني آرني أنـــه كـــان يعرف ريبرتون من دروس ميكانيك الـــسيارات العملية. تتمثل إحدى المفارقات المتعلقة بحياة آرني الدراسية المليئة بالرعب نوعاً ما، وغير السعيدة بالتأكيد، في أن اهتماماته وقدراته كانـــت تـــضعه في تماس مباشر مع ذلك الصنف من الأشخاص الذين يشعرون أن من واجبهم أن يمسحوا به الأرض.

عندما كان آرني في السنة الثانية من المرحلة الثانوية، ويحضر فصلاً بعـــنوان *أساسيات المحرك*، قام شاب يُدعى روجر جيلمان بضربه ضرباً مـــبرحاً ما جعله يغيب عن المدرسة لمدة يومين؛ في حين فُصل جيلمان لمـــدة أســـبوع مـــن المدرســـة. وجيلمان يقبع في السجن الآن بتهمة التهريب. وكان بادي ريبرتون أحد أصدقاء روجر جيلمان، وقد ورث عنه قيادة مجموعته.

بالطـــبع لم يكـــن كل الطلاب الذين يحضرون صف الميكانيك متلهفين للنيل منه، فقد كان هناك الكثير من الشبان الطيِّبين أيضاً، لكن العديـــد منهم كانوا إما منضوين ضمن مجموعات منغلقة خاصة بهم أو مخـــدَّرين على الدوام. والأشخاص المنضوون ضمن زمر منغلقة كانوا عادة ينتمون إلى المنطقة الأشد فقراً من ليبرتيفيل (ولا تدع أحداً يخبرك أن طـــلاب المدرســـة الـــثانوية لا يُصنَّفون دراسياً وفقاً للمناطق التي

يـــسكنونها، لأن هذا غير صحيح) وهم جدِّيون وهادئون لدرجة أنك يمكـــن أن تخطئ وتعتقد أنهم أغبياء. معظمهم كانوا يبدون وكأنهم من بقايا 1968 بشعرهم الطويل المعقود من الخلف على شكل ذيل فرس، وســـراويل الجينـــز، والقمصان قصيرة الأكمام، لكن أياً منهم لم يكن يـــريد إســـقاط الحكومة في العام 1978، بل كانوا يريدون أن يكبروا ويصبحوا عمالاً مهرة في الميكانيك.

لكن، تبقى الورشة المكان الأخير بالنسبة إلى الفاشلين والمنحرفين الذين يعتبرون المدرسة مكان احتجاز أكثر منها مكاناً للدراسة. عندما استحضر آرني اسم بادي ريبرتون، تذكرت عدة شبان كانوا يتحلَّقون حـــوله مـــثل أقمـــار تدور حول أحد الكواكب. معظمهم كانوا في العـــشرين مـــن أعمارهم، لكنهم مع ذلك كانوا لا يزالون يكافحون للتخرج من المدرسة. دون فاندنبيرغ، ساندي جالتون، موتشي ويلش؛ اسم موتشي الحقيقي هو بيتر لكن جميع الأولاد كانوا يدعونه موتشي لأنك كنت تراه دائماً خارج حفلات الروك في بيتسبورغ، يشحذ.

جـــاء بـــادي ريبرتون في سيارة كامارو زرقاء عمرها سنتين كانـــت قـــد انقلـــبت مـــرتين على طريق 46 بالقرب من حديقة سكوانتيك هيلز ستيت؛ اشتراها بثمن زهيد من أحد لاعبـــي الورق في مرأب دارنل، بحسب آرني. كان المحرك جيداً، لكن الهيكل تضرر بشدة بفعل الانقلاب. أخذها ريبرتون إلى مرأب دارنل بعد أسبوع تقريباً من إدخال كريستين إليه، مع أن بادي كان يرتاد المكان قبل ذلك الحين.

يبدو أن ريبرتون لم يلاحظ وجود آرني على الإطلاق خلال الأيام القلـــيلة الأولى، وذلـــك كـــان من دواعي سرور آرني، بالطبع. لكن ريـــبرتون كـــان على علاقة جيدة مع دارنل، إذ لم يكن يعاني من أي

مـــشكلة في الحصول على العدَّة التي يكون الطلب عليها كثيفاً دائماً، والتي تكون متاحة فقط عند الحجز.

بعـــد ذلك، بدأ ريبرتون بالتحرش بآرني. كان يمر به أثناء عودته مـــن ماكينة الكوكاكولا أو من المرحاض، ويضرب صندوق العدة التي كـــان آرني يستخدمه، فتقع المفكات والوصلات على الأرض، أو إذا كـــان آرني يـــضع فنجان القهوة على الرف، كان بادي يلكزه بمرفقه فيريقـــه، ثم يقول بسخرية: "المع....ذرة!" مع ابتسامة كبيرة لئيمة. ثم يأتي دور دارنل الذي كان يصرخ على آرني كي يلتقط تلك الوصلات قبل أن تنـــزل إحداها في أحد مجاري التصريف.

ثم غيَّر ريبرتون أسلوبه قليلاً، حيث كان يصفعه بقوة على ظهره قائلاً: "كيف حالك يا وجه القذارة؟".

كان آرني يحتمل تلك الاعتداءات بصبر من عرف واختبر كل هـــذه الأمور من قبل. لعله كان يأمل بأحد الأمرين، أن تصل تلك التحرشـــات إلى مستوى ثابت من الإزعاج وتقف عنه، أو أن يجد بـــادي ريـــبرتون ضـــحية أخرى ويحوِّل اهتمامه إليها. كان هناك احـــتمال ثالث، وهو احتمال قوي؛ أن يُلقى القبض على ريبرتون لارتكابـــه جـــرم ما ويختفي عن الأنظار، مثل صديقه القديم روجر جيلمان.

ثم تحول الأمر إلى عراك بعد ظهر يوم السبب الماضي. كان آرني يقوم بتشحيم بعض أجزاء سيارته في الموقف رقم عشرين، فإذا بريبرتون يمر به وهو يصفِّر بمرح، حاملاً علبة من الكوكاكولا وكيس فستق بيد وذراع مرفاع باليد الأخرى. لوَّح ريبرتون بذراع المرفاع وأصاب أحد المصابيح الأمامية للسيارة فكسره.

قال آرني بينما كنا نتناول البيتزا: "لقد حطمه كلياً".

ثم قـــال له ريبرتون راسماً تعبير أسف مبالغاً به على وجهه: "انظر ماذا فعلت. حسناً، أنا آس... سف".

نجـــح الهجـــوم علـــى كريستين في ما لم تنجح به كل الهجمات الـــسابقة على آرني نفسه؛ بدفعه إلى الانتقام. دار آرني حول السيارة، وهجم على ريبرتون. في الكتب والأفلام، ربما كنت سترى آرني يلقنه درساً لن ينساه في حياته، ولكن، نادراً ما تجري الأمور بهذه الطريقة في الحياة الواقعية.

لم يصل آرني إلى ذقن ريبرتون، بل أصاب يده فقط، فسقط كيس الفستق على الأرض، وأريقت الكوكاكولا على وجهه وقميصه.

صـــرخ ريـــبرتون والدهشة بادية على وجهه: "حسناً أيها المعتوه الصغير اللعين. سترى". وهجم على آرني بذراع المرفاع.

في تلك الأثناء هرع بعض الرجال إليهما، وقال أحدهم لريبرتون أن يرمي الذراع ويقاتل بنـــزاهة، فأسقطها من يده، واستأنف هجومه على آرني.

سألته: "ألم يحاول دارنل إيقاف العراك أبداً؟".

"لم يكن هناك يا دينيس. لقد اختفى من المكان قبل خمس عشرة دقيقة أو نصف ساعة من بدء المشكلة. كأنه كان يعلم أنها ستحدث". أخبرني آرني أن معظم الضرر أصابه في الحال. الكدمة حول العين أولاً ثم الخـــدش علـــى الـــوجه (بواسطة خاتم صف اشتراه ريبرتون خلال السنوات العديدة التي أمضاها في السنة الثانية في الثانوية). "بالإضافة إلى كدمات متنوعة أخرى".

"أي كدمات أخرى؟".

كـــنا جالـــسين في إحدى الحجرات الخلفية. تلفّت آرني حوله ليتأكد من أن أحداً لم يكن ينظر إلينا، ثم رفع قميصه، فراعني ما رأيته.

كانت هناك مجموعة من الكدمات مختلفة الألوان - أصفر، أحمر، أرجواني، بني - تغطي صدره وبطنه، مع أنها كانت قد بدأ تبهت. أما كيف تمكّن من الذهاب إلى العمل بعد ما تعرَّض له، فذلك ما لم أستطع فهمه في حينه.

"يا رجل، هل أنت متأكد من أنه لم يكسر أياً من أضلاعك؟" كنت مرعوباً تماماً. لقد بدت الكدمة حول العين والخدش في الوجه لا شيء بالمقارنة مع ما أصاب جسده. صحيح أنني شهدت بعض المشاجرات في المدرسة الثانوية، حتى إنني شاركت في القليل منها، لكنني كنت أنظر إلى اعتداء خطير بالضرب للمرة الأولى في حياتي.

"متأكد تماماً. كنت محظوظاً".

لم يقل آرني أكثر من ذلك عن الحادثة، لكن صبياً كنت أعرفه، ويُدعى راندي تيرنر، كان موجوداً حينها، وقد زودني بالمزيد من التفاصيل حول ما حدث بعد بدء المدرسة. أخبرني راندي أن إصابات آرني كان يمكن أن تكون أسوأ بما لا يقاس لولا أن مواجهته لبادي كانت أقسى وأعنف بكثير مما توقَّع الأخير.

في الواقع - قال راندي - لقد هجم آرني على بادي وكأن حشوة من الفلفل الأحمر أدخلت فيه. كانت ذراعاه تلوحان مثل طاحونة هوائية وقبضتاه تضربان في كل مكان. كان يصرخ، ويشتم، ويبصق. لقد أرغم بادي للتراجع حتى منتصف المرأب وأدمى أنفه (بالحظ أكثر مما كان بالاستهداف) وأصابت إحدى ضرباته حلق بادي ما جعله يسعل ويختنق.

تراجع ريبرتون إلى الوراء، وهو يمسك بحلقه وعلى وشك التقيؤ، فلحقه آرني وركله بحذاء العمل المزود بمقدمة فولاذية في الجزء الخلفي منه فسقط على بطنه ويديه. كان لا يزال ممسكاً بحلقه، وكان الدم

ينـــــزف بغزارة من أنفه، وكان واضحاً أن آرني (مرة أخرى، بحسب روايـــة رانـــدي تيرنر) كان عازماً على المتابعة لولا ظهور ويل دارنل المفاجئ وصراخه طالباً منهما إيقاف العراك.

قلت لراندي: "يعتقد آرني أن ذلك العراك كان محضراً مسبقاً".

رفع راندي كتفيه وقال: "هذا ممكن، جائز. من المؤكد أن طريقة ظهور دارنل عندما بدا أن ريبرتون سيخسر القتال كانت غريبة".

أمسك نحو سبعة أشخاص بآرني، وجرُّوه بعيداً. قاومهم في البداية مـــثل رجل مجنون. وكان يصرخ فيهم طالباً منهم إفلاته، ويتوعد بقتل ريبرتون إذا لم يدفع ثمن المصباح المكسور. لكنه هدأ بعد ذلك، متعجباً، وغير مصدِّق، كيف أن ريبرتون كان ملقىً على الأرض في حين أنه هو كان لا يزال واقفاً على قدميه.

نهـــض ريـــبرتون أخـــيراً - كان قميصه الأبيض مغطىً بالتراب والـــشحم وأنفه لا يزال ينـــزف - وهجم على آرني من جديد. قال رانـــدي إن هجـــومه بدا فاتراً، للحفاظ على ماء وجهه على الأغلب. أمـــسكه بعـــض الرجال الآخرين وأبعدوه. بعد ذلك جاء دارنل وقال لآرني أن يسلِّم مفتاح صندوق العدة ويخرج من المرأب.

"يا الله، يا آرني، لماذا لم تتصل بـــي يوم السبت بعد الظهر؟".

تنهد آرني وقال: "كنت مكتئباً".

أنهينا البيتزا، واشتريت لآرني علبة بيبسي ثالثة. "هذه المادة مؤذية جداً لبشرتك لكنها رائعة للاكتئاب".

قـــال لي آرني في طريق عودتنا على المنـــزل: "لا أعرف إذا كان يقصد بطلبه مني الخروج ليوم السبت فقط أو من ذلك الوقت فصاعداً. ماذا تعتقد دينيس؟ هل تظن أنه طردني نهائياً؟".

"قلت لي إنه طلب مفتاح صندوق العدة".

"أجــل، صـــحيح، هذا ما فعله. لم يسبق أن طردني أحد من أي مكان". كان يبدو وكأنه على وشك البكاء.

"ذلك المكان مقرف في كل الأحوال. وويل دارنل وغد".

"أعــتقد أن مــن الغباء أن أحاول إبقاءها هناك، حتى لو سمح لي دارنل بالعودة. ريبرتون هناك، وقد أتشاجر معه مجدداً".

بدأت أدندن لحن فيلم روكي.

قـــال آرني مع ابتسامة: "اللعنة عليك. قد أتشاجر معه حقاً. لكنه قد ينتقم منها بواسطة ذراع المرفاع ذاك مرة أخرى عندما لا أكون موجوداً. ولا أعتقد أن دارنل سيحاول إيقافه إذا ما أقدم على فعل ذلك".

لم أجب، ولعل آرني اعتقد أن ذلك كان يعني أنني أوافقه الرأي، لكـــن هـــذا غير صحيح، إذ لم أكن أعتقد أن تلك الخردة كانت هي الهـــدف الأساســـي. وإذا شعر ريبرتون أنه لا يستطيع تحقيق مراده من الهـــدف الـــرئيس بنفسه، فإنه ببساطة قد يطلب مساعدة صغيرة من أصدقائه – دون فاندنبيرغ، وموتشي ويلش، والآخرين.

خطـــر بـــبالي آنذاك أنهم قد يقتلونه؛ يقتلونه بكل ما للكلمة من معـــنى. فأشـــخاص مثل هؤلاء يفعلون ذلك أحياناً. تفلت الأمور عن الـــسيطرة قلـــيلاً ويموت أحد الأولاد. إنك تقرأ عن هذه الأشياء في الصحف أحياناً.

"– إبقاءها؟".

"هـــه؟" لم أسمع ما قاله جيداً. كان منـــزل آرني قد أصبح ظاهراً آنذاك.

"سألتك إذا كنت تعرف أين يمكنني إبقاءها".

السيارة، السيارة، السيارة، هذا كل ما كان باستطاعته التحدث عـــنه. لقد بدأ يبدو مثل أسطوانة معطوبة. والأسوأ من ذلك أنه كان

يتحدث عنها وكأنها فتاة من لحم ودم. كان ذكياً بما يكفي ليرى هوسه المتنامي بها، لكنه لم يكن يدرك ذلك أبداً.

"آرني، يا صديقي، لديك أشياء أكثر أهمية لتقلق بشأنها، أكثر من قلقــك بــشأن المكان الذي ستضعها فيه. أريد أن أعرف أين ستضع نفسك؟".

"هه؟ ما الذي تتحدث عنه؟".

"أنــا أســألك ماذا ستفعل إذا ما قرر بادي وأصدقاء بادي أن يضعوك نصب أعينهم".

فجأة بدا على وجهه وكأنه بدأ يدرك الحقيقة.

"دينيس، سأفعل ما باستطاعتي".

10

وفاة ليبي

كانــت صالات السينما قد بدأت بعرض فيلم *Grease* منذ فترة قصيرة، فأخذت المشجعة لمشاهدته في تلك الليلة. كنت أعتقد أنه كان ســخيفاً، لكن المشجعة أحبته. جلست هناك أشاهد أولئك المراهقين البعيدين كلياً عن الواقع (إذا كنت أريد مراهقين واقعيين - إلى حدٍّ ما، على الأقل - فسأشاهد إنتاجاً جديداً لفيلم *Blackboard Jungle*)، ثم شــرد ذهني بعيداً. وفجأة خطرت ببالي فكرة، كما يحصل لك أحياناً عندما لا تكون تفكر في أي شيء محدد.

اعتذرت منها، وخرجت من الصالة إلى الرواق كي أستخدم الهاتف. اتــصلت بمنــزل آرني الذي حفظته غيباً منذ كنت في الثامنة تقريباً. كان بإمكاني الانتظار حتى نهاية الفيلم، لكن الفكرة بدت لي أنها رائعة حقاً.

أجابني آرني بنفسه: "هلو؟".

"آرني، أنا دينيس".

"دينيس". بدا صوته غريباً وبارداً لدرجة أنه أفزعني قليلاً.

"آرني، هل أنت بخير؟".

"بالتأكيد. ظننت أنك أخذت روزان إلى السينما".

"إنني أتحدث من هناك".

"لا بد أنه ليس ممتعاً". كان صوته لا يزال بارداً وكئيباً.

"روزان تعتقد أنه رائع".

ظننت أن ذلك سيضحكه، لكنه لم يظهر أي ردّ فعل.

تابعت كلامي قائلاً: "اسمع. لقد فكرت في الحل".

"حل؟".

"نعم. ليبـــي. ليبـــي هو الحل".

"لـــيب -" قـــال ذلك بصوت عالٍ وغريب، ثم عاد إلى صمته مجدداً. بدأ خوفي يكبر، إذ لم أعهده صموتاً كذلك.

"بالتأكـــيد. ليبـــــي. ليبـــي يملك مرأباً، وأعتقد أنه سيأكل شـــطيرة فـــأر مـــيت لـــو بدا له هامش الربح عالياً ما يكفي. إن طلـــبت منه على أساس، لنقل، ستة عشر أو سبعة عشر دولاراً في الأسبوع -".

"هذا مضحك جداً يا دينيس".

"آرني، ماذا -".

أقفل الخط قبل أن أكمل كلامي.

وقفـــت هناك أنظر إلى الهاتف، متسائلاً ما الذي حدث. هل قام والـــداه بـــشيء جديد؟ أو هل عاد إلى مرأب دارنل واكتشف إصابة جديدة لحقت بسيارته؟ أو -.

انـــتابني حـــدس مفاجئ، أقرب إلى اليقين. أعدت السماعة إلى مكانهـــا، ومـــشيت باتجاه كشك المأكولات والمشروبات، وسألت إذا كانـــوا يملكـــون جـــريدة ذلك اليوم. وأخيراً وجدتها فتاة السكاكر والبوشار وأعطتني إياها، ثم وقفت هناك تطقطق لبانة بينما كنت أقلّب الجريدة بحثاً عن صفحة الوفيات.

لم يكن فيها أي شيء – أو هذا ما اعتقدته في البداية – ثم قلبت الـــصفحة، ورأيت العنوان التالي: محارب قديم من ليبرتيفيل توافيه المنية في الواحد والسبعين من عمره. كانت هناك صورة لرونالد دي ليبـــي ببذلـــته العسكرية. كان يبدو أصغر بنحو عشرين سنة وأكثر حيوية مما كـــان علـــيه عـــندما رأيناه أنا وآرني. كان النعي قصيراً: توفي ليبـــي بـــشكل مفاجـــئ بعـــد ظهر يوم السبت مخلّفاً وراءه شقيقاً، جورج، وشقيقة، مارسيا. تُقام مراسم الدفن يوم الثلاثاء عند الثانية ظهراً.

بشكل مفاجئ.

في أوراق النعـــي، يُكتَب دائماً بعد مرض طويل، أو بعد مرض قـــصير، أو بشكل مفاجئ. بشكل مفاجئ يمكن أن تعني أي شيء، من جلطة دماغية إلى التعرض لصدمة كهربائية في الحمام.

أعـــدت الصحيفة، ووقفت هناك أنظر بشرود إلى صور الأفلام القادمة: العرض القادم، قريب جداً.

بعد ظهر يوم السبب.

بشكل مفاجئ.

غـــريب كيف تجري الأمور. كانت الفكرة التي خطرت ببالي هـــي أن يأخـــذ آرني السيارة إلى المكان الذي أتت منه، وأن يدفع لليبـــي مقابل إيقافها هناك، والآن تبيَّن أن ليبـــي مات. في الواقع، لقد مات ليبـــي في نفس اليوم الذي وقع فيه العراك بين آرني وبادي

ريـــبرتون؛ نفـــس اليوم الذي حطم فيه ريبرتون مصباح كريستين الأمامي.

فجأة تخيلت صورة بادي ريبرتون وهو يلوح بذراع المرفاع، وفي اللحظـــة ذاتهـــا بالضبط ينبثق الدم من عين ليبـــي، وينهار، وفجأة، فجأة...

أوقـــف هذا الهراء يا دينيس – قلت لنفسي موبخاً –*أوقف هذا الهراء.*

نفخت الفتاة الواقفة وراء الطاولة لبانتها وقالت: "إنك تضيِّع نهاية الفيلم. النهاية هي الجزء الأفضل".

"صحيح، شكراً".

مـــشيت باتجاه الباب المؤدي إلى المسرح، ثم انحرفت نحو ماكينة الشرب. كان حلقي جافاً جداً.

قـــبل أن أنتهـــي من الشرب، انفتحت الأبواب، وخرج الناس من الـــصالة أفواجاً. ومن فوق الرؤوس تمكنت من رؤية الشريط الذي يُعرَض في نهاية كل الفيلم. ثم خرجت روزان تتلفت حولها بحثاً عني. تلقَّت العديد من نظرات الإعجاب، وردَّت عليها بطريقتها الهادئة والجميلة.

قالـــت روزان وهي تمسك بذراعي: "دين – دين" – أن تُدعى دين – دين ليس الأمر الأسوأ في العالم، لكنني لم أكن أستسيغه كثيراً، في الواقع – "أين كنت؟ لقد ضيَّعت عليك نهاية الفيلم. النهاية هي –".

كمَّلـــت جملـــتها: " – الجزء الأفضل. آسف. لقد جاءني نداء الطبيعة ذاك. جاءني بشكل مفاجئ جداً".

قالـــت وهي تشد ذراعي على جانب صدرها الطري: "سأخبرك بـــه كلـــه إذا أخذتني إلى السد لبعض الوقت. أعني إذا كنت تريد أن نتبادل الحديث".

"هل كانت نهايته سعيدة؟".

شدت ذراعي بقوة أكبر وقالت: "سعيدة جداً. أنا أحب النهايات السعيدة، ألا تحبها يا دين - دين؟".

"أحبها". كان يجدر بـــي أن أفكر في ما يعدني به صدرها، لكنني وجدت نفسي أفكر في آرني بدلاً من ذلك.

في تلـــك اللـــيلة حلمت مرة أخرى، ولكن في هذا الحلم كانت كريـــستين قديمة - ليست قديمة فقط، بل عتيقة جداً، مثل الأهرامات. كان المحرك يهدر ثم يُخفق في العمل، وينفث دخاناً أزرق قذراً.

لم تكن فارغة، إذ كان رونالد ليبـــي جالساً خلف المقود بوضعية متـــراخية. كانـــت عيناه مفتوحتين لكنهما ميتتان. وكلما كان المحرك يتسارع، ويهتز هيكل كريستين المتآكل من الصدأ، كان جسد ليبـــي يـــتمايل مـــثل لعبة مصنوعة من خرق الثياب، ويهتز رأسه إلى الأمام والخلف.

ثم أصـــدرت دواليبها ذلك الصوت العالي، ووثبت كريستين نحـــوي، وفي اللحظـــة نفسها تلاشى الصدأ كلياً، وتحوَّل الزجاج الضبابـــي القديم إلى زجاج جديد صاف، ولمع الكروم وكأنه خارج للـــتو مـــن المصنع، وانقلبت الدواليب العتيقة المقشوطة وأصبحت جديدة ومنتفخة، كل ثنية فيها كانت تبدو عميقة مثل وادي غراند كانيون.

كانـــت مـــصابيحها الأمامـــية تشع بدوائر بيضاء من الكراهية. وعـــندما رفعـــت يديّ بحركة غبية عبثية بقصد حماية نفسي، قلت في داخلي، *يا الله، إنه غضب لا ينتهي* -.

واســـتفقت مـــن نومـــي. لم أصرخ في تلك الليلة. لقد ابتلعت الصرخة، وأبقيتها في حلقي.

جلست في سريري يكتنفني ضوء القمر، وقلت في نفسي، *مات بشكل مفاجئ.*

في تلك الليلة لم أتمكن من العودة إلى النوم بسرعة.

11
الجنازة

كان براد جيفريز، رئيس طاقم عمال الطرقات، في منتصف الأربعينيات، وكان أصلع، ممتلئ الجسم، ومسفوعاً من التعرض الدائم للشمس. كان يحب أن يصرخ كثيراً - وخصوصاً إذا كنا متأخرين في العمل وفقاً للخطة الموضوعة - لكنه كان رجلاً محترماً. ذهبت لرؤيته خلال فرصة تناول القهوة كي أسأله إذا كان آرني قد طلب أذناً للتغيب عن العمل لجزء من، أو كل، فترة بعد الظهر.

"طلب ساعتين حتى يتمكن من حضور مراسم دفن شخص ما. والآن، لا تطلب ذلك أنت أيضاً. إنني سأخسركما في نهاية الأسبوع على كل الأحوال، وسيبقى الكسالى كلهم".

"براد، أنا مضطر إلى أن أطلب منك ذلك".

"لماذا؟ من هو هذا الشخص؟ أخبرني كانينغهام أنه باعه سيارة، هذا كل ما في الأمر. يا الله، لم أكن أعتقد أن أحداً سيذهب لحضور جنازة بائع سيارات مستعملة، باستثناء عائلته".

"لم يكن بائع سيارات مستعملة، كان مجرد رجل عادي. يعاني آرني من بعض المشاكل بخصوص هذا الموضوع، وأشعر أن عليّ أن أكون معه".

تـــنهد براد، ثم قال: "حسناً، حسناً، حسناً. يمكنك الذهاب من الــواحدة حـــتى الثالثة، مثله تماماً. إذا وافقت على العمل خلال ساعة الغداء والبقاء حتى الساعة السادسة من مساء الخميس".

"بالتأكيد. شكراً لك براد".

"سأســجل انــصرافك كالمعــتاد. وإذا اكتشف أحد في وزارة المواصلات في بيتسبورغ هذا الأمر، سيشكل لي ذلك مصاعب جمة".

"لن يكتشفوا شيئاً".

"سأشــعر بالأسف إذا فقدتكما أيها الشابان". تناول الصحيفة، وقلّب صفحاتها بحثاً عن صفحة الرياضة. كان ذلك مديحاً كبيراً، كونه صدر من براد.

"كان صيفاً جيداً بالنسبة إلينا أيضاً".

"أنـــا ســعيد لأنك تشعر بهذا يا دينيس. والآن، اخرج من هنا، ودعني أقرأ الصحيفة".

خرجت.

عـــند الساعة الواحدة، ركبت إحدى الجرافات التي أوصلتني إلى مـــبنى الإنشاء الأساسي. كان آرني في الداخل، يعلّق خوذته الصفراء، ويتناول قميصاً نظيفاً. نظر إليّ مدهوشاً.

"دينيس، ما الذي تفعله هنا؟".

"أستعد للذهاب إلى جنازة، مثلك".

"لا".

"نعـــم. آرني، إنني أحلم بالرجل. هل تسمعني وأنا أتحدث إليك؟ أنا أحلم به. أنا ذاهب. يمكننا الذهاب معاً أو كل على حدة، لكنني ذاهب".

"أنت لا تمزح، أليس كذلك؟".

"نعم؟".

"عـــندما اتصلت بـــي من ذلك المسرح. أحقاً لم تكن تعرف أنه مات؟".

"يا الله! أتظن أنني سأمزح بشأن شيء كهذا؟".

"لا". لكـــنه لم يقل لا على الفور، بل انتظر إلى أن فكّر في الأمر ملياً، ثم أضاف: "أنت تحلم به؟".

"أجل".

وقف هناك حاملاً قميصه بيديه ومقلّباً الأمر في رأسه.

وأخـــيراً قلت له: "ذكرت الصحيفة مقبرة ليبرتيفيل هايتس. هل ستذهب بالباص أم تركب معي".

"سأركب معك".

"جيد".

وقفـــنا علـــى تلـــة تشرف على المقبرة حيث كانت تقام مراسم الدفن، مترددين بشأن النـــزول والانضمام إلى حفنة الحزانى. كانوا أقل مـــن اثني عشر شخصاً، نصفهم كانوا رجالاً مسنّين ببذلات عسكرية بدت قديمة ولكن محفوظة بشكل ممتاز - كان بوسعك أن تشتم رائحة النفـــتلين. كان صندوق ليبـــي المغطى بالعلم الأميركي موضوعاً على حوامل فوق القبر. حمل نسيم أواخر آب الساخن كلمات الواعظ إلينا: الإنـــسان مثل عشب ينمو ثم يُقَص، الإنسان مثل زهرة تتفتح في الربيع ثم تذبل في الصيف. الإنسان يحب، والحب هو الذي يموت.

عندما انتهت المراسم، نُزع العلم وقام رجل بدا في الستينيات من عمره بنثر حفنة من التراب على التابوت، فانسابت بعض ذرات التراب فـــوقه، وســـقطت في الحفرة تحته. ذُكر في ورقة النعي أن ليبـــي ترك

وراءه أخـــاً وأخـــتاً. لا بد أن هذا الرجل كان أخاه - لم يكن الشبه كـــبيراً، لكـــنه كان موجوداً. وكان واضحاً أن الأخت لم تتمكن من الحضور، لأن جميع المتحلقين حول الحفرة كانوا رجالاً.

قـــام اثنان من الرجال بطوي العلم، وتسليمه إلى شقيق ليبـــي. بعـــد ذلـــك، بدأ الجمع بالتفرق مبتعدين. نظرت حولي فلم أجد آرني بجانبـــي. كان واقفاً تحت شجرة قريبة يبكي.

"هل أنت بخير آرني؟" تذكَّرت أنني لم أرَ أحداً من المعزِّين يبكي، ولـــو أن رونالـــد دي ليبـــــي كان يعلم أن آرني كانينغهام سيكون الـــشخص الوحـــيد الـــذي يذرف الدموع حزناً عليه في مراسم دفنه المتواضعة، لربما كان سيحسم خمسين دولاراً من ثمن سيارته الحقيرة.

مـــسح دموعه براحتيه بحركة تنم عن الغضب تقريباً، ثم قال: "أنا بخير. هيا بنا".

"حسناً".

اعتقدت أنه كان يقصد أن الوقت قد حان للرحيل، لكنه لم يتجه نحـــو المكان الذي ركنت فيه سيارتي، بل بدأ بالنـــزول من فوق التلة باتجـــاه المقبرة. هممت بسؤاله أين كان ذاهباً، لكنني فضَّلت السكوت. كنت متأكداً أنه يريد التحدث إلى شقيق ليبـــي.

كـــان الأخ يـــتأبَّط العلم، ويتحدث بهدوء مع اثنين من المحاربين القدامى. كان يرتدي ثياب رجل يقترب من سن التقاعد من عمل يدرُّ دخـــلاً غـــير كاف - كان يرتدي بذلة زرقاء مخططة، لامعة قليلاً من الخلف، ويضع ربطة عنق مجعدة من الأسفل، ويرتدي قميصاً أبيض ذا قبة مصفرَّة.

تلفَّت حوله فرآنا قادمين نحوهم.

قال آرني: "عذراً، أنت شقيق السيد ليبـــي، أليس كذلك؟".

نظر إلى آرني بشيء من الشك والحذر، وقال: "نعم، هذا أنا".

مـــدّ آرني يـــده وقال: "اسمي أرنولد كانينغهام. عرفت شقيقك معرفة عابرة. لقد اشتريت سيارة منه منذ مدة قصيرة".

عندما مدّ آرني يده، مدّ ليبـــي تلقائياً يده ليصافحه، لكنه حينما قال إنه اشترى السيارة من شقيقه ترددت اليد قليلاً. اعتقدت لوهلة أن الرجل لن يصافح آرني أبداً، وبأنه سيسحب يده، ويترك يد آرني معلّقة في الهـــواء. لكنه لم يفعل... ليس تماماً، على الأقل. إذ ضغط على يد آرني ضغطة رمزية لمرة واحدة فقط ثم سحب يده.

قال الرجل بصوت جاف: "كريستين". عندما أصبحت قريباً منه، لاحظت أن الشبه العائلي موجود بالفعل؛ شكل الحاجبين فوق العينين، وشكل الفك، والعينان الزرقاوان الفاتحتان. لكن وجه هذا الرجل كان أكثـــر نعومة وألطف. "آخر رسالة حصلت عليها من رولي تقول إنه باعها".

يا الله الرحيم، إنه يستخدم نفس الضمير الأنثوي اللعين أيضاً [في الإنكليـــزية، her بدلاً من it]. *ورولي!* كان من الصعب أن أتخيل أن ليبـــــي، بجمجمته المتقشرة ومشد ظهره القذر، يمكن أن يُدلّل ويُدعى رولي. غير أن شقيقه نطق لقبه بالصوت الجاف نفسه، من دون أي أثر للحب، أو على الأقل هذا ما بدا لي.

"لم يكـــن شقيقي يكتب لي كثيراً، ولكن كان لديه ميل للتبجح، ســـيد كانينغهام. كنت أتمنى لو أن هناك كلمة أخرى غيرها، لكنني لا أعتقد ذلك. في رسالته، وصفك رولي بالغبـــي وقال إنه أعطاك ما سمّاه *خردة في حالة سيئة للغاية*.

فغرت فمي، ونظرت إلى آرني متوقعاً نوبة أخرى من الغضب، لكـــن وجهـــه لم يتغير على الإطلاق، بل قال بلطف: "ذلك يعتمد

دائمـــاً علـــى الناظـــر إلى تلك الخردة السيئة، ألا تعتقد ذلك سيد ليبـــي؟".

ضحك ليبـــي رغماً عنه، كما بدا لي.

"هذا صديقي. كان معي عندما اشتريت السيارة".

مددت يدي، وصافحت جورج ليبـــي.

ذهب الجنديان، وبقيت أنا وآرني وليبـــي ننظر إلى بعضنا بشيء مـــن عدم الارتياح. نقل ليبـــي العلم من يد إلى اليد الأخرى، ثم قال: "هل يمكن أن أخدمك بشيء سيد كانينغهام؟".

بلع آرني ريقه وقال: "كنت أتساءل بخصوص المرأب. كما تعلم، أنـــا أعمل على تصليح السيارة لتصبح جاهزة للسير على الطرقات من جديد، وكنت أتساءل –".

"لا".

"– إذا كان بإمكاني استئجار المرأب –".

"لا، لا سبيل لذلك. إنني حقاً –".

"– ســـأدفع لك عشرين دولاراً في الأسبوع، خمساً وعشرين إذا أردت".

"مستحيل".

"المرأب فقط. المرأب فقط حيث كانت موجودة أصلاً".

"هـــذا غير ممكن. لقد سجَّلت المنـــزل هذا الصباح في شركات سينـــشري 21، وليـــبرتيفيل ريلتي، وبيتسبورغ هومز. إنهم سيعرضون المنـــزل –".

"نعم، بالتأكيد، في الوقت المناسب، ولكن حتى ذلك الحين –".

"– ولـــن يـــنفع ترددك على المكان هناك. أنت تفهمني، أليس كـــذلك؟" انحـــنى قليلاً نحو آرني وأضاف: "أرجوك، لا تسئ فهمي.

لـــست معادياً للمراهقين بشكل عام. لو كنت كذلك، لربما كنت في مصح عقلي الآن، لأنني أعلّم في مدرسة ثانوية في مدينة بارادايس فولز، أهايـــو، منذ أربعين سنة تقريباً. ومن الواضح أنك ذكي جداً. كل ما أريـــد أن أفعله هنا هو أن أبيع المنـــزل، وأقتسم كل ما سأحصل عليه مع أختي في دنفر. أريد أن أنتهي من المنـــزل سيد كانينغهام، وأريد أن أنتهي من حياة أختي".

"فهمت. هل سيختلف الأمر إذا وعدت بالاعتناء بالمنـــزل. جز العـــشب؟ إعادة طلاء الخشب؟ القيام ببعض التصليحات؟ بإمكاني أن أكون مفيداً بهذه الطريقة؟".

هـــنا تدخَّلت في الحوار، محاولاً مساندة آرني: "إنه بارع حقاً في مثل هذه الأمور".

"لقـــد استخدمت مسبقاً شخصاً للاعتناء بالمنـــزل والقيام ببعض الصيانة". بدا كلامه معقولاً وقابلاً للتصديق، لكنني أدركت على الفور أنه كان كاذباً. وآرني أدرك ذلك أيضاً.

"حـــسناً. أنـــا آسف بشأن شقيقك. لقد بدا مثل... رجل قوي الإرادة".

ابتـــسم ليبـــــي بسخرية وقال: "قوي الإرادة؟ أجل، كان ابن ســـاقطة قـــوي الإرادة. اعـــذراني أيها السيدان، أخشى أن الشمس أزعجت معدتي قليلاً".

مـــشينا مـــسافة ليست ببعيدة عن القبر، ثم وقفنا، وراقبناه وهو يـــرحل. وفجأة توقف، وأشرق وجه آرني، اعتقد أن ليبـــي غيِّر رأيه فجأة. وقف هناك لعدة لحظات ينظر إلى الأرض في وضعية رجل يفكر ملـــياً، ثم التفت إلينا وقال: "نصيحتي إليك أن تنسى السيارة. بعْها. إن لم يشترها أحد قطعة واحدة، بعها أجزاءً. وإن لم يشترها أحد من أجل

أجـــزائها، ارمِها في الخلاء. افعل ذلك بسرعة. افعل ذلك بالطريقة التي تتخلص بها من عادة سيئة. أعتقد أنك ستكون أكثر سعادة".

نظـــر إلى آرني منتظراً أن يقول شيئاً ما، لكن آرني لم ينبس ببنت شفة، بل ظل واقفاً يبادل ليبــــي نظرته. كان آرني ينظر إليه كما ينظر عادة عندما يكون قد قرر شيئاً وعزم أمره. قرأ ليبـــي نظرته تلك وهز برأسه. كان يبدو حزيناً وفي صحة غير جيدة.

"الوداع أيها السيدان".

تـــنهد آرني وقال: "أعتقد أن الأمر انتهى". كان ينظر إلى ليبــــي وهو يسير مبتعداً بشيء من الامتعاض.

"أجـــل"، قلت ذلك آملاً أن أبدو حزيناً أكثر مما كنت أشعر في حقيقة الأمر. فأنا لم أستسغ فكرة عودة كريستين إلى ذلك المرأب، لأن ذلك كان يشبه الحلم الذي رأيته إلى حدٍّ بعيد.

حالما بدأنا العودة باتجاه سيارتي، توصلت إلى قرار حدسي مفاجئ - الله يعلم كم كانت الأمور ستكون مختلفة لو أنني لم أتبع ذلك الحدس.

"صديقي. علي أن أتبول. امنحني دقيقة أو دقيقتين، اتفقنا؟".

بالكـــاد رفـــع آرني رأسه وقال: "بالتأكيد". ثم تابع سيره مطأطأ الرأس ناظراً إلى الأرض.

مشيت نحو اليسار، حيث توجد لافتة صغيرة مع سهم أصغر يشير إلى مكـــان المراحيض. ولكن، ما إن أصبحت فوق أول تلة وغبت عن ناظـــري آرني، حـــتى انحرفت إلى اليمين، وبدأت العدو بسرعة باتجاه ساحة إيقاف السيارات. لمحت جورج ليبـــي يطوي نفسه ببطء خلف مقود سيارة تشيفيت بالغة الصغر.

قلـــت وأنا ألهث: "سيد ليبــــي، سيد ليبـــي؟" رفع رأسه، ونظر إليّ بفضول.

"عذراً. أنا آسف لإزعاجك مجدداً".

"لا عليك. ولكن أخشى أن ما قلته لصديقك لم يتغير. لا أستطيع السماح بركن السيارة هناك".

"جـيد". رفـع حاجبيه الكثيفين مستغرباً. ثم أضفت: "السيارة. تلك الفيوري. إنني لا أحبها".

لم يتكلم لكنه ظل ينظر إلي.

"لا أعتقد أنها تنفعه. لعل جزءاً من كونها... لا أدري...".

سألني بهدوء: "أتشعر بالغيرة؟ الوقت الذي اعتاد أن يمضيه معك أصبح يمضيه معها الآن؟".

"حـسناً، أجـل، صحيح. إنه صديقي منذ وقت طويل. ولكن أنا... لا أعتقد أن هذا كل شيء".

"لا؟".

"لا". تلفّـتُّ حولي لأرى إذا كان آرني ينظر إلينا ثم أضفت: "لـماذا قلـت لـه أن يرميها وينساها؟ لماذا قلت إنها تشبه العادة السيئة؟".

انتظر قليلاً قبل أن يجب: "بني، هل أنت متأكد من أن لهذا الأمر علاقة بك؟".

"لا أدري. لكـنني أكتـرث لآرني كـثيراً. ولا أريد أن يتعرض لـلأذى. هذه السيارة أوقعته في المشاكل منذ الآن. ولا أريد أن تسوء حاله أكثر من ذلك".

"تعـالَ إلى الفـندق الذي أنـزل فيه هذا المساء. إنه قريب من مخرج الطريق الغربـي من جهة 376. هل يمكنك أن تجده؟".

"أنا من طليت جوانب الرامبا". رفعت يديَّ كي يراهما، "لا تزال القروح موجودة".

ابتـــسمت لكنه لم يرد الابتسامة، مكتفياً بالقول: "رينبو موتل. هناك اثنان عند ذلك المخرج، الفندق الذي أنـــزل فيه هو الأرخص".

"شكراً. اسمع، حقاً، إن الـــ -".

"لعـــل الأمـــر لا علاقة له بك، أو بـــي، أو بأي شخص آخر، ولكـــن هذا ما يمكنني أن أقوله لك الآن. لم يكن أخي شخصاً صالحاً. أعـــتقد أن الـــشيء الوحـــيد الذي أَحَبَّه حقاً في حياته كلها هي تلك البلـــيموث فـــيوري التي اشتراها صديقك. لذا فإن الأمر بينهما فقط، مهما كان ما تريد قوله لي أو أريد قوله لك".

ابتـــسم لي ثم أكمل حديثه: "بني، ربما لا تزال صغيراً لتبحث عن الحكمة في كلمات الآخرين، باستثناء كلماتك بالذات، لكنني سأقول لـــك شيئاً: الحب هو العدو"، هزّ رأسه تأكيداً على ما قاله، "أجل. إن الـــشعراء يخطـــئون دائماً، وعن عمد أحياناً، بشأن الحب. الحب هو القاتل القديم. الحب ليس أعمى. إنه آكل لحم بشر مع نظر ثاقب لأبعد الحدود. إنه جائع على الدوام".

"ومـــا الذي يأكله؟" سألته بالرغم من أنني لم أكن أريد أن أسأل أي شيء، لأنني كنت أعتقد أن الحديث بأكمله كان مجنوناً.

"الـــصداقة. إنه يأكل الصداقة. لو كنت مكانك يا دينيس، فإنني سأحضِّر نفسي للأسوأ".

أغلق باب السيارة برقَّة، ثم شغّل محركها، وانطلق مبتعداً. وقفت للحظـــات أفكر في ما قاله ثم تذكرت فجأة أن آرني يتوقع عودتي من ناحية المراحيض، فتوجهت نحوها بأقصى سرعتي.

بينما كنت متوجهاً إلى ذلك المكان خطر ببالي أن حفاري القبور ســـيكونون الآن يعملـــون علـــى إنـــزال صندوق ليبـــي في الحفرة. حاولت إبعاد تلك الصورة عن ذهني، لكن صورة أخرى، أكثر سوءاً،

حلّــت مكانها: رونالد دي ليبــي داخل الصندوق مرتدياً أفضل بذلة لديــه، وأفضل ثياب تحتية؛ من دون مشد الظهر المصفر كريه الرائحة، بالطبع.

كــان ليبــــي تحــت الأرض. كان ليبـــي في صندوقه. يداه متقاطعــتان فــوق صــدره... ولكن، لماذا كنت متأكداً تماماً من أن ابتسامة كبيرة بشعة كانت مرتسمة على وجهه؟

12
بعض من تاريخ الأسرة

كــان رينبو موتل فندقاً سيئاً للغاية. كان مكوَّناً من طابق واحد، وكانــت أرضية موقف السيارات التابع له مشققة، واثنان من أحرف اسمــه في الإشارة الضوئية مطفأين. إنه بالتأكيد المكان الذي تتوقع أن تجد فيه أستاذاً للغة الإنكليزية. أعلم كم يبدو هذا الكلام محبطاً، لكنها الحقــيقة مع ذلك. وغداً سيركب هذا الأستاذ سيارته الصغيرة متوجهاً نحو المطار كي يطير إلى بارادايس بولز في أوهايو.

كــان الفندق يبدو مثل جناح للمسنِّين في إحدى المستشفيات. كــان هناك بعض العجائز جالسين خارج غرفهم على كراسي صغيرة زوَّدهــم الإدارة بها لهذا الغرض. كانت عظام ركبهم النحيلة متصالبة وجــواربهم البيــضاء مرفوعة. كل الرجال كانوا يبدون مثل متسلقي جبال مسنين، نحيلي الأجساد من دون أن تعوزها الصلابة. في حين أن معظــم النسوة كن مزودات بكتل الشحم الرخو التي تنمو عادة عندما تتجاوز المرأة سن الخمسين. ألاحظ وجود فنادق تعج بأشخاص قطعوا الخمسين من أعمارهم؛ كأنهم سمعوا عن هذه الأمكنة في أحد الخطوط

الـــساخنة الخاصة بالمسنين الطيبين. اجلبن أرحامكم المستأصلة، وأنتم اجلبوا بروستاتكم المتضخمة إلى فندق رينبو موتل غير البهيج. لم أجد أي شـــخص شـــاب خـــارج الوحدات. كانت هناك حديقة ألعاب للأطفـــال مقابـــل الفـــندق من أحد الجوانب، لكنها كانت فارغة، والمـــراجيح كانـــت تلقـــي ظلالاً طويلة على الأرض. وفوق الإشارة الضوئية كان هناك قوس من النيون يئز مثل مجموعة من الذباب علقت في زجاجة.

كـــان ليبـــــي جالساً خارج الوحدة 14 حاملاً كأساً في يده. اتجهت نحوه، وصافحته.

"هـــل تـــريد أن تشرب شيئاً بارداً غير كحولي؟ هناك ماكينة في المكتب تقدم مثل هذه المشروبات".

"لا، شـــكراً". جلـــبت أحـــد الكراسي الصغيرة من أمام وحدة فارغة، وجلست بجانبه.

قـــال لي بصوته الرقيق والمهذب: "إذاً دعني أخبرك بما أقدر عليه. إنـــي أصغر من رولي بإحدى عشرة سنة، ولا أزال رجلاً يتعلّم كيف يكون مسناً".

تململت في كرسي بشيء من عدم الارتياح من دون أن أقول أي شيء.

"كـــنا أربعة. كان رولي هو الأكبر وأنا الأصغر. مات أخي درو في فرنـــسا في العـــام 1944. هو ورولي كانا في الجيش. نشأنا هنا في ليـــبرتيفيل، باستثناء أن ليبرتيفيل كانت أصغر، أصغر بكثير من الآن، كما تعلم، كانت مجرد قرية. كنا عائلة فقيرة، محرومة، لا حول لنا ولا قوة، اختر الصفة التي تعجبك".

ضحك برقة ثم صبَّ المزيد من السفن – أب في كأسه.

"أتذكـــر شيئاً واحداً فقط من طفولة رولي، فهو كان في الصف الخامس عندما وُلدت. لكنني أتذكر ذلك الشيء جيداً".

"وما هو هذا الشيء؟".

"غـــضبه. كان رولي غاضباً دائماً. كان غاضباً لأنه كان مضطراً إلى الـــذهاب إلى المدرســـة بثيابه البالية. كان غاضباً لأن أبـــي كان ســـكيراً و لم يتمكن يوماً من البقاء في عمل ثابت. كان غاضباً لأن أمَّنا لم تـــتمكن مـــن جعل أبينا يتوقف عن الشرب. وكان غاضباً منا نحن الأولاد الثلاثة الأصغر منه – درو، مارسيا، وأنا – لأننا جعلنا الفقر غير محتمل".

مدّ ذراعه نحوي، ورفع كم قميصه ليريني ندبة طويلة تمتد من مرفقه إلى رسغه. "هذا ذكرى من رولي. حصلت عليها عندما كنت في الثالثة وورولي في الرابعة عشرة. كنت ألعب بقطع من الأخشاب المدهونة – التي كان يُفترَض بها أن تصبح سيارات وشاحنات تسير علـــى الطـــريق الأمامـــي – عندما خرج من البيت مندفعاً باتجاه المدرســـة. أعتقد أنني كنت أعترض طريقه. دفعني، وتابع سيره نحو الرصيف، ثم عاد ودفعني مجدداً. سقطت وعلقت ذراعي بأحد أوتاد الـــسياج الذي يحيط بمجموعة من الأعشاب ونباتات دوار الشمس الـــتي كانت أمي تصر على تسميتها *الحديقة*. نـــزفت بغزارة كافية لجعلهم جميعاً يبكون – كلهم إلا رولي الذي ظل يصرخ: *ابقَ بعيداً عن طريقي من الآن فصاعداً، يا صاحب الأنف المخاطي. ابقَ بعيداً عني، هل تسمع؟*".

كان جورج ليبـــي ينظر إلي. لا أعرف ما الذي رآه في وجهي، لكـــنه أنـــــزل كمـــه على مهل. وبعد انتهائه من تغطية ذلك الجرح القديم، بدا عليه وكأنه أسدل الستارة على ماضٍ أليم.

أخذ رشفة أخرى من السفن – أب، ثم تابع كلامه: "عاد أبــي إلى المنــزل في ذلك المساء – كان في إحدى جولات الشرب التي كان يدعــوها *اصطياد عمل* – وعندما سمع بما فعله رولي، قام بضربه ضرباً مبرحاً. لكن رولي لم يبدِ أي ندم. بكى لكنه لم يعترف بخطئه" – ابتسم ليبــــي قليلاً – "وفي النهاية، ارتعبت أمي، وصرخت في وجه أبــي طالــبة منه التوقف قبل أن يقتله. كانت الدموع تنهمر على وجه رولي وهــو يقول، *كان يعترض طريقي. وإذا اعترض طريقي مجدداً فسأفعل ذلــك مجدداً. ولن يمكنك أن توقفني، أنت أيها السكير العجوز اللعين.* ضربه والدي على وجهه، فأدمى أنفه، وسقط على الأرض. كانت أمي تــصرخ، ومارسيا تبكي، ودرو منكمشاً على نفسه في إحدى الزوايا، وأنا كنت أزعق بصوت عالٍ ممسكاً بذراعي المضمَّدة. لكن رولي ظل علــى عــناده، حــيث كانٍ لا يزال يصرخ قائلاً، *سأفعلها مجدداً أيها السكير، السكير العجوز اللعين*".

كانــت الــنجوم قد بدأت تظهر في السماء. خرجت امرأة من إحدى الوحدات نحو الشارع، وأخرجت حقيبة عتيقة من سيارة فورد، ثم عادت إلى وحدها. من مكان ما سمعت صوت مذياع، لكنه لم يكن مولَّفاً على موجة موسيقى الروك، FM - 104.

"غــضبه الدائم هو أكثر ما أتذكره. في المدرسة، كان يتقاتل مع أي شــخص يسخر من ثيابه أو طريقة قص شعره. كان يتقاتل مع أي شــخص يــشك أنــه يسخر منه. كان يُطرَد من المدرسة دائماً. وفي النهاية، ترك الدراسة، والتحق بالجيش".

" لم يكن الوقت مناسباً للالتحاق بالجيش، في العشرينيات. لم تكن هــناك كرامة، ولا ترقيات، ولا أعلام وطنية، لم يكن هناك نبل. كان يتــنقل من قاعدة إلى أخرى، أولاً في الجنوب ثم في الجنوب الغربــي.

كنا نتلقى رسالة منه كل ثلاثة أشهر أو نحو ذلك. كان لا يزال غاضباً. كان غاضباً ممن كان يسمِّيهم *المتغوِّطين*. كل شيء كان يحدث له كان بسبب المتغوطين. المتغوطون لم يمنحوه الترقية التي يستحقها، والمتغوطون ألغوا إحدى إجازاته. وفي مناسبتين على الأقل، قاموا بزجه في السجن".

"احتفظ به الجيش لأنه كان ميكانيكياً بارعاً. كان باستطاعته الإبقاء على كل العربات القديمة والمتداعية التي كان الكونغرس يمنحها للجيش في حالة ما من القدرة على السير".

بشيء من القلق، وجدت نفسي أفكر في آرني الذي كان بارعاً جداً في استخدام يديه.

انحنى ليبي إلى الأمام قليلاً ثم تابع بوحَه: "لكن تلك الموهبة كانت مجرد مصدر آخر للغضب أيها الشاب. وكان غضباً لم ينتهِ إلى أن اشترى تلك السيارة التي يملكها صديقك الآن".

"ما الذي تعنيه؟".

ضحك ليبي وقال: "كان يصلح شاحنات الجيش، وسيارات الضباط، وعربات الأسلحة، والبولدوزرات. وذات مرة، عندما جاء عضو في البرلمان ليزور قاعدة فورت آرنولد الواقعة غربي تكساس، وكانت سيارته تعاني من مشكلة ما، أمره الضابط المسؤول أن يصلح سيارة عضو البرلماني الثمينة، وكانت من نوع بينتلي. أجل، لقد تلقينا رسالة غاضبة من أربع صفحات. أربع صفحات تصف غضب رولي ومرارته من ذلك *المتغوط* المميز. لقد استغربنا كيف أن الكلمات لم تكن تبث دخاناً على الأوراق".

"كل تلك السيارات... لكن رولي لم يمتلك سيارة خاصة به إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وحتى في ذلك الحين، السيارة الوحيدة

الـــتي كـــان باســـتطاعته شراؤها كانت شيفروليه قديمة يأكلها الصدأ وبالكاد كانت تسير. في العشرينيات والثلاثينيات، لم تكن النقود كافية أبداً، وخلال سنوات الحرب، كان رولي منشغلاً بالبقاء على قيد الحياة.

"ظـــل قابعـــاً في باحة الآليات طوال تلك السنين، أصلح خلالها آلاف السيارات للمتغوطين من دون أن يمتلك واحدة خاصة به. ثم عاد إلى ليـــبرتيفيل مجـــدداً. حتى الشيفروليه القديمة لم تستطع التخفيف من غضبه، ولا الهادسون هورنيت التي اشتراها مستعملة بعد زواجه بسنة".

"زواجه؟".

"لم يخبركما بذلك، أليس كذلك؟ كان بإمكانه التحدث بسعادة غامـــرة ومـــن دون توقف عن تجاربه في الجيش، وتجاربه في الحرب، ومـــواجهاته التي لا تنتهي مع المتغوطين؛ لفترة طويلة جداً، ومع ذلك فقـــد تواصل أنت وصديقك الاستماع إليه من دون أن تناما... بينما يكـــون هو واضعاً يده في جيبه متحسساً محفظته طوال الوقت. لكنه لم يكبد نفسه مشقة إخباركما حول فيرونيكا أو ريتا".

"من هما؟".

"كانت فيرونيكا زوجته. لقد تزوجا في 1951، قبل فترة وجيزة مـــن ذهابه إلى كوريا. كان بإمكانه البقاء في الوطن، كما تعلم. فقد كـــان متـــزوجاً، وامرأته حاملاً، وهو نفسه كان يقترب من منتصف العمر. لكنه اختار الذهاب".

نظـــر ليبـــي بتأمل إلى المعدات الفارغة في حديقة الألعاب ثم عاد إلى حديـــثه: "كـــان الأمر يشبه تعدد الزوجات، كما تعلم. في العام 1951، كـــان في الـــرابعة والأربعين من عمره، وكان متزوجاً مسبقاً. كان متزوجاً بالجيش، وبالمتغوطين".

صمت مجدداً، وكان صمته حزيناً، فسألته: "هل أنت بخير؟".

"نعم، أفكر فقط. أفكر في كل الموتى". نظر إليّ بهدوء – باستثناء عينيه الحزينتين والجريحتين. "كل هذا يؤلمني أيها الشاب... ماذا كان اسمك؟ لا أستطيع أن أجلس هنا وأغني كل هذه الأغنيات القديمة الحزينة لشخص لا يمكنني أن أدعوه باسمه. هل كان دونالد؟".

"دينيس. اسمع سيد ليبي –".

قال مقاطعاً: "إنه يؤلمني أكثر مما كنت أتوقع. ولكن، طالما أننا بدأنا الأمر، دعنا ننهيه، أليس كذلك؟ قابلت فيرونيكا مرتين فقط. كانت من فيرجينيا الغربية، بالقرب من ويلينغ. كانت ما كنا نسميه آنذاك جنوبية قصيرة القامة، ولم تكن ذكية تماماً. كان رولي قادراً على السيطرة عليها، وهو ما كان ما يريده، في ما يبدو. لكنها أحبته، باعتقادي؛ على الأقل إلى أن بدأت قصة ريتا المؤلمة. أما بالنسبة إلى رولي، فلا أعتقد أنه تزوج أي امرأة على الإطلاق. لقد تزوج نوعاً من...".

"الرسائل التي أرسلها إلينا... حسناً، لا بد أنك تتذكر أنه ترك المدرسة مبكراً. وتلك الرسائل المليئة بالأخطاء الإملائية، كانت تمثل نتاجاً هائلاً بالنسبة إلى أخي. كانت جسره المعلق، وروايته، وسيمفونيته، وإنتاجه العظيم. لا أعتقد أنه كتبها كي يتخلص من السم الموجود في قلبه. أعتقد أنه كتبها كي ينشرها".

"ما إن أصبحت فيرونيكا معه حتى انقطعت الرسائل. لقد أصبحت لديه أذنان دائمتا الاستماع إليه، فلم يعد بحاجة إلينا. أظن أنه كتب لها خلال السنتين اللتين أمضاهما في كوريا. أما أنا فقد تلقيت رسالة واحدة فقط خلال تلك الفترة، وأظن أن مارسيا تلقت اثنتين. لم يشعر بأي سعادة لولادة ابنته في بداية 1952، بل بالتذمر من وجود فم آخر لإطعامه في المنزل ومن المتغوطين الذين كانوا يزعجونه أكثر فأكثر".

"ألم يحصل على ترقية أبداً؟".

ضحك ليبي وقال: "كان يشبه شخصية بريويت في فيلم من *هنا إلى الأبد*. كان يترقى ثم تُخفَّض رتبته لقيامه بشيء ما - تمرد على الأوامر، أو وقاحة مع الضباط الأعلى رتبة، أو السكْر. أخبرتك أنه أمضى مدة في السجن؟ دخل السجن في إحدى المرات بسبب تبوله في قدْر العصير في نادي الضباط في القاعدة السادسة قبل إحدى الحفلات".

نظرت إلى ساعتي، فوجدت أنها بلغت التاسعة والربع. كانت قد مضت ساعة تقريباً منذ أن بدأ ليبي حديثه.

"عاد أخي إلى الوطن من كوريا في العام 1953 ليقابل ابنته للمرة الأولى. أعتقد أنه اهتم بها لدقيقة أو اثنتين ثم أعادها إلى زوجته، وبعد ذلك خرج ليمضي بقية اليوم في إصلاح سيارته الشيفروليه القديمة... هل تشعر بالملل دينيس؟".

أجبته بصدق: "لا".

"خلال كل تلك السنوات، الشيء الوحيد الذي كان رولي يريده فعلاً هو سيارة جديدة تماماً. ليست كاديلاك أو لينكولن، لأنه لم يكن يريد الانضمام إلى الطبقة العليا، والضباط، والمتغوطين. كان يريد بليموث جديدة أو ربما فورد أو دودج".

"كانت فيرونيكا تراسلنا بين الحين والآخر. قالت لنا إنهما كانا يمضيان معظم أيام الأحد في التجول على بائعي السيارات حيثما كان رولي متمركزاً. كانت تجلس مع الطفلة ريتا في سيارة الهورنيت القديمة التي كان رولي يملكها حينئذ، وكانت تقرأ لها من كتب قصصية قصيرة بينما كان رولي يتجول برفقة بائع سيارات تلو الآخر في ساحة لإيقاف السيارات تلو الأخرى، متحدثاً حول الضغط، وقوة الأحصنة،

وأنــصاف الــرؤوس، ومعدلات السرعة. أفكر أحياناً في تلك الطفلة الصغيرة وهي تنمو على صوت رفرفة الأعلام المثلثة الشكل مع الرياح الــساخنة في نــصف دستة من البلدات العسكرية الصغيرة، ولا أدري أأضحك أم أبكي".

عادت أفكاري لتتجه إلى آرني من جديد.

"هل كان مهووساً، برأيك؟".

"نعم، يمكنني القول إنه كان مهووساً. بدأ بإعطاء المال لفيرونيكا من أجل توفيره. بالإضافة إلى إخفاقه في الترقي إلى أعلى من رقيب أول في أي مرحلة من حياته العسكرية، كان أخي يعاني من مشكلة أخرى مــع الشرب. لم يكن مدمناً، لكنه كان يمر بمراحل دورية من الشرب كل ستة أو ثمانية أشهر. وأي نقود يمكن أن تكون بحوزة رولي كانت تتلاشـــى مع انتهاء أي من تلك المراحل. ولم يكن أبداً يعرف تماماً أين ينفقها".

"كـــان يُفترَض بفيرونيكا أن تضع حداً لذلك. هذا أحد الأشياء الـــذي تزوجها من أجله. عندما كانت تلك المراحل تبدأ، كان رولي يـــأتي إليها من أجل المال. لقد هددها بسكين ذات مرة، بوضعها على رقبتها. عرفت ذلك من أختي، التي كانت تتحدث مع فيرونيكا هاتفياً. لم تعطِه فيرونيكا المال، الذي بلغ في ذلك الوقت، في العام 1955، نحو ثمانمائـــة دولار. قالـــت له ونصل السكين على رقبتها *تذكّر السيارة، حبيبـــــي، لن تحصل على تلك السيارة الجديدة إذا أنفقت المال على الشراب*".

"لا بد أنها كانت تحبه".

"حـــسناً، لعلـــها كانت تحبه فعلاً، ولكن رجاءً لا تخرج بذلك الاســـتنتاج الرومانسي وهو أن حبها غيَّر رولي بأي حال من الأحوال.

يمكـــن للمـــاء أن ينحت الصخر، ولكن فقط بعد مئات السنين. لكن الإنسان فان".

بـــدا لي أنه كان يفكر في قول شيء آخر في نفس ذلك السياق، لكنه قرر ألا يفعل بعد ذلك. التوقف القصير بدا لي غريباً.

"تذكَّرْ أنه كان ثملاً عندما وجَّه السكين إلى رقبتها. هناك ردّ فعـــل كبير حيال المخدرات في المدارس اليوم، وأنا لا أعارض ذلك لأنـــي أعـــتقد أنـــه لأمـــر مشين رؤية أولاد بعمر الخامسة عشرة والـــسادسة عشرة مترنحين بفعل المخدرات، ولكن، مع ذلك، أنا لا أزال أعـــتقد أن الشراب هو أشد أنواع المخدرات خطراً وابتذالاً؛ وهو قانوني".

"عـــندما اســـتقال أخي من الجيش أخيراً في العام 1957، كانت فيرونـــيكا قـــد وفَّرت أكثر بقليل من ألف ومائتي دولار. أضف إليه تعـــويض إعاقة مهم بسبب إصابة ظهره؛ خاض حرباً مع المتغوطين من أجل الحصول عليه وانتصر فيها، على حدّ قوله".

"هكـــذا أصبح المال موجوداً أخيراً. حصلوا على المنـــزل الذي زرتـــه أنت وصديقك، لكن السيارة جاءت أولاً، بالطبع، حتى قبل أن يفكر في المنـــزل. كانت السيارة دائماً في المرتبة الأولى. بلغت زياراته إلى بائعـــي الـــسيارات درجـــة الحمـــى، لكنه استقر في النهاية على كريـــستين. تلقـــيت رسالة طويلة منه حولها، زودني فيها بكل الوقائع والأرقـــام. لا أذكرها الآن، لكنني أراهن أن بإمكان صديقك أن يسرد بياناتها الأساسية بالتفصيل".

"قياساتها؟".

ضـــحك ليبـــي وقال: "قياساتها، نعم. أتذكر أنه قال إن ملصق سعرها كان أقل من 3000 دولار بقليل. لكنه أنـــزل السعر إلى 2100

دولار بمقايضته للسيارة القديمة. دفع عشرة بالمائة من سعرها كعربون، وعندما حصل على السيارة أكمل الباقي نقداً".

"وفي الـــسنة التالـــية، توفيت ريتا، التي كانت في سن السادسة، اختناقاً".

انتفــضت في كرسيي حتى إنني كدت أقلبه. كانت لصوته الرقيق خاصية منوِّمة، وأنا كنت تعباً؛ كنت نصف نائم. لكن الجملة الأخيرة كانت أشبه بدفقة مفاجئة من الماء البارد أصابت وجهي.

"نعـــم هــــذا صحيح"، كأنه كان يجيب على نظرتي المتسائلة الفــزعة. "كانوا يتجولون في السيارة في ذلك اليوم. كل يوم أحد كانـــوا ثلاثـــتهم يخـــرجون ويتنـــزهون بالسيارة. لقد حلَّت هذه الجـــولات محل جولات صيد السيارات. كانت هناك أكياس لرمي القمامة في الأمام والخلف. كانت الفتاة الصغيرة ممنوعة من رمي أي شـــيء على الأرض، ممنوعة من إحداث أي فوضى. وكانت تحفظ درسها جيداً. كانت...".

دخل في نوبة أخرى من الصمت المتأمل الغريب، ثم عاد ليسلك مساراً جديداً.

"كـــان رولي يبقي نفَّاضات السجائر نظيفة. دائماً. كان مدخناً شرهاً لكنه كان ينفض سجائره من النافذة بدلاً من نفضها في المنفضة. وعـــندما كـــان ينتهي من إحدى السجائر كان يخمدها ثم يرميها من الـــنافذة. وإذا كـــان معه أحد استخدم المنفضة، فإنه كان يفرغها ثم يمـــسحها بمنديل ورقي عند انتهاء الجولة. كان يغسل السيارة مرتين في الأســـبوع ويأخـــذها إلى المغسلة مرتين في العام. كان يقوم بصيانتها بنفسه، باستئجار مكان في مرأب محلي".

تساءلت في نفسي إذا كان ذلك هو مرأب دارنل.

"في يـــوم الأحـــد ذاك، توقفوا عند كشك بجانب الطريق لشراء البرغـــر وهـــم في طريقهم إلى المنـــزل؛ في تلك الأيام، لم تكن هناك مطاعم ماكدونالد، كما تعلم، بل مجرد أكشاك على جوانب الطرقات. والذي حدث كان... بسيطاً، باعتقادي...".

عـــاد ذلك الصمت من جديد، وكأنه كان يتساءل إلى أي حدّ ينبغي له أن يخبرني، أو كيف يفصل بين ما يعرفه وما يخمِّنه.

أخـــيراً قال: "لقد اختنقت بقطعة من اللحم. عندما بدأت تختنق وتضع يديها حول حنجرتها، أوقف رولي السيارة، وأخرج الطفلة منها، وبـــدأ يدق بيده على ظهرها محاولاً إخراج قطعة اللحم. بالطبع، لدينا الـــيوم طـــريقة - طـــريقة هايمليخ - تعمل بشكل جيد في مثل هذه الحـــالات. لقد أنقذت فتاةٌ شابة صبياً كان يختنق في كافتيريا مدرستي بتطبـــيق طريقة هايمليخ. ولكن في تلك الأيام... توفيت ابنة أخي على الرصيف. أتخيل أنها كانت ميتة مرعبة وقذرة".

عاد صوته إلى ذلك الإيقاع التدريسي المنوِّم، لكنني لم أعد أشعر بالنعاس على الإطلاق.

"حـــاول إنقاذها، أعتقد ذلك. وأنا أحاول أن أعتقد أن الحظ العاثـــر فقط هو الذي تسبب بموتها. كان يعمل في مهنة قاسية جداً ولمـــدة طـــويلة من الزمن، ولا أعتقد أنه أحب ابنته بعمق، هذا إذا أحبها أساساً. ولكن، في بعض الأحيان، في مسائل البشر، إن فقدان الحـــب يمكن أن يكون نعمة منقذة. أحياناً يكون انعدام الرحمة هو المطلوب".

"ولكن ليس في هذه الحالة".

"في النهاية، قلبها وأمسكها من كاحليها ولكمها على بطنها آملاً بـــدفعها للتقـــيؤ. أظن أنه كان سيجري عملية شق في القصبة الهوائية

بـــسكين جيـــبه لو كانت لديه أدنى فكرة حول كيفية إجرائها، لكنه بالطبع لم يفعل. لقد ماتت".

"جاءت مارسيا وزوجها والعائلة إلى الجنازة. وأنا كذلك. كانت آخـــر مـــرة تجتمع فيها العائلة. أتذكر أنني فكّرت في نفسي أنه سيبيع السيارة بالتأكيد، لكن أملي خاب. في رسائل فيرونيكا والرسائل القليلة التي كتبها رولي، كانت السيارة تبدو هامة للغاية بحيث كنت أشعر أنها كانت تقريباً جزءاً من العائلة. لكنه لم يبعها. لقد جاء بها إلى الكنيسة الميـــثودية في ليـــبرتيفيل، وكانت نظيفة... ولامعة... وبغيضة. كانت بغيضة" التفت إلي وقال: "هل تصدق ذلك يا دينيس؟".

كان عليّ أن أبلع ريقي قبل أن أجيب: "أجل، أصدق ذلك".

"كانـــت فيرونيكا تجلس في المقعد الأمامي مثل دمية من الشمع. كل ما كانت عليه - كل ما كان موجوداً داخلها - انتهى. كان رولي يملـــك السيارة، وهي كانت تملك الفتاة. إنها لم تكن حزينة فقط، بل كانت ميتة".

"هل سألته حول الأمر؟".

"لقـــد سألته، نعم. كانت مارسيا معي. وذلك بعد انتهاء مراسم الـــدفن. كـــان شقيق فيرونيكا قد جاء من مدينة غلوري، في فيرجينيا الغـــربية، وأعادهـــا إلى المنـــــزل بعد انتهاء المراسم. كانت في حالة انفصال كامل عن الواقع، على كل حال".

"انفردنا به لوحدنا، مارسيا وأنا. كان هذا هو لمّ الشمل الحقيقي. ســـألته إذا كان ينوي بيع السيارة. كانت مركونة مباشرة خلف عربة دفـــن الموتـــى التي نقلت ابنته إلى المقبرة - المقبرة نفسها التي دُفن فيها رولي اليوم. كانت باللونين الأبيض والأحمر - لم تعرض شركة كرايسلر أبداً سيارة بليموث فيوري 1958 بهذين اللونين أبداً. لقد حصل عليها

مطلــية حسب طلبه. كنا نقف على بعد خمسين قدماً تقريباً منها، وقد انــتابني إحساس غريب للغاية... *دافع* غريب... أن نبتعد أكثر عنها، وكأنها كانت تسمعنا".

"ماذا قلت؟".

"سألته إذا كان سيبيع السيارة، فارتسمت على وجهه تلك النظرة القاسية العنيدة، تلك النظرة التي أتذكرها جيداً من طفولتي المبكرة. إنها النظــرة التي كانت على وجهه عندما رماني على السياج. النظرة التي كانت على وجهه عندما كان ينعت أبــي بالسكير، حتى بعد أن أدمى والــدي أنفــه. قال لنا: *سأكون مجنوناً لو بعتها*، جورج، *عمرها سنة واحدة فقط. أنت تعلم أنك لا تحصل على نقودك من أي بيعة إلا بعد أن يصبح عمر السيارة ثلاث سنوات*".

"قلــت له: إذا كانت هذه مسألة نقود، يا رولي، فإن شخصاً ما ســرق مــا تبقــى من قلبك ووضع مكانه قطعة من الحجر. هل تريد لزوجتك أن تنظر إليها كل يوم؟ تركبها؟ يا الله يا رجل!".

"لم تــبارح تلــك النظــر وجهه. ليس قبل أن ينظر إلى السيارة المركونة تحت الشمس... الواقفة قبل عربة دفن الموتى. تلك كانت المرة الوحــيدة الــتي رقَّ فيها وجهه. أتذكر أنني تساءلت حينها ما إذا نظر يــوماً إلى ريتا بتلك الطريقة. لا أعتقد أنه فعل ذلك يوماً. لا أعتقد أن ذلك موجود داخله".

سكت للحظات ثم أكمل حديثه.

"قالت له مارسيا نفس ما قلته أنا. كانت دائماً تخاف من رولي، لكنها في ذلك اليوم كانت غاضبة أكثر من خوفها منه - كانت تتلقى رســائل من فيرونيكا، تذكَّرْ، وكانت تعرف تماماً كم كانت فيرونيكا تحــب ابنتها. قالت له إنه عندما يموت شخص ما، فإنك تحرق الفراش

الـــذي كان ينام عليه، وتعطي ثيابه إلى جيش الخلاص [جمعية خيرية]، أو أي شيء آخر، وذلك حتى تتمكن من مواصلة حياتك. قالت له إن فيرونـــيكا لن تكون قادرة على العودة إلى حياها طالما أن السيارة التي ماتت فيها ابنتها موجودة في المرأب".

"سألها رولي بتلك الطريقة الساخرة البشعة التي كان يتميز بها ما إذا كانـــت تريده أن يرش البنـــزين على سيارته، ويرميها بعود ثقاب فقـــط لأن ابنته اختنقت حتى الموت. بدأت أختي تبكي وتقول له إنها تعـــتقد أنها فكرة جيدة جداً. أمسكتها من ذراعيها، وأخذهّا بعيداً عن ذلـــك المكـــان. كـــان الأمر واضحاً وضوح الشمس، وهو أنه كان سيحتفظ بالسيارة لأنه كان يريد الاحتفاظ بها".

"عـــادت مارسيا إلى دنفر بسرعة، وعلى حدّ علمي لم ترَ رولي مجدداً أو حتى تكتب له. و لم تأتِ إلى جنازة فيرونيكا".

زوجته. أولاً البنت ثم الزوجة. عرفت، بطريقة ما، أن الأمر كان كذلك. سرى نوع من الخدر عبر ساقي وصولاً إلى أسفل معدتي.

قلت له: "ولكن لا علاقة لذلك بالسيارة، أليس كذلك؟".

"بـــل كان له كل العلاقة بالسيارة. بعد موت ريتا، دخلت فيرونيكا في حالة من الاكتئاب و لم تخرج منها أبداً. لقد كسبت بعض الأصدقاء في ليـــبرتيفيل، وهؤلاء حاولوا مساعدها... مساعدها على إيجاد طريقها من جديد. لكنها لم تكن قادرة على إيجاد طريقها. على الإطلاق".

"باستثناء ذلك، كانت الأمور جيدة. فللمرة الأولى في حياة أخي، أصبح لديه الكثير من النقود. لقد حصل على راتبه التقاعدي من الجيش وتعـــويض إعاقـــته، كمـــا حصل على عمل كحارس ليلي في مصنع للدوالـــيب في الجانب الغربـــي من البلدة. ذهبت إلى ذلك المكان بعد الجنازة، لكنه لم يعد موجوداً".

قلـــت له: "لقد أفلس قبل اثنتي عشرة سنة. كنت لا أزال طفلاً. حل محله الآن مطعم للوجبات السريعة الصينية".

"كانـــا يـــدفعان الرهن بمعدل قسطين في الشهر، و لم تعد لديهما طفلة صغيرة للاعتناء بها. ولكن، بالنسبة إلى فيرونيكا، لم تعد تملك أي دافع للعودة إلى حياتها من جديد".

"لقـــد انتحرت بدم بارد إلى أبعد الحدود، أكثر بروداً من كل أســـاليب الانـــتحار التي سمعت بها. لو أن هناك كتباً حول طرائق الانتحار الملهمة، فإن طريقتها قد تُوضَع كمثال يُحتذى. لقد ذهبت إلى مخزن ويسترن أوتو هنا في البلدة - المخزن نفسه الذي حصلت مـــنه على دراجتي الهوائية الأولى منذ سنوات طويلة، طويلة جداً - واشـــترت خرطوماً مطاطياً بطول عشرين قدماً. لفَّت إحدى نهايته بإحكـــام حول أنبوب عادم كريستين ووضعت النهاية الأخرى في إحـــدى الـــنوافذ الخلفية للسيارة. صحيح أنها لم تكن تملك شهادة سوق، لكنها كانت تعرف كيف تشغلها. وذلك كان كل ما تحتاج إلى معرفته".

زممت شفتي وبلَّلتهما بلساني، وقلت: "أعتقد أنني سأحصل على ذلك المشروب الغازي الآن".

قـــال ليبـــي: "هل تتكرَّم وتجلب لي واحدة أخرى. إنها ستبقيني صـــاحياً. مع أنني أعتقد أنني سأبقى صاحياً معظم هذه الليلة على كل حال".

ذهـــبت لأحـــضر المشروبين من مكتب الفندق، ولدى عودتي تـــوقفت في ســـاحة إيقاف السيارات وفكرت في نفسي، *لعل السيارة ملعونة. لربما هي كذلك. إنها قصة أشبه بقصص الأشباح.*

لكن هذا الكلام سخيف، أليس كذلك؟

بالطبع إنه سخيف. فالسيارات لم تكن ملعونة بقدر الناس. هذا الكلام يصلح لفيلم رعب في ليلة السبت، لكنه بعيد كل البعد عن الحقائق اليومية التي تشكل الواقع.

أعطيته علبة المشروب الغازي، وسمعت بقية القصة، والتي يمكن تلخيصها بسطر واحد: عاش رولاند د. ليبي بتعاسة لبقية حياته. لقد احتفظ ليبي الوحداني بمنزله الصغير وبسيارة البليموث. وفي العام 1965، توقف عن العمل كحارس ليلي، وأوقف محاولاته الجهيدة للحفاظ على كريستين كي تبدو وتسير مثل سيارة جديدة.

"هل تعني أنها ظلت قابعة هناك في مكانها منذ العام 1965؟ لمدة ثلاث عشرة سنة؟".

"لا، لقد وضعها في المرأب بالطبع. لن يسمح الجيران أن تتعفن سيارة في حديقة أحد الأشخاص. في الريف، ربما، ولكن ليس في ضواحي الولايات المتحدة".

"لكنها كانت هناك عندما رأ -".

"صحيح، أعرف. لقد وضعها في الحديقة مع لافتة كُتب عليها *للبيع* ألصقها على النافذة. لقد سألت عن هذا الأمر. كنت أشعر بالفضول، ولهذا سألت في رابطة المحاربين القدامى. معظمهم كانوا قد فقدوا صلتهم برولي، لكن أحدهم قال إنه رأى السيارة هناك للمرة الأولى في شهر أيار الماضي".

كنت سأقول شيئاً ما لكنني أحجمت عن ذلك. خطرت ببالي فكرة رهيبة، وهي تتلخص ببساطة أن ليبي قرر وضع السيارة خارجاً *في الوقت المناسب تماماً*. لقد ظلت كريستين قابعة في ذلك المرأب المظلم لسنوات طويلة - ثلاث عشرة سنة. وبعد ذلك - قبل بضعة

أشـــهر فقـــط من مرورنا أنا وآرني بها، أخرجها رونالد ليبـــي فجأة، وألصق عليها لافتة كتب عليها للبيع.

في وقت لاحق، دققت في صحف بيتسبورغ وصحيفة ليبرتيفيل، *كيـــستون*، فـــوجدت أن ليبـــــي لم يقم بوضع إعلان من أجل بيع الفيوري أبداً، ليس في الصحف على الأقل، حيث يضع الناس سياراتهم من أجل بيعها. لقد وضعها بجانب الطريق المحاذي لمنـــزله - وهو حتى ليس طريقاً عاماً - وانتظر مجيء أحد الشراة.

لم أدرك تمامـــاً بقية الفكرة في حينها، لكنها كانت كافية لعودة ذلك الشعور بالرعب. كأنه كان يعرف أن شارياً ما سيأتي. إن لم يكن في أيار، ففي حزيران، أو تموز، أو آب. في وقت قريب.

لا، لم أدرك هذه الفكرة بشكل منطقي أو عقلاني، بل خطرت في ذهـــني صورة فطرية كلياً: نبات آكل للحشرات بجانب مستنقع، فاتح فكيه الخضراوين على وسعهما، منتظراً حشرة تحط عليه.

الحشرة المناسبة.

أخـــيراً قلت له: "أتذكر أنني اعتقدت أنه ربما تخلى عنها لأنه لم يكـــن يريد أن يخفق في امتحان القيادة. عندما يكبر المرء يجعلونه يخضع لهذه الامتحانات كل سنة أو سنتين".

هـــز جـــورج ليبـــــي برأسه وقال: "يبدو أن هذا ينسجم مع شخصية رولي، ولكن...".

"ولكن ماذا؟".

"أتذكر أنني قرأت في مكان ما - لا يمكنني أن أتذكر من قاله أو كتبه - أن هناك أزمنة في التاريخ البشري. عندما وصلنا إلى زمن المحرك البخاري، اخترع عدد من الرجال المحركات البخارية. لعل واحداً منهم فقـــط حصل على براءة الاختراع، ونوَّهت به كتب التاريخ، لكن كل

أولـــئك الرجال كانوا يعملون على فكرة واحدة. كيف تفسر ذلك يا دينيس؟ إنه فقط كان زمن المحرك البخاري".

أخذ رشفة من مشروبه وتابع: "ثم جاءت الحرب الأهلية، وفجأة أصـــبح الـــزمن زمـــن السفن المدرعة. وبعد ذلك جاء زمن البنادق الرشاشـــة، ثم زمـــن الكهرباء، ثم زمن اللاسلكي، وأخيراً زمن القنبلة الذريـــة. وكـــأن كل تلك الأفكار لم تأتِ من أشخاص بل من موجة عملاقـــة من الذكاء تتدفق على الدوام... موجة من الذكاء تقع خارج نطاق البشرية".

"وبالنسبة إلى شقيقك كان هناك زمن بيع كريستين؟".

"ربمـــا. هـــناك موسم لكل شيء؛ وقت للزرع ووقت للحصاد، وقـــت للحرب ووقت للسلم، وقت لوضع المقلاع جانباً ووقت لجمع الحجارة. هناك سالب لكل موجب. وعلى هذا الأساس، إذا كان هناك وقـــت *كريستين* في حياة رولي، فمن الممكن أنه جاء وقت بالنسبة إلى رولي لكـــي يـــضعها جانباً. وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد أنه أحس بـــذلك. لأنه كان حيواناً، والحيوانات تصغي جيداً لغرائزها". صمت قليلاً، ثم أردف قائلاً: "أو لعله سئم منها في نهاية المطاف".

هـــززت رأســـي مؤيداً الفكرة الأخيرة، غالباً لأنني كنت متلهفاً للرحيل، وليس لأنها كانت تفسر المسألة بشكل يرضيني. لم يرَ جورج ليبـــي السيارة يوم صرخ آرني طالباً مني التوقف. لم تكن البليموث 58 تـــبدو مـــثل سيارة كانت تقبع بسلام في مرأب. كانت قذرة ومليئة بالانـــبعاجات، والـــزجاج الأمامـــي كان متشققاً والمصد الخلفي شبه مكسور. كانت تبدو مثل جثة نُبشت وتُركت تتعفن في الشمس.

قـــال ليبـــي، وكأنه قرأ أفكاري – أو جزءاً منها على الأقل – : "لا أعلـــم الكثير عن طريقة عيش أخي أو عن شعوره خلال السنوات

الأخيرة من حياته، لكنني متأكد تماماً من شيء واحد يا دينيس. عندما أحس في العام 1965، أو في أي وقت كان، أن الوقت قد حان لوضع السيارة جانباً، قام بفعل ذلك. وعندما أحس أن الوقت قد حان لبيعها، وضعها للبيع".

توقـــف للحظات ثم أكمل: "ولا أظن أنني أملك أي شيء آخر لأقوله لك... باستثناء أنني أعتقد حقاً أن صديقك سيكون أكثر سعادة وهناء إذا تخلص من تلك السيارة. لقد نظرت إليه عن قرب. صديقك. لم يـــبدُ لي أنـــه شـــاب سعيد تماماً في الوقت الحالي، هل أنا مخطئ في هذا؟".

فكّرت في سؤاله جيداً. لا، لم تكن السعادة إحدى خواص آرني، ولا أعـــتقد أنها كانت في يوم من الأيام. ولكن قبل أن تبدأ قصته مع كريستين، كان يبدو أنه راضٍ على الأقل... كأنه توصل إلى تسوية ما مع الحياة.

"لا. إنك لست مخطئاً".

"لا أظن أن سيارة أخي ستجعله سعيداً، وإذا كان لها تأثير عليه، فهـــو العكس تماماً". وكأنه قرأ الأفكار التي خطرت بذهني منذ بضع دقائـــق، تابـــع كلامه، قائلاً: "إنني لا أعتقد باللعنات، كما تعلم. ولا بالأشـــباح أو أي شـــيء خـــارق للطبيعة. لكنني أعتقد أن للعواطف والأحـــداث... رنيـــناً طويل الأمد وأكيداً. ولربما يمكن للعواطف أن تتواصـــل مـــع نفسها في ظروف معينة، إذا كانت الظروف غريبة بما يكفي. أو لعلها مجرد فكرة خيالية سخيفة من طرفي. ربما لأنني سأشعر بارتـــياح أكـــبر إذا علمـــت أن السيارة التي اختنقت ابنة أخي فيها، وانتحرت زوجته فيها، قد وُضعت في مكبس، وتحولت إلى قطعة مكعبة من المعدن التافه".

"ســيد ليبــي، قلت إنك استخدمت شخصاً للاهتمام بمنــزل شقيقك إلى أن يتم بيعه، هل كان ذلك صحيحاً؟".

تململ قليلاً في كرسيه ثم قال: "لا، لقد كذبت بشكل فطري. لم أحــب فكــرة عودة تلك السيارة إلى ذلك المرأب... وكأنها وجدت طريقها إلى منــزلها. إذا كانت هناك عواطف وأحاسيس لا تزال حية، فإنهــا ســتكون موجودة هناك، وفي السيارة نفسها أيضاً". قال *نفسها* بالضمير المؤنث [her] لكنه صححها على الفور.

بعــد قلــيل، ودّعت ليبــي، واستقللت سيارتي، وتوجهت نحو المنــزل مفكراً في كل ما قاله لي. تساءلت إن كان سيشكل أي فرق بالنــسبة إلى آرني إذا أخــبرته حــول اختناق الطفلة وانتحار الأم في الــسيارة. كنت أعرف تماماً أن ذلك لن يشكل أي فرق بالنسبة إليه، فــآرني لا يقــل عــناداً على الإطلاق عن عناد رونالد ليبــي نفسه. والمــشهد الجمــيل الذي حدث مع والديه بسبب السيارة يؤكد ذلك بوضــوح. واستمراره في حضور دروس ميكانيك السيارات في معهد التدريب المهني يؤكد ذلك أيضاً.

تذكــرت قول جورج ليبــي، *لم أحب فكرة عودة تلك السيارة إلى ذلك المرأب... وكأنها وجدت طريقها إلى منــزلها.*

قــال أيضاً إن أخاه أخذ السيارة إلى مرأب ما للاعتناء بها بنفسه. والمــرأب الوحيد الذي يقدم الخدمة الذاتية في ليبرتيفيل هو مرأب ويل دارنــل. بالطبع، لربما كان هناك واحد آخر في الخمسينيات، لكنني لم أكــن أظــن ذلك. ففي داخلي، كنت أعتقد أن آرني يقوم بتصليحاته علــى كريستين في المكان نفسه الذي كانت تتلقى فيه العناية من رولي في السابق.

13

في وقت لاحق من ذلك المساء

كانـــت أمي وإيلين قد ذهبتا إلى النوم، لكن أبـــي كان لا يزال صاحياً يشاهد أخبار الساعة الحادية عشرة على التلفزيون. "أين كنت يا دينيس؟".

"ألعب البولينغ". خرجت الكذبة بشكل تلقائي وفطري. لم أكن أريد أن يعرف أبـــي أي شيء حول الأمر.

"اتـــصل آرني، وطلب مني أن أقول لك كي تتصل به إذا رجعت قبل الحادية عشرة والنصف".

نظرت إلى ساعتي. كانت الساعة الحادية عشرة والثلث. ولكن، ألم أكتفِ من آرني ومشاكل آرني في يوم واحد؟

"وبعدْ؟".

"وبعدْ ماذا؟".

"هل ستتصل به؟".

تنهدت وقلت: "نعم، أعتقد أنني سأفعل".

ذهـــبت إلى المطـــبخ، وحـــضَّرت لنفسي شطيرة دجاج باردة، وصـــببت كأســـاً من عصير الكوكتيل، واتصلت بآرني. رفع السماعة بنفسه مع الرنة الثانية. كان يبدو سعيداً ومتحمساً.

"دينيس! أين كنت؟".

"ألعب البولينغ".

"اسمع، ذهبت إلى مرأب دارنل الليلة، أتعلم؟ و- هذا شيء عظيم دينيس - لقد طرد ريبرتون! ريبرتون. وأنا بإمكاني البقاء!".

وضعت شطيرتي على الطاولة. فجأة لم أعد أريد المزيد. وقلت له: "آرني هل تعتقد أن إعادتها إلى هناك فكرة جيدة؟".

"ما الذي تعنيه؟ لقد رحل ريبرتون. ولا تبدو فكرة جيدة بالنسبة إليك؟".

تذكرت دارنل وهو يأمر آرني أن يوقف عمل محرك سيارته قبل أن تلوث مرأبه القذر، وهو يقول له إنه لا يقبل أي تفاهات من ولد مثله. وتذكرت الطريقة الخجلة التي أبعد بها عينيه عن عيني عندما أخبرني أنه قام *ببعض المهام* لدارنل من أجل رفع السيارة لتغيير الزيت. خطرت ببالي فكرة، وهي أن دارنل قد يجد من المسلي أن يحول آرني إلى خادم مطيع لديه. وقد يكون ذلك مسلياً لزبائنه الدائمين وأصدقائه لاعبي الورق أيضاً. آرني يذهب من أجل إحضار القهوة، آرني يذهب من أجل إحضار الفطائر المحلاة، آرني يغير لفائف ورق الحمام بأداة تزود الشخص بمناشف ورقية. هيي، *ويل، من هو صاحب العيون الأربع ذاك الذي ينظف الحمام؟... ذاك؟ اسمه كانينغهام. أبواه يعلّمان في الجامعة. إنه يأخذ دروساً في الغائط المنزلي هنا*. وسينفجرون بالضحك. سيصبح آرني مضحكة محلية في مرأب دارنل في شارع هامبتون.

فكرت في تلك الأشياء و لم أقلها له. على آرني أن يقرر ما يريد. لا يمكن أن يستمر هذا إلى الأبد، فآرني كان ذكياً جداً. أو هذا ما كنت أرجوه. صحيح أنه كان بشعاً، لكنه لم يكن غبياً.

"إن عدم وجود ريبرتون يبدو جيداً. كنت أفكر فقط في أن مرأب دارنل مجرد حل مؤقت. أعني، عشرون في الأسبوع، آرني، ذلك كثير جداً، إذا ما أضفت إليه أجور الأدوات ورفع السيارة وكل ذلك الهراء".

"لهـــذا السبب اعتقدت أن استخدام مرأب ليبـــي سيكون شيئاً رائعاً. تصورت أنني حتى لو دفعت خمسة وعشرين في الأسبوع، فذلك سيكون أفضل بكثير بالنسبة إليّ".

"حـــسناً، هذا صحيح تماماً. إذا وضعت إعلاناً في الصحيفة من أجل مكان تركن فيه السيارة، أراهن أنك –".

"لا، لا. دعني أكمل"، كان لا يزال متحمساً، "عندما ذهبت إلى هـــناك هذا المساء، أخذني دارنل جانباً على الفور، وقال إنه آسف لما تعرضت له من ريبرتون. وقال أيضاً أنه أخطأ في حكمه عليّ".

"هو قال ذلك؟" أعتقد أنني صدقته لكنني لم أثق في ما قاله دارنل.

"أجـــل. لقد سألني إذا كنت أحب أن أعمل لديه بدوام جزئي. عشر، ربما عشرون ساعة في الأسبوع خلال المدرسة. ترتيب الأشياء، تـــشحيم أدوات، رفـــع السيارات، ذلك النوع من الأشياء. وبوسعي الحـــصول علـــى مكـــان لإيقاف السيارة مقابل عشرة دولارات في الأسبوع، مع نصف أجور الأدوات والرفع. كيف يبدو ذلك؟".

اعتقدت أن ذلك كان جيداً جداً لدرجة أنه لا يُصدَّق.

"احذر يا آرني".

"ماذا؟".

"يقول أبـــي إنه مجرم؟".

"لم أجـــد أي شـــيء يدل على ذلك. أعتقد أن هذه كلها مجرد إشاعات، دينيس. إنه كثير الصراخ، هذا كل ما في الأمر باعتقادي".

"أقـــول لـــك فقط أن تبقى حذراً، هذا كل ما في الأمر". نقلت الـــسماعة إلى الـــيد الأخرى، وشربت بعضاً من العصير. "أبقِ عينيك مفتوحتين، واترك المكان بسرعة إذا شعرت بأي شيء مشبوه".

"هل تتحدث عن شيء محدد؟".

"لا. إنني فقط لا أثق به".

"حـــسناً. لكنها فرصة، فرصة حقيقية بالنسبة إليّ، إذا ما نجحت. كريـــستين... إنها متضررة فعلاً. لقد تمكنت من القيام ببعض الأشياء فـــيها، ولكـــن مقابـــل كل شيء أفعله تظهر لي أربعة أشياء أخرى. وبعضها لا أعرف كيف أصلحها، لكنني سأتعلم".

"صحيح". ثم تناولت قضمة من شطيرتي. بعد حديثي مع جورج ليبـــــي، عـــبرت حماستي تجاه صديقة آرني المفضلة، كريستين، نقطة الصفر، ودخلت المنطقة السالبة.

"إنهـــا بحاجة إلى إصلاح الواجهة الأمامية - اللعنة، إنها بحاجة إلى واجهـــة أمامية جديدة - ولُقَم مكابح جديدة... والحلقات بحاجة إلى العمـــل علـــيها... وربما سأحاول إعادة جلخ البستونات... لكنني لا أستطيع القيام بأي من هذه الأشياء بصندوق عدتي الذي يساوي أربعة وخمسين دولاراً. هل تفهم ما أعنيه يا دينيس؟".

"بالتأكـــيد. أنـــا أفهم ما تعنيه يا دينيس". بدا كأنه كان يتوسل موافقتي.

قال بارتياح: "جيد".

"آرني -".

"ماذا؟".

صـــمتُّ للحظة. أردت أن أسأله إذا قال دارنل أي شيء حول مجـــيء كريستين إلى محله من قبل، إذا ما تعرَّف عليها. بل كنت أريد إخـــباره بمـــا حدث للسيدة ليبـــي ولطفلتها الصغيرة، ريتا. لكنني لم أســـتطع. صـــحيح أنني ضقت ذرعاً بكريستين، لكنني كنت لا أزال أكترث لآرني. وهذا يعني أنه هذا الباب ينبغي أن يُغلَق للأبد. لا مزيد من الانسلال خفية وطرح الأسئلة، لا مزيد من المحاضرات.

"لا شـــيء. كـــنت فقط سأقول إنك وجدت مكاناً لخردتك. ڤماني".

"دينيس، هل تأكل شيئاً ما؟".

"نعم، شطيرة دجاج. لماذا؟".

"إنك تمضغ في أذني. يبدو ذلك مقرفاً فعلاً".

بدأت أمضغ بصوت عالٍ، وراح آرني يصدر أصواتاً تشبه التقيؤ. ضـــحكنا ســـوياً، وكان ذلك جميلاً؛ كان يشبه الأيام القديمة قبل أن يتزوج بتلك السيارة الغبية اللعينة.

"إنك وغد يا دينيس".

"هذا صحيح، تعلّمت ذلك منك"

"اغرب عن وجهي". وأقفل الخط.

أنهيت شطيرتي وعصيري، وغسلت الصحن والكأس، ثم عدت إلى غرفة الجلوس استعداداً للاستحمام والخلود للنوم. كنت منهكاً.

خـــلال حديثـــي مع آرني سمعت صوت إيقاف عمل التلفزيون فاعتقدت أن أبـــي صعد إلى الطابق العلوي، لكنه كان لا يزال جالساً علـــى كرســـيه القابـــل للإرجاع للخلف مرتدياً قميصاً مفتوحاً عند الـــصدر. لاحظـــت بشيء من عدم الارتياح كيف أصبح شعر صدره أشيب وكيف كان ضوء مصباح القراءة بجانبه يخترق شعر رأسه مظهراً جلدته الوردية. وأدركت بمزيد من القلق أنه سيصبح بعد خمس سنوات من ذلك الحين، أي بحلول انتهائي - نظرياً - من دراستي الجامعية، في الخمـــسين من عمره وأصلع الرأس. خمسون خلال سنوات، إذا لم يمت جراء نوبة قلبية أخرى. لم تكن النوبة الأولى سيئة؛ أخبرني عندما سألته أول وآخـــر مرة أنه لم يحدث له احتشاء عضلة قلبية. لكنه لم يخبرني أن

حدوث نوبة قلبية ثانية أمر وارد. كنت أعلم ذلك، وأمي كذلك، وهو أيـــضاً. باستثناء إيلين، التي كانت لا تزال تعتقد أن أباها منيع، بالرغم من أنني رأيت شيئاً من الشك في عينيها مرة أو مرتين.

مات بشكل مفاجئ.

قال أبـــي: "لم أستطع إلا أن أصغي لبعض ما كنت تقوله".

"صحيح؟".

"هل أوقع آرني نفسه في ورطة، دينيس؟".

"لا... لا أعلم بشكل أكيد".

"هل تريد التحدث حول الأمر؟".

"ليس الآن يا أبـــي. إذا كان ذلك ممكناً".

"حـــسناً. إذا أصـــبح الأمر... كما قلت على الهاتف، إذا أصبح مشبوهاً، هل ستخبرني بما يحدث، بالله عليك؟".

"أجل".

"حسناً".

كـــنت قـــد وصلت إلى السلم تقريباً عندما أوقفني أبـــي بقوله: "لقـــد دقّقـــت حسابات ويل دارنل، وأعددت تقارير ضرائب الدخل الخاصة به لمدة خمس عشرة سنة، أتعلم ذلك؟".

استدرت مدهوشاً بالفعل، وأجبته: "لا، لم أكن أعلم هذا".

ابتسم أبـــي. كانت ابتسامة لم أرَها على وجهه من قبل - أعتقد أن أمـــي يمكن أن تكون قد رأتها بضع مرات فقط، أما أختي فلعلها لم تـــرَها علـــى الإطلاق. قد تظن في البداية أنها نوع من ابتسامة ناعسة، لكـــنك إذا نظرت عن قرب أكثر فستجد أنها كانت ابتسامة ساخرة، وقاسية، وواعية تماماً.

"هل يمكنك أن تبقي فمك مغلقاً بخصوص أمر ما، يا دينيس؟".

"نعم، أعتقد ذلك".

"لا ينبغي أن تعتقد ذلك فقط".

"بل أستطيع".

"هـــذا أفضل. لقد دققت حساباته حتى العام 1975، وبعد ذلك حـــصل علـــى بيل أبشو من مونروفيل. لن أقول إن أبشو محتال لكنني ســـأقول إن اعتباراته الأخلاقية شفافة جداً لدرجة أنك تستطيع قراءة صحيفة من خلالها. وفي العام الماضي اشترى لنفسه منـــزلاً على الطراز التيودوري الإنكليزي مقابل 300,000 دولار في سويكلي. اللعنة على نسب الفائدة".

أشار إلى منـــزلنا بتلويحة صغيرة من يده ثم تركها تسقط مجدداً في حضنه. ثم قال: "لا يوجد تيودور إنكليزي هنا، هه، ديني؟".

"إنه جيد". عدت وجلست على الأريكة بجانبه.

"دارنـــل وأنا افترقنا بشكل ودي تماماً. ليس لأنني كنت أكترث كثيراً له، فهو شخص حقير".

هززت رأسي موافقاً، لأن ما قاله أعجبني؛ كان يعبِّر عن شعوري نحو ويل دارنل بأفضل مما يمكن أن تعبِّر عنه أي شتيمة بذيئة.

"ولكـــن، هناك اختلاف كبير جداً بين العلاقة الشخصية وعلاقة العمـــل. إمـــا أن تتعلَّم ذلك بسرعة في هذا العمل أو تتركه وتبدأ ببيع فراشي فولر من باب إلى باب. كانت علاقة العمل بيننا جيدة... لكنها لم تصل إلى المدى الكافي. ولهذا السبب طلبت إيقافها في نهاية المطاف".

"إنني لا أفهمك".

"ظلت الأموال تظهر. كميات كبيرة من الأموال من دون أصول واضـــحة. وبطلب من دارنل استثمرت في شركتين من أغنى الشركات التي عرفتها في حياتي - بنسلفانيا سولار هيتينغ ونيويورك تيكيتينغ. في

النهاية، ذهبت لرؤيته، لأنني أردت أن تكون كل أوراقي فوق الطاولة. أخـــبرته أن رأيي المهني هو التالي، إذا دُققت حساباته من قبل مصلحة الـــضرائب أو مـــن قبل شباب الضرائب في اتحاد بنسلفانيا، فإنه على الأرجـــح سيـــضطر إلى شرح الكثير، وأنه لن يمضي وقت طويل قبل أعرف الكثير بحيث إنني لن أكون مفيداً له".

"وماذا قال لك؟".

"بـــدأ بالـــرقص". كـــان لا يزال يرسم تلك الابتسامة الناعسة الساخرة. "في مهنتي، تبدأ بتعلم خطوات الرقص عندما تصبح في الثامنة والـــثلاثين أو نحو ذلك... إذا كنت جيداً في عملك. وأنا لم أكن سيئاً إلى ذلك الحدّ. تبدأ الرقصة عندما يسألك الشخص إذا كنت سعيداً في عملك، إذا كان أجرك كافياً. إذا قلت إنك تحب العمل لكنك متأكد من أنه يمكن أن يكون أفضل، فيشجعك الرجل على التحدث عن أي شيء تحمله على ظهرك: سيارتك، تعليم أولادك الجامعي؛ لعلك تملك زوجـــة ذات ذوق في الثياب أفخم قليلاً من قدرتها على توفيره بالسبل القويمة.... أتفهم؟".

"يختبرك؟".

"بـــل يتحســـسك هي الكلمة الأقرب"، ضحك قليلاً، "أجل. الرقصة تشبه تماماً في تنسيقها الرقصات الأرستقراطية القديمة بأطوارها، ووقفاتها، وخطواتها. وبعد أن يكتشف الرجل أي نوع من الأعباء المالية تود التخلص منها، يبدأ بسؤالك عن الأشياء التي تود أن تملكها. سيارة كـــاديلاك، منـــزل صيفي في جبال كاتسكينـــز أو جبال بوكونو، أو ربما قارب".

توقفت قليلاً عند هذه الأخيرة، لأنني كنت أعرف أن والدي كان يرغب بشدة في الحصول على قارب. لقد ذهبت معه مرتين في الصيف

إلى مارينا على امتداد بحيرة كينغ جورج وبحيرة باسيونكي. سأل عن أسعار اليخوت الصغيرة، ورأيت النظرة الحزينة في عينيه. الآن فهمت لماذا. كانت أغلى ثمناً من قدرته على شرائها. ربما لو اتخذت حياته طريقاً مختلفاً - إذا لم يكن لديه أولاد ليفكر في تأمين دراستهم الجامعية، مثلاً - لاستطاع شراء أحدها.

"وقلت لا؟".

هز كتفيه وقال: "أوضحت له في وقت مبكر أنني لم أكن أريد الرقص. أولاً، لأن ذلك كان سيعني التورط معه على المستوى الشخصي، وكما قلت لك، كنت أعتقد أنه حقير. وهناك سبب آخر، وهو أن كل هؤلاء الأشخاص أغبياء في ما يختص بالأرقام؛ ولهذا أُدين الكثير منهم بتهم ضريبية. إنهم يعتقدون أنك قادر على إخفاء الدخل غير القانوني. إنهم متأكدون من ذلك"، ضحك ثم تابع، "كلهم لديهم هذا الاعتقاد الباطني وهو أنك قادر على غسل الأموال كما تغسل ثيابك، في حين أن كل ما تستطيع فعله هو تقاذفها من يد ليد - كما يفعل لاعبو السيرك - إلى أن يسقط شيء ما ويتحطم على رأسك".

"هذان هما السببان؟".

"اثنان من ثلاثة"، نظر إلى عيني، "أنا لست محتالاً لعيناً، دينيس".

حدثت بيننا لحظة اتصال مكهربة، حتى الآن، بعد أربع سنوات من حدوثها، يقشعر بدني عندما أفكر فيها، بالرغم من أنني غير قادر على إيصالها لكم بأي حال من الأحوال. ربما لأنه كان يعاملني كندّ له للمرة الأولى في تلك الليلة، أو لأنه كان يريني الجانب المخفي الباحث عن المغامرة داخل رجل محافظ يكافح من أجل تأمين لقمة عيشه في عالم قذر وقاس، رجل أكل نصيبه من الوحل.

ثم أنـــــزل عينـــيه، وابتسم ابتسامة دفاعية، وقال بصوت أجش يشبه صوت نيكسون (وكان يتقن تقليده): "أنتم تستحقون أن تعرفوا إذا كـــان والـــدكم محتالاً. حسناً، أنا لست محتالاً، كان بإمكاني أخذ المال، لكن... ذلك *حرام!*... ذلك خطأ".

ضـــحكت بصوت عالٍ، وزال التوتر؛ أحسست أن تلك اللحظة عبرت بسلام، بالرغم من أنها كانت شديدة التوتر. وأعتقد أن والدي أحس بذلك أيضاً.

"شـــشش، ســـتوقظ أمـــك، وإذا استفاقت سنرى عقابنا لبقائنا صاحيين لهذا الوقت المتأخر".

"صحيح، آسف. بابا، هل تعرف بما هو متورط؟ أعني دارنل".

"لم أكـــن أعرف حينئذ، ولم أكن أريد أن أعرف، لأنني سأكون جـــزءاً مـــن ذلك في حينه. كانت لدي شكوكي، كما سمعت بعض الأشـــياء. سيارات مسروقة، أظن - لا يعني ذلك أنه كان يصرِّفها عبر ذلـــك المرأب في شارع هامبتون، فهو ليس غبياً إلى هذا الحد، وحده الأحمق يتغوط حيث يأكل. وربما التهريب أيضاً".

"أسلحة وأشياء من هذا القبيل؟".

"ليس شيئاً رومانسياً بالتأكيد. وإذا كان عليّ أن أخمِّن، فسأقول دخان، على الأغلب - دخان وشراب، المادتان المتوفرتان الأكثر قدماً. وتهـــريب أشـــياء ممـــنوعة مـــثل الألعـــاب النارية. ربما شحنة أفران مايكروويف أو تلفزيونات ملونة بين الحين والآخر، إذا كانت المخاطرة ضئيلة. ما يكفي لإبقائه مشغولاً طوال تلك السنوات".

نظـــر إليّ بجدية، ثم استأنف حديثه: "إنه يلعب على الاحتمالات بشكل جيد، لكنه في الوقت نفسه كان محظوظاً لمدة طويلة، دينيس. أو لعلـــه لم يكن بحاجة إلى الحظ هنا في هذه البلدة - إذا كان الأمر يتعلق

بليـــبرتيفيل فقط، فأظن أنه قادر على الاستمرار إلى الأبد، لكن رجال الــضرائب الحكومـــيين مـــثل أسماك القرش الرملية، ورجال الشرطة الفدرالية مثل أسماك القرش البيضاء العملاقة. صحيح أنه كان محظوظاً، لكنهم في يوم من الأيام سينقضُّون عليه مثل سور الصين العظيم".

"هل... هل سمعتنا ونحن نتحدث؟".

"لـــيس الهمـــس، لـــست ميالاً إلى فعل ذلك. لكنني أحب آرني كانينغهام كثيراً، وأعرف أنك كنت قلقاً بشأن موضوع السيارة".

"نعـــم. إنـــه... إنـــه لا يتصرف بشكل طبيعي، بابا. كل شيء السيارة، السيارة، السيارة، السيارة".

"الأشخاص الذين لا يملكون الكثير يميلون إلى التصرف على هذا النحو. أحياناً تكون سيارة، أحياناً فتاة، أحياناً مهنة أو أداة موسيقية أو تعلـــق مرضي بشخصية مشهورة. كنت أذهب إلى الجامعة مع شخص طويل دميم كنا نسميه ستورك. بالنسبة إلى ستورك، كان ذلك الشيء هو مجموعته من نماذج القطارات... كان متعلقاً بنماذج القطارات منذ أن كـــان في الصف الثالث الابتدائي، وكانت مجموعته على وشك أن تصبح الأعجوبة الثامنة في العالم. خرج من الجامعة في الفصل الثاني من ســـنته الأولى. كانـــت علاماته سيئة للغاية، ووصل ستورك إلى نقطة توجَّب عليه فيها أن يختار بين الجامعة ومجموعته، فاختار القطارات".

"ماذا حلَّ به؟".

"قتل نفسه في العام 1961"، وقف على قدميه، "ما أريد قوله هو أن الأشخاص الطيبين يمكن أن يصيبهم العمى في بعض الأحيان، وليس دائمـــاً الذنب ذنبهم. لربما سينسى دارنل أمره، سيكون مجرد شخص اخر يعبث تحت سيارته. ولكن، إذا حاول دارنل استغلاله، فكنّ عينيه، دينيس. لا تدعهم يجرونه إلى الرقص".

"حسناً، سأحاول. ولكن، قد لا يكون باستطاعتي الكثير لأفعله".

"صحيح، كم أنا متأكد من ذلك. هل تريد أن تصعد؟".

"بالتأكيد".

صعدنا إلى الطابق العلوي، وبالرغم من أنني كنت مرهقاً، إلا أنني بقيت صاحياً لفترة طويلة. كان يوماً حافلاً. وفي الخارج كانت هناك ريح خفيفة تلاعب برقة أحد الأغصان بجانب المنزل، ومن مكان بعيد سمعت صوت احتكاك دواليب سيارة بالإسفلت؛ لأن الوقت متأخر كان الصوت عالياً جداً ويشبه ضحكة بشعة لامرأة هستيرية.

14

كريستين ودارنل

لم يكن آرني يرى والديه كثيراً بسبب تمضية وقته متنقلاً بين العمل في مشروع الإنشاء في النهار والعمل على كريستين في الليل. ولهذا السبب، أصبح منزل عائلة كانينغهام - الذي كان في الماضي منزلاً بهيجاً ومنضبطاً - معسكراً مسلحاً. إنها حالة عامة لا بد أن الكثير من الأشخاص يتذكرونها من سنوات مراهقتهم. المراهق شخص مغرور بما يكفي لكي يعتقد، أو تعتقد، أنه الشخص الوحيد في العالم الذي يكتشف شيئاً ما (عادة تكون فتاة، ولكن ليس بالضرورة)، والآباء يكونون مذعورين وأغبياء ومتملّكين لدرجة أنهم لا يريدون إفلات الحبل. الخطايا يرتكبها الطرفان. وفي بعض الأحيان يصبح الأمر مؤلماً ومشيناً، لا توجد حرب أكثر قذارة ومرارة من الحرب الأهلية. وهي كانت مؤلمة على نحو خاص في حالة آرني لأن الانشقاق جاء متأخراً جداً، ولأن أبويه اعتادا منذ وقت طويل على اتباع أسلوبهما.

مـــن هـــنا، ليس من الظلم في شيء القول إنهما هما اللذان رسما معالم حياته.

لهذا السبب، عندما اقترح مايكل وريجينا تمضية إجازة لمدة أربعة أيـــام في منـــزلهما بجانب البحيرة شمال نيويورك قبيل بدء المدرسة، قال آرني نعم بالرغم من أنه كان يريد بشدة تلك الأيام الأربعة للعمل على كريـــستين. كـــان يقول لي كثيراً في العمل إنه *سيريهم*؛ كان سيحول كريستين إلى سيارة حقيقية *ويريهم جميعاً*. كان قد خطط مسبقاً لإعادة السيارة إلى لونها الأصلي، الأحمر والعاجي، بعد الانتهاء من العمل على هيكلها.

لكنه ذهب معهما، عازماً على *نعم يا سيدي* طوال الأيام الأربعة والاســـتمتاع بوقته مع أبويه. ذهبت إلى منـــزلهم مساءً قبل مغادرتهم، وأحسست بالارتياح لأنهما برّآني من الملامة في مسألة سيارة آرني (التي لم يكـــونا قد رأياها بعد). كان واضحاً أنهما قررا أن الأمر كان هوساً خاصاً بآرني. وذلك كان مناسباً بالنسبة إليّ.

كانت ريجينا منشغلة بحزم الأمتعة، بينما أخذنا أنا وآرني ومايكل قـــاربهم الصغير ووضعناه فوق سيارتهم ثم ثبتناه. وعندما انتهينا اقترح مايكل على ابنه - بنبرة ملك قوي يمنح اثنين من رعاياه المفضلين عطية كريمة إلى أبعد الحدود - أن يدخل ويجلب بعض شراب الشعير. فقال له آرني - مصطنعاً تعبير ونبرة شخص ممتن ومندهش - إن ذلك رائع. وبينما كان يلتفت للدخول غمزني بطرف عينه.

اســـتند مايكـــل علـــى السيارة، وأشعل سيجارة وقال لي: "هل سيسأم من مسألة تلك السيارة، دينيس؟".

"لا أعرف".

"هل تصنع معي معروفاً؟".

"بالتأكـــيد، إذا كان باستطاعتي". كنت متأكداً من أنه سيطلب مني أن ألعب دور الناصح، وأحاول إقناع آرني بالتخلي عن السيارة.

لكنه لم يفعل، بل قال: "إذا سنحت لك فرصة، اذهب إلى مرأب دارنل وانظر أي نوع من التقدم يحرز. إنني مهتم".

"لماذا؟" اعتقدت أنه سؤال فظ لعين، لكنه كان قد خرج وانتهى الأمر.

قـــال ببساطة: "لأنني أريده أن ينجح. أوه، ريجينا لا تزال متصلبة حـــيال الأمر. إذا كان يملك سيارة، فهذا يعني أنه يكبر، وهذا يعني... كـــل شيء" - قال ذلك بحزن - "لكنني لست كذلك. لا يمكنك أن تصنفني كمتصلب ضد الأمر بأي شكل من الأشكال، على الأقل ليس بعـــد الآن. بالطبع، لقد فاجأني في البداية... تخيلت سيارة عتيقة تقبع أمـــام منـــزلنا إلى أن يذهب آرني إلى الجامعة، أو يختنق ذات ليلة حتى الموت بغاز العادم".

انبثقت صورة فيرونيكا في ذهني بشكل تلقائي.

"ولكـــن الآن..." هزّ كتفيه، ونظر إلى الباب الواقع بين المرأب والمطبخ، ثم رمى السيجارة، وأطفأها بقدمه. "من الواضح أنه مصمم. لقد وضع احترامه لذاته على المحك. أود على الأقل أن أراها تسير".

لعلـــه رأى شـــيئاً ما في وجهي، لأنه بدا وكأنه يدافع عن نفسه عندما واصل كلامه.

"لم أنسَ تماماً كل شيء عن كون المرء شاباً. أعرف أن السيارة هامة بالنـــسبة إلى عمر آرني. ريجينا لا يمكنها أن ترى ذلك بوضوح. أذكر أن السيارة ضرورية... إذا أراد الشاب الحصول على موعد مع فتاة".

إذاً، هـــذا مـــا كان يعتقده بشأن الغاية من السيارة. كان يعتبر كريـــستين مجـــرد وسيلة للوصول إلى غاية ما، وليست غاية بحدّ ذاتها.

تساءلت ماذا كان سيفكر لو أخبرته أنني كنت أظن أن آرني لم يكن يفكر أبداً في أي شيء أبعد من جعل كريستين صالحة للسير على الطرقات. تساءلت إذا كان هذا سيجعله أكثر أم أقل قلقاً.

سمعنا صوت باب المطبخ يُغلَق.

"هل ستذهب وتلقي نظرة؟".

"أظن ذلك، إذا كان هذا ما تريد".

"شكراً".

عاد آرني حاملاً علب شراب الشعير.

سأل آرني: "لماذا الشكر؟" كان صوته رقيقاً، لكن عينيه كانتا تتنقلان بسرعة بيننا. لاحظت مجدداً أن بشرته كانت تصفو بالفعل، وأن وجهه أصبح مشدوداً. للمرة الأولى، لم تبدُ فكرتا *آرني* و*المواعيد مع الفتيات* أنهما متناقضتان. خطر ببالي أن وجهه كان أقرب لأن يكون وسيماً. صحيح أنه لن يكون أبداً من النوع الذي تفضّله روزان، ولكن...

قال مايكل: "لمساعدته لنا في تثبيت القارب".

"آه".

شربنا شراب الشعير، ثم ذهبت إلى منزلي. وفي اليوم التالي انطلق الثلاثي السعيد إلى نيويورك، من أجل استعادة لحمة العائلة التي فقدوها خلال الثلث الأخير من الصيف.

قبل يوم من موعد عودتهم، ركبت السيارة قاصداً مرأب دارنل، ليس فقط من أجل إرضاء فضول مايكل كانينغهام بل من أجل إرضاء فضولي أنا أيضاً.

ركنت السيارة، وترجلت منها، ومشيت باتجاه المرأب. كان رنين الأدوات، وصياح الرجال، وضجيج الهواء المضغوط مسموعة من

الخـــارج. رأيـــت رجلاً يبدو من منظره أنه لم يكن قويماً. كان يرتدي سترة جلدية مشققة، ويعبث بدراجته النارية بجانب المرأب، إما أنه كان ينـــــزع مـــشعب توزيع الوقود أو يعيد تركيبه. كان هناك أثر شبيه بالحـــرق على وجنته اليسرى؛ كان واضحاً أنه ناتج عن السقوط عن الدراجة. وعلى الجزء الخلفي من سترته الجلدية كانت مرسومة جمجمة عليها قبعة عسكرية خضراء مع شعار.

رفـــع رأســـه، ونظر إليّ، ثم عاد للاهتمام بما كان يعمل؛ كانت عيـــناه حمراوين ومخيفتين. وكانت هناك مجموعة متنوعة من الأدوات منتشرة بجانبه، كل واحدة منها كانت ممهورة باسم **مرأب دارنل**.

في الـــداخل، كان العالم يعج بصدى أصوات طرق الأدوات ورجـــال يشتمون بألفاظ بذيئة - دائماً باستخدام الجنس المؤنث - علـــى السيارات التي يعملون عليها: اخرجي من هنا أيتها الساقطة، تحلحـــل أيهـــا الفـــرْج، تعالَ إلى هنا يا ريك وساعدني على هذه الساقطة.

تلفَّـــتُّ حولي بحثاً عن دارنل، فلم أجده في أي مكان. لم يعرني أحـــد أي انتـــباه، فمشيت نحو الموقف عشرين حيث كانت كريستين مـــركونة، كانـــت مقدمتها هذه المرة متجهة نحو الخارج. في الموقف الموجود على يميني كان هناك شخصان بدينان يلبسان قميصين خاصين بدوري البولينغ، يركّبان غطاء على سيارة بيك أبّ عتيقة. أما الموقف الموجود في الجهة اليسرى فكان فارغاً.

عـــندما اقتـــربت مـــن كريستين أحسست بعودة القشعريرة إلى جـــسدي. لم يكن هناك أي سبب لهذا الشعور لكنني لم أستطع منعه، ومن دون وعي مني تحركت قليلاً نحو اليسار، باتجاه الموقف الفارغ. لم أكن أريد أن أكون أمامها.

أول انطباع تكوَّن لدي من مشاهدتي للسيارة هو أن بشرة آرني تحسنت بالتوافق مع *بشرة* كريستين. والانطباع الثاني هو أن آرني كان يقوم بتحسيناته على السيارة بطريقة غير منظمة... مع أنه منظم ومنهجي، في العادة.

لقد استُبدل الهوائي الملتوي والمكسور بواحد مستقيم جديد كان يلمع تحت ضوء مصابيح الفلوريسينت المشعة. واستُبدل نصف شبكة المبرِّد الأمامية، بينما كان النصف الآخر لا يزال على حاله. ولكن، كان هناك شيء آخر...

مشيت عابساً بمحاذاة جانبها الأيمن متجهاً نحو المصد الخلفي فلم أجد شيئاً. قلت في نفسي، *حسناً، لا بد أنه موجود على الجانب الآخر، هذا كل ما في الأمر*. فألقيت نظرة على الجانب الآخر لكنني لم أجد شيئاً أيضاً.

وقفت بجانب الجدار الخلفي - لا أزال عابساً - محاولاً التذكر. كنت متأكداً من أننا عندما رأيناها للمرة الأولى مركونة في حديقة ليبي، كان هناك انبعاج صدئ كبير الحجم على أحد جانبيها، بالقرب من الجزء الخلفي. بدأت أظن أنني حتماً توهمت وجوده. لكنني رفضت تصديق هذه الفكرة. لقد كان موجوداً بالفعل، كنت أذكر ذلك بوضوح. ولمجرد عدم وجوده حينئذ لا يعني أنه لم يكن موجوداً آنذاك. كان واضحاً أن آرني قام بعمل متقن على الهيكل بحيث غطّاه كلياً.

لكن، لم تكن هناك أي إشارة على أنه قام بفعل أي شيء على الهيكل. إذ لم أرَ أثراً لطلاء أساسي، أو معجونة ما قبل الطلاء، أو طلاء نهائي. كان لون كريستين (الأبيض والأحمر) الباهت لا يزال على حاله.

وقفــت هــناك وســط قعقعة الأدوات والآلات، وشعرت بوحدة شديدة، ثم بخوف مفاجئ. كل شيء كان غير صحيح، ومجنوناً. لقد غيَّر هوائــي المــذياع في حين أن الوصلة الملتوية الملحقة بأنبوب العادم كانت متجرجرة على الأرض. وغيَّر نصف شبكة المبرد من دون النصف الآخر. وكان قد أخبرني عن نيته تغيير المقدمة، فإذا به يستبدل غطاء المقعد الخلفي الممزق والمغبرّ بواحد أحمر براق جديد. في حين أن المقعد الأمامي كان لا يزال ممزقاً ومغبراً مع نابض بارز من جهة مقعد الراكب.

لم يعجــبني ذلــك بتاتاً. ما كنت أراه أمامي لم يكن يمت لآرني بصلة. لم يكن يشبهه على الإطلاق.

فجأة أحسست برغبة شديدة في إلقاء نظرة على المحرك.

مشيت نحو المقدمة، وبحثت عن محرر غطاء المحرك، فلم أجده. ثم فكّــرت في أنه ربما يكون موجوداً في الداخل. هممت بالالتفاف حولها فإذا بــي أرى شيئاً آخر أثار الرعب في داخلي. من الممكن أن أكون غــير مصيب بشأن ذلك الانبعاج على أحد جانبــي السيارة. صحيح أنــني كنت أعلم أنني لم أكن غير مصيب، ولكن لنقل أن ذلك ممكن على الأقل.

ولكن، كان هذا شيئاً مختلفاً كلياً.

كانــت التــشققات علــى الــزجاج الأمامي، التي تشبه شبكة العنكبوت، أصغر حجماً. كنت *متأكداً* من أنها كانت أصغر.

رجعــت بذاكرتي بسرعة إلى ذلك اليوم منذ شهر عندما دخلت مــرأب ليبــــي لإلقاء نظرة على السيارة بينما كان آرني وليبــي في المنــزل يتمان الصفقة. كان الجزء الأيسر من الزجاج الأمامي بأكمله عــبارة عــن شبكة عنكبوت من التشققات المتشعبة من مركز متعرج واحد ربما كان ناتجاً عن ضربة حجر.

لكـــن شـــبكة العنكبوت بدت أصغر حينئذ - أصغر بحيث كان بإمكاني رؤية داخل السيارة من تلك الجهة، مع أن ذلك لم يكن ممكناً في السابق، كنت واثقاً من ذلك (*مجرد لعبة ضوء، هذا كل ما في الأمر*، قلت في نفسي).

لا بـــد أنـــني كنت غير مصيب، لأن ذلك مستحيل - مستحيل ببـــساطة. باستطاعتك استبدال الزجاج الأمامي، إذا كان المال متوفراً، ولكن أن تجعل شبكة من التشققات تتقلص -.

ضحكت قليلاً. كان الصوت مرتعشاً فانتبه أحد الرجلين البدينين اللـــذين كانـــا يعمـــلان على تركيب غطاء للبيك أبّ ثم قال شيئاً ما لـــصديقه. من المؤكد أن السبب هو الضوء، ولا شيء آخر. لقد رأيت الـــسيارة للمـــرة الأولى عندما كانت الشمس الغاربة تضرب أشعتها مباشـــرة على الزجاج المتشقق، ورأيتها في المرة الثانية في ظلال مرأب ليبـــــي، أمـــا الآن فأنا أراها تحت أضواء الفلوريسينت المشعة. ثلاثة أنواع مختلفة من الضوء، أي أن المسألة مجرد خداع بصري.

مع ذلك، كنت لا أزال أرغب بالنظر تحت غطاء المحرك. أكثر من أي وقت مضى.

اتجهـــت نحـــو باب السائق، وحاولت فتحه فلم ينفتح. كان مقفـــلاً. بالطـــبع كان مقفلاً، فأزرار قفل الأبواب الأربعة كانت منـــــزَلة. لم يكن آرني ليترك السيارة مفتوحة هنا، فقد يدخل أحد الأشـــخاص إليها، ويعبث بداخلها. صحيح أن ريبرتون رحل، لكن الأشرار أكثر شيوعاً من الأعشاب الضارة. ضحكت مجدداً - يا لك من سخيف يا دينيس - لكنها هذه المرة بدت أعلى وأكثر ارتعاشاً. بدأت أشعر بشيء من الدوخة، كما كنت أشعر أحياناً في الصباح بعد تدخين الماريجوانا.

إن إقفـــال أبواب السيارة أمر طبيعي جداً - ماشي الحال - لولا أنـــني كـــنت أعتقد أنني لاحظت أن أزرار قفل الأبواب كلها كانت مرفوعة عندما مشيت حولها في المرة الأولى.

مـــشيت مجدداً نحو الجزء الخلفي ببطء وأنا أنظر إلى السيارة. لم أكن أفكر في أي شيء محدد؛ إلا في شيء واحد ربما، وهو أنها عرفت أنني كنت أريد دخولها وتحرير غطاء المحرك.

ولأنها لم تكن تريدني أن أفعل ذلك، أقفلت أبوابها؟

تلك كانت فكرة مضحكة بحق، لدرجة أنني ضحكت مرة أخرى (هذه المرة كان هناك عدة أشخاص ينظرون إلي كما ينظر الناس دائماً إلى أشـــخاص يـــضحكون مـــن دون ســـبب واضح عندما يكونون لوحدهم).

ســـقطت يد ثقيلة على كتفي وأدارتني. التفتُّ فرأيت ويل دارنل مع بقية سيجار مطفأ محشور في إحدى زاويتي فمه. كانت نهايته رطبة وذات منظـــر مقرف إلى حدٍّ كبير. كان يضع نظّارة صغيرة، وخلفها عينان تخمّنان ببرود ما كنت أقوم به.

"ماذا تفعل أيها الولد؟ هذه البقعة ليست ملكاً لك".

كان الشخصان البدينان ينظران إلينا بشغف. وكَز أحدهما الآخر وهمس له بشيء ما.

"إنهـــا تخص صديقاً لي. لقد جلبتها إلى هنا معه. لعلك تذكرني. كنت ذلك الشخص صاحب الورم الجلدي الضخم على نهاية أنفي و-".

"إنـــني لا آبـــه إذا جئت بها على زلاجة. خذ نكاتك السمجة، واخرج من هنا أيها الولد. اغرب عن وجهي".

كان أبـــي محقاً، فهو كان شخصاً حقيراً بالفعل. وكنت سأكون أكثر من سعيد للخروج من هناك، كان بوسعي التفكير في ألف مكان

أفضِّل التواجد فيه في ذلك اليوم الذي يسبق نهاية العطلة الصيفية بيومين. لكن السيارة كانت تقلقني. كن عينيه، هذا ما قاله لي أبي، ولكن، المشكلة هي أنني لم أكن أصدق ما أراه.

"اسمي دينيس جيلدر. كان أبي يدقق حساباتك في السابق، أليس كذلك؟".

رمقتني عيناه الصغيرتان، اللتان تشبهان عيني حيوان مقرف، بنظرة طويلة ليس فيها أي تعبير على الإطلاق، بحيث شعرت إنه سيقول لي إنه لا يكترث لمن يكون أبي، وأن من الأفضل لي أن أخرج من هنا، وأدع أولئك الرجال العاملين يتابعون إصلاح سياراتهم حتى يتمكنوا من مواصلة وضع الخبز على موائدهم. وغير ذلك.

لكنه ابتسم بعد ذلك، بالرغم من أن ابتسامته لم تلامس عينيه أبداً، وقال: "أنت ابن كيني جيلدر؟".

"أجل، هذا صحيح".

ربَّت على غطاء محرك سيارة آرني براحة يده الثقيلة، فلاحظت أن فيها خاتمين، وأن أحدهما كان يبدو أنه ألماس حقيقي. "أعتقد إذن أنك شاب قويم بما يكفي. إذا كنت ابن كيني". ظننت لوهلة أنه كان سيطلب مني إبراز بطاقة الهوية.

عاد البدينان للعمل على غطاء سيارتهما؛ كان واضحاً أنهما أصبحا متأكدين من أنه لن يحدث أي شيء مشوق.

"هيّا إلى مكتبي ودعنا نتحدث". قال ذلك ثم استدار، وبدأ المشي من دون حتى أن يلتفت إلى الخلف. يبدو أنه كان واثقاً من امتثالي. كان يتوقف بين الحين والآخر ويلقي نظرة فاحصة إلى المرأب في أثناء توجهه نحو المكتب، الذي كان يشرف على المرأب من خلال واجهة زجاجية. ذكَّرني نوعاً ما بمولوك Moloch، الذي نقرأ عنه في

مـــادة **أصـــول الأدب**؛ الـــذي يستطيع رؤية كل شيء بواسطة عينه الحمـــراء الوحيدة. صرخ دارنل في شخص محذراً إياه بوضع الخرطوم علـــى أنبوب عادمه وإلا فإنه سيطُرَد خارجاً. وقال شيئاً ما لرجل آخر يـــتعلق بنيكي (وهذا أثار نوبة ضحك شديدة من كليهما). وصرخ في وجه آخر كي يلتقط علب البيبسي كولا اللعينة من على الأرض، قائلاً له، "هل وُلدت في مكب للنفايات؟" من الواضح أن ويل دارنل لم يكن يعرف شيئاً عما كانت تدعوه أمي دائماً *نبرة الصوت الطبيعية*.

بعد لحظة من التردد، تبعت ويل دارنل إلى المكتب. الفضول قتل القطة.

كـــان مكتبه قذراً جداً - يشبه كل مكاتب المرائب من الساحل إلى الـــساحل في بلد يشتهر بالمطاط والذهب. كان هناك تقويم ملوث بالشحم ملحق بصورة لحسناء شقراء ترتدي سروالاً قصيراً جداً وبلوزة مفـــتوحة وهـــي تتسلق على سياج في منطقة ريفية؛ ولوحات معدنية منقوش عليها كتابات غير مقروءة لنصف دستة من الشركات التي تبيع قطـــع السيارات؛ وكدسة من سجلات الحسابات؛ وآلة حاسبة قديمة؛ وصـــورة لـــويل دارنل يركب دراجة نارية صغيرة، بدت وكأنها على وشك الانهيار تحت وطأة ثقله. وكان المكان مشبعاً برائحة سيجارات مهجورة منذ مدة طويلة بالإضافة إلى رائحة عرَق.

جلس دارنل على كرسي دوار ذي مسندين خشبيين، فأصدرت الـــبطانة صفيراً تحته. أسند ظهره على الكرسي، ثم أخذ عود ثقاب من الرأس المجوف لتمثال فارس زنجي. ضرب العود على قطعة ورق كاشط كانـــت موضـــوعة على حافة مكتبه، وأشعل عقب السيجار الرطب فسعل بشدة ولمدة طويلة. كانت هناك صورة للقط جارفيلد معلقة على الجدار خلفه، وفيها يتساءل جارفيلد: "هل تريد رحلة إلى مدينة لووس

تووث؟" بدت الصورة وكأنها تلخص حالة دارنل - في ما يخص إقامته المزرية - بشكل مثالي.

"أتريد بيبسي أيها الصبـــي؟".

"لا شكراً"، قلت ذلك، ثم جلست على كرسي مستقيم مقابله.

نظـــر إلي بـــتلك النظر المخمِّنة نفسها، وهز رأسه وقال: "كيف حال أبيك، دينيس؟ قلبه لا يزال بحالة جيدة؟".

"إنه بخير. عندما أخبرته أن آرني وسيارته هنا تذكَّرك على الفور. قال لي إن بيل أبشو يقوم بتنظيم حساباتك الآن".

"أجل، إنه رجل طيب. رجل طيب. ليس بقدر أبيك. لكنه جيد".

هززت رأسي. صمتنا لوهلة، فبدأت أشعر بعدم الارتياح. ولكن، لم يكـــن يبدو على ويل دارنل عدم الارتياح أبداً؛ في الحقيقة، لم يكن يبدو عليه أي شيء على الإطلاق. لم تفارقه تلك النظرة المخمِّنة.

"هـــل أرسلك صديقك لتجد إذا كان ريبرتون قد رحل فعلاً؟" سألني بشكل مفاجئ بحيث جعلني أقفز في كرسي.

"لا. إطلاقاً".

"حـــسناً، أخـــبره أنـــه رحل. أحمق صغير. إنني أخبرهم عندما يدخلـــون سياراتهم إلى هنا أن يكونوا ودودين أو يخرجوا. كان يعمل لـــصالحي، يقوم ببعض الأشياء هنا وهناك. وأظن أنه اعتقد أنه أصبح بذلك يملك المفتاح الذهبـــي. مجرد أحمق صغير".

سعل مجدداً وطويلاً مثل المرة السابقة. كان صوت سعاله مقززاً. بـــدأت أشعر برهاب الأماكن المحصورة في المكتب، بالرغم من وجود النافذة المطلة على المرأب.

"آرني صـــبـــي جيد". كانت عيناه لا تزالان تقيِّمانني. حتى عندما كان يسعل، لم تفارقه تلك النظرة أبداً. "إنه ينظف المكان بشكل جيد".

يقوم بماذا؟ أردت أن أسأله، لكنني لم أجرؤ.

غير أن دارنل أخبرني بنفسه: "يمسح الأرض، يجمع النفايات من مواقف المرأب في نهاية اليوم، يجْرُد الأدوات، إلى جانب جيمي سايكس. عليك أن تكون حذراً مع الأدوات هنا يا دينيس. لديها طريقة بالهروب عندما تدير ظهرك". ضحك ثم تحولت الضحكة إلى صفير. "جعلته يبدأ بفك القطع في الخلف أيضاً. يملك يدين بارعتين. يدان بارعتان وذوق سيئ في السيارات. لم أشاهد ساقطة كسيارته منذ سنوات".

"أعتقد أنه يعتبر الأمر هواية".

"بالتأكيد. بالتأكيد. ولكن، ما الذي يفعله لها؟". مال دارنل إلى الأمام فجأة فارتفعت كتفاه الضخمتان حتى لامستا خط شعر رأسه، واقترب حاجباه من بعضهما، واختفت عيناه إلا من وميضين صغيرين. "ما الذي ينوي فعله؟ إنني أعمل في هذا المجال طوال حياتي لكنني لم أرَ شخصاً يقوم بتصليح سيارته بالطريقة المجنونة التي يقوم بها. هل هي مزحة؟ لعبة؟".

"إنني لا أفهمك". مع أنني كنت أفهمه تماماً.

"إذاً، سأرسم لك صورة. لقد جلبها إلى هنا، وفي البداية بدأ يقوم بكل الأشياء التي أتوقع أن يقوم بها. إنه لا يملك نقوداً تسقط منه، صحيح؟ لو كان يملكها، لما جاء إلى هنا. غيَّر الزيت، وغيَّر المصفاة. وقام بعمل التشحيم. وذات يوم رأيته يجلب دولابين فايرستون للمقدمة كي يتماشيا مع الاثنين في الجزء الخلفي".

اثنين في الجزء الخلفي؟ تساءلت في نفسي، لكنني قررت أن دارنل كان غير مصيب، إذ لا بد أن آرني اشترى ثلاثة دواليب جديدة كي تتماشى مع الإطار الجديد الذي اشتريته أنا في تلك الليلة عندما أتينا بها إلى هنا.

"ثم جئت ذات يوم، ورأيت أنه غيَّر مسّاحات الواجهة الأمامية. ليس غريباً جداً، باستثناء أن السيارة لن تذهب إلى أي مكان – أكان الجـــو ممطراً أم مشمساً – لفترة طويلة. ثم هوائي جديد للراديو، فقلت لنفسي إنه سيستمع للراديو في أثناء عمله عليها ويفرغ البطارية. وبعد ذلك، ركَّب غطاء جديداً لمقعد واحد فقط ونصف مبرِّد. ما هذا إذاً؟ لعبة؟".

"لا أعلم. هل اشترى قطع التبديل منك؟".

"لا". هـــنا بدا عليه الانـــزعاج. "لا أعلم من أين يحصل عليها. ذلـــك المبرِّد، ليس فيه أي أثر للصدأ. لا بد أنه طلبه من مكان ما. من كوستوم كريسلر في نيوجيرسي أو مكان شبيه به. ولكن، أين النصف الآخر؟ لم أسمع في حياتي بمبرِّد يأتي قطعتين".

"لا أعلم. صدقاً".

نـــزع الـــسيجار من فمه وقال: "مع ذلك، لا تقل لي إنك لا تـــشعر بالفـــضول. لقـــد رأيت الطريقة التي كنت تنظر بها إلى تلك السيارة".

رفعت كتفي وقلت: "آرني لا يتحدث كثيراً حولها".

"لا، أراهن على ذلك. إنه كتوم. لكنه مقاتل. لقد ضغط ريبرتون علـــى الـــزر الخطأ عندما تحرَّش بكانينغهام. إذا عمل بشكل جيد هذا الخـــريف، أعتقد أنني قد أجد له عملاً ثابتاً في الشتاء. جيمي سايكس شاب طيب، لكنه ليس جيداً تماماً في منطقة العقل. هل تعتقد أنه عامل جيد يا دينيس؟".

"إنه جيد".

"لـــدي الكثير من الأعمال. الكثير من الأعمال في وقت واحد. أؤجـــر شاحنات قاطرة لأشخاص يحتاجون إلى نقل مواشيهم إلى مدينة

فيلادلفـــيا. وأنقل السيارات المعطلة بعد السباقات. أنا بحاجة دائماً إلى المساعدة. مساعدة جيدة وموثوقة".

بـــدأت أشـــك في أنه يطلب مني أن أرقص، فوقفت على الفور، وكـــدت أقلب الكرسي بسبب عجلتي، ثم قلت: "ينبغي لي أن أذهب حقاً. و... سيد دارنل... سأكون ممتناً إذا لم تقل لآرني إنني كنت هنا. إنـــه حـــساس بعض الشيء بخصوص السيارة. وكي أكون صادقاً، إن والده يشعر بالفضول بشأن ما يقوم به".

"لقـــد أخذ القليل من المشاكل معه إلى المنـــزل، أليس كذلك؟" أغمـــض دارنل عينه اليمنى بخبث ثم تابع كلامه: "ووالداه أكلا القليل مـــن الدواء المسهِّل إكس - لاكس ثم وقفا فوقه وباعدا بين رجليهما، أليس كذلك؟".

"أجل، صحيح. كما تعلم".

"ثـــق أنني أعلم". وقف على قدميه بحركة واحدة، ثم وضع يده على ظهري بقوة كافية لجعلي أترنح. لقد كان قوياً، بالرغم من تنفسه الصفيري والسعال. "لن أذكر له ذلك". قادني نحو الباب ويده لا تزال على كتفي، وهذا جعلني أشعر بشيء من العصبية، وقليل من الاشمئزاز.

"ســـأقول لـــك شيئاً آخر يزعجني. لا بد أنني أشاهد مائة ألف سيارة في العام في هذا المكان - حسناً، ليس بهذا العدد، لكنك تعرف ما أقصده - وأنا أراقبها. بوسعي أن أقسم أنني رأيت هذه السيارة من قبل. عندما لم تكن بهذه الحالة البائسة. من أين حصل عليها؟".

"مـــن رجل يُدعى رولاند ليبـــي". تذكرت شقيق ليبـــي عندما قال لي إن رولي قام بكل أعمال الصيانة في مرأب يقدم الخدمة الذاتية. "إنه متوفٍ الآن".

توقف دارنل فجأة ثم قال: "ليبـــي؟ رولي ليبـــي؟".

"أجل، هذا صحيح".

"عسكري؟ متقاعد؟".

"أجل".

"يـــا الله، بالتأكيد! كان يحضرها إلى هنا بانتظام مثل الساعة لمدة ست، ربما ثماني سنوات، ثم توقف عن المجيء. منذ مدة طويلة. كم كان وغـــداً ذلك الرجل. لو صببت ماءً مغلياً في حلق ذلك السافل، لتبول مكعـــبات مـــن الـــثلج. لم يكـــن باستطاعته أن يكون ودوداً مع أي شخص". ضغط على كتفي بقوة أكبر ثم أكمل: "هل يعلم صديقك أن زوجته انتحرت في تلك السيارة؟".

"ماذا؟" تظاهرت أنني متفاجئ. لم أشأ أن أخبره أنني كنت مهتماً بما يكفي بحيث إنني تحدثت مع شقيق ليبـــي بعد الجنازة. كنت أخشى أن يكرر دارنل هذه المعلومات أمام آرني.

أخبرني دارنل القصة بأكملها، من البنت إلى الأم.

وعـــندما انتهى من سرد القصة، قلت: "لا. أنا واثق أن آرني لا يعلم ذلك. هل ستخبره؟".

"هل ستخبره أنت؟".

"لا. لا أرى أي سبب يدعوني إلى فعل ذلك".

"وأنـــا كذلك إذاً". فتح الباب فدخل هواء المرأب الذي بدا عذباً إلى حـــدٍّ كـــبير بالمقارنة مع رائحة السيجار في المكتب. "ابن الساقطة ذاك، ليبـــــي. أتمـــنى أن يكون الآن في الجحيم". التوى فمه بصورة شـــريرة للحظة فقط، ثم نظر إلى كريستين الواقفة في الموقف عشرين. "تلك الساقطة عادت مجدداً"، ثم نظر إليّ وأكمل: "حسناً، يقولون إن الأشياء السيئة تظهر دائماً، هه؟".

"أجل، أظن ذلك".

قـــال وهو يضع سيجاراً جديداً في فمه: "الوداع أيها الصبـــي. انقل تحياتي لوالدك".

"سأفعل".

"وقل لكانينغهام أن يظل حذراً من ذلك الأحمق ريبرتون. أعتقد أنه من النوع الذي يضمر ضغينة".

"وأنا أيضاً".

مـــشيت متجهاً نحو باب المرأب، وتوقفت لمرة واحدة لكي أنظر ورائـــي إلى كريستين. لكن كريستين من شدة سطوع الأضواء بدت أكثر بقليل من ظل بين مجموعة من الظلال. *الأشياء السيئة تظهر دائماً*، كلمات دارنل هذه رافقتني حتى وصولي إلى المنـــزل.

15

أحزان كرة القدم

بدأت المدرسة، ولم يحدث الكثير خلال الأسبوع أو الأسبوعين الأولـــين. كـــنت سعيداً لأن آرني لم يعرف بخصوص ذهابـــي إلى المـــرأب، لا أعتقد أنه كان سيتقبّل الخبر بلطافة. لقد حافظ دارنل علـــى وعده ولم يفتح فمه بكلمة أمام آرني (ربما لأسبابه الخاصة). اتـــصلت بمايكـــل ذات يوم بعد المدرسة، وعرفت أن آرني كان في المرأب. أخبرته أن آرني قام بتغيير بعض الأشياء في السيارة لكنها لم تكـــن ذات أهمية بحيث تجعلها صالحة للسير على الطرقات. وأخبرته عـــن انطباعي أن آرني كان يضيِّع وقته في أمور لا طائل منها. تقبَّل مايكـــل هـــذه الأنـــباء بمـــزيج من الارتياح والدهشة، وهذا أنهى المسألة... لبعض الوقت.

كنت أرى آرني بين الحين والآخر في المدرسة. كنا نحضر ثلاثة صفوف معاً. وفي بعض الأحيان كان يأتي إلى منزلي بعد المدرسة أو في عطلة نهاية الأسبوع. بدا لي أحياناً وكأن شيئاً لم يتغير بيننا، لكنه كان يتواجد في مرأب دارنل أكثر بكثير من تواجده في منزلي. وفي ليالي الجمعة كان يذهب مع عامل دارنل نصف الذكي، جيمي سايكس، إلى فيلي بلينز ويحمّلان سيارات السباق المتضررة (غالباً ما تكون من نوع كامارو وموستانغ) على قاطرات دارنل، ويأتيان بخردة جديدة إلى مقبرة السيارات.

في تلك الفترة، أُصيب ظهر آرني. بالرغم من أنها لم تكن إصابة خطيرة - أو هذا ما ادَّعاه - لكن أمي لاحظت على الفور أن آرني كان يعاني من شيء ما. جاء إلى منزلنا ذات يوم أحد كي يشاهد مباراة فريق فيلادلفيا، وخلال الشوط الثالث نهض كي يجلب لكلينا كأسين من عصير البرتقال. كانت أمي جالسة على الأريكة تقرأ. وعندما جاء آرني بالعصير نظرت إليه وقالت: "إنك تعرج يا آرني".

أعتقد أنني رأيت تعبيراً متفاجئاً وغير متوقَّع على وجه آرني لثانية أو ثانيتين - تعبير شخص يشعر بالذنب إلى حدٍّ ما. قد أكون غير مصيب، لا أدري، لأن التعبير - إن وُجد - لم يدم طويلاً.

قال وهو يعطيني العصير: "أعتقد أنني أرهقت ظهري ليلة البارحة في فيلي بلينز. أوقف جيمي سايكس آخر السيارات المتضررة قبل أن تثبت تماماً على ظهر الشاحنة. رأيتها وهي ترجع إلى الوراء. وبعد ذلك أمضينا ساعتين ونحن نحاول تشغيلها من جديد. وعندما لم نفلح قمت بدفعها. أعتقد أنه كان ينبغي لي عدم فعل ذلك".

بدا لي وكأنه كان تفسيراً مطولاً جداً لعرجة بسيطة، ولكن، قد أكون غير مصيب بشأن هذا أيضاً.

"عليك أن تكون أكثر حرصاً على ظهرك، فالله -".

"ماما، هل يمكننا أن نشاهد المباراة الآن؟".

"- منحك واحداً فقط". أنهت أمي نصيحتها.

قال آرني بتهذيب: "حاضر سيدة جيلدر".

هنا دخلت إيلين وقالت: "هل هناك المزيد من العصير أم شربتماه كله أيها الغبيان؟".

صرخت في وجهها بنـــزق: "أوووه، دعينا وشأننا!" كانت هناك لعبة مشكوك فيها في القاعدة الثانية، وضيَّعت المشهد برمته.

تمـــتم أبـــي من وراء مجلة ذي هوبييست التي كان يقرؤها: "لا تصرخ على أختك، دينيس".

قال لها آرني: "لقد بقي الكثير".

قالت إيلين: "أحياناً يا آرني تبدو لي أنك تقريباً إنسان".

قـــال لي آرني هامساً وكأنه على وشك البكاء من شدة امتنانه: "تقريباً إنسان يا دينيس! تقريباً إنسان!".

لعـــل ذاكـــرتي تخونني، ولكن لا أدري لماذا أشعر الآن أن مزاحه حينئذ كان مفتعلاً وغير حقيقي. على كل حال، سواء أكانت ذاكرتي قـــوية أم لا، فقد مرَّ موضوع ظهره بسلام، بالرغم من أن تلك العرجة ظلت تأتي وتختفي طوال ذلك الخريف.

كـــنت أنـــا نفـــسي مشغولاً في تلك الفترة. لقد انفصلت عن المـــشجعة، بالرغم من أنني كنت قادراً على إيجاد فتاة أخرى للخروج معهـــا في أيـــام الـــسبت... إن لم أكن منهكاً من تمارين كرة القدم المتواصلة.

لم يكـــن المدرب بافر حقيراً مثل ويل دارنل، لكنه لم يكن ذلك الإنـــسان اللطـــيف. كان يعتمد في تكتيكاته التدريبية - مثل نصف

مدربــــي المدارس الثانوية في البلدات الصغيرة في أميركا - على تعاليم الراحل فينس لومباردي، والتي كانت تتمحور على مقولة رئيسة وهي أن الفــوز لــيس كــل شيء، بل الشيء الوحيد. ولعلكم ستُصابون بالدهــشة عــندما تعلمون بعدد الناس الذين يصدِّقون هذه الترهات السخيفة.

لقــد اســتفدت جسدياً من العمل طوال الصيف لصالح شركة كارســون إخــوان، وأعتقد أنه كان بوسعي النجاح بسهولة في ذلك الموســم، لــو أنه كان موسماً مظفراً. ولكن، بحلول الأسبوع الثاني أو الــثالث من المدرسة - عندما خضنا أنا وآرني مواجهة بشعة مع بادي ريــبرتون بالقرب من منطقة التدخين خلف الورشة - كان قد أصبح واضــحاً أنه لن يكون موسماً مظفراً. وذلك ما لم يستطع تقبُّله المدرب بافــر، لأنه لم يسبق له أن عرف موسماً فاشلاً خلال عشر سنوات من التدريب في مدرسة ليبرتيفيل الثانوية. في تلك السنة عرف المدرب بافر طعم الذل المرير. وكان درساً قاسياً بالنسبة إليه... لكنه لم يكن بالهيِّن علينا أيضاً.

في التاســع مــن أيلول، خضنا مباراتنا الأولى خارج ملعبنا مع لونيبورغ تايغرز. ولونيبورغ هذه مجرد مدرسة ثانوية صغيرة في أقصى الغــرب من مقاطعتنا. خلال سنوات وجودي في ليبرتيفيل كان الهتاف الاعتيادي الذي نسمعه من الجمهور بعد تلقي دفاعهم المهلهل اختراقاً آخــر هو: *أخبرونا كيف شعوركم وبراز البقر يغطي أقدامكم*، يتبعها تهليل ساخر مدوي: *رررررريي، لووووونيبوورغ!*

كــان قــد مــرّ أكثــر من عشرين سنة على آخر مرة فاز فيها لونيبورغ على فريق ليبرتيفيل، لكنهم انتفضوا هذه المرة، وهزمونا بكل جــدارة. كــنت ألعب في الأمام على الجهة اليسرى، وبحلول النصف

الـــثاني مـــن المباراة كنت أشعر في داخلي أن علامات أحذية اللاعبين ســتخلّف ندوباً على كامل ظهري طوال حياتي. كانت النتيجة آنذاك 17 – 3، وانـــتهت 30 – 10. كان جمهور لونيبورغ في غاية السعادة لفـــوزهم وكـــأن المباراة كانت على البطولة الإقليمية، حيث كسروا ساريات المرميين وحملوا لاعبيهم على أكتافهم إلى خارج الملعب.

أما جمهورنا، الذي أتى في باصات خاصة لهذه المناسبة، فقد كان جالـــساً بصمت على المقاعد المخصصة للضيوف في حر أوائل أيلول. وفي غرفة الملابس، كان الشحوب وعلائم الدهشة تغطي وجه المدرب بافـــر، الذي اقترح علينا أن نركع على ركبنا ونتضرع لله كي يسدِّد خطانـــا في الأسابيع القادمة. علمت حينئذ أن الألم لم ينتهِ، وإنما كانت تلك مجرد البداية.

كـــنا نريد شيئاً واحداً فقط، وهو الذهاب إلى الحمامات، وغسل رائحـــة الهـــزيمة المذلة عن أجسادنا. لكننا مع ذلك، وبالرغم من الألم والكدمات والإنهاك، ركعنا على ركبنا وقمنا بما طلبه منا المدرب.

في الأسبوع التالي، تدرَّبنا ثلاث ساعات في اليوم (بدلاً من تسعين دقـــيقة أو ســـاعتين، كما جرت العادة) تحت الشمس الحارقة. كنت أحلـــم في اللـــيل بصوت المدرب وهو يصيح: *"اضرب ذلك السافل! اضرب! اضرب!"* كنت أتدرب على العدو السريع إلى أن بدأت أشعر أن ســـاقيّ كانـــتا ســـتتفككان بشكل تلقائي (وربما في الوقت نفسه ستـــشعل النار في رئتي). أُصيب ليني بارونج – أحد مدافعينا – بضربة شمس خفيفة، وأُعفي من التمرين لبقية الأسبوع (لحسن حظه).

في تلـــك الفترة، كان آرني يأتي إلى منـــزلنا ويتناول العشاء مع العائلـــة في مساءات الخميس أو الجمعة، كما شاهد مباراة بيسبول أو اثنـــتين معـــنا في أيام الآحاد، ولكن في ما عدا ذلك، لم أكن أراه أبداً

تقريباً. أما بالنسبة إليّ فقد كنت مشغولاً جداً في حمل آلامي معي إلى الـــصف، والـــتدريب، ومن ثم إلى البيت وإلى غرفتي للقيام بفروضي المنـــزلية.

عـــندما أتذكر تلك الأوقات الصعبة، أعتقد أن أسوأ ما فيها هو الطريقة التي كان الطلاب ينظرون بها إلي وإلى ليني وإلى بقية الفريق في الممرات. إن ما يُحكى عن *روح المدرسة* ليس سوى كلام فارغ ابتدعه إداريـــو المدرســـة، الذين يتذكرون أنهم كانوا يشعرون بنشوة عارمة خـــلال المنافـــسات الرياضية التي تجري أيام السبت في شبابهم، لكنهم ينسون أن ذلك كان ناتجاً – في الغالب – عن كونهم كانوا إما ثملين أو مـــثارين، أو كليهما معاً. لو دعوتَ إلى عقد اجتماع حاشد من أجل دعم تشريع الماريجوانا، لكنت وجدت بعضاً من روح المدرسة. ولكن، بالنسبة إلى كرة القدم وكرة السلة وألعاب القوى، فإن معظم الطلاب لم يكونـــوا يكترثون لها، إذ إنهم كانوا منشغلين بمحاولة دخول الجامعة أو مضايقة شخص ما أو التورط في مشكلة ما.

وفي الـــوقت نفسه، كانت هناك مسألة الاعتياد على الانتصار – حـــتى إنـــك تبدأ باعتباره أمراً مسلَّماً به. ففرق كرة القدم في مدرسة ليـــبرتيفيل كانـــت تمـــثل رعباً حقيقياً بالنسبة إلى الفرق الأخرى لمدة طـــويلة؛ آخر مرة تعرضت فيها المدرسة لنتائج فاشلة كانت قبل اثنتي عـــشرة سنة من تلك السنة، أي في العام 1966. على كل حال، بعد أسبوع من الهزيمة على يد لونيبورغ، وخلال الاجتماع الاعتيادي الذي يُعقـــد بعـــد ظهر يوم الجمعة في نهاية الحصة السابعة، واجهنا نظرات مجـــروحة وحائرة وصيحات استهجان. وبالرغم من أن تلك الصيحات المـــستهجنة أحـــرجت المدرب بافر، وصبغت وجهه بلون قريب من الأحمر، إلا أنه دعا أولئك *الذين يفتقرون إلى الروح الرياضية والأصدقاء*

الـــذين لا يمكـــن الاعـــتماد عليهم إلى الحضور بعد ظهر يوم السبت ومشاهدة عودة القرن.

لا أعـــرف إذا جـــاء أولئك الذين يفتقرون إلى الروح الرياضية والأصـــدقاء الذين لا يمكن الاعتماد عليهم، لكنني كنت موجوداً. كنا نلعـــب في أرضـــنا، وكان منافسنا هو فريق ريدج روك بيرز. وريدج روك بلـــدة فـــيها مـــناجم. صحيح أن الشبان الذين يرتادون المدرسة الثانوية في ريدج روك هم ريفيون بسطاء، لكنهم ليسوا ريفيين ضعفاء، بـــل أقـــوياء وقساة وعنيفين. وفي السنة السابقة، تمكّن فريق ليبرتيفيل لكرة القدم من الفوز عليهم بصعوبة بالغة.

غـــير أن هذه السنة، كانت سنة ريدج روك بيرز. لقد سحقونا ســـحقاً. خـــرج فريد دان من المباراة بارتجاج خفيف في الدماغ. وفي الـــشوط الـــثاني، نُقـــل نورمان أليبو إلى مستشفى ليبرتيفيل العمومي مكسور الذراع. وفي الشوط الأخير، سجَّل فريق بيرز ثلاث اختراقات متتالية لخطنا النهائي، اثنتان منها بعد قطع الكرة من فريقنا. أما النتيجة النهائـــية فهي: 40 - 6. وبعيداً عن كل التواضع الزائف، سأقول لكم إنـــني أنا من سجل النقاط الست. لكنني لن أبعد الواقعية مع التواضع، وسأقول إنني كنت محظوظاً.

هكذا... أمضينا أسبوعاً مريراً آخر من التدريب الميداني. أسبوع آخـــر والمـــدرب يصيح بـــي: *اضرب ذلك السافل!* وفي ليلة الجمعة التالـــية - قبل مباراتنا الثانية على ملعبنا في تلك السنة - دعانا المدرب بافـــر للعـــودة إلى صالة التدريب، ومنها ذهبنا إلى صالة السينما لمدة ساعتين، شاهدنا خلالهما الإذلال الذي تعرَّضنا له من قبل فريقي تايغرز وبـــيرز. ربمـــا كـــان من المفترض أن يشد ذلك من عزيمتنا ويزيد من إصرارانا، لكنه لم يملؤني إلا بالإحباط.

في تلك الليلة، رأيت حلماً غريباً. لم يكن كابوساً تماماً، مثل ذاك الذي جعلني أصرخ وأوقظ أهلي من النوم، لكنه لم يكن مريحاً. رأيت أنــــنا كنا نلعب مع فريق فيلادلفيا سيتي دراجونــــز في ظل ريح قوية. كانت أصوات الهتافات، والصراخ، وصوت تشابـــي ماكارثي الصادر عـــن مكبر الصوت، وحتى أصوات اللاعبين وهم يرتطمون ببعضهم، كلها تبدو غريبة وذات صدى مع تلك الريح الرتيبة والمتواصلة.

كانـــت أوجـــه الـــناس في المدرجات صفراء وغامضة على نحو غريب، مثل أوجه الأقنعة الصينية. وكانت المشجعات يرقصن ويقفزن مثل أشخاص آليين. وكانت السماء رمادية تملؤها الغيوم. وفوق ذلك كله، كان فريق دراجونـــز متقدمين علينا والكرة دائماً بحوزتهم. وكان ليني بارونج يبدو وكأنه يعاني من ألم فظيع.

صـــدمني أحد اللاعبين فوقعت وتدحرجت. استلقيت على أرض الملعـــب بعيداً خلف خط البدء، محاولاً التقاط أنفاسي. رفعت رأسي، ونظـــرت فـــوجدت كريستين واقفة في منتصف مضمار الجري أمام مدرجات الضيوف. كانت تبدو جديدة تماماً ومتلألئة – مرة أخرى – وكأنها خرجت من صالة العرض قبل ساعة واحدة فقط.

كـــان آرني جالساً فوق سقفها متربّع الساقين مثل بوذا، من دون أي تعبير على وجهه. ناداني وقال شيئاً ما، لكنني بالكاد سمعت ما قاله بـــسبب الريح المتواصلة. بدا لي وكأنه كان يقول: *لا تقلق يا دينيس. سنهتم بكل شيء. فلا تقلق. كل شيء على ما يرام.*

ســـتهتم بمـــاذا؟ سألته وأنا لا أزال مستلقياً على أرض الملعب، أحـــاول جاهــــداً التقاط أنفاسي مجدداً، وحزام الوقاية يضغط من دون رحمة على مفصل فخذي أسفل خصيتي بقليل. *تهتم بماذا؟*

لكنني لم أسمع أي جواب.

في اليوم التالي، توجهنا إلى الملعب، وقاتلنا من أجل ثانوية ليبرتيفيل مجدداً. لم تكن المباراة سيئة كما كانت في الحلم، ففي ذلك السبت لم يصب أي منا بأذى، بل بدا لنا لفترة وجيزة في الربع الثالث أننا كنا نملك فرصة للفوز، لكن الظهير الربعي لفريق فيلادلفيا حالفه الحظ في تمريرتين طويلتين، وعندها بدأت الأمور تنقلب رأساً على عقب، وخسرنا مرة أخرى.

بعد المباراة، جلس المدرب بافر بصمت على مقعده، من دون أن ينظر إلى أي أحد منا. كان يبدو مهزوماً، بالرغم من بقاء إحدى عشرة مباراة لنلعبها.

16

دخول لي، خروج بادي

في يوم الثلاثاء الذي تلا خسارتنا مع فيلادلفيا سيتي دراجونز، بدأت الأمور تعود إلى سابق عهدها. وكان ذلك اليوم يصادف 26 أيلول.

كنت وآرني نحضر ثلاث حصص دراسية معاً، وكانت إحداها تُدعى *موضوعات في التاريخ الأميركي*، وكانت تأتي في الحصة الرابعة. في الأسابيع التسعة الأولى علّمنا السيد تومبسون، رئيس القسم، هذه المادة. وكان موضوع تلك الأسابيع التسعة بعنوان *مائتا سنة من الازدهار والفشل*. كان آرني يدعوها حصة *زقزقة العصافير*، لأنها كانت تأتي قبل موعد الغداء مباشرة، حيث كانت معدة الجميع تبدو وكأنها تصدر أصواتاً تشبه زقزقة العصافير.

عند انتهاء الحصة في ذلك اليوم، جاءت فتاة إلى آرني، وسألته إذا كان معه فرض اللغة الإنكليزية، فأجاب بالإيجاب. بينما كان آرني

يـــبحث عـــن الفرض في دفتره، كانت الفتاة تنظر إليه بإمعان بعينيها الزرقاوين الغامقتين، من دون أن تبعدهما عن وجهه. كان شعرها أشقر داكناً - لون العسل الطازج - مربوطاً إلى الخلف بعصابة عريضة زرقاء بلـــون عينـــيها. عندما كنت أنظر إليها كانت معدتي تتقلب بسعادة. أخـــذت الفرض من آرني وراحت تنسخه، وأثناء ذلك راح آرني ينظر إليها بدوره.

لم تكـــن تلك المرة الأولى التي أرى فيها لي كابوت، بالطبع، فقد انتقلت من بلدة ما في ماساتشوستس إلى ليبرتيفيل منذ ثلاثة أسابيع، لذا فهي كانت موجودة معنا. أخبرني أحدهم أن والدها كان يعمل لصالح شركة 3M التي تصنع الشريط اللاصق الشفاف، سكوتش تيب.

لم تكـــن تلـــك المرة الأولى التي ألاحظها أيضاً، لأن لي كابوت كانـــت، بكـــل بساطة، فتاة جميلة. كانت بشرتها فاتحة ومن دون أي عيوب، ويبلغ طولها 174 سم - طويلة كفتاة لكنها ليست طويلة جداً، وكانت تملك جسداً جميلاً ومتيناً مع صدر بارز ووركين مثيرين وخصر نحيل - كان يبدو لك وكأنك تستطيع تطويقه بيديك فقط.

حاول بضعة فتيان مواعدتها لكنها رفضتهم بلطافة. لهذا السبب، قـــيل إن قلـــبها علـــى الأرجح كان محجوزاً لصالح شاب ما هناك في أندوفر أو برينتري، أو أي مكان آخر جاءت منه، وأنها ربما ستعود إلـــيه في الوقت المناسب. اثنتان من الحصص التي كنت أحضرها مع آرني كانـــت لي تحـــضرهما أيضاً، وكنت أتحيَّن الفرصة المناسبة للقيام بخطوتي.

لكن، بعد أن رأيت نظراتهما المتمعنة إلى بعضهما بعضاً - عندما كـــان آرني يـــبحث عـــن الفرض وعندما كانت هي تقوم بنسخه - تـــساءلت في نفـــسي إذا كنت سأحظى بأي فرصة للقيام بخطوتي. ثم

وجـــدت نفـــسي أبتسم لنفسي: آرني كانينغهام، صاحب وجه البيتزا المدهن، ولي كابوت. لم يكن ذلك منطقياً أبداً. كان ذلك -.

في تلـــك اللحظـــة تبددت الابتسامة الداخلية. لاحظت للمرة الثالـــثة أن بشرة آرني كانت تتحسن بسرعة مذهلة، فالبثور لم تعد موجـــودة - صحيح أن بعضها خلّف علامات وندوباً صغيرة على وجنتـــيه، ولكـــن إذا كان الوجه مشدوداً، فإن تلك الحفر لن تمثل مـــشكلة كبيرة. بل إنها قد تضفي - بطريقة مجنونة ما - نوعاً من التميز لشخصية صاحبها.

كـــان آرني ولي يتفحـــصان بعضهما خلسة، وأنا كنت أتفحص آرني بالطـــريقة نفـــسها، متسائلاً في نفسي أين وكيف حصلت تلك المعجـــزة. كانـــت الشمس مائلة في ذلك الوقت، وكانت أشعتها تعبر نافذة الصف، وترسم بوضوح ملامح وجه صديقي آرني. كان يبدو... أكـــبر سناً. كان يبدو لي وكأنه قضى على البثور وحب الشباب ليس فقـــط بالاغتسال المتكرر وتطبيق بعض المساحيق الخاصة، وإنما بتقديم الـــزمن نحو ثلاث سنوات إلى الأمام. كانت قصة شعره مختلفة أيضاً؛ قـــصيرة ومـــن دون السالفين اللذين تبنّاهما منذ أن أصبح باستطاعته إطالتهما (أي قبل سنة ونصف تقريباً).

بعد إنهائها كتابة الفرض، قالت لي بصوتها الصافي الرقيق:"شكراً آرني".

"عفواً".

عندئذ التقت أعينهما - كانا ينظران إلى بعضهما مباشرة بدلاً من اختلاس النظرات - وحتى أنا كان بوسعي رؤية الشرارة وهي تنبثق.

قالـــت: "أراك في الحـــصة الـــسادسة". ثم مشت مبتعدة ووركاها يتموجان برقة تحت تنورتها الصوفية الخضراء، وشعرها يتطاير فوق ظهرها.

"مـــاذا عندكما في الحصة السادسة؟" كانت لدي حصة مخصصة للدراســـة في تلك الفترة تشرف عليها الآنسة المرعبة ريباك، والتي كان جمـــيع الطـــلاب يدعونها آنسة رات - باك (ولكن ليس في وجهها، بالطبع).

"تفاضـــل وتكامل". قال ذلك بصوت عاطفي حالم لم أعتده فيه بحـــيث جعلني أضحك. التفت ونظر إلي مقطِّباً جبينه ثم قال: "ما الذي يضحكك دينيس؟".

"تفااااضل وتكاااامل". قلبت عينيّ، وضربت يداً بيد، ثم ضحكت بقوة أكبر.

تظاهـــر وكأنـــه ســـيلكمني وقال: "من الأفضل لك أن تحذر يا جيلدر".

"لا تزعجني يا وجه البطاطا".

"لقـــد وضعوك في فريق الرياضة، وانظر ماذا حدث لفريق كرة القدم اللعين".

تـــصادف مـــرور السيد هودر، الذي يعلِّم مادة النحو (وكيفية الاستمناء، بحسب بعض الظرفاء) في تلك اللحظة، فعبس في وجه آرني وقال له: "انتبه لكلامك في الممرات". ثم تابع مشيه، حاملاً حقيبة بيد وشطيرة برغر باليد الأخرى.

اصطبغ وجه آرني باللون الأحمر. في الواقع، يحدث ذلك له دائماً عندما يكلمه أحد الأساتذة (عندما كنا في المدرسة الابتدائية، كان ردّ الفعـــل التلقائي هذا يجعله يتعاقب لأشياء لم يفعلها لمجرد أنه كان يبدو مثل شخص مذنب). لعل ذلك يكشف شيئاً ما من طريقة تربية مايكل وريجينا له.

قلت له: "انتبه إلى كلامك يا كانينغهام. إنك في ورطة عويصة".

هــنا بــدأ يــضحك هــو الآخر. مشينا معاً في الممر المزدحم والــصاخب. كــان بعض الطلاب يستندون إلى خزاناتهم ويأكلون - بالرغم من أن الأكل في الممرات ممنوع.

سألته: "هل جلبت غداءك؟".

"أجل، أحضرته من المنــزل".

"اذهب واجلبه ودعنا نأكل على المدرجات".

"ألم تسأم من ملعب كرة القدم ذاك؟ لو أنك أمضيت وقتاً أطول ممــدداً علــى بطــنك يوم السبت الماضي، لربما قام بزرعك أحد عمال التنظيف هناك".

"لا أمانع. سنلعب خارج أرضنا هذا الأسبوع. وأنا أريد أن أبتعد عن هنا".

"حسناً، سأقابلك هناك".

ذهب كل منا إلى خزانته كي يحضر غداءه. كنت قد جلبت معي أربــع شطائر - كبداية - لأنني منذ بدأ المدرب بافر حصصه التدريبية الماراتونية، أصبحت أحس بجوع دائم.

خــرجت من المبنى الرئيس حاملاً كيس غدائي الضخم وأنا أفكــر في لي كابوت وكيف سيقف الجميع على رؤوسهم إذا ما خرجت بصحبة آرني. اجتزت موقف السيارات متوجهاً نحو مبنى الورشــات، وهــو مبنى متطاول يشبه الحظيرة مع جوانب معدنية مــتموجة الشكل مطلية باللون الأزرق - لم يكن مختلفاً كثيراً في التــصميم عــن مرأب دارنل، لكنه كان أكثر أناقة. وكان يضم ورشــة الخــشب، وورشة الميكانيك، وقسم الفنون التخطيطية. يُفتــرَض أن تكــون منطقة التدخين خلف المبنى، ولكن في فرصة الغــداء في الأيــام الــتي يكون فيها الجو لطيفاً، تجد عادة شبان

الورشـــات مصطفين على جانبـــي المبني يدخنون ويتحدثون مع فتياهم؛ أو يداعبوهن.

لكن، في ذلك اليوم لم يكن هناك أحد على امتداد الجانب الأيمن من المبنى. وكان من المفترض أن يخبرني ذلك بوجود شيء ما، لكنني لم أنتـــبه لـــذلك لأنـــني كنت مشغولاً بأفكاري المسلية حول آرني ولي كابوت.

كانـــت منطقة التدخين الحقيقية (منطقة التدخين *الموصوفة* رسمياً) عـــبارة عـــن طريق مسدود يقع خلف ورشة الميكانيك. وخلف مبنى الورشات، على بعد أربعة عشر أو خمسة عشر متراً، يوجد ملعب كرة القـــدم تعلـــوه لوحة النتائج الإلكترونية مكتوب أعلاها "اهزموهم يا تيرييرز" (تيرييرز Terriers نوع من الكلاب).

كانـــت هناك مجموعة من الشبان خلف منطقة التدخين بقليل – عـــشرون أو ثلاثون شخصاً – متحلقين في دائرة صغيرة مغلقة. ذلك الـــنموذج كان يعني في العادة وجود شجار ما، أو ما كان آرني يسميه "تـــدافش – تدافش"، أي شخصين، ليسا مجنونين إلى الحد الكافي كي يـــتقاتلا، يـــدفعان بعضهما ويلكزان أكتاف بعضهما بعضاً في محاولة لحماية سمعتيهما الذكوريتين.

نظـــرت إليهم ولكن من دون اكتراث حقيقي. لم أكن أريد مشاهدة أي شجار، بل كنت أريد تناول غدائي، واكتشاف ما إذا كان ثمة شيء يجري بين آرني ولي كابوت. لأنه إذا كان هناك شيء يجري بينهما فذلك قد يبعد ذهن آرني عن هوسه بكريستين. عندئذ سمعت صوت فتاة تصرخ وشاباً يصيح، "هيي، لا! ضع ذلك جانباً يـــا رجل!" لم يرق لي ذلك الأمر كثيراً، فغيَّرت طريقي لأرى ماذا كان يجري.

شـــققت طريقي بين الحشد، فرأيت آرني واقفاً في الوسط متخذاً وضعية استعداد للقتال. كان يبدو شاحباً وخائفاً، ولكن ليس إلى حدّ الذعـــر. وإلى يـــساره علـــى بعد عدة خطوات منه كان كيس غدائه مـــسحوقاً على الأرض. كانت هناك بصمة حذاء مطاطي في منتصفه. وكـــان بـــادي ريبرتون يقف مقابل آرني، مرتدياً سروال جينـــز وتي شـــيرت أبـــيض ملتصقاً بكل ثنية وانتفاخ في صدره. كان يحمل بيده الـــيمنى سكيناً تُفتَح بكبسة زر ويحركها ببطء إلى الأمام والخلف أمام وجهه.

كـــان طويل القامة عريض المنكبين، مع شعر أسود طويل مربوط إلى الخلـــف على شكل ذيل فرس بواسطة شريط جلدي. وكان وجهه عريضاً وغبياً وينضح بالشر. رأيت ابتسامة صغيرة على وجهه، فشعرت بمزيج محبط من فقدان الشجاعة والخوف. لم يكن فقط يبدو أنه غبـــي وشرير، وإنما مجنون أيضاً.

قـــال ريـــبرتون: "أخـــبرتك أنني سأنال منك يا رجل". ثم لوّح بالـــسكين في الهـــواء باتجاه آرني فتراجع آرني إلى الوراء قليلاً. كانت الـــسكين ذات قبضة عاجية مع زر من الكروم، أما النصل فكان بطول عشرين سنتيمتراً تقريباً - كانت أشبه بحربة.

صاح دون فاندنبيرغ بسعادة: "هيي، بادي، علّم عليه!" فشعرت بجفاف في حلقي.

نظـــرت حـــولي، فرأيت شاباً لا أعرفه يحملق في ما كان يجري كالمنوَّم مغناطيسياً. قلت له: "هيي!" لم يرد، فوكزته بمرفقي على جنبه وقلت له مجدداً: "هيي!" وثب في الهواء والتفت إليّ مرعوباً.

"اذهب وأحضر السيد كيسي. إنه يتناول غداءه في مكتب ورشة الخشب. اذهب وأحضره الآن".

نظر ريبرتون إليّ، ثم عاد والتفت إلى آرني وقال: "هيا يا كانينغهام. ما قولك؟ هل تريد القتال؟".

أجابــه آرني بــصوت هادئ تماماً: "اترك السكين، وسأفعل أيها المتغوِّط". متغوط، أين سمعت هذه الكلمة من قبل؟ من جورج ليبـــي، أليس كذلك؟ صحيح، لقد كانت كلمة أخيه جورج.

كان واضحاً أن هذه الكلمة لم تزعج ريبرتون، الذي تقدم خطوة نحـــو آرني، فابتعد الأخير بشكل دائري حوله. كنت أعتقد أن شيئاً ما ســيحدث بــسرعة - شيء يتطلب قطَباً ويخلِّف ندبة. فقلت للشاب بجانبــــي مرة أخرى: "اذهب وأحضر كيسي الآن". فذهب. لكنني كــنت أخــشى أن تتفاقم الأمور قبل أن يأتي السيد كيسي - ما لم أحاول إبطاء سيرها قليلاً.

قلت لريبرتون: "أنــزل السكين يا ريبرتون".

نظــر إليّ وقال: "إنه صديق صاحب وجه القذارة. تريد مني أن أنــزلها؟".

"إنك تحمل سكيناً وهو لا يحمل شيئاً. وبحسب قانوني، هذا يعني أنك وغد جبان".

احمرَّ وجهه غضباً. لكن تركيزه أصبح مشتتاً، إذ بات ينقِّل نظراته بــيني وبين آرني. رمقني آرني بنظرة امتنان صرفة، وخطا خطوة باتجاه ريبرتون. لم يعجبني ذلك.

صــاح أحد الموجودين: "اتركها!" وتبعه آخر: "اتركها!" وبعد ذلك، راح الجميع يرددونها: "اتركها! اتركها! اتركها!".

بدأت نظرات ريبرتون تتنقل بعصبية بين الجميع. وعندما نظر إليّ مجــدداً، تقدمت خطوة نحوه وكأنني أريد الهجوم عليه، فوجَّه السكين نحــوي. عــندئذ تحــرك آرني - تحــرك بسرعة لم أكن أتوقعها على

الإطـــلاق - ووجَّه ركلة كاراتيه خرقاء، ولكن فعالة، إلى يد ريبرتون اليمنى، فأسقط السكين منها. انحنى ريبرتون محاولاً التقاط السكين، وما إن لمست يده الإسفلت حتى داس آرني عليها، بقوة، فصرخ من الألم.

عندئذ تدخَّل فاندنبيرغ، فأمسك بآرني ورماه على الأرض. ومن دون تفكير مني دخلت الدائرة، وركلت فاندنبيرغ بكل ما أوتيت من قوة؛ ركلته من الأسفل إلى الأعلى كما لو أنني كنت أركل كرة.

بدأ فاندنبيرغ - وهو شاب طويل القامة، نحيل، في التاسعة عشر أو العشرين من عمره - يصرخ ويرقص في المكان - ونسي كل شيء عـــن مـــساعدة صديقه. أما بالنسبة إليّ، فأنا مندهش من أنني لم أصبه بالـــشلل، إذ إنني لم أركل أحداً أو شيئاً بمثل تلك القوة أبداً من قبل. وإذا شئتم الصدق، أحسست بشعور رائع.

في تلك اللحظة التفَّت ذراع حول عنقي، وأحسست بيد أخرى تـــضرب بين فخذي. أدركت ما كان سيحدث، ولكنني متأخر ثانيةً واحـــدة فقط كي أحاول منعه. عُصرت خصيتاي بقوة وشدة ما جعل الألم ينبعث من أعضائي التناسلية إلى ساقيّ ويشلّهما تماماً، بحيث عندما تركتني تلك الذراع الملتفة حول عنقي سقطت على الأرض مثل كومة من اللحم.

"هـــل أعجـــبك ذلك أيها السافل؟" كان ذلك موتشي ويلش؛ صـــديق آخر لبادي ريبرتون. كان شاباً مربوع الجسم ذا أسنان بشعة ويـــضع نظـــارة صغيرة جداً وذات إطار دقيق بحيث بدت سخيفة مع وجهه العريض والصلب.

فجأة بدأت الدائرة تتفرق، وسمعت صوت رجل يصرخ: "تفرَّقوا! تفرَّقوا في الحال! ابتعدوا من هنا أيها الأولاد! ابتعدوا، اللعنة!".

كان ذلك هو السيد كيسي. السيد كيسي أخيراً.

التقط ريبرتون سكينه، وبحركة خاطفة واحدة أعاد النصل إلى مكمنه، ودس السكين في جيب سرواله الخلفي. كانت يده مقشوطة، وتنزف، وبدت وكأنها ستتورّم. ابتعد موتشي عني ثم نظر إلى الجهة التي يأتي منها صوت السيد كيسي ثم لمس زاوية فمه بإبهامه وقال لي: "في ما بعد أيها السافل".

أما دون فاندنبيرغ فقد أصبح يرقص بصورة أبطأ في تلك الأثناء، لكنه كان لا يزال يفرك مؤخرته المصابة، ودموع الألم تنهمر على خديه.

اقترب مني آرني، ووضع ذراعه حولي لمساعدتي على النهوض. كان قميصه ملطخاً بالتراب. "هل أنت بخير يا دينيس؟ ماذا فعل بك؟".

"لقد عُصرت خصيتاي قليلاً. سأكون بخير".

شق السيد كيسي طريقه عبر المجموعة المتناثرة من المتفرجين، وألقى نظرة على الوضع. لم يكن السيد كيسي شخصاً ضخماً مثل المدرب بافر، ولم يكن تبدو عليه الصلابة أيضاً. كان متوسط الطول والعمر وآخذاً بالصلع ويضع نظارة ذات إطار بلاستيكي. وكان يرتدي قميصاً أبيض بسيطاً، من دون ربطة عنق - الزي الذي يفضّله دائماً. ولكن، بالرغم من أنه لم يكن ضخم الجثة، إلا أنه كان محترماً ومهاباً. لم يكن أحد يجرؤ على العبث معه لأنه لم يكن يخشى الطلاب، كحال معظم الأساتذة. وكان الطلاب يعرفون ذلك، ومنهم بادي وموتشي؛ عرفت ذلك من طأطأة رأسيهما وارتباكهما الواضح من خلال تحريك أقدامهما المتواصل.

قال السيد كيسي لمن بقي من المتفرجين: "اغربوا عن هنا". فبدأوا يمشون مبتعدين. وعندما شرع موتشي ويلش بالذهاب معهم، قال له السيد كيسي: "ليس أنت، بيتر".

قال موتشي: "آه، سيد كيسي، لم أكن أفعل شيئاً".

تبعه دون قائلاً: "ولا أنا أيضاً. لماذا تظلمنا دائماً؟".

اقتـــرب الـــسيد كيسي مني - كنت لا أزال أتكئ على آرني - وقـــال: "هـــل أنـــت بخير يا دينيس؟" فأومأت له برأسي دلالة على الإيجاب.

عاد السيد كيسي إلى حيث كان يقف بادي ريبرتون وموتشي ويلش ودون فاندنبيرغ على شكل صف غاضب ومتململ. قال لهم: "هـــذا جميل، أليس كذلك؟ ثلاثة على اثنين. أهذه هي الطريقة التي تحبها في القيام بشؤونك، بادي؟ يبدو أن الطريقة العادلة لا تناسبك كفاية".

رفـــع بـــادي رأسه، ورمق السيد كيسي بنظرة حانقة بشعة ثم خفض رأسه مجدداً وقال: "هما من بدآ القتال. هذان الشخصان".

قال آرني: "هذا غير صحيح -".

قاطعه بادي قائلاً: "اخرس يا وجه القذارة". وقبل أن يتمكن من قـــول المـــزيد أمسكه السيد كيسي، ورمى به على الحائط الخلفي لمبنى الورشـــات حـــيث توجد لافتة كُتب عليها **التدخين هنا فقط**. وراح يـــصدم بـــادي على تلك اللافتة. كان يمسك بريبرتون كما يمكن أن أمسك أنا وأنتم بدمية كبيرة محشوة بالثياب البالية. يبدو أنه كان يملك عضلات في مكان ما.

قـــال السيد كيسي: "أقفل فمك الكبير". ثم رمى به على اللافتة مجدداً، "أقفل فمك الكبير أو نظِّف فمك. لأنني لست مضطراً إلى سماع هذه الكلمات تخرج منك، بادي".

تـــرك قميص ريبرتون، الذي انفلت من سرواله كاشفاً عن بطنه الأبيض. ثم نظر إلى آرني وقال: "ماذا كنت تقول؟".

"كـــنت أعـــبر منطقة التدخين في طريقي إلى المدرجات لتناول غدائـــي. كان ريبرتون يدخن مع أصدقائه هناك. فجاء نحوي، ورمى كيس غدائي ثم داس عليه. لقد سحقه". بدا وكأنه كان على وشك أن يقـــول شـــيئاً آخر لكنه ابتلعه في آخر لحظة، ثم أضاف: "هذا ما أثار الشجار".

لكنني لم أكن لأدع الأمر يتوقف عند هذا الحد. لم أكن واشياً أو مخبراً – ليس في الظروف العادية – ولكن كان واضحاً أن ريبرتون قرر مسبقاً أن الضرب لم يكن كافياً للانتقام لطرده من مرأب دارنل. كان من الممكن أن يثقب أمعاء آرني، وربما يقتله. فقلت: "سيد كيسي".

الـــتفت الـــسيد كيـــسي إليّ، ومن ورائه رمقتني عينا ريبرتون الخضراوان بنظرة مهددة، وكأنهما كانتا تقولان: *أقفل فمك، هذا بيننا*. قـــبل سنة من ذلك الحين، لربما كنت سأمتثل له وأستمر باللعبة، بدافع من شعور غبـــي بالكبرياء، ولكن ليس بعد الآن.

"ما الأمر يا دينيس؟".

"كـــان يـــضمر الشر لآرني منذ الصيف. إنه يحمل سكيناً، وبدا وكأنه كان يخطط لطعنه بها –".

"أيها الكاذب اللعين! أنا لا أحمل أي سكين!".

نظر السيد كيسي إليه من دون أن يتفوه بكلمة. في تلك الأثناء، بدأ القلق يظهر على وجهي فاندنبيرغ وويلش. لقد تطورت عقوبتهما المحتملة على هذا الشجار الصغير لتتجاوز الاحتجاز، الذي اعتادا عليه، والطرد المؤقت، الذي اختبراه من قبل، باتجاه الطرد النهائي.

بقي لدي كلمة أخرى لأقولها: "إنها سكين تُفتَح بكبسة زر".

هنا أصبحت عينا ريبرتون تقذفان شرراً، وتعداني بعقاب شديد، وتعقّب طويل الأمد. "إنه يكذب سيد كيسي. إنه يكذب. أقسم بالله".

نظـــر الـــسيد كيـــسي ببطء إلى آرني وقال له: "كانينغهام، هل شهر ريبرتون سكيناً عليك؟".

لم يجب آرني في البداية، لكنه قال بعد تلكؤ بصوت خافت بالكاد كان مسموعاً: "أجل".

في تلك اللحظة أصبحت نظرات بادي الملتهبة ترمقنا كلينا معاً.

التفت السيد كيسي إلى موتشي وفاندنبيرغ. أدركت على الفور أن طـــريقته في معالجـــة الأمر قد تغيرت. لقد بدأ يتقدم ببطء وبحذر شديد، كأنه كان يختبر الأرض تحته بعناية مع كل خطوة يخطوها. لقد بات يعرف العواقب مسبقاً. سألهما: "هل كانت هناك سكين؟".

طأطأ فاندنبيرغ وموتشي رأسيهما، ونظرا إلى أقدامهما من دون أن يجيبا. ولكن، كانت تلك إجابة كافية.

قال السيد كيسي: "أفرغ جيوبك يا بادي".

صرخ بادي بغضب: "لن أفعل! لا يمكنك إجباري!".

"إذا كنت تعني أنني لا أملك الصلاحية، فأنت غير مصيب. وإذا كنت تعني أنني غير قادر على إفراغ جيوبك بنفسي إذا ما قررت ذلك، فأنت غير مصيب أيضاً. ولكن -".

قاطعـــه بـــادي قـــائلاً بالحدة نفسها: "صحيح، حاول، حاول. سأرمي بك على ذلك الحائط أيها الأصلع الوضيع اللعين!".

بدأت معدتي تتقلب بشدة. كنت أكره مواقف المواجهة الكريهة تلك، ولم يسبق لي أن كنت طرفاً في مواجهات سيئة كهذه.

لكـــن السيد كيسي كان مسيطراً على الوضع تماماً، حيث قال: "لكنني لن أفعل، لأنك ستفرغ جيوبك بنفسك".

"هذا مستحيل!" كان واقفاً وظهره يقابل حائط الورشة بحيث لم يكـــن جيبه الخلفي المنتفخ ظاهراً. وكان طرف قميصه متدلياً في ثنيتين

مجعـــدتين أمام الجزء الذي يغطي أعضائه التناسلية من سروال الجينـــز. كانت عيناه لا تتوقفان عن الحركة مثل عيني حيوان محاصَر.

التفت السيد كيسي إلى فاندنبيرغ وموتشي وقال لهما: "أنتما أيها الـــولدان اذهبا إلى المكتب، وابقيا هناك حتى أحضر. ولا تذهبا إلى أي مكان آخر، يكفيكما الورطة التي أوقعتما نفسيكما فيها".

بـــدآ يمـــشيان على مهل، متلاصقين وكأنهما كانا يحميان بعضهما. الـــتفت موتشي إلى الخلف وهو يمشي ورمقني بنظرة خاطفة ثم لوى رأسه وأكمـــل طـــريقه. قُـــرع الجرس في المبنى الرئيس، فبدأ الطلاب بالعودة جماعات جماعات إلى الداخل، بعضهم كانوا يرموننا بنظرات فضولية. لقد فاتنا الغداء. ليست مشكلة، فأنا لم أعد أشعر بالجوع، على كل حال.

عاد السيد كيسي، وركز انتباهه إلى ريبرتون من جديد. قال له: "إنـــك علـــى أرض المدرسة الآن. ينبغي لك أن تحمد الله على ذلك، لأنـــك إذا كنت تملك سكيناً بالفعل، يا بادي، وإذا كنت قد شهرتها، فهذا اعتداء بسلاح قاتل. إنهم يرسلونك إلى السجن بسبب ذلك".

صـــرخ ريـــبرتون: "أثـــبت ذلك، أثبت ذلك". كانت وجنتاه تشتعلان، وكان يتنفس بصورة سريعة وعصبية.

"إن لم تفـــرغ جـــيوبك الآن، سأكتب مذكرة طرد بحقك. ثم سأستدعي الشرطة، وحالما تخرج من البوابة الرئيسة، سيمسكون بك. أترى الورطة التي أنت فيها؟" نظر إليه بتجهم ثم أكمل: "إننا نعتني ببيتنا هنا، ولكن إذا اضطُررت إلى كتابة مذكرة طرد بحقك، فإنك ستصبح ملكهـــم. بالطـــبع، إذا لم تكن تحمل سكيناً، فأنت بأمان. ولكن، إذا كنت تحملها ووجدوها معك -".

خـــيَّمت لحظة من الصمت علينا نحن الأربعة. لم أكن أعتقد أنه ســـيقدم على إظهار السكين. ظننت أنه سيأخذ مذكرة طرده، ويحاول

التخلص من السكين بسرعة. ولكن، لا بد أنه أدرك أن الشرطة كانت ستبحث عنها وستجدها، لأنه أخرج السكين من جيبه الخلفي فجأة ورماها على الأرض. حطّت على جهة زر فتح النصل، فانبثق النصل والتمع في ضوء شمس بعد الظهر.

نظر آرني إليها، ومسح فمه بالجزر الخلفي من يده.

قال السيد كيسي بهدوء: "اذهب إلى المكتب يا بادي. انتظر حتى آتي إلى هناك".

صاح ريبرتون بشكل هستيري: "اللعنة على المكتب!" سقطت خصلة شعر على جبهته فرفعها بيده بنزق وقال: "سأخرج من زريبة الحيوانات المقرفة هذه".

قال السيد كيسي ببرود شديد: "أجل، حسناً، جيد". عرفت حينئذ أن ريبرتون انتهى تماماً من ثانوية ليبرتيفيل. لن يكون هناك احتجاز ولا إجازة لمدة ثلاثة أيام. سيتلقى أبواه مذكرة طرد زرقاء اللون بواسطة البريد تشرح لهما الأسباب التي دعت لطرد ابنهما وتعلمهما بحقوقهما وخياراقمما القانونية في المسألة.

نظر ريبرتون إلينا، أنا وآرني، ثم ابتسم وقال: "سأهتم لكما. سأنتقم منكما. ستتمنيان لو أنكما لم تولدا". ركل السكين بقدمه فراحت تدور وهي تلمع حتى استقرت على حافة الطريق. ثم مشى مبتعداً. كان الكعب المعدني لجزمته - التي ينتعلها راكبو الدراجات النارية - يطقطق ويقشط الأرض وهو يمشي.

نظر السيد كيسي إلينا بوجه حزين وتعب، ثم قال: "أنا آسف".

قال آرني: "لا بأس".

"هل تريدان إذنين بالخروج أيها الولدان؟ سأكتبهما لكما إذا كنتما تودان الذهاب إلى البيت لبقية اليوم".

نظرت إلى آرني، الذي كان ينفض قميصه بيده، فهز رأسه دلالة على الرفض. وأيدته أنا قائلاً: "لا، نحن بخير".

"حسناً، سأكتب مذكرتي تأخير فقط".

ذهبنا إلى غرفة السيد كيسي، فكتب لنا مذكرتين تبرران تأخرنا عـــن الحصة، وتصادف أنها كانت حصة مشتركة في ما بيننا؛ الفيزياء المـــتقدمة. وعندما دخلنا مختبر الفيزياء رمقتنا الكثير من الأعين بنظرات فضولية إضافة إلى بعض الهمسات الخفية.

نُشرت ورقة الغياب في نهاية الحصة السادسة. ألقيت نظرة عليها فرأيت أسماء ريبرتون وفاندنبيرغ وويلش، مع حرف (ط) - أي طرد - بعـــد كل واحد منها. اعتقدت أنني وآرني سنُستدعى إلى المكتب بعد نهاية المدرسة من أجل إخبار الآنسة لوثروب - مسؤولة الانضباط - بما حدث، لكننا لم نُستدعَ.

بحـــثت عن آرني بعد المدرسة، معتقداً أننا سنذهب إلى البيت معاً بـــسيارتي ونـــتحدث حول الأمر قليلاً، لكنه كان قد ذهب إلى مرأب دارنل من أجل العمل على كريستين.

17

كريستين تسير على الطرقات مجدداً

لم أحـــظَ بفرصـــة للتحدث مع آرني إلا بعد مباراة يوم السبت التالي. وكانت تلك أيضاً هي المرة الأولى التي أرى فيها كريستين تسير على الطريق من جديد منذ اليوم الذي اشتراها فيه.

ذهب الفريق إلى مدرسة هيدين هيلز - التي تبعد ستة عشر ميلاً عـــن بلدتنا - في أهدأ رحلة مدرسية اشتركت فيها في حياتي الدراسية

بأكملها. كنا جالسين وكأننا ماضون في طريقنا إلى المقصلة وليس إلى مـــباراة كـــرة قدم. وبالرغم من أن نتيجة الفريق الآخر لم تكن أفضل كـــثيراً من نتيجتنا (1 - 2)، إلا أن ذلك لم يفرح أياً منا كثيراً، في ما كـــان يبدو. كان المدرب بافر جالساً وراء السائق بشحوب وصمت، وكأنه كان يعاني من صداع بعد ليلة أمضاها بشرب الشراب.

في العـــادة، كـــنا نذهب للعب خارج أرضنا بقافلة أشبه بقافلة سيرك. فبالإضافة إلى باص الفريق، يكون هناك باص آخر، محملاً بفريق المـــشجعات، وفرقة موسيقية، وكل طلاب المدرسة الثانوية المسجلين كمـــشجعين. وخلـــف الباصـــين كنت تجد خمس عشرة أو عشرين ســـيارة - معظمها ملأى بالمراهقين، ومعظمها تحمل ملصقات شعار الفـــريق (اهزموهم يا تيرييرز) على مصدّاهًا الخلفية - تطلق زماميرها وتومض بمصابيحها.

ولكن، في تلك الرحلة، كان هناك باص قائدات التشجيع والفرقة الموسيقية فقط (وحتى هذا الباص لم يكن ممتلئاً - في الموسم الذي نكون فيه منتصرين، إذا لم تسجّل في الباص الثاني قبل يوم الثلاثاء، فلن تكون لـــك فرصـــة) وثلاث أو أربع سيارات خلفه. كنت جالساً في باص الفـــريق بجانب ليني بارونج، متسائلاً بتجهم ما إذا كنت سأتلقى ضرباً مـــبرحاً في ذلـــك الـــيوم، غير مدرك أن كريستين كانت من ضمن السيارات القليلة التي تسير وراءنا.

رأيتها عندما ترجلت من الباص في موقف السيارات التابع لمدرسة هـــيدين هيلـــز. كانـــت فرقتهم الموسيقية موجودة على أرض الملعب مـــسبقاً، وكان صوت دقات الطبل الكبير يصل إلى مسامعنا بوضوح تحت السماء الملبدة بالغيوم والمنذرة بهطول المطر. كان يبدو أنه سيكون أول يوم سبت صالح للعب كرة القدم - بارد وغائم، وربما ممطر أيضاً.

مجرد رؤية كريستين واقفة بجانب باص الفرقة الموسيقية فاجأتني بما يكفـــي، ولكن عندما خرج آرني من جانب، وخرجت لي كابوت من الجانب الآخر، أُصبت بذهول تام، وببعض الغيرة أيضاً. كانت ترتدي ســـروالاً بنـــياً فضفاضاً وكنـــزة بيضاء مصنوعة من الصوف الثخين، وكان شعرها الأشقر يتطاير بروعة فوق كتفيها.

"آرني، هيي، يا رجل!".

قال آرني بشيء من الخجل: "مرحباً دينيس".

كـــنت واثقـــاً أن بعض اللاعبين النازلين من الباص سيشعرون بالدهشة نفسها التي شعرت بها؛ ها هو كانينغهام وجه البيتزا مع المنتقلة الرائعة من ماساتشوستس. كيف حصل ذلك؟

"كيف حالك؟".

قال آرني: "جيد. هل تعرف لي كابوت؟".

"من الصف. مرحباً لي".

"مرحباً دينيس. هل ستفوزون اليوم؟".

أخفـــضت صوتي حتى أصبح همساً خشناً وقلت: "لقد رتبنا الأمر كله. راهني على شيء عزيز".

احمـــر وجـــه آرني قلـــيلاً، ووضـــعت لي يدها على فمها، وضحكت.

ثم قلت: "سنحاول، لكنني لا أعرف".

قـــال آرني: "سنـــشجعكم حتى تنتصروا. بوسعي رؤية ذلك في صحيفة الغد منذ الآن – جيلدر يحلّق في السماء، ويحطم الرقم القياسي في تسجيل النقاط الست".

قلـــت: "جيلدر يؤخذ إلى المستشفى مع جمجمة مكسورة، هذا أرجح. كم عدد الشبان الذين جاؤوا؟ عشرة؟ خمسة عشر؟".

قالــت لي: "هــناك مــساحة كافية على المدرجات بالنسبة إلى الأشــخاص الــذين جاؤوا معنا". ثم أخذت بذراع آرني – ما أدهشه وأسعده، كما أظن. كان يمكن لها أن تكون إما ساقطة أو غبية تماماً – يــبدو لي أن الكثير من الفتيات الجميلات فعلاً ينتمين إلى هذه الفئة أو تلك – لكن لي لم تكن من هذه أو تلك.

سألت آرني: "كيف السيارة؟" ثم مشيت نحوها.

"ليست سيئة جداً". تبعني محاولاً كبح ابتسامة عريضة.

لقــد تطــوّر العمل بشكل جيد، ولم تعد الفيوري تبدو مجنونة ومــشوهة تمامــاً. فقد استُبدل نصف المبرد الأمامي القديم والصدئ، واختفت شبكة التشققات على الزجاج الأمامي كلياً.

"استبدلت الزجاج الأمامي؟".

أومأ آرني برأسه.

وكان غطاء المحرك جديداً تماماً، بلون أحمر مثير للنظر، في تناقض حــاد مع جوانب السيارة المبرقعة ببقع الصدأ. تحسسه آرني بشيء من الملكية، ثم تحول اللمس إلى مداعبة.

"أجل، لقد ركّبت هذا بنفسي".

"قلــت إنــك ستحوّلها إلى قطعة للفرجة، وأعتقد أنني بدأت أصدّقك". مشيت نحو جانب السائق، فرأيت أن الأرضية والجوانب الداخلــية للأبــواب كانــت لا تــزال قذرة ومقشوطة، غير أن غطــاء المقعــد الأمامي كان قد استُبدل بواحد جديد مثل الغطاء الخلفي.

قالــت لي: "ســتكون جمــيلة". لكنني استشعرت تغيراً في نبرة صــوتها – لم يكــن حيوياً وطبيعياً كما كان عندما كنا نتحدث عن المــباراة، وهذا ما جعلني أنظر إليها. ولم يتطلب الأمر إلا نظرة واحدة

لأعرف أنها لم تكن تحب كريستين. أدركت ذلك بهذه البساطة وكأنني التقطت إحدى موجات عقلها من الهواء. ربما ستحاول أن تحبها، لأنها كانت تحب آرني، لكنها لن تحبها أبداً بشكل حقيقي.

"إذاً، لقد جعلتها صالحة للسير على الطرقات بشكل قانوني".

"في الحقيقة، ليس تماماً".

"ماذا تعني؟".

"الزمور لا يعمل، وأحياناً لا تشتعل الأضواء الخلفية عندما أدوس على المكبح. ثمة انقطاع في مكان ما، لكنني لم أتمكن من معرفة مكانه حتى الآن".

نظـــرت إلى الزجاج الأمامي الجديد، فرأيت ملصق فحص جديد علـــيه. كان آرني يتابع نظراتي، فبدا عليه الارتباك ومحاولة إخفاء شيء ما، ثم قال: "ويل أعطاني الملصق".

قالـــت لي، موجهة السؤال إلى كلينا: "إنها ليست خطرة، أليس كـــذلك؟" تغضَّن جبينها قليلاً، وكأنها أحست بتيار بارد مفاجئ بيني وبين آرني.

قلت لها: "لا، لا أظن ذلك".

قطـــع تعليقي هذا التوتر البسيط الذي ظهر قبل قليل. وصل إلى مسامعنا صوت زعيق الآلات النحاسية، تبعه صوت مرشد الفرقة وهو يقـــول: "*مـــرة أخرى من فضلكم! هذا رودجرز وهامرشتاين، وليس روك أند روووول! مرة أخرى من فضلكم!*".

نظـــرنا إلى بعضنا بعضاً، ثم ضحكنا أنا وآرني، وانضمت لي إلينا بعـــد لحظـــة. نظرت إليها فشعرت بغيرة مؤقتة من جديد. كنت أتمنى الأفـــضل لـــصديقي آرني، لكنها كانت رائعة بحق؛ بين السابعة عشرة والثامـــنة عـــشرة من عمرها، جميلة، فاتنة، كاملة، وتنضح بالحيوية.

صحيح أن روزان كانت جميلة، لكن لي جعلتها تبدو مثل ذلك الحيوان الكسول متسلق الأشجار وهو يغط في النوم.

هـــل كانت تلك هي اللحظة التي بدأت أرغب فيها؟ نعم، أظن ذلـــك. لكنني أقسم لكم أنني لم أكن لأقدم على أي خطوة تجاهها لو سارت الأمور بشكل مختلف. إنني فقط أعتقد أن القدر لم يشأ أن تسير الأحداث بصورة مختلفة.

عـــندئذ قالت لي: "علينا أن نذهب يا آرني، وإلا فلن نحصل على مقعد جيد في مدرجات الضيوف".

ابتسم آرني. كانت لا تزال تقبض برقة على ذراعه، وهو كان لا يزال يبدو مذهولاً إلى حدٍّ ما. كيف لا؟ لو أنني كنت مكانه، أخوض تجـــربتي الأولى مـــع فتاة بمثل جمال لي، لكنت الآن قطعت ثلاثة أرباع الطـــريق المـــؤدي للوقوع في حبها. كنت أتمنى له كل السعادة معها. أعـــتقد أنني أريد منكم أن تصدِّقوا ذلك، حتى لو لم تصدقوا أي شيء ســـأخبركم به من الآن فصاعداً. إذا كان هناك شخص يستحق بعض السعادة، فهو آرني بكل تأكيد.

في تلك الأثناء، كان بقية الفريق قد دخلوا إلى غرفة تغيير الملابس المخصـــصة للفريق الزائر في الجزء الخلفي من الملعب. مدّ المدرب بافر رأســـه من الباب وقال لي: "هل يمكن أن تتكرم بالحضور سيد جيلدر؟ أعرف أن هذا طلب كبير، وأتمنى أن تغفر لي إذا كنت تقوم بشيء أكثر أهمية، أما إذا كنت لا تفعل شيئاً، فهل تتفضل وتأتي إلى غرفة الملابس؟".

قلـــت لآرني ولي بصوت منخفض: "هذا رودجرز وهامرشتاين وليس روك أند روول". ثم أسرعت نحو الغرفة.

قبل أن أصل إلى الباب - كان المدرب قد دخل الغرفة - التفتُّ إلى الـــوراء، فـــرأيت أن آرني ولي كانـــا في طريقهما إلى المدرجات.

تـــوقفت، وعـــدت إلى كريستين، بالرغم من أنني قد أتأخر على تغيير ملابسي. مشيت حولها - كان ذلك الحذر السخيف من المشي أمامها لا يزال يتملكني.

رأيـــت علـــى جانبها الخلفي لوحة ترخيص مؤقتة من بنسلفانيا معلقـــة بواســـطة نابض. قلبت اللوحة فرأيت شريطاً ملصقاً عليها من الخلف كُتب عليه: هذه اللوحة ملك لمرأب دارنل، ليبرتيفيل، بنسلفانيا. تـــركت اللـــوحة تعود إلى مكانها، ووقفت متجهم الوجه. لقد أعطى دارنل ملصق فحص لآرني بالرغم من أن سيارته كانت لا تزال بحاجة إلى الكـــثير قبل أن تصبح صالحة للسير بشكل قانونية على الطرقات، وأعـــاره لـــوحة ترخيص مؤقتة كي يتسنى له أن يجلب لي إلى المباراة. وبالإضـــافة إلى ذلـــك، لم يعد آرني يدعوه بدارنل، إذ دعاه اليوم ويل فقط. هذا مثير للانتباه، لكنه غير مريح.

تـــساءلت في نفـــسي إذا كان آرني غبياً إلى درجة التصديق أن أشخاصـــاً مثل ويل دارنل في هذه الحياة يقدِّمون الخدمات بسبب طيبة قلـــوبهم. تمنـــيت ألا يكون بهذا الغباء، لكنني لم أكن متأكداً. لم أعد مـــتأكداً بـــشأن الكثير مما يتعلق بآرني. لقد تغير كثيراً خلال الأسابيع القليلة الماضية.

على كل حال، لقد أُصبنا بمفاجأة كبيرة وفزنا في المباراة. وكانت تلـــك واحدة من اثنتين نفوز بهما في الموسم بأكمله... لكنني لن أكون مع الفريق عند انتهاء الموسم.

دخلنا الملعب، ونحن نشعر أننا سنخسر. وخسرنا القرعة التي تحدد البادئ في اللعب. وصل فريق هيلمان (يا له من اسم غبـــي يُطلَق على فـــريق، ولكن ما الذكاء في أن تُعرَف باسم تيريرز؟) إلى مسافة خمسة وثلاثـــين متراً في أول لعبتين له، مخترقاً صف دفاعنا، وكأنه قطعة من

الجـــبن. في اللعبة الثالثة، ركل ظهيرهم الربعي الكرة مرغماً، فأمسكها جاري تارديف، وركض مسافة خمسة وخمسين متراً، وسجل هدفاً مع ابتسامة كبيرة على وجهه.

جنّ جنون فريق هيلمان ومدربهم، معترضين على أن الكرة كانت خارج الملعب عند خط البدء، لكن الحكام رفضوا احتجاجهم، وتقدَّمنا 6 – 0. كـــان باستطاعتي رؤية القسم الخاص بالضيوف من المدرجات من مكاني على مقعد الاحتياط؛ كان جمهور ليبرتيفيل قليل العدد يهلل مثل المجانين. كان آرني ولي يلوحان بأعلام الفريق. لوَّحت لهما فرأتني لي، وردّت علـــيّ بالمثل، ثم وكزت آرني فلوّح لي بدوره. كانا يبدوان مثل صديقين حميمين، الأمر الذي جعلني أبتسم.

أمـــا بالنسبة إلى المباراة، فبعد تسجيلنا الهدف المحظوظ الأول لم ننظـــر إلى الخلف مطلقاً. كنا نملك ذلك الشيء الباطني المسمى الزخم، للمرة الأولى في ذلك الموسم. لم أحطم الرقم القياسي في دوري المدارس الـــثانوية كما توقع آرني، لكنني سجلت ثلاث مرات، وفي واحدة منها قطعـــت كرة للفريق الآخر، وركضت مسافة ثلاثة وثمانين متراً وهي أطول مسافة حققتها في حياتي. كانت النتيجة في الشوط الأول 17 – 0 والمـــدرب أصـــبح شخـــصاً آخر تماماً. كان في غاية الحماسة، وأنا شـــعرت بالسعادة لأجله، كما كنت أشعر تجاه آرني ولي، اللذين كانا يتقربان من بعضهما بسلاسة وسرعة.

بالرغم من أن الشوط الثاني لم يكن جيداً بالنسبة إلينا، إذ استأنف دفاعنا وضعيته المتراجعة التي اتخذها في المباريات الثلاث السابقة، إلا أن النتيجة لم تصبح متقاربة تماماً، وفزنا في النهاية بنتيجة 27 – 18.

أخـــرجني المـــدرب في منتصف الربع الرابع، ليضع مكاني بريان ماكـــنالي، الـــذي سيحل محلي في السنة التالية؛ بل في وقت أبكر من

ذلك، كما سيتبين لاحقاً. استحممت، وبدَّلت ثيابي، ثم خرجت مع انطلاق إنذار الدقيقتين الأخيرتين من المباراة.

كان موقف السيارات مليئاً بالسيارات، لكنه كان خالياً من البشر. سمعت صوت تهليل عالٍ من الملعب من مشجعي فريق هيلمان الذين كانوا يحفِّزون لاعبيهم للقيام بالمستحيل في آخر دقيقتين من عمر المباراة. ثم توجهت نحو كريستين.

لمستها، وحاولت أن أداعبها كما كان آرني يفعل، وأن أحبها من أجل آرني كما تفعل لي. لا شك في أنه إذا كان هناك أحد يجب عليه أن يحمل نفسه على محبتها، فهو أنا، لأن لي تعرَّفت على آرني منذ شهر تقريباً، أما أنا فكنت أعرفه طوال حياتي.

مررَّت يدي على سطحها الصدئ، فتذكرت جورج ليبي، وفيرونيكا وريتا ليبي، وفجأة تحولت اليد المداعبة إلى قبضة، وهوت بقوة على الجانب الخلفي لكريستين، بقوة كافية بحيث آلمتني يدي ما جعلني أضحك متسائلاً ما الذي كنت أفعله.

حاولت فتح الباب الأمامي فوجدته مقفولاً. بدا بالنسبة إليّ وكأن تلك السيارة لم تكن تحبني (هذه الفكرة كانت مضحكة بحق)، كأنها كانت تشك في أنني كنت أريد الحؤول بينها وبين آرني. ضحكت مجدداً، ثم تذكرت حلمي فتوقفت عن الضحك. لعقت شفتي، وأدركت أنني كنت خائفاً. حاولت طرد الفكرة من ذهني. ولكي أثبت أنني لم أكن خائفاً إلى ذلك الحد، ركعت على ركبتي، ونظرت إليها من الأسفل. وما رأيته هناك كان أكثر جنوناً من الطريقة العشوائية التي رُمِّمت بها السيارة من الأعلى. كان هناك ثلاث ماصات جديدة للصدمات من نوع بليسورايزر، لكن الرابع كان مهترئاً فاحم السواد، وكأنه كان هناك منذ الأزل. والوصلة

الملتوية الملحقة بأنبوب العادم كانت جديدة إلى درجة أنها كانت لا تزال فضية اللون، في حين أن كاتم الصوت كان يبدو متوسط العمر على الأقل، أما أنبوب الطابوق فكان في حالة سيئة للغاية. وبينما كنت أنظر إلى الرأس مفكراً في إمكانية تسرب أبخرة العادم إلى السيارة منه، تذكرت فيرونيكا مجدداً، لأن أبخرة العادم يمكن أن تقتل الإنسان، إنها -.

"دينيس، ماذا تفعل؟".

أعتقد أنني كنت أكثر خوفاً مما كنت أظن، لأنني وقفت على قدميّ مثل السهم وقلبي يدق بسرعة كبيرة. كان آرني ينظر إليّ ببرود وغضب.

لأنني كنت أنظر إلى سيارته؟ ولماذا يغضبه ذلك؟ سؤال وجيه، لكنه كان غاضباً بالفعل. كان ذلك واضحاً تماماً.

قلت له محاولاً التظاهر أنني طبيعي: "كنت ألقي نظرة على آلتك اللئيمة. أين لي؟".

قال بسرعة من دون أن يبعد عينيه عن وجهي: "اضطرت إلى الذهاب إلى حمام السيدات. دينيس، إنك أفضل أصدقائي، إنك أفضل صديق عرفته في حياتي كلها. ولعلك أنقذتني من الذهاب إلى المستشفى في ذلك اليوم عندما شهر ريبرتون تلك السكين، وأنا أعرف ذلك. ولكن، لا تقم بأي شيء من وراء ظهري، دينيس. لا تفعل ذلك أبداً".

سُمع صوت هدير قوي من الملعب؛ لقد سجَّل فريق هيلمان آخر هدف له مع بقاء أقل من ثلاثين ثانية على انتهاء المباراة.

"آرني، لا أعرف عما تتحدث". شعرت حينها بالذنب، بالطريقة نفسها التي شعرت بها عندما عرَّفني على لي، حينما كنت أتمعن في

تفاصـــيلها، حيـــنما رغبت بها قليلاً. ولكن، أن أقوم بشيء من وراء ظهره؟ هل كان ذلك ما أفعله؟

أعـــتقد أنـــه كان يرى الأمر بهذه الصورة. كنت مدركاً أن اهـــتمامه – تعلُّقـــه، هوســـه، اختر ما يناسبك من التوصيفات – اللاعقـــلاني بالسيارة كان بمثابة الغرفة المقفلة في منـــزل صداقتنا، الغـــرفة الـــتي لا يمكنني دخولها من دون إثارة كل أنواع المشاكل. صحيح أنه لم يراني وأنا أحاول فتح بابها، لكنه شاهدني وأنا أتلصص من ثقب الباب.

قـــال بغضب: "أعتقد أنك تعرف تماماً عما أتحدث. أنت وأبـــي وأمـــي كلكم تتجسسون عليّ *من أجل مصلحتي*، أليس كذلك؟ لقد أرسلاك إلى مرأب دارنل كي تتجسس عليّ، صحيح؟".

"هيي، آرني، انتظر لح –".

"يا ولد، أتظن أنني لن أكتشف الأمر؟ لم أقل أي شيء في حينها لأنـــنا صديقان. ولكن، لا أعرف، دينيس. يجب أن يكون هناك حدّ، وأعتقد أنني سأضعه. لم لا تترك سيارتي وشأنها وتتوقف عن التدخل في ما لا يعنيك؟".

"أولاً، ليس أباك وأمك. أبوك أخذني جانباً، وطلب مني أن ألقي نظـــرة على ما كنت تقوم به بخصوص السيارة. فقلت له إنني سأفعل، كنت أنا نفسي أشعر بالفضول. كان أبوك طيباً معي دائماً. ماذا كان يُفترض بـــي أن أقول؟".

"كان يُفترض بك أن تقول لا".

"إنـــك لا تفهـــم الأمر. إنه إلى جانبك. أمك لا تزال تأمل أن تفـــشل – هذا ما فهمته – لكن مايكل يتمنى حقاً أن تجعلها تسير. هو قال ذلك".

قـــال بازدراء: "بالتأكيد، تلك هي الطريقة التي دخل بها عليك. كل ما هو مهتم به، في الواقع، هو التأكد من أنني لا أزال معاقاً. ذلك ما يهمهما كليهما. لا يريداني أن أنضج لأن ذلك سيجعلهما يواجهان حقيقة أنهما يتقدمان في السن".

"هذا قاسٍ جداً يا رجل".

"لعلـــك تظـــن ذلك. لعل انتمائك لعائلة طبيعية يجعلك ساذجاً، دينـــيس. لقد عرضا عليّ سيارة جديدة مقابل التخرج من الثانوية، هل تعلم ذلك؟ كل ما عليّ فعله هو التخلي عن كريستين، والحصول على علامـــات A، والذهاب إلى هورليكس... كي يتمكنا من إبقائي تحت نظرهما لأربع سنوات أخرى".

لم أعرف ماذا أقول.

"فلتبقَ بعيداً عنها، دينيس. هذا كل ما أطلبه منك. سنكون كلينا أفضل حالاً".

" لم أقل له أي شيء، على كل حال. فقط إنك كنت تقوم ببعض الأشياء هنا وهناك. وبدا وكأنه صدَّق ذلك".

"صحيح، أراهن على ذلك".

" لم تكن لدي فكرة أنها أصبحت قريبة من أن تصبح صالحة للسير على الطرقات بشكل قانوني كما هي الآن، مع أنها ليست كذلك تماماً. لقـــد نظرت تحتها، إن أنبوب الطابوق في حالة مزرية. أتمنى أن تقودها ونوافذك مفتوحة".

"لا تقل لي كيف أقودها! إنني أعلم ما يجعل السيارات تسير أكثر مما ستعرفه طوال حياتك!".

هـــنا بـــدأت أغـــضب منه. لكنني لم أشأ أن أتشاجر مع آرني، خـــصوصاً وأن لي ستنـــضم إليـــنا في أي لحظة، ولهذا قلت له محاولاً

السيطرة على نبرة صوتي: "ربما ذلك صحيح، لكنني لست متأكداً من مقدار معرفتك بالناس. لقد أعطاك ويل دارنل ملصقاً غير مناسب؛ إذا قُبض عليك فإنه قد يفقد شهادة الفحص الحكومية. لقد أعطاك لوحة مؤقتة. لماذا فعل هذه الأشياء، آرني؟".

للمـــرة الأولى بدا آرني في حالة دفاعية: "لقد أخبرتك. إنني أقوم ببعض الأعمال لصالحه".

"لا تكـــن غبـــياً. ذلك الشخص لا يعطي عكازاً لسرطان بحري معاق إلا إذا كان هناك شيء بالمقابل، وأنت تعرف ذلك".

"دينيس، هل ستتركها وشأنها، كرمى لله؟".

قلت له وأنا أقترب منه: "يا رجل، إنني لا أكترث إذا كنت تملك سيارة. إنني فقط لا أريد أن تقع في ورطة بسببها. صدقاً".

نظر إلي بشيء من الريبة.

"أعـــني، لماذا نحن نصرخ على بعضنا؟ لأنني نظرت تحت سيارتك لأرى كيف كان أنبوب العادم معلقاً؟".

لكـــن ذلك لم يكن كل ما كنت أقوم به. بعضه... ولكن ليس كله. وأعتقد أن كلينا كنا نعرف ذلك.

كانـــت السماء قد بدأت تسقط قطرات متفرقة من المطر، وبدأ الجـــو يـــبرد. سمعنا من الملعب دوي الطلقة الختامية معلنة نهاية المباراة. نظـــرنا إلى المكان الذي صدر منه الصوت فرأينا لي آتية نحونا، حاملة علَمها وعلَم آرني. لوّحت لنا، فلوَحنا لها بدورنا.

"دينيس، بإمكاني الاعتناء بنفسي".

"حـــسناً. أتمنى ذلك". فجأة أردت أن أسأله حول مدى علاقته بـــدارنل. ولكـــن، لم يكن بوسعي طرح هذا السؤال، لأنه كان سيثير جدالاً أكثر قسوة.

"بإمكاني فعل ذلك". لمس آرني السيارة، فتحولت نظرته القاسية على الفور إلى نظرة رقيقة.

أحسست بمزيج من الراحة والإحباط؛ الراحة لأننا لم نتشاجر في نهايـــة المطاف، حيث تجنَّبنا قول الأشياء التي لا يمكن إصلاحها. ولكن بدا لي في الوقت نفسه أن تلك الغرفة المقفلة في منـــزل صداقتنا لم تكن مجـــرد غـــرفة واحدة فقط، بل جناحاً لعيناً بأكمله. لقد رفض بالمطلق الاســـتماع لمـــا كان ينبغي لي قوله، ووضع شروطاً لاستمرار صداقتنا بوضـــوح تام: كل شيء سيكون على ما يرام طالما أنك تقوم بالأمور على طريقتي. ولو أنه تمعن قليلاً في موقفه هذا لأدرك أنه يطابق موقف والديه تماماً.

وصـــلت لي وقطـــرات المطر تلتمع في شعرها. كان لونها مشرقاً وعيناها تبرقان صحة وابتهاجاً.

سألها آرني: "كيف انتهت؟".

"ســـبعة وعشرون مقابل ثمانية عشر" توقفت للحظات ثم أضافت بسعادة غامرة: "لقد سحقناهم. أين كنتما؟".

أجبـــتها: "كـــنا نتحدث حول السيارات فقط". رمقني آرني بنظرة فرحة؛ على الأقل، حس المرح لديه لم يختفِ مع اختفاء قدرته علـــى الحكـــم على الأشياء. لكن الطريقة التي كان ينظر بها إليها جعلتني أشعر بوجود بعض الأمل. كان في طريقه للوقوع في حبها، رأســـاً على عقب. صحيح أن وقعته كانت بطيئة في ذلك الوقت، ولكن من المؤكد أنها كانت ستتسارع إذا ما سارت الأمور بشكل صحيح.

في ذلـــك الـــوقت، بـــدأ الـــناس يخرجون من الملعب، لاعبونا ولاعبوهم، جمهورنا وجمهورهم.

قالت لي بسخرية لطيفة: "تتحدثان حول السيارات فقط". ثم التفتت نحو آرني وابتسمت له، فردّ بابتسامة رقيقة نصف غافية جعلت قلبي يرقص فرحاً. كان باستطاعتي معرفة – من مجرد النظر إليه – أنه كلما كانت لي تبتسم له بتلك الطريقة، كانت كريستين تصبح أبعد الأشياء عن ذهنه، كانت تعود إلى موقعها الأصلي كشيء، كوسيلة مواصلات.

وقد أعجبني ذلك كثيراً.

18

على المدرجات

رأيت آرني ولي في ممرات المدرسة مرات عديدة خلال الأسبوعين الأولين من تشرين الأول؛ في البداية، مستندين إما إلى خزانته أو خزانتها يتبادلان الحديث قبل قرع جرس الدخول إلى الصف، ثم متشابكي الأيدي، بعد ذلك وهما مغادريْن المدرسة كل واحد منهما يلف ذراعه حول الآخر. بحسب لغة المدرسة، كانا *يخرجان معاً*، لكنني كنت أعتقد أن الأمر كان أعمق من ذلك؛ كانا متحابين.

لم أرَ كريستين منذ اليوم الذي هزمنا فيه فريق هيدين هيلز. كان واضحاً أنها عادت إلى مرأب دارنل من أجل المزيد من الإصلاحات؛ لعل ذلك كان جزءاً من الاتفاق الذي عقده آرني مع دارنل عندما أعطاه الأخير اللوحة المؤقتة والملصق غير القانوني. صحيح أنني لم أرَ كريستين، لكنني رأيت آرني ولي كثيراً، وسمعت عنهما الكثير أيضاً. كانا الموضوع الساخن في أحاديث المدرسة. كانت الفتيات تردن معرفة

مـــاذا *رأت* فيه، بحق الله. أما الفتية – الأكثر عمليةً ومباشرةً دائماً – فكانـــوا يريدون فقط أن يعرفوا إذا كان صديقي الضعيف قد تمكّن من الوصول إلى ما تحت... لم أكترث لكلا الأمرين، لكنني كنت أتساءل بـــين الحـــين والآخر ما هو رأي مايكل وريجينا في تجربة الحب الأولى الجارفة التي كان يعيشها ابنهما.

ذات اثـــنين في منتصف تشرين الأول، تناولت وآرني طعام الغداء علـــى المدرجات بجانب ملعب كرة القدم، كما خططنا في ذلك اليوم الذي شهر فيه ريبرتون السكين؛ لقد طُرد ريبرتون بالفعل من المدرسة لهذا السبب، في حين أخذ موتشي وفاندنبيرغ إجازة لمدة ثلاثة أيام. في تلـــك الأثناء كانا يبدوان مثل صبيين صالحين إلى حدٍّ بعيد. وفي تلك الأثـــناء أيضاً، خسر فريقنا مرتين إضافتين، وأصبحت نتيجتنا 1 – 5، وعاد المدرب بافر إلى صمته الكئيب.

جلسنا تحت شمس تشرين الأول اللطيفة، نتناول طعامنا من دون أن نقـــول الكثير. أخذ آرني بيضة متبّلة، وبادلها بإحدى شطائر اللحم الباردة التي جلبتها معي. أظن أن الآباء لا يعرفون إلا القليل القليل عن حياة أطفالهم السرية. ففي كل يوم اثنين، منذ الصف الأول الابتدائي، كانت ريجينا كانينغهام تضع بيضة متبلة في كيس غداء آرني، وبعد كل مـــرة كنا نتناول فيها اللحم في بيتنا (في أيام الآحاد عادةً)، كان كيس غدائـــي يضم شطيرة لحم. وهكذا أصبحت أكره شطائر اللحم وآرني يكـــره البيض المتبَّل. وكنت غالباً أتساءل ماذا سيكون رأي والدتينا لو علمـــتا أن القلـــيل من مئات البيض المتبل وعشرات شطائر اللحم قد أكلها آرني في حقيقة الأمر.

تحـــولت إلى الكعـــك الذي كان بحوزتي في حين أخرج آرني أصـــابع التين. نظر إليّ ليتأكد من أنني كنت أراقبه، وحشر أصابع

التين الست كلها في فمه، فانتفخت وجنتاه بصورة بشعة، وراح يلوكها.

"يا الله، يا للقرف!".

"ل - يييس - مق - ررررفاً".

بدأت ألكزه بأصابعي على جانبيه - لم يكن يتحمل الدغدغة في تلك المنطقة - وأنا أقول: "دغدغة على الجوانب! انتبه! سأدغدغك على جانبيك!".

بدأ آرني يضحك ناثراً بعض القطع الممضوغة من أصبع التين. أعرف كم يبدو هذا مقرفاً لكنه كان مضحكاً جداً.

"توقف، دينيس!".

"ماذا قلت؟ لا أستطيع أن أفهم ما تقول، أيها البربري اللعين".

ظللت أدغدغه وهو يتلوى ويتمايل ويضحك حتى ابتلع ما بقي في فمه وتجشأ.

"إنك مقرف يا كانينغهام".

قال بشيء من الافتخار: "أعرف". على حدّ علمي، لم يقم آرني بفعل ذلك - أي حشر ست من أصابع التين في فمه دفعة واحد - أمام أي شخص آخر. لو أنه فعل ذلك أمام والديه، لربما أُصيبت ريجينا بنوبة قلبية ومايكل بسكتة دماغية.

"ما هي أكبر كمية أكلتها؟".

"أكلت اثنتي عشرة ذات مرة، لكنني ظننت أنني كنت سأختنق".

ضحكت وقلت له: "ألم تفعل ذلك أمام لي حتى الآن؟".

"إنني أحتفظ بها إلى حفلة الرقص. وسأعطيها بعض الدغدغات على الجوانب أيضاً". ضحكنا سوياً، وعندها أدركت كم كنت

أفـــتقد آرني. صـــحيح أنـــني كنت مشغولاً بكرة القدم، وبالهيئة الطلابية، وبصديقة جديدة كنت آمل أنها ستسمح لي بمداعبتها قبل انتهاء موسم السينما الطرُقية (لم يكن لدي أمل كبير بالحصول على أكثر من ذلك، لأنها كانت مفتونة بنفسها كثيراً، ولكن سيكون من الممتع المحاولة على كل حال)، إلا أنني كنت أفتقد آرني. في البداية كانـــت هـــناك كريستين، والآن لي وكريستين؛ بهذا الترتيب، كما كنت آمل.

"أين هي اليوم؟".

"متوعكة. تمر في دورتها الشهرية، وأعتقد أنها مؤلمة فعلاً".

إذا كانـــت تناقش معه مشاكلها الأنثوية، فهذا يعني أن علاقتهما عميقة فعلاً.

"كـــيف حـــدث، وطلبت منها الذهاب إلى مباراة كرة القدم في ذلك اليوم؟ اليوم الذي لعبنا فيه ضد هيدين هيلز؟".

ضحك وقال: "المباراة الوحيدة التي حضرتها منذ سنتي الثانية. لقد جلبنا لك الحظ يا دينيس".

"اتصلت بها هكذا، وطلبت منها الذهاب معك؟".

"لـــيس تماماً. ذلك كان هو الموعد الوحيد الذي أحصل عليه". نظـــر إليّ بخجل وأكمل، "لا أعتقد أنني نمت أكثر من ساعتين في الليلة الـــتي ســـبقت ذلك الموعد. بعد اتصالي بها وقولها إنها ستذهب معي، كنت خائفاً حتى الموت من أن أقدم على فعل شيء أخرق، أو أن يظهر بادي ريبرتون راغباً في القتال، أو شيء من هذا القبيل".

"لكنك بدوت مسيطراً على الوضع تماماً".

"صحيح؟". بدا سعيداً بذلك. "حسناً، هذا جيد. لكنني كنت خائفـــاً. كـــنت أتكلـــم معها في الممرات، أنت تعلم؛ تسألني عن

الفروض وأشياء من هذا القبيل. كما انضمت إلى نادي الشطرنج، بالـــرغم مـــن أنها لم تكن جيدة تماماً... لكنها تتحسَّن الآن. إنني أعلِّمها".

أراهن على ذلك أيها اللئيم، قلت في نفسي، لكنني لم أجرؤ على قول ذلك جهراً.

"هكـــذا بعد مدة، بدأت أظن أنها يمكن أن تكون مهتمة بـــي. لعل إدراك ذلك تطلَّب مني وقتاً أطول بكثير من بعض الشبان الآخرين؛ شبان مثل دينيس".

"بالتأكيد، أنا فاتن".

قـــال بجديـــة: "لا، أنـــت لست كما تدعي، لكنك تعرف عن الفتـــيات. أنت تفهمهن. لكنني كنت أخاف منهن دائماً. لم أكن أبداً أعـــرف مـــاذا أقول. ولا أزال، باعتقادي. لكن لي شيء آخر. كنت خائفـــاً مـــن أن أطلب منها الخروج معي. أعني، إنها فتاة جميلة، جميلة فعلاً. ألا تظن ذلك، دينيس؟".

"أجـــل. علـــى حـــدّ علمـــي، إنهـــا أجمـــل فـــتاة في المدرسة".

ابتسم، وارتسمت علائم الرضا على وجهه، ثم قال: "أظن ذلك أيـــضاً. لكـــنني كنت أعتقد أن حبـــي لها هو الذي جعلني أراها بهذه الـــصورة. على كل حال، سمعت ذات يوم شخصين يتكلمان في مختبر الكيمياء - ليني بارونج ونيد سترومان - ونيد كان يخبر ليني أنه طلب منها الخروج معه فقالت لا، ولكن بصورة لطيفة... كأنها ربما ستفكر في الأمـــر إذا طلـــب منها مجدداً. تخيلتها تخرج مع نيد، وبدأت أشعر بالغيرة فعلاً. هذا سخيف. أعني، لقد قالت له لا وأنا أشعر بالغيرة، هل تفهم ما أعنيه؟".

ابتسمت، وأومأت له برأسي. على أرض الملعب كانت المشجعات تتدربن على بعض الحركات. لم أكن أعتقد أهن سيساعدن فريقنا كثيراً، لكن مراقبتهن كانت ممتعة.

"الشيء الآخر الذي صدمني هو أن نيد لم يكن يبدو غاضباً... أو خجلاً... أو منبوذاً. لقد حاول ورُفض، هذا كل ما في الأمر. عندها قررت أن باستطاعتي فعل ذلك أيضاً. مع ذلك، عندما اتصلت بها هاتفياً، كنت أتصبب عرقاً. يا رجل، كان ذلك محبطاً. ظللت أتخيلها تسخر مني وتقول شيئاً مثل *أنا، أخرج معك أنت، أيها القميء الصغير! لا بد أنك تحلم!*".

"صحيح، لا يمكنني أن أفهم لماذا لم تقل لك ذلك".

لكزني في معدتي وقال مازحاً: "دغدغة في المعدة، دينيس! سأجعلك تتقيأ!".

ابتسمت وقلت: "لا عليك. أخبرني البقية".

هز كتفيه قائلاً: "لم يبقَ الكثير لأخبره. ردت أمها على الهاتف عندما اتصلت، وقالت إنها ستناديها. سمعت صوت وضع السماعة على الطاولة، وكنت على وشك أن أقفل الخط". رفع آرني يده وقرَّب إبهامه من سبابته ثم أضاف: "كنت بهذا القرب من إقفال الخط. من دون مزاح".

"أفهم هذا الشعور". كنت أفهمه فعلاً. ما فعله آرني كان يتطلب شجاعة كبيرة. صحيح أنه أمر صغير، مجرد موعد، ولكن هناك فتياناً كثراً في المدرسة الثانوية لم يملكوا الشجاعة لطلب موعد من أي فتاة، ولو لمرة واحدة، طوال السنوات الأربع. وهؤلاء ليسوا شخصاً أو اثنين بل الكثير من الفتيان. وهناك الكثيرات من اللواتي لم يتقدم منهن أحد ليطلب الخروج معهن.

"أخـــذت الهاتف وقالت *ألو*. يا رجل، لم أستطع أن أقول شيئاً. حاولـــت ولكن لم يخرج مني شيء سوى صفير هواء ضئيل. ثم قالت *ألـــو، مـــن معي؟* وكأنها كانت مزحة ما، تعلم، فقلت لنفسي، هذا ســـخيف. إذا كـــان باســـتطاعتي التحدث معها في ممرات المدرسة، فبإمكاني التحدث معها على الهاتف اللعين، كل ما يمكنها قوله هو *لا* ، أعـــني أنهـــا لا تستطيع أن تطلق عليّ النار إذا ما طلبت منها موعداً. وهكذا قلت *هاي، هذا آرني كانينغهام*، فقالت *هاي*، وبدأنا الحديث. ثم أدركـــت أنني لا أعرف حتى متى أطلب منها الذهاب معي، وكان الكـــلام قد بدأ ينفد منا، وسرعان ما ستقفل الخط. هكذا طلبت منها أول شـــيء خطر ببالي، وهو أن تذهب معي إلى مباراة كرة القدم يوم الـــسبت. فقالت إنها تحب ذلك، هكذا مباشرة، وكأنها كانت تنتظرني كي أطلب منها ذلك، هل تفهمني؟".

"ربما".

"أجل، ربما".

رن الجرس مشيراً إلى بقاء خمس دقائق على بدء الحصة الخامسة. نهضت وآرني وبدأت المشجعات تخرجن من الملعب بسرعة، وتنانيرهن تتطاير في الهواء بشكل مثير.

نـــزلنا المدرجات، ورمينا كيسي الغداء في أحد براميل النفايات المطلية بألوان المدرسة – البرتقالي والأسود – ثم اتجهنا نحو المدرسة.

كـــان آرني لا يزال مبتسماً؛ لعله كان يتذكر الطريقة التي تغلّب فـــيها علـــى مخاوفه. ثم قال: "كان طلب الذهاب إلى المباراة شجاعة محضة".

"شـــكراً جزيلاً لك، أهذا ما أحصل عليه لقاء استنفاد طاقتي كل يوم سبت، هه؟".

"أنـــت تعـــرف مـــا أعنـــيه. ثم، بعد موافقتها على الذهاب معـــي، خطـــرت بـــبالي تلـــك الفكـــرة الفظيعة، فاتصلت بك، أتذكر؟".

فجـــأة تذكـــرت. لقـــد اتصل بـــي ليسألني إذا كانت المباراة ســـتجري على أرضنا، وبدا لي أنه صُعق - على نحو سخيف - عندما علم أنها كانت في هيدين هيلز.

"هكـــذا، وجدت نفسي في ذلك الموقف، عندي موعد مع أجمل فتاة في المدرسة، وأنا مجنون بها، وتبيَّن أن المباراة خارج أرضنا وسيارتي في مرأب دارنل".

"كان بوسعك أن تستقل الباص".

"أعـــرف ذلـــك الآن، لكنني لم أكن أعلم في ذلك الحين. في العادة يكون الباص ممتلئاً قبل أسبوع من المباراة. لم أكن أعرف أن عدداً كبيراً من الناس سيتوقفون عن حضور المباريات إذا بدأ الفريق يخسر".

"لا تذكّرني".

"هكـــذا ذهبت إلى ويل. كنت أعرف أن باستطاعة كريستين إيـــصالنا، لكـــنها لم تكـــن علـــى الإطلاق صالحة للسير بشكل قانـــوني. أعـــني، كـــنت يائساً. ثم ساعدني. قال لي إنه يعرف كم كـــان ذلـــك مهماً بالنسبة إليّ، وإذا..." صمت آرني للحظات - بـــدا كأنـــه كان يفكّر - ثم أكمل كلامه "وهذه هي قصة الموعد العظيم".

وإذا...

ولكن هذا ليس شأني.

كن عينيه، هذا ما قاله والدي.

لكنني أبعدت هذه الفكرة أيضاً.

كنا في ذلك الحين نعبر منطقة التدخين، التي كانت خالية إلا من ثلاثـــة فتيان وفتاتين ينهون بعجلة سجائر ماريجوانا. تسربت إلى أنفي رائحتها التي تشبه كثيراً رائحة أوراق الخريف المحترقة.

سألته: "هل رأيت بادي ريبرتون في الجوار؟".

"لا، ولا أريد ذلك. وأنت؟".

كـــنت قد رأيته مرة واحدة في محطة الوقود، هابـــي جاز، التي يملكها والد دون فاندنبيرغ. كانت المحطة على حافة الإفلاس منذ حظر النفط في العام 1973. لم يراني بادي بينما كنت أمر بسيارتي.

"ليس بحيث أتكلم معه".

"تعني أنه قادر على التكلم؟ يا له من متغوِّط؟".

صُـــعقت؛ تلك الكلمة من جديد. قُرع الجرس الثاني من جانب المـــبنى. كنا سنتأخر عن الحصة، لكنني في ذلك الحين لم أكترث على الإطلاق.

"من أين أتيت بهذا المصطلح؟".

"أتذكـــر ذلك اليوم الذي اشتريت فيه السيارة؟ ليس اليوم الذي دفعت فيه العربون، بل عندما اشتريت السيارة فعلاً؟".

"بالطبع".

"دخلـــت مـــع ليبـــي إلى منـــزله، وأنت بقيت في الخارج. جلـــسنا بجانب الطاولة في مطبخه الصغير، وعرض عليّ زجاجة من شـــراب الشعير. كنت أريد السيارة فعلاً، ولم أكن أريد أن، أنت تعلـــم، أن أزعجه بأي طريقة. وهكذا أخذ كل منا زجاجة شراب شـــعير وراح يتحدث بـــ... ماذا يمكن أن تسميه؟ بإسهاب، أظن، حول كل أولئك المتغوطين الذين يكرهونه. كانت هذه هي الكلمة،

دينـــيس. المـــتغوطون. قـــال لي إن المتغوطين هم الذين دفعوه لبيع سيارته".

"ماذا كان يقصد؟".

"أعتقد أنه كان يقصد أنه كان مسنّاً جداً على القيادة، لكنه لم يعبِّـــر عـــن ذلك بهذه الطريقة. الذنب كله ذنبهم، أي المتغوطين. المتغوطون أرادوا أن يخضع لاختبار القيادة كل سنتين، واختبار النظر كل سنة. اختبار النظر هو الذي كان يزعجه. وقال لي إن أحداً لم يكن يحب أن يراه على الطريق، لا أحد. ولهذا السبب رمى شخص مـــا حجراً على السيارة. إنني أفهم كل هذا، لكنني لا أفهم لماذا"، توقـــف آرني عـــند مدخل المبنى غير منتبه إلى أننا كنا متأخرين عن الـــصف. كان عابساً، وكانت يداه محشورتين في جيبـــي سرواله الخلفيين. "لا أفهم لماذا ترك كريستين تتعفن وتتداعى بتلك الطريقة. كمـــا كانت عندما اشتريتها. في معظم الأوقات كان يتحدث عنها وكأنه كان يحبها فعلاً – أعلم أنك اعتقدت أن ذلك كان جزءاً من ترويجه للبيع، لكن هذا غير صحيح – وبعد ذلك، بالقرب من نهاية حديـــثه، عندما كان يعدّ النقود، قال بشكل غاضب نوعاً ما: *تلك السيارة المتغوطة، سأكون ملعوناً لو أنني أعرف لماذا تريدها. إنها آس البـــستوني*. فقلـــت لـــه شيئاً مثل إنني كنت أعتقد أنني قادر على إصـــلاحها فعـــلاً، فقال لي: *كل هذا وأكثر، إذا سمحت لك هذه المتغوطة"*.

دخلنا المبنى فرأينا السيد لورو، أستاذ اللغة الفرنسية، يمشي مسرعاً نحـــو مكـــان ما، فقال لنا بصوت متضايق ذكّرني بالأرنب الأبيض في **أليس في بلاد العجائب**: "أنتما متأخران أيها الولدان". فاستعجلنا حتى غاب عن نظرنا، ثم أبطأنا مشينا مجدداً.

قــال آرني: "عندما هجم عليّ بادي ريبرتون بتلك الطريقة، كـــنت مذعـــوراً حقـــاً"، أخفض صوته وابتسم. "كدت أتبول في ســـروالي، إذا أردت أن تعـــرف الحقـــيقة. علـــى كل حال، لقد استخدمت كلمة ليبـــي من دون أن أفكر فيها. وفي حالة ريبرتون إنها مناسبة، ما رأيك؟".

"أجل".

"علـــيّ أن أذهب. تفاضل وتكامل ثم المنهج الثالث في الميكانيك. أعتقد أنني تعلمت كل المنهج على كريستين خلال الشهرين الماضيين، على كل حال".

مـــشى مـــسرعاً، أما أنا فوقفت هناك في الممر أراقبه وهو يبتعد. كانـــت عندي حصة دراسة مع الآنسة رات - باك في الحصة السادسة أيـــام الاثنين، وكنت أعتقد أنني أستطيع التواري عن الأنظار في الخلف من دون أن ينتبه أحد... لقد فعلتها من قبل. أضف إلى ذلك أن الكبار يفلتون بجرائمهم، كما كنت أتعلّم بسرعة.

وقفـــت هـــناك محـــاولاً إبعاد شعور غير ملموس وغير محدد بالخوف. كان هناك خطأ ما، شيء في غير محله. أحسست بقشعريرة بـــاردة لم تكـــن أشـــعة شمس تشرين الأول المتدفقة عبر كل نوافذ المـــدارس الثانوية في العالم لتتمكن من تبديدها. صحيح أن الأشياء كانـــت كمـــا هـــي مثلما تكون في العادة، لكنها كانت تستعد للتغير،كنت أشعر في ذلك.

وقفت هناك محاولاً السيطرة على نفسي، محاولاً القول لنفسي إن تلك القشعريرة لم تكن أكثر من مخاوفي المتعلقة بمستقبلي بالذات، وأن ذلك هو التغيير الآتي الذي يقلقني. ربما كان ذلك جزءاً، لكنه لم يكن كل شيء في ما أشعر به. *تلك السيارة المتغوطة، سأكون ملعوناً لو أنني*

أعـــرف لمـــاذا تريدها. إنها آس البستوني. رأيت السيد لورو عائداً من المكتب، فبدأت أتحرك.

أعـــتقد أن كل شخص يملك آلة حفر في رأسه، أو رأسها، بحيث يمكنه في لحظات الضغط والمشاكل أن يطمر كل شيء في خندق يحفره في أرض ذهـــنه الواعـــي؛ تخلَّص منه. ادفنه. لكن الخندق يتسرب إلى اللاوعي، ولهذا السبب تجد في بعض الأحيان أن الأجساد تتحرك وتسير في الأحـــلام. حلمت بكريستين مرة أخرى في تلك الليلة. كان آرني خلـــف المقود هذه المرة، وجثة رونالد دي ليبـــي المتحللة جالسة على مقعـــد الـــراكب. تحركت الجثة بشكل متراخٍ ومقرف عندما زمجرت الـــسيارة وهي خارجة من المرأب مسلطة عليَّ دائرتين متوحشتين من مصابيحها الأمامية فسمَّرتني في مكاني.

أفقت من النوم والوسادة مطبقة على فمي.

19

الحادث

تلـــك كانـــت هي المرة الأخيرة التي أتحدث فيها مع آرني قبل مجيء مناسبة الشكر، لأن السبت التالي سيكون اليوم الذي أتعرَّض فيه للإصابة. ذلك هو اليوم الذي لعبنا فيه ضد ريدج روك بيرز من جديد، وهذه المرة خسرنا بنتيجة فظيعة حقاً: 46 - 3. غير أنني لم أكن موجوداً في نهاية اللعبة. فبعد سبع دقائق تقريباً من بداية الربع الـــثالث، اتجهـــت إلى مكان خالٍ، واستلمت الكرة وما إن هممت بالـــركض حـــتى صـــدمني في وقت واحد ثلاثة مدافعين من فريق بيرز. أحسست بألم فظيع للحظة واحدة فقط ووهج ساطع وكأنني

كـــنت موجـــوداً في مركـــز انفجار قنبلة نووية. وبعد ذلك ساد الظلام.

بقيت في الظلمة لوقت طويل جداً، بالرغم من أنها لم تبدُ كذلك بالنـــسبة إليّ. لقـــد بقيت غائباً عن الوعي لمدة خمسين ساعة، وعندما أفقت في وقت متأخر من بعد ظهر الاثنين، 23 تشرين الأول، وجدت نفـــسي راقـــداً في مستشفى ليبرتيفيل العام. كان أبـــي وأمي هناك، وكـــذلك إيلين. كانت تبدو شاحبة ومتوترة. كانت هناك دوائر بنية غامقـــة تحت عينيها، فتأثرت بشدة لأنها كانت تبكي عليَّ، بالرغم من كل قطع الكيك المحشوة بالكريما التي سرقتها من سلة الخبز بعد ذهابها إلى السرير، وبالرغم من إعطائي لها - عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها - كيساً صغيراً من السماد بعد إمضائها نحو أسبوع وهي تنظر إلى نفـــسها بشكل جانبـــي في المرآة مرتدية أضيق تي شيرت لديها كـــي تـــتمكن من رؤية ما إذا كان صدرها يكبر (لقد انفجرت في البكاء وغضبت أمي مني غضباً شديداً امتد أسبوعين تقريباً)، وبالرغم مـــن كل المضايقات والإزعاجات الصغيرة التي يقوم بها الأخوة في كل مكان.

لم يكن آرني موجوداً عندما استفقت، لكنه انضم إلى العائلة بعد فتـــرة وجيـــزة، إذ كان يجلس مع لي في غرفة الانتظار. في ذلك المساء جـــاءت عمتي وعمي من ألباني، وشهد بقية الأسبوع مواكب مستمرة مـــن أفراد العائلة والأصدقاء. جاء فريق كرة القدم بأكمله، بمن فيهم المدرب بافر، الذي بدا أكبر سناً بنحو عشرين سنة. وكان المدرب بافر هـــو مـــن أخبرني أنني لن ألعب كرة القدم أبداً مرة أخرى. قال ذلك بوجه كئيب وحزين ومتوتر، وكأنه كان يتوقع مني أن أنفجر في البكاء أو أن أُصاب بنوبة هستيرية. لكنني، في الواقع، لم أُبدِ أي ردّ فعل على

الإطـــلاق؛ خارجـــياً أو داخلياً. كنت سعيداً أنني لا أزال حياً وبأنني سأمشي على قدميّ من جديد، في نهاية المطاف.

لـــو أنني صُدمت مرة واحدة فقط، لربما كنت سأنتفض على قدمـــيّ مجدداً وأعود للعب. لكن الجسد البشري ليس مصمماً كي يُسحَق من ثلاث زوايا مختلفة في وقت واحد. لقد كُسرت ساقاي؛ والـــساق اليسرى من مكانين. وكُسرت ذراعي أيضاً. لكن هذا لم يكـــن سوى السكَّر الناعم الذي يُرَشُّ فوق الكيك، فبالإضافة إلى ذلك، كُسرت جمجمتي أيضاً، وأُصبت بحسب تعبير الطبيب المسؤول عن حالتي *بإصابة في أسفل عمودي الفقري*، والذي بدا أنه يعني أنني كنت على بعد سنتيمتر تقريباً من الإصابة بشلل دائم من الخصر إلى الأسفل.

لقـــد زارني الكـــثير من الناس، وحصلت على الكثير من الورود والكـــثير مـــن بطاقات المعايدة، وكان ذلك مدعاة للبهجة والسرور بالفعل. لكنني في الوقت نفسه تألمت كثيراً ومرت عليّ ليالي عديدة لم أســـتطع النوم فيها. كانت ذراعي معلقة فوق جسدي بواسطة بكرة، وكـــذلك ســـاقاي (وكلتاهما كانتا تتسببان بحكة قاتلة تحت الجبيرة)، وكانـــت هناك جبيرة مؤقتة حول الجزء السفلي من ظهري. وبالطبع، كان هنالك أيضاً احتمال البقاء لفترة طويلة في المستشفى، وزيارات لا تنتهـــي على كرسي متحرك إلى غرفة الرعب التي تُسمى ببراءة *جناح المعالجة*.

أوه، وهناك شيء آخر؛ الكثير من الوقت.

كنت أقرأ الصحف، وأطرح الأسئلة على زوّاري. وفي مناسبات عـــدة - عندما بدأت شكوكي تخرج عن السيطرة - سألت نفسي ما إذا كنت لن أفقد عقلي في النهاية.

بقـــيت في المستـــشفى حـــتى الميلاد. وبحلول وقت رجوعي إلى المنـــــزل، كانت شكوكي قد اتخذت شكلها النهائي تقريباً، وكنت أجد صعوبة تكبر بمرور الوقت في إنكار ذلك الشكل البشع. أدركت جـــيداً أنني لم أكن أفقد عقلي. كنت مذعوراً جداً، وإضافة إلى ذلك، كنت أكثر من نصف واقع في هوى حبيبة أفضل صديق لي.

كان لدي وقت للتفكير... الكثير من الوقت.

كـــان لدي وقت لنعت نفسي بمائة اسم بسبب تفكيري في لي، وقـــت للنظـــر إلى ســـقف غرفتي والتمنّي لو أنني لم أسمع يوماً بآرني كانينغهام... أو لي كابوت... أو كريستين.

الفَصْل الثَاني

أغاني آرني المراهق

20
الشجار الثاني

أصبحت البليموث فيوري 1958 صالحة قانونياً للسير على الطرقات بعد ظهر الأول من تشرين الثاني 1978. أنهى آرني كانينغهام تلك العملية -التي بدأت فعلياً في الليلة التي غيَّر فيها دينيس جيلدر العجلة المثقوبة - بدفع 8.50 دولاراً أجور رخصة، ودولارين ضريبة بلدية (التي سمحت له أيضاً بركن السيارة مجاناً في منطقة وسط البلدة)، و15 دولاراً أجور لوحة الرخصة. ونتيجة لذلك منحته إدارة السيارات في مونروفيل لوحة تابعة لولاية بنسلفانيا برقم HY - 6241 - J.

عاد من إدارة السيارات في مونروفيل بسيارة أعارها له ويل دارنل، وخرج من مرأب دارنل خلف مقود كريستين، وذهب بها إلى المنزل.

بعد نحو ساعة من وصوله، دخل أبوه وأمه معاً إلى المنزل قادمين من جامعة هورليكس. وبدأ الشجار على الفور تقريباً.

قال آرني لوالديه، مع أنه كان يوجه سؤاله إلى أبيه أكثر: "هل رأيتماها؟ لقد سجلتها بعد ظهر هذا اليوم".

كان فخوراً. وفخره كان مبرراً، في الواقع، فقد فرغ لتوه من غسل كريستين وتلميعها بحيث كانت تبرق تحت أشعة شمس عصر ذلك اليوم الخريفي. صحيح أنها كانت لا تزال تحوي الكثير من المناطق الصدئة، إلا أنها كانت أفضل حالاً بألف مرة مما كانت عليه يوم اشتراها. كان غطاء المحرك وغطاء الصندوق الخلفي ومسكات الأبواب الخارجية جديدة كلياً. وكانت السيارة من الداخل نظيفة وأنيقة، والزجاج والكروم يلمعان.

"نعم، لقد - " حاول مايكل الرد على سؤال آرني، لكن ريجينا، التي كانت تعد مشروباً لها -حاملة بيدها ملعقة بلاستيكية تحرِّك بها الكأس بدوائر غاضبة بعكس عقارب الساعة - قاطعته بسرعة قائلة: "بالطبع رأيناها، إذ كدنا أن نصطدم بها. لا أريدها أن تُركَن هنا. يبدو المكان مثل ساحة للسيارات المستعملة".

"ماما!". كلامها صعق آرني وجرح مشاعره. التفت إلى مايكل، لكنه كان قد توجه إلى المطبخ ليعد مشروبه أيضاً؛ يبدو أنه أحس أنه سيكون بحاجة إليه.

تابعت ريجينا: "إنها كذلك بالفعل". كان وجهها شاحباً أكثر من المعتاد، وكان لون مسحوق حمرة الخدود التي تضعه على وجهها أقرب إلى لون المهرج. ابتلعت نصف كأس الشراب الممزوج بجرعة واحدة، ثم لوت وجهها كما يفعل المرء عندما يشرب دواءً مرّ المذاق. "أعدها إلى المكان الذي جلبتها منه. لا أريدها هنا ولن أقبل بها هنا. هذا نهائي".

"أعدها؟". أصبح آرني الآن غاضباً ومجروحاً معاً. "هذا عظيم، أليس كذلك؟ إنها تكلفني عشرين دولاراً في الأسبوع هناك!".

"بل إنها تكلفك أكثر من ذلك بكثير". أكملت ريجينا مشروبها ثم وضعت الكأس، والتفتت إليه وأضافت: "لقد ألقيت نظرة على دفتر حسابك المصرفي منذ عدة أيام -".

قاطعها آرني مصعوقاً: "فعلت ماذا؟".

احمرّ وجهها قليلاً، لكنها لم تبعد عينيها عن عيني آرني. عاد مايكل من المطبخ، ووقف عند الباب ينظر إليهما بالتناوب.

"أردت أن أعرف كم كنت تنفق على تلك السيارة الملعونة. هل هذا شيء غير طبيعي إلى هذا الحد؟ ستذهب إلى الجامعة في العام

القادم، وعلى حدّ علمي، إنهم لا يقدمون تعليماً جامعياً مجانياً في بنسلفانيا".

قال آرني بغضب: "إذاً أنت دخلت غرفتي، وفتشت فيها حتى وجدت دفتر حسابي؟ لعلك كنت تبحثين عن الماريجوانا أيضاً؟ أو المجلات الإباحية، أو ربما عن بقع... على الشراشف؟".

فغرت ريجينا فاهها من الدهشة. لعلها توقعت الغضب والأذى منه، ولكن ليس إلى هذه الدرجة المنفلتة من كل الضوابط.

صرخ مايكل بحدة: "آرني!".

ردّ آرني بالحدة نفسها: "حسناً، لِمَ لا؟ كنت أعتقد أن ذلك كان شأني الخاص؟ الله يعلم كم أنفقتما من الوقت وأنتما تقولان لي إنها مسؤوليتي، كلاكما!".

قالت ريجينا: "إنني خائبة الأمل كثيراً لأنك تشعر بهذه الطريقة يا آرني. خائبة الأمل ومجروحة. إنك تتصرف مثل -".

"لا تقولي لي كيف أتصرف! ما هو شعوري برأيك؟ لقد بذلت جهداً مضنياً حتى أجعل السيارة صالحة للسير قانونياً. أكثر من شهرين ونصف وأنا أعمل على ذلك. وعندما آتي بها إلى المنزل، أول شيء تقولينه هو أبعدها عن مدخل المنزل. ماذا يُفترَض بي أن أشعر؟ بالسعادة؟".

قال مايكل موبخاً آرني، مع أن نبرته كان فيها شيء من الرغبة بتسوية المسألة: "هذا ليس سبباً يجعلك تتحدث بهذه النبرة مع أمك، أو أن تستخدم مثل هذه اللغة".

مدت ريجينا الكأس نحو زوجها وقالت: "أعدّ لي كأساً أخرى. هناك زجاجة جديدة في المخزن".

"بابا ابقَ هنا. رجاءً دعنا ننهي هذه المسألة".

نظـــر مايكل إلى زوجته، ثم إلى ابنه، ثم إلى زوجته مجدداً. وجد تصلُّباً عند كلا الطرفين، لكنه آثر في النهاية الرجوع إلى المطبخ حاملاً بيده كأس زوجته.

التفـــتت ريجيـــنا مجدداً إلى ابنها. لقد غُرس الإسفين بينهما منذ أواخـــر الـــصيف الماضـــي، ولعلها كانت تدرك أن تلك هي فرصتها الأخيرة لنـــزعه.

"في تمـــوز كـــان لـــديك تقريباً أربعة آلاف دولار في المصرف. نحـــو ثلاثـــة أرباع النقود التي وفّرتها منذ الصف التاسع، بالإضافة إلى الفوائد –".

"أوه، لقد كنت تتعقبينني بالفعل، أليس كذلك؟" جلس آرني من دون أن يبعد ناظريه عن أمه، ثم أضاف بنبرة توحي بالدهشة الممتزجة بالامـــتعاض: "ماما، لماذا لم تأخذي النقود اللعينة وتضعيها في حساب تحت اسمك الخاص؟".

"لأنك حتى وقت قريب كان يبدو عليك أنك تدرك السبب وراء المـــال. وفي الـــشهرين الأخيرين أصبحت هناك السيارة – السيارة – الـــسيارة – السيارة، ومؤخراً الفتاة – الفتاة – الفتاة، وكأنك مهووس بكلا الموضوعين".

"حـــسناً، شـــكراً. بوسعي دائماً الاستفادة من رأي لطيف وغير متحيز حول الطريقة التي أدير بها حياتي".

"في شهر تموز الماضي، كنت تملك أربعة آلاف دولار تقريباً، من أجـــل تعلـــيمك الجامعي يا آرني. من أجل تعليمك. والآن تملك أكثر بقلـــيل من ألفين وثمانمائة دولار. بوسعك الاستمرار في الحديث بشأن التلـــصص بقـــدر ما تشاء – وأعترف أن ذلك يجرحك قليلاً – ولكن هـــذه حقـــيقة. لقد أنفقت ألفاً ومائتي دولار خلال شهرين. ربما لهذا

السبب لا أريد النظر إلى تلك السيارة. ينبغي لك أن تفهم هذا. بالنسبة إليّ، إنها تبدو مثل -".

"اسمعي -".

"- مثل ورقة دولار كبيرة تُرمى في الهواء".

"هل يمكنني أن أقول لك أمرين؟".

"لا، لا أظن ذلك يا آرني. لا أظن ذلك حقاً".

عاد مايكل من المطبخ حاملاً كأسها الممتلئ نصفها بالشراب، ثم توجّه إلى المشرب، وملأها بالماء، وأعطاها إياها. شربت ريجينا قليلاً، وظهرت تكشيرة المذاق المر على وجهها مجدداً. كان آرني جالساً على كرسيه بجانب التلفزيون، ينظر إليها بتمعن.

"إنك تعلّمين في الجامعة؟ تعلّمين في الجامعة وهذا موقفك؟ لقد تكلمت. *أما البقية منكم فلتطبقوا أفواهكم* وحسب. إنني أشفق على طلابك".

قالت ريجينا موجهة إصبعها إليه: "احذر يا آرني. احذر".

"هل يمكنني أن أقول لك أمرين، أم لا؟".

"تفضَّل. لكن ذلك لن يشكّل أي فرق".

تنحنح مايكل وقال: "ريج، أعتقد أن آرني محق، هذا ليس موقفاً بنّاء -".

التفتت إليه بسرعة، وقالت: "ولا كلمة واحدة منك أنت أيضاً!".

أجفل مايكل، وصمت.

"أول شيء، إذا كنت قد ألقيت نظرة أكثر من خاطفة على دفتر حسابي - وأنا متأكد أنك فعلت - فلا بد أنك لاحظت أن إجمالي مدخراتي قد انخفض للمرة الأولى إلى ألفين ومائتي دولار في الأسبوع الأول من أيلول. اضطررت إلى شراء واجهة جديدة لكريستين".

قالت بحدة: "تتكلم وكأنك فخور بذلك".

نظـــر إليها بهدوء، وقال: "بالفعل. لقد ركّبت تلك الواجهة بنفـــسي، من دون مساعدة من أحد. وقمت بعمل جيد بحق، بحيث إنـــك لـــن"، تردد هنا للحظات، لكنه سرعان ما أكمل بثقة، "لن تكوني قادرة على التمييز بينها وبين الأصلية. ولكن، ما أقصده هو أن مدخـــراتي الإجمالية ارتفعت ستمائة دولار منذ ذلك الحين، لأن ويـــل دارنل أحب عملي، وشغّلني عنده. إذا كان باستطاعتي إضافة ســـتمائة دولار كل شهرين - وقد أفعل أفضل من ذلك إذا أرسلني إلى ألباني حيث يشتري سياراته المستعملة - فسيكون في حسابـــي أربعة آلاف وستمائة دولار بحلول نهاية المدرسة. وإذا عملت هناك بـــدوام كامـــل في الصيف المقبل، فسأبدأ الجامعة بما يقارب السبعة آلاف دولار. وبإمكانـــك أن تعـــزي كل الفضل في ذلك إلى تلك السيارة التي تكرهينها كثيراً".

"لـــن يجـــديك ذلك نفعاً إن لم تذهب إلى جامعة جيدة". غيّرت الموضوع بذكاء، كما فعلت مرات عديدة خلال اجتماعات قسمها في الجامعة عندما كان يتجرأ شخص ما ويناقش أحد آرائها؛ وهو شيء لم يكن يحدث غالباً. لم تتراجع عن موقفها لكنها ببساطة حولت النقاش إلى موضوع آخر: "لقد تدنت علاماتك".

"ليس إلى الحدّ الذي يؤثر".

"مـــاذا تعني، *ليس إلى الحد الذي يؤثر*؟ لديك تقصير في التفاضل والـــتكامل! لقـــد اســـتلمنا البطاقة الحمراء منذ أسبوع فقط!" تصدر البطاقات الحمراء - تُعرَف أحياناً عند الطلاب باسم بطاقات الفشل - بحـــق الطـــلاب الذين يحققون معدل 75 بالمائة أو أقل خلال الأسابيع الخمسة الأولى من كل ربع، بعد فترة الاختبارات الكتابية.

قـــال آرني بهـــدوء: "لقد استند ذلك على اختبار واحد. السيد فيندرســـون مشهور بإعطاء اختبارات قليلة جداً في النصف الأول من الربع بحيث إنك يمكن أن ترجعي إلى البيت ببطاقة حمراء فيها علامة F لأنـــك لم تفهمـــي فكـــرة واحدة فقط، وتنتهي بعلامة A على فترة الاختبارات كلها. كان بإمكاني إخبارك بكل هذا لو سألتني. لكنك لم تسأليني. بالإضافة إلى ذلك، هذه هي البطاقة الحمراء الثالثة التي أحصل علـــيها مـــند بدأت المرحلة الثانوية. ومعدلي العام لا يزال 93، وأنت تعلمين كم هذا جيد -".

قال بحدة، وتقدمت خطوة نحوه: "إنه سينخفض! إنه هذا الهوس الملعـــون بالسيارة! لديك صديقة، أعتقد أن ذلك جميل، رائع، عظيم! لكن هذه السيارة، هذا جنون! حتى دينيس يقول -".

وقـــف آرني بسرعة، واقترب منها بحيث إنها تراجعت خطوة إلى الـــوراء، والدهـــشة بادية على وجهها، ثم قال لها بهدوء قاتل: "دعي دينيس خارج هذا الأمر. هذا بيننا".

غيَّرت الموضوع مرة أخرى، قائلة: "حسناً، هناك حقيقة بسيطة، وهـــي أن علاماتك ستتدنى. أنا واثقة من ذلك، وأبوك واثق من ذلك، وبطاقة الرياضيات الحمراء دليل على ذلك".

ابتسم آرني بثقة، وقال: "جيد. سأقول لك شيئاً. دعيني أبقي السيارة هـــنا حتى نهاية فترة الاختبارات. إذا حصلت على أي علامة أقل من C، ســـأبيعها لـــدارنل. سيشتريها - إنه يعرف أنه سيحصل على ألف دولار مقابل بيعها بوضعها الحالي"، فكَّر آرني قليلاً ثم أضاف، "سأعطيك عرضاً أفـــضل. إن لم أكن على لائحة الشرف في الفصل، سأتخلص منها أيضاً. هذا يعني أنني أراهن على سيارتي. سأحصل على B في التفاضل والتكامل ليس فقط في الربع، بل في الفصل بأكمله. ماذا تقولين؟".

قالــت على الفور: "لا". فتح مايكل فمه ليتكلم فرمقته ريجينا بنظرة تحذير كأنها كانت تقول له، *ابقَ خارج هذا الأمر*، فأطبق فمه بسرعة.

سألها آرني برقة مخادعة: "لِمَ لا؟".

صرخت ريجينا بغضب عارم: "لأنها حيلة، وأنت تعلم أنها حيلة! وأنا لن أقف هنا أكثر من ذلك وأستمع إلى هذه الوقاحة منك! أنا - أنا غيَّرت حفَّاضاتك! قلت أبعدها من هنا، قُدْها إذا كنت مضطراً، ولكن لا تتركها هنا بحيث أضطر إلى النظر إليها! هذا كل شيء! نقطة على السطر!".

التفت آرني إلى والده وقال: "كيف تشعر يا أبـــي؟".

فتح مايكل فمه مرة أخرى ليتكلم، فسبقته ريجينا قائلة: "إنه يشعر كما أشعر".

التفت إليها مجدداً، ونظر في عينيها، اللتين تشبهان لون عينيه تماماً، وقال: "لا يهم ما أقوله، أليس كذلك؟".

"أعتقد أن هذا الأمر ذهب بعيداً بما يكفي".

استدارت كي تخرج من الغرفة، فأمسكها آرني من ذراعها، فوق مـــرفقها بقلـــيل، وقال: "لا يهم، صحيح؟ لأنك عندما تتخذين قراراً بخصوص أمر ما، فإنك لا ترين، ولا تسمعين، ولا تفكّرين".

عندئذ صرخ مايكل: "آرني، توقف!".

لكن آرني لم يتوقف، بل قال لها بالصوت الهادئ نفسه: "سأقول لـــك لمـــاذا لا تريدين أن تنظري إليها. ليس المال هو السبب، بل لأن الـــسيارة ربطـــتني بعمل أنا بارع فيه ويكسبني المال في النهاية. وأنت تعرفين ذلك. وليست علاماتي أيضاً، بل لأنك لا تستطيعين أن تتقبَّلي عدم وضعي تحت جناحك، كما هي حال قسمك، وكما هي حاله هو أشـــار بإصبعه إلى مايكل، الذي بدا غاضباً وبائساً وشاعراً بالذنب في وقت واحد، "وكما كانت حالي دائماً".

هنا اصطبغ وجه آرني باللون الأحمر، وانكمشت يداه في قبضتين مشدودتين إلى جانبيه.

"كل ذلك الهراء الليبرالي حول كيف أن العائلة تقرر شؤونها معاً، تناقش أمورها معاً، تقوم بعملها معاً. لكن الحقيقة هي أنك كنت أنت التي تنتقين ثيابـــي المدرسية، وأحذيتي المدرسية، ومن يُفترَض أن ألعب معـــه ومن لا يمكنني أن ألعب معه. أنت كنت تقررين أين نذهب في العطلة، أنت كنت تقولين له متى يبيع السيارات ومقابل ماذا يبيعها. أما هـــذا الأمـــر فلا يمكنك أن تتحكمي به، وأنت تكرهين ذلك، أليس كذلك؟".

صـــفعته على وجهه بقوة بحيث إن صوت الصفعة تردد في أرجاء الغرفة مثل طلقة مسدس. بعد ذلك، وبصورة مفاجئة ومثيرة للذهول، انفجـــرت بالـــبكاء. كانت تلك ظاهرة نادرة، أشبه بسقوط المطر في الصحراء. ظاهرة لم يرَها أرني سوى أربع أو خمس مرات في حياته، ولم يكن هو سبب البكاء في أي منها.

كانـــت دموعها مخيفة لمجرد انهمارها؛ هذا ما قاله لدينيس لاحقاً. كان ذلك كافياً. ولكن كان هناك شيء آخر، وهو أن الدموع جعلتها تبدو مسنَّة، وكأنها قامت بقفزة خاطفة في الزمن من الخامسة والأربعين إلى الستين خلال بضع ثوانٍ. أصبح الوميض الرمادي القاسي في نظرتها باهتاً وضبابياً، وأفسدت الدموع المنهمرة على خديها تبرجها.

مـــدّت يـــدها إلى كأسها الموضوعة على أعلى الموقد، ودفعتها بـــرؤوس أصابعها فسقطت على الأرض وتهشمت. خيَّمت لحظة من الصمت على الثلاثة المذهولين لوصول الأمر إلى هذا الحدّ.

بطريقة ما، وبالرغم من الضعف والدموع، قالت ريجينا: "لن أقبل بها في مرأبـــي ولا في ممر المنـــزل يا أرنولد".

أجابها آرني ببرود: "لن أبقيها هنا يا أمي".

مــشى نحــو الــباب، ثم اســتدار، ونظر إليهما، وقال: شكراً، لتفهّمكما. شكراً جزيلاً، لكما".

ثم غادر المنــزل.

21
آرني ومايكل

لحــق مايكــل بــآرني إلى مدخل المنــزل في أثناء توجهه نحو كريستين. وضع يداً على كتفه فأبعدها بنــزق، وتابع سيره وهو يفتش في جيبه عن مفاتيح سيارته.

"آرني، رجاءً".

الــتفت آرني بــسرعة. للحظــة بدا وكأنه كان على وشك أن يــضرب والده لكن شيئاً من التوتر في جسده هدأ، فأسند ظهره على الــسيارة، وراح يتحسسها بيده اليسرى، يداعبها، كأنه كان يستمد القوة منها.

"حسناً، ماذا تريد؟".

فــتح مايكل فمه لكن الكلمات اختنقت في حلقه. ارتسم على وجهه تعبير يائس وحزين - كان يمكن أن يكون مضحكاً لو أنه لو لم يكن مؤلماً - وبدا غير واثق مما سيقوله. لكنه في النهاية قال: "آرني، أنا آسف جداً".

"أجل". قال ذلك، ثم استدار، وفتح باب السيارة، فانبعثت رائحة جمــيلة لسيارة مُعتنى بها جيداً، ثم أضاف: "استطعت أن أرى ذلك من طريقة مساندتك لي".

"أرجوك. هذا صعب عليّ. أصعب مما تدرك".

شـــيء مـــا في صوته جعل آرني يستدير نحوه. كانت عينا والده يائستين وحزينتين.

قال مايكل: "لم أقل إنني أريد مساندتك. إنني أرى موقفها أيضاً، كمـــا تعلم. أرى الطريقة التي دفعتها بها إلى التصرف على هذا النحو بتصميمك على المضي في طريقك مهما كان الثمن -".

ضحك آرني بسخرية، وقال: "مثلها تماماً، بكلمات أخرى".

قـــال مايكـــل بهدوء: "أمك تمر في مرحلة تغيير في حياتها. وهذا صعب عليها للغاية".

رمشت عينا آرني، غير متأكد مما سمعه للتو: "م - ماذا؟".

"التغيير. إنها مرعوبة، وتشرب كثيراً، وفي بعض الأحيان هناك ألم جـــسدي، ليس غالباً" - أضاف العبارة الأخيرة عندما رأى القلق على وجه آرني - "وقد ذهبت إلى الطبيب، والتغيير موجود. لكنها في حالة اضـــطراب عاطفي. إنك ولدها الوحيد، وبحسب حالتها الآنية، كل ما تريده هو أن تكون الأمور صائبة بالنسبة إليك، مهما كان الثمن".

"تـــريد الأمر بطريقتها. وهذا ليس جديداً. إنها دائماً تريد الأمور بطريقتها".

"بالنـــسبة إلى مسألة أن الصواب بالنسبة إليك هو ما تعتقده هي صائباً، فهذا أمر لا حاجة فيه إلى الجدال. ولكن، ما الذي يجعلك تظن أنك مختلف كثيراً؟ أو أفضل؟ لقد كنت نداً لها هناك في الداخل، وهي عرفت ذلك، وأنا كذلك".

"هي من بدأت -".

"لا، إنـــك من بدأ عندما جلبت تلك السيارة إلى المنـــزل. كنت تعـــرف رأيهـــا. وهي محقة بخصوص أمر آخر. أنت تغيرت. منذ ذلك

اليوم الذي جئت فيه مع دينيس وقلت إنك اشتريت سيارة. عندئذ بدأ كل هذا. هل تظن أن ذلك لا يزعجها؟ أو يزعجني؟ أن ترى ابنك يُظهر مزايا في شخصيته لم تعرف بوجودها من قبل؟".

"هيي، بابا، إنها مجرد -".

"إننا لا نراك أبداً. أنت دائماً إما تعمل على سيارتك أو في الخارج مع لي".

"بدأت تبدو مثلها تماماً".

ابتسم مايكل بحزن وقال: "إنك غير مصيب بشأن هذا. غير مصيب أكثر مما يمكن أن تظن. هي تبدو كما هي، و*أنت* تبدو مثلها، أما *أنا* فأبدو مثل شخص مسؤول عن قوة حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة يوشك على المخاطرة بحياة جميع أفراد القوة".

"حسناً. أعتقد أنني أفهم ما تعنيه. لا أعرف لماذا تريد أن تسمح لها بمعاملتك بهذه الطريقة، ولكن لا بأس".

"ربما هناك أشياء تصبح طريقة في الحياة. وربما هناك تعويضات لا يمكنك أن تفهمها ولا أستطيع شرحها. مثل... أنني أحبها، كما تعلم".

هز آرني كتفيه وقال: "إذاً... ماذا الآن؟".

"هل يمكننا أن نذهب في جولة؟".

بدا آرني في البداية مندهشاً، ثم مسروراً: "بالتأكيد. ادخل. أي مكان بالتحديد؟".

"المطار".

رفع آرني حاجبيه وقال: "المطار؟ لماذا؟".

"سأقول لك في الطريق".

"ماذا عن ريجينا؟".

"ذهبت أمك إلى السرير".

قـاد آرني الـسيارة بثـبات وسلاسة. كانت المصابيح الأمامية العاكـسة الجديدة لكريستين تشق بداية الظلام بنفق عميق وصاف من الـضوء. كان المحرك يصدر صوتاً ناعماً عبر الأنابيب الجديدة، ولوحة العدادات تتوهج بضوء أخضر جميل.

قال مايكل بشيء من الاستغراب: "هذا الشيء يسير مثل الحلم".

ابتسم آرني وقال: "شكراً".

استنشق مايكل الهواء بعمق وقال: "تفوح منها رائحة الجِدَّة".

"الكثير فيها جديد. أغطية المقاعد هذه كلّفتني ثمانين دولاراً. جزء مـن الـنقود التي اشتكت بسببها ريجينا. ذهبت إلى المكتبة، واشتريت الكـثير مـن الكتب، وحاولت تقليد كل شيء بقدر استطاعتي. لكن الأمر لم يكن بالسهولة التي يمكن أن يظنها الناس".

"لماذا؟".

"حـسناً، واحد من الأشياء هو أن البليموث 58 لم تكن سيارة كلاسـيكية، ولهـذا السبب لم يكتب أحد عنها، حتى في المجلات التي تـتحدث عن السيارات القديمة - *أميركان كار*، *أميركان كلاسيكس*، *سـيارات الخمـسينيات* أشـياء من هذا القبيل. البونتياك 58 كانت كلاسـيكية، بعد سنة فقط من قيام بونتياك بصنع موديل بونيفيل، وتي بـيرد 58 مع زعانف أذن الأرنب، كانت تلك آخر سيارة كلاسيكية بحق، باعتقادي. و-".

"لم أكـن أعـرف أبداً أنك تعلم كل هذا القدر عن السيارات القديمة. منذ متى تنمّي هذه الهواية، آرني؟".

هز كتفيه وقال: "على كل حال، المشكلة الأخرى هي أن ليبـي نفسه غيَّر منتج ديترويت الأصلي - بليموث لم تعرض فيوري بالأحمر والأبـيض، مثلاً - وأنا كنت أحاول إعادة السيارة إلى وضعها السابق

الذي أراده هو وليس كما كانت تريد ديترويت. ولهذا السبب، كنت أعتمد على حدسي إلى حدٍّ ما".

"لماذا تريد إعادتها إلى الوضع الذي أراده ليبـــي؟".

هـــز كتفـــيه مـــرة أخرى وقال: "لا أعرف. يبدو لي ذلك هو الصواب، ليس إلا".

"في الحقيقة، أعتقد أنك تقوم بعمل ممتاز".

"شكراً".

انحـــنى مايكل نحو جهة آرني، وحدَّق إلى لوحة العدادات، فسأله آرني بشيء من الحدّة: "إلى ماذا تنظر؟".

"أكون ملعوناً إن رأيت مثل هذا من قبل".

"ماذا؟ أوه، عداد المسافة".

"إنـــه يسير بالعكس، أليس كذلك؟" ضحك مايكل ثم أضاف، "هذا شيء فاتك يا بني".

ابتـــسم آرني قلـــيلاً: "هـــذا صحيح. يقول ويل إن هناك سلكاً مـــتقاطعاً في مكـــان ما في الداخل. لا أعتقد أنني سأعبث فيه. إنها لمن البراعة أن تجعل عداد المسافة يسير بشكل معاكس".

"هل هو دقيق؟".

"هه؟".

"أقـــصد، إذا ذهبت من منـــزلنا إلى ساحة المحطة، هل سينقص خمسة أميال من المجموع الكلي؟".

"آه، فهمـــت. لا، إنـــه ليس دقيقاً على الإطلاق. يرجع إلى الخلـــف ميلين أو ثلاثة لكل ميل فعلي تقطعه السيارة. أحياناً أكثر. عـــاجلاً أم آجـــلاً سينقطع كابل عداد السرعة، وعندما سأبدِّله، سيهتم هذا بنفسه".

نظـــر مايكل إلى الإبرة ليرى إذا كانت تهتز بصورة غير طبيعية، لكـــنها كانـــت ثابتة فوق الأربعين بقليل، وهذا يعني أن عداد السرعة كـــان في حالة جيدة. فقط عداد المسافة كان معطلاً. ولكن، هل كان آرني يعتقد فعلاً أن عدادي السرعة والمسافة يعملان بالأسلاك نفسها؟ بالتأكيد لا.

ضحك مايكل وقال: "هذا أمر غريب يا بني".

"لماذا المطار؟".

"ســـأحجز لك مكاناً لتركن فيه سيارتك لمدة ثلاثين يوماً. خمسة دولارات. أرخص من مرأب دارنل. وبوسعك إخراج سيارتك في أي وقت تريد. ومرأب المطار يقع عند أحد مواقف الحافلات. نهاية الخط، في الواقع".

صرخ آرني: "يا الله، هذا أكثر الأشياء التي سمعتها جنوناً". دخل بالـــسيارة إلى طـــريق فرعي يؤدي إلى مصبغة تنظيف جاف مقفلة ثم توقف. "سأضطر إلى ركوب الحافلة عشرين ميلاً إلى المطار كي أركب سيارتي عندما أحتاج إليها؟ إنها ورطة! لا! مستحيل!".

كـــان على وشك أن يقول المزيد لكن مايكل أمسكه من رقبته فجـــأة، وقال له: "اسمع. أنا أبوك، ويجب أن تصغي إليّ. كانت أمك محقة يا آرني. لقد أصبحت غير معقول - بل أكثر من غير معقول - في الشهرين الأخيرين. لقد أصبحت غريباً تماماً".

قال آرني محاولاً الإفلات من قبضته: "اتركني".

لم يتـــركه مايكل لكنه أرخى قبضته. "سأشرح الأمر لك. نعم، المطـــار مكان بعيد، لكن الربع دولار الذي يوصلك إلى مرأب دارنل سيوصلك إلى هنا. هناك مرائب أقرب في المدينة، ولكن هناك حوادث سرقة وتخريب أكثر في المدينة. المطار، بالمقارنة، آمن تماماً".

"لا يوجد مرأب عام آمن".

"ثانـــياً، إنه أرخص من أي مرأب في المدينة، وأرخص بكثير من مرأب دارنل".

"ليست هذه هي الغاية".

"قد تكون محقاً. لكنك تغفل أمراً آخر يا آرني. إنك تغفل الغاية الحقيقية".

"أفترض أنك ستخبرني ما هي الغاية الحقيقية تلك".

"حسناً، سأفعل". صمت مايكل للحظات من دون أن يشيح بنظره عن آرني، ثم أضاف بصوت هادئ: "بالنسبة إلى كل ما هو عقلاني، تبدو وكأنك فقدت القدرة على التقدير كلياً. إنك تكاد تبلغ الثامنة عشرة، وفي الـــسنة الأخـــيرة مـــن الثانوية. أعتقد أنك حزمت أمرك بعدم الالتحاق بهورليكس. لقد رأيت بروشورات الجامعات التي جلبتها إلى المنـــزل -".

"لا، لن ألتحق بهورليكس. ليس بعد كل هذا. ليس لديك فكرة عن مدى رغبتي في الهرب. أو لعلك تعرف".

"نعـــم، أعرف. ولعل هذا هو الأفضل. أفضل من هذا الاحتكاك المتواصل بينك وبين أمك. كل ما أطلبه منك هو ألا تخبرها الآن. انتظر حتى تقديم أوراق القبول".

هز آرني كتفيه، من دون أن يعد بشيء.

"ستأخذ سيارتك إلى الجامعة، إذا كانت لا تزال تدور -".

"ستكون كذلك".

"- وإذا كانـــت الجامعـــة تـــسمح للطلاب المستجدِّين بإدخال سياراتهم إلى الحرم".

الـــتفت آرني نحـــو والده مندهشاً - لم يخطر بباله هذا الاحتمال مطلقاً. "لن أذهب إلى جامعة تمنعني من إدخال سيارتي".

"أرأيـــت؟ إنها محقة؟ إن ربط اختيارك للجامعة بسياستها المتعلقة بـــالطلاب المـــستجدِّين والـــسيارات غير عقلاني كلياً. لقد أصبحت مهووساً بهذه السيارة".

"لن أتوقع أن تفهم".

زمّ مايكـــل شـــفتيه للحظـــة ثم قال: "على كل حال، ما الذي سيستهلكه منك الذهاب إلى المطار بواسطة الحافلة لأخذ سيارتك، إذا كـــنت تريد أن تذهب مع لي في نـــزهة؟ إنه أمر غير مريح، صحيح، لكنه ليس مشكلة عويصة، وستوفّر نقود البنـــزين. وستشعر أمك أنها انتصرت نوعاً ما، لأنها لن تضطر إلى النظر إليها". صمت قليلاً، ورسم تلـــك الابتسامة الحزينة، ثم أضاف: "إنها لا تعتبرها ورقة نقود تطير في الهـــواء، كلانا نعرف ذلك. إنها تنظر إليها كأول خطوة حاسمة تخطوها بعـــيداً عـــنها... عـــنا. أعتقد أنها... أوه، اللعنة، لا أدري". نظرا إلى بعضهما بعضاً للحظة ثم أكمل مايكل: "خذها إلى الجامعة معك، حتى لو اخترت حرماً لا يسمح للمستجدين بإدخال سياراتهم، هناك وسائل لمعالجة مثل هذه المسائل -".

"مثل الركن هنا في المطار".

"نعم، مثله. وعندما ستأتي إلى المنـــزل في عطل نهاية الأسبوع، ســـتكون ريجينا مسرورة جداً لرؤيتك بحيث إنها لن تأتي على ذكر السيارة. بل إنها قد تخرج إلى الطريق المؤدي إلى المنـــزل وتساعدك علـــى غـــسلها وتلمـــيعها. عشرة أشهر، وبعدها سينتهي الأمر. بوســـعنا الشعور بالسلام في المنـــزل مجدداً. هيا، قد السيارة آرني. قدها".

انطلق آرني بالسيارة، وعاد إلى الطريق العام.

سأله مايكل: "هل هي مؤمَّنة؟".

ضـــحك آرني ثم قـــال: "هل تمزح؟ إن لم تكن تملك تأميناً على المـــسؤولية في هـــذه الولاية وتقع حادثة، ستقتلك الشرطة. من دون تـــأمين، ســـيكون الذنب ذنبك، حتى لو هبطت السيارة الأخرى من الـــسماء، وحطّت فوقك. إنها واحدة من الطرائق التي يبعد بواسطتها المتغوطون الأولاد عن الطرقات في بنسلفانيا".

فكّر مايكل في أن يخبر آرني أن نسبة عالية من الحوادث المميتة في بنـــسلفانيا - 41 بالمـــئة - تـــرتبط بـــسائقين مراهقين (قرأت ريجينا الإحـــصاءات له من أحد الملحقات التي تصدر أيام الأحد بنبرة كارثية بطيئة: *"واح - د وأرب - عو - ن بال - مائة!"* بعد فترة قصيرة من شـــراء آرني للـــسيارة)، لكـــنه وجد أن هذا الأمر لن يرغب آرني في سماعه... خصوصاً في مزاجه الحالي.

"مسؤولية فقط؟".

كانـــا يمران تحت لافتة متلألئة كُتب عليها **المسلك اليساري إلى المطـــار**. كـــبس آرني زر الغمّاز، وغيّر المسار، فبدا على وجه مايكل القليل من الارتياح.

"لا يمكـــنك أن تحـــصل على تأمين اصطدام حتى تبلغ الواحد والعـــشرين. أعـــني أن شـــركات الـــتأمين الحقيرة تلك غنية مثل كرويـــسيس، لكنها لا تغطّيك إلا إذا كانت الاحتمالات مكدسة بـــصورة مشينة لصالحهم" - كان مايكل مندهشاً وخائفاً قليلاً من اختـــيار آرني لكلماتـــه التي لم يسبق له أن تلفّظ بمثلها أمامه وأمام ريجيـــنا مـــن قبل - "ولا علاقة لسجل قيادتك أو ما إذا كنت قد خضعت لتدريب على السواقة أم لا بالأمر. السبب في عدم قدرتك علـــى الحصول على تأمين ضد الاصطدام هو أن جداولهم التأمينية اللعيـــنة تقول إنك لا تستطيع الحصول على تأمين ضد الاصطدام.

وبوسعك الحصول عليه في الواحد والعشرين فقط إذا كنت مستعداً لإنفاق ثروة".

كانت أنوار المطار تتوهج أمامهما، والمدارج مرسومة بخطوط غامضة متوازية مضاءة باللون الأزرق. "لو سألني شخص ما هو النموذج الأكثر وضاعة لحياة الإنسان، سأقول له إنها حياة وكيل التأمين".

قال مايكل: "لقد قمت بدراسة وافية عن المسألة". لم يجرؤ على قول أي شيء آخر، لأن آرني بدا وكأنه ينتظر الانفجار في نوبة غضب جديدة.

"ذهبت إلى خمس شركات تأمين مختلفة. بالرغم مما قالته أمي، أنا لست متلهفاً لتبديد نقودي".

"وتأمين المسؤولية هو أفضل ما استطعت القيام به؟".

"نعم، هذا صحيح. ستمائة وخمسون دولاراً في السنة".

صفَّر مايكل.

قال آرني مؤيداً: "هذا صحيح".

ظهرت لافتة متلألئة أخرى تفيد أن المسارات اليسرى تؤدي إلى ساحة المرأب، واليمنى مخصصة للمسافرين. وعند مدخل المسلك المؤدي إلى ساحة المرأب انقسم الطريق مجدداً. إلى اليمين كانت هناك بوابة تُفتَح تلقائياً بعد شرائك تذكرة إذا أردت أن تركن السيارة لفترة مؤقتة. وإلى اليسار كانت هناك مقصورة زجاجية يجلس فيها عامل باحة المرأب. كان يتفرج على تلفزيون صغير بالأبيض والأسود ويدخن سيجارة.

قال آرني: "لعلك محقاً. لربما هذا هو الحل الأمثل".

قال مايكل بارتياح: "بالطبع إنه كذلك. عشرة أشهر فقط".

"بالتأكيد".

اقترب بالسيارة من المقصورة، ففتح العامل - وهو شاب يرتدي كنـــــزة مدرســـة ثانوية بالأسود والبرتقالي رُسم على جيوبها شعار مدرســـة ليـــبرتيفيل - الجزء الزجاجي، ومدّ رأسه قائلاً: "هل يمكنني مساعدتك؟".

قال آرني وهو يخرج محفظته: "أريد تذكرة ثلاثين يوماً".

وضع مايكل يده فوق يد آرني وقال: "هذه عليّ".

أبعد آرني يده برقة، ولكن بتصميم، وأخرج محفظته ثم قال: "إنها سيارتي وأنا سأدفع".

"أردت فقط أن -".

"أعرف، لكنني أعني ما أقول".

تنهّد مايكل وقال: "أعرف ذلك. أنت وأمك. كل شيء سيكون على ما يرام إذا تصرَّفت على طريقتي".

زمَّ آرني شفتيه للحظة، ثم ابتسم وقال: "حسناً... هذا صحيح".

نظر كل منهما إلى الآخر، ثم انفجرا في الضحك.

في اللحظـــة التي شرعا فيها بالضحك، توقف محرك كريستين عن العمـــل. كـــان المحرك، حتى تلك اللحظة، يعمل بصورة مثالية، لكنه توقف فجأة، وأنير الضوءان التحذيريان المتعلقان بالزيت والآمبير.

رفع مايكل حاجبيه وقال: "ماذا حدث؟".

أجابه آرني بوجه عابس: "لا أعرف. إنها لم تفعل ذلك من قبل".

أدار المفتاح، فاشتغل المحرك من جديد.

قال مايكل: "لا شيء، أعتقد".

"سأتفحص توقيت الصمامات في وقت لاحق من هذا الأسبوع".

ضـــغط آرني علـــى دواسة البنـــزين، وأصغى بانتباه. في تلك اللحظة

أحس مايكل أن آرني لم يكن يشبه ابنه على الإطلاق. بدا كأنه شخص مختلف، شخص أكبر سنًّا وأشد قساوة، فشعر بخوف شديد.

قال مستخدَم المرأب: "هيي، هل ستأخذ التذكرة أم ستجلس هنا طوال الليل وتتحدث عن التوقيت؟" بدا وجهه مألوفاً لآرني.

"أوه، نعم، آسف". أعطاه آرني ورقة من فئة الخمسة دولارات، وأخذ التذكرة.

"الجزء الخلفي من الساحة. تأكَّد من إعادة تفعيلها قبل خمسة أيام من نهاية الشهر، إذا أردت المكان نفسه مرة أخرى".

"بالتأكيد".

اتجه آرني نحو الجزء الخلفي من الساحة، ووجد مكاناً فارغاً، فركن كريستين فيه. وحالما أدار المفتاح ليوقف عمل المحرك، التوى وجهه ووضع يده على أسفل ظهره.

"هل لا يزال يزعجك؟".

"قليلاً فقط. كدت أنتهي منه، لكنه رجع مجدداً البارحة. لا بد أنني رفعت شيئاً ما بصورة غير صحيحة. لا تنسَ إقفال بابك".

ترجَّلا من السيارة، وأقفلا بابيهما. أحس مايكل براحة أكبر بعد خروجه منها، أحس أنه أقرب إلى ولده.

قال آرني: "لنرى كم هي سرعة ذلك الباص". ثم راحا يسيران جنباً إلى جنب باتجاه موقف الباصات.

في أثناء ذهابهما إلى المطار، تكوَّن لدى مايكل انطباع حول كريستين. صحيح أنه أُعجب بما قام به آرني من إصلاحات، إلا أنه كره السيارة ذاتها، كرهها بشدة. ومع أنه أحس بشيء من السخافة بسبب مشاعره تلك تجاه شيء جامد لا حياة فيه، إلا أن الكره كان حقيقياً ومحسوساً كورم في الحلق.

كـــان مـــن المستحيل عزل مصدر ذلك الكره. اعتقد مايكل أن الاضــطراب المريـــر الـــذي ظهـــر في العائلة بسببها كان هو السبب الحقيقي... ولكن كانت ثمة أسباب أخرى. لم يعجبه منظر آرني عندما كـــان جالساً خلف المقود؛ كان متعجرفاً وعصبـــي المزاج في آنٍ معاً. ولم تعجـــبه طـــريقة تذمّره من شركات التأمين... واستخدامه لتلك الكلمـــة البـــشعة والمـــزعجة *المتغوطون*... وكذلك التوقف المفاجئ للمحرك حالما بدأا بالضحك.

بالإضافة إلى كل ذلك، كانت هناك رائحة ما تفوح منها، لن تلاحظهـــا مباشرة، لكنها كانت موجودة. بالطبع، لم تكن رائحة الأغطـــية الجديـــدة للمقاعـــد، فتلك كانت لطيفة فعلاً. أما هذه الـــرائحة، فكانت بشعة وخفية تقريباً. لعلها كانت آتية من التبطين القديم في صندوق السيارة الخلفي، أو من حصائر قديمة تحت حصائر الأقـــدام الجديـــدة، وربمـــا من البطانة القديمة تحت أغطية المقاعد الجديدة. قال مايكل لنفسه، *السيارة قديمة، فلماذا بحق الله تتوقع أن تكـــون رائحتها مثل رائحة سيارة جديدة؟ إنها مجرد رائحة تقدم في العمر.*

مـــع ذلـــك، فقد كانت تلك الرائحة البشعة والخفية تزعجه. بـــدت وكأنها كانت تأتي وتختفي على شكل موجات، تارة تكون ملحوظة تماماً، وتارة أخرى تكون غير مميزة بتاتاً. وفي أسوأ حالاتها، كانـــت تشبه رائحة جثة متعفنة لحيوان صغير - قطة، أو غرير، أو ربما سنجاب - دخل صندوق السيارة أو الهيكل من الأسفل ومات هناك.

كـــان مايكل فخوراً بما أنجزه ولده... ومسروراً جداً لخروجه من سيارته.

22

ساندي

كـــان عامـــل المـــرأب في تلك الليلة - في الواقع، كل ليلة من السادسة حتى العاشرة - يُدعى ساندي جالتون، الشخص الوحيد من عـــصبة أصدقاء بادي ريبرتون الأشرار الذي لم يكن موجوداً في منطقة الـــتدخين في ذلـــك اليوم الذي طُرد فيه ريبرتون من المدرسة. آرني لم يتعرَّف عليه، لكن جالتون عرف آرني في الحال.

كـــان بـــادي ريبرتون - المطرود من المدرسة وغير المهتم بالقيام بالإجـــراءات اللازمة التي قد تعيده إلى المدرسة مجدداً في بداية الفصل الدراســـي الربيعي في كانون الثاني - يعمل في محطة الوقود التي يملكها والـــد دون فاندنـــبيرغ. ومنذ الأسابيع القليلة الأولى لعمله هناك، بدأ ريبرتون بارتكاب عدد من أعمال الاحتيال المعروفة - إعطاء فكّة أقل للزبائن المتعجلين لعدِّ أوراق النقود التي يعطيها لهم، القيام بحيلة السطح الخارجي للإطار (وتتألف من محاسبة الزبون بثمن إطار جديد في حين أنه يكون قد ركَّب إطاراً قديماً بسطح خارجي جديد ووضع الفرق في جيبه؛ خمسة عشر أو ستة عشر دولاراً)، والقيام بحيلة القطع المستعملة المشابهة، إضافة إلى بيع ملصقات فحص لأولاد من المدرسة الثانوية أو من جامعة هورليكس المجاورة؛ أولاد متلهفون لإبقاء أفخاخ موهم على الطرقات.

كانـــت محطة الوقود تظل مفتوحة أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، وكـــان ريـــبرتون يعمل في فترة العمل الليلية (من التاسعة مساء حتى الخامـــسة صباحاً). وكان موتشي ويلش وساندي جالتون غالباً يأتيان

إلى المحطة بسيارة ساندي القديمة (طراز موستانج) قرابة الساعة الحادية عشرة ليلاً، في حين كان ريتشي تريلوني يأتي أحياناً بواسطة الفايربيرد، أما دون فاندنبيرغ فكان يأتي ويذهب طوال الوقت - حينما لا يكون يضيِّع وقته في المدرسة. بحلول منتصف الليل في أي عطلة نهاية أسبوع، كـــنت ستجد ستة أو ثمانية شبان جالسين في المكتب، يشربون شراب الـــشعير بكـــؤوس شاي قذرة، ويمررون في ما بينهم زجاجة تكساس درايفـــر الخاصة بريبرتون، ويدخنون الماريجوانا وربما الحشيش، ويلقون الـــنكات البذيـــئة، ويطلقون الأكاذيب بخصوص عدد الفتيات اللواتي يعرفونهن.

في أوائل تشرين الثاني، خلال واحدة من تلك الاجتماعات الليلية المتأخـــرة، ذكـــر ســـاندي أن آرني كانينغهام يركن سيارته في مرأب المطار.

وثب بادي (في العادة كان يمضي تلك السهرات بصمت متجهم) علـــى قدمـــيه فجأة ورمى الكرسي البلاستيكي على الأرض، ثم وضع زجاجته على الطاولة بقوة، وقال: "ماذا قلت؟ كانينغهام؟".

أجابه ساندي مندهشاً مع شيء من القلق: "أجل، هو".

"أنت متأكد؟ الشخص الذي تسبب بطردي من المدرسة؟".

نظـــر إليه ساندي بقلق متعاظم وقال: "أجل. لماذا؟ ولديه تذكرة لمـــدة ثلاثين يوماً، ما يعني أنه ركن سيارته في الباحة المخصصة للمدة الطويلة".

"أجل. لعل والديه لم يريداه أن يركنها في...".

ارتـــسمت ابتسامة بشعة على وجه بادي، ليس بسبب الأسنان المتعفـــنة الـــتي كـــشفت عنها، وإنما لأنها كانت توحي أن شيئاً مريعاً ســـيحدث. نظر بادي إلى ساندي، ثم إلى دون، ثم إلى موتشي ثم إلى

ريتـــشي ونظـــروا إليه بالمقابل تعلو وجوههم ملامح التشوق وبعض الخوف.

قـــال بادي بصوت هادئ ورخيم: "الوجه القبيح. الوجه القبيح المدهن جعل سيارته صالحة للسير بشكل قانوني ووالداه التافهان أرغماه على ركنها في المطار". ثم ضحك.

تبادل موتشي ودون نظرة قلقة ومترقبة.

انحنى بادي نحوهم، وأسند مرفقيه على ركبتيه، ثم قال: "اسمعوا".

23
آرني ولي

كان المذياع على محطة WDIL وكان ديون يغني Run Around Sue - أقـــضي وقـــتي مع سو - بصوته الأجش والقوي، لكنهما لم يكونا يصغيان.

كانـــت يده مندسة تحت التي شيرت الذي كانت ترتديه، قبّلها، فـــأحس وكأنـــه كـــان يتنشّق عطر وطعم غابة مطرية. كان بوسعه استشعار الرغبة تخرج منها مثل وهج متوقد.

انحنى نحوها، ثم توقفت فجأة.

جلـــس آرني، مصاباً بالدوار ومذهولاً، إلى يمين المقود بقليل. اشتغل ضوء كريستين الداخلي للحظة، ثم انطفأ مع انغلاق الباب الجانبـــي.

ظل جالساً في مكانه غير متأكد مما حدث. كان جسده في حالة هـــياج كامـــل؛ مجموعة مضطربة من المشاعر والتفاعلات الجسمانية نـــصفها رائع ونصفها مريع. كانت غدده تؤلمه. كان بوسعه الإحساس بالأدرينالين يتدفق بسرعة شديدة في شرايينه، في كل مكان من جسده.

هـــوى بقبـــضة يده بقوة على ساقه ثم على المقعد، ثم فتح الباب ولحق بها.

كانـــت لي تقف عند حافة السد، وتنظر إلى الظلام في الأسفل – كانـــت قـــريبة جـــداً من الحافة. أخذ آرني بذراعها وجذبها برفق إلى الخلـــف. كانت الأرض هناك جافة وقابلة للانهيار، ولو أنها انهارت في تلك اللحظة لحطّت لي فوق التوسع العمراني المنتشر بشكل مبعثر حول مطعم ليبرتي هيل درايف – إن.

كـــان المطـــر، الذي بدأ بالهطول في وقت مبكر من مساء ذلك السبت 4 تشرين الثاني، قد بدأ يتحول إلى مطر ثلجي خفيف. أعادها إلى السيارة معتقداً أن الشيء الذي يلمع على خديها هو بعض قطرات المطـــر الثلجـــي، لكنه لم يعرف أنها كانت دموعاً إلا في الداخل بعد انعكاس الوهج الضبابـــي الأخضر لأنوار لوحة العدادات على وجهها.

"ماذا حدث؟ ما المشكلة؟".

هزت رأسها، وبكت بقوة أكبر.

"هل... هل كان ذلك شيئاً لم ترغبـــي في القيام به؟". بلع ريقه، ثم أضاف بعد تردد: "أن تلمسيني بتلك الطريقة؟".

هزت رأسها مجدداً، لكنه لم يكن متأكداً مما كانت تعنيه. عانقها بـــشيء من القلق والارتباك. وفي الجزء الخلفي من دماغه كان يفكر في المطر الثلجي، ورحلة العودة إلى البلدة، وحقيقة أنه لم يركّب إطارات خاصة بالثلج على كريستين حتى ذلك الحين.

قالـــت لي ورأسها على كتفه: "لم أفعل ذلك مع أي شاب. تلك كانـــت المرة الأولى التي أُلمس فيها... تعلم. وفعلت ذلك لأنني كنت أريد فعل ذلك. لأنني كنت أريد فعل ذلك، فقط".

"إذاً، ما المشكلة؟".

"لا أســـتطيع... هـــنا". خرجت الكلمات ببطء وصعوبة، كل واحدة على حدة.

"الـــسد؟". قـــال ذلك ثم تلفَّت حوله، معتقداً بسذاجة أها ربما كانت تظن أنه جلب بعض الشبان ليشاهدوهما معاً.

ثم صـــرخت فجأة في وجهه: "في هذه السيارة! لا أستطيع القيام بالحميمية القصوى معك في هذه السيارة!".

حملق فيها مشدوهاً وقال: "هه؟ ما الذي تتحدثين عنه؟ لَمَ لا؟".

"لأنني... لأنني... لا أعرف!" حاولت أن تقول شيئاً آخر لكنها لم تستطع، وبكت مجدداً. فعانقها آرني حتى هدأت.

"إنني فقط لا أعرف أياً منا تحبها أكثر".

"هـــذا". صمت آرني للحظة، ثم هز رأسه، وابتسم، ثم أضاف: "لي، هذا جنون".

قالـــت لي وهـــي تتمعن في تعبير وجهه: "صحيح؟ أي منا تمضي معها وقتاً أطول، أنا... أم هي؟".

تلفَّت حوله ثم ابتسم وقال: "أتعنين كريستين؟".

"أجـــل، هذا ما أعنيه". ثم طأطأت رأسها، وأضافت: "أعتقد أن هذا غباء".

"إنـــني أمـــضي وقـــتاً أطول بكثير معك". هز آرني رأسه، "هذا جنون. أو ربما هذا طبيعي، لعل الأمر يبدو جنوناً لي لأنني لم تكن فتاة في حياتي من قبل". مدّ يده، ولمس شعرها المنسدل فوق كتف معطفها المفتوح. كان مكتوباً على التي شيرت التي ترتديه تحت المعطف *أعطني ليبرتيفيل أو أعطني الموت*.

قال آرني: "كنت أعتقد أن الفتيات يُفترَض أن يشعرن بالغيرة من الفتيات الأخريات، وليس من السيارات".

ضحكت لي قليلاً ثم قالت: "أنت محق. لا بد أن السبب هو أنك لم تعرف فتاة أبداً من قبل. السيارات فتيات. ألم تكن تعلم بهذا؟".

"أوه، ما هذا –".

"لماذا إذاً لا تدعوها كريستوفر؟" قالت ذلك، وهوت براحة يدها على المقعد بقوة أجفلت آرني.

"أووه، لي، لا تفعلي ذلك".

"لا تحب أن أصفع فتاتك؟" قالت ذلك بلؤم مفاجئ وغير متوقع، لكـــنها عندما رأت النظرة المتألمة على وجه آرني، أضافت على الفور: "آرني، أنا متأسفة".

نظر إليها بوجه خالٍ من أي تعبير وقال: "هل أنت متأسفة فعلاً؟ يـــبدو أن الجميع لا يحبونَ سيارتي هذه الأيام. أنت، أبـــي، أمي، حتى دينيس. لقد أنهكت نفسي في العمل عليها وهي تعني صفراً للجميع".

"إنها تعني شيئاً لي... الجهد الذي تطلّبته".

قـــال آرني بكآبـــة: "صـــحيح". في ذلك الوقت، كان الشغف والحـــرارة قد تبددا تماماً. كان يحس بالبرد وبتقلب خفيف في معدته. "اسمعـــي، من الأفضل أن نذهب. إنني لا أملك إطارات خاصة بالثلج. قد يعتقد أبواك أن من الظرافة أن نذهب للعب البولينغ، ومن ثم ينتهي بنا الأمر متكوِّمين على طريق ستانسون".

ضحكت وقالت: "إنهما لا يعرفان أين ينتهي طريق ستانسون".

نظر إليها رافعاً أحد حاجبيه وقال: "هذا ما تظنينه أنت". يبدو أنه لم يفقد حس المرح، بالرغم من كل شيء.

قاد آرني سيارته ببطء نحو البلدة، وسارت كريستين على الطريق الملـــتف شديد الانحدار بثقة وثبات. كانت بلدتا ليبرتيفيل ومونروفيل تـــبدوان مـــن الأعلـــى مثل مجموعة متناثرة من النجوم الأرضية تكبر

وتقتـــرب مـــن بعضها شيئاً فشيئاً إلى أن لم تعد تملك أي شكل محدد. كانـــت لي تـــراقب هذا المنظر بشيء من الحزن، متحسرة على ضياع الجـــزء الأفـــضل من أمسية كان من المفترَض أن تكون رائعة. كانت مهـــتاجة ومتضايقة وغير مكتفية، وتشعر بألم في ثدييها. حاولت مراراً خلال عودتهما الصامتة أن تشرح حقيقة شعورها، لكنها لم تجرؤ على قـــول أي شـــيء مخافة أن يُساء فهمها، لأنها هي نفسها لم تكن تفهم حقيقة شعورها.

لم تكـــن تغار من كريستين... لكنها بطريقة ما كانت تغار بالفعل. وبخـــصوص ذلك، لم يقل آرني الصدق، فهي كانت تعرف جيداً كم من الوقت كان يمضي في إصلاحها، ولكن ما الخطأ الكبير في هذا؟ كان بارعاً في العمل بيديه، ويحب ما يقوم به. وكريستين كانت تعمل مثل الساعة... باستثناء تلك المشكلة الصغيرة المضحكة المتعلقة بعداد المسافة.

السيارات فتيات. لم تفكر في ما قالته، بل خرج من فمها بصورة عفـــوية. بالتأكيد هذا لا يصح في جميع الحالات، فهي نفسها لم تكن تنظـــر إلى سيارة العائلة – سيدان – على أنها تملك جنساً محدداً، وإنما مجرد سيارة فورد.

دعـــك من كل هذا الكلام الزائف والمموه، فالحقيقة كانت أكثر قسوة وحتى أكثر جنوناً، أليس كذلك؟ إنها ببساطة لم تكن قادرة على القيام بفعل الحميمية القصوى معه، ولمسه بتلك الطريقة الحميمية، وأقل مـــن ذلـــك الـــتفكير في إيصاله إلى هدف الحميمية بتلك الطريقة (أو بالطريقة الأخرى، الطريقة الحقيقية) في السيارة.

ليس في السيارة.

لأنها كانت تشعر – هذا هو الجزء المجنون – أن كريستين كانت *تراقبهما*. لأنها كانت تشعر في بعض الأحيان (مثل تلك الليلة بالذات،

عندما كان آرني يزحلق كريستين بسلاسة ورقَّة فوق الثلج المتراكم) أن الاثنين، آرني وكريستين، كانا متحدين معاً في محاكاة مزعجة للحميمية القصوى. لأنها لم تكن تشعر أنها كانت *تركب* في كريستين، بل كانت تشعر أنها *مبتَلعة* في كريستين. ولأن فعل التقبيل والحميمية القصوى مع آرني بـــدا لها شاذاً، كان أشبه بممارسة الحميمية القصوى داخل جسد منافستها.

لأنها كانت تكره كريستين أيضاً؛ تكرهها وتخاف منها. لقد نمت داخلـــها خـــشية غامضة من المشي أمام شبكة المبرِّد الجديدة أو وراء الـــصندوق الخلفي مباشرة. لا بل كانت تتخيل أحياناً أن كابح الأمان يحرر نفسه بشكل مفاجئ أو أن ناقل الحركة ينتقل من وضعية الإيقاف إلى وضـــعية الحـــركة لسبب ما، تخيلات لم يسبق أن خطرت بذهنها بالنسبة إلى سيارة العائلة.

في أغلب الأحيان، لم تكن تريد أن تفعل أي شيء في السيارة... أو حـــتى تـــذهب إلى أي مكـــان فيها؛ لو كان بمقدورها فعل ذلك، بالطـــبع. كـــان آرني يبدو شخصاً مختلفاً نوعاً ما في السيارة، شخصاً غـــريباً علـــيها. كانت تحب لمسات يديه على جسدها. كانت لمساته تـــشعرها دائماً بطعم الإثارة، شعور أن كل حواسها متيقظة ومتناغمة بـــصورة لذيذة. لكن هذا الشعور كان يبدو خشناً في السيارة... ربما لأن آرني في السيارة كان دائماً يبدو أقل صدقاً من ناحية العاطفة وإلى حدٍّ ما أكثر فجوراً.

فتحت فمها مرة أخرى، بينما كانا يدخلان إلى شارع منـــزلها، كي تشرح بعض هذه المشاعر، لكنها لم تستطع قول أي شيء مجدداً. ولَمَ لا؟ لأنـــه لم يكن هناك أي شيء ملموس وحقيقي لتشرحه - كل ذلـــك كـــان أوهاماً، مجرد أحاسيس. ولكن، كان هناك شيء واحد

حقيقـــي. لكنها لم تستطيع إخباره به، لأن ذلك كان يمكن أن يجرحه. وهي لم تكن تريد أن تجرحه لأنها كانت تعتقد أنها بدأت تحبه.

إنها الرائحة – رائحة عفنة خفية كامنة تحت روائح أغطية المقاعد الجديـــدة وســـائل التنظيف الذي استخدمه لتنظيف حصائر الأقدام. صـــحيح أنها لم تكن واضحة تماماً، لكنها كانت كريهة جداً بحيث إنها كانت تبعث على التقيؤ.

قـــبَّلها عند عتبة باب المنـــزل متمنياً لها ليلة هانئة. كانت ندفات الـــثلج تلمع مثل حليٍّ متناثرة بين خصل شعرها الأشقر الداكن. كان يـــود أن يقـــبّلها قبلة حقيقية، لكنه فكّر في إمكانية أن يكون والداها يـــراقبانهما مـــن نافذة غرفة الجلوس في تلك اللحظة، ما جعله يقبّلها بصورة شبه رسمية، كما يقبِّل المرء ابنة عم عزيزة على قلبه.

"أنا آسفة. كنت سخيفة".

"لا". كان واضحاً أنه يقصد *نعم*.

"إنـــه فقـــط" – أسعفها ذهنها بشيء ما، كان مزيجاً من الصدق والكـــذب – "لا يـــبدو مناسباً في السيارة. *أي سيارة*. أريد أن نكون معـــاً، ولكن ليس في سيارة مركونة في الظلام في نهاية طريق مسدود. هل تفهمني؟".

"نعم. أنا أفهم تماماً ما تعنين".

عانقته، مطوِّقة ذراعيها حول رقبته. كان معطفها لا يزال مفتوحاً فأحس بصدرها الباعث على الجنون.

"أحبك". كانت هذه هي المرة الأولى التي تقولها له، ثم انسلت مسرعة إلى الداخل، تاركة إياه واقفاً عند مدخل المنـــزل، مندهشاً ولكـــن بسرور، وأكثر دفئاً مما يجب في ذلك اليوم المثلج البارد من أواخر الخريف.

أخـــيراً، خطـــر بباله أن آل كابوت قد يجدا وقوفه عند مدخل منـــــزلهما لفتـــرة أطول أمراً غريباً، فبدأ يمشي متجهاً نحو السيارة مع ابتسامة كبيرة تعلو وجهه. وقبل أن يصل إلى حيث يتصل الممر الإسمنتي مع الرصيف، توقف، وتبددت الابتسامة بشكل تدريجي. كانت كريستين واقفـــة عـــند حافـــة الرصيف، وقطرات الثلج الذائبة تُلألئ زجاجها، مـــشوِّهة الضوءين التحذيريين الحمراوين الصادرين عن لوحة القيادة. لقد ترك محرك كريستين يعمل، لكنه توقف عن العمل للمرة الثانية.

تمـــتم آرني بصوت هامس: "أسلاك رطبة. هذا كل ما في الأمر". لا يمكن أن تكون وحدات إشعال المحرك هي السبب لأنه وضع مجموعة جديدة منها قبل يومين فقط، في مرأب دارنل.

أي منا تمضي معها وقتاً أطول، أنا... أم هي؟

عادت الابتسامة إلى وجهه، لكنها كانت ابتسامة قلقة هذه المرة. في الحقيقة، كان يمضي وقتاً أطول مع السيارات، بصفة عامة، بالطبع. كـــان ذلك بسبب عمله لصالح دارنل، ولكن، من السخافة بمكان أن تظن أن...

لقد كذبت عليها. هذه هي الحقيقة، أليس كذلك؟

أجـــاب نفـــسه: *لا، لا أعـــتقد أنك تستطيع القول إنني كذبت عليها...*

لا؟ وماذا تُسمِّي ذلك إذاً؟

كانـــت تلك هي المرة الأولى والوحيدة التي يكذب عليها منذ أن اصـــطحبها معه لمشاهدة مباراة كرة القدم في هيدين هيلز. لأن الحقيقة هـــي أنه كان يمضي وقتاً أطول مع كريستين، وكان يكره إيقافها في ســـاحة مرأب المطار في البرد وتحت المطر، ولن يمضي وقت طويل حتى يبدأ الثلج بالتساقط.

لقد كذب عليها.

كان يمضي وقتاً أطول مع كريستين.

وكان ذلك -.

"خطـــأً"، قـــال بصوت متحشرج، بالكاد سمعه مع صوت المطر الثلجي المتساقط.

وقف على الرصيف وهو ينظر إلى سيارته المتوقفة، وفجأة أحس أنـــه يكـــرهها. لقد فعلت به شيئاً ما، لكنه لم يكن متأكداً من ذلك الشيء.

بـــدا له أن الضوءين التحذيريين، اللذين تحولا بفعل الرطوبة على زجاج النافذة إلى عينين حمراوين على شكل كرة القدم الأميركية، كانا يسخران منه ويقتربان منه في الوقت عينه.

فـــتح الـــباب، وجلس خلف المقود، ثم أغلق الباب مجدداً. أطبق عينـــيه، فأحس بالسكينة تغمره، وراح يسترجع ما حدث بهدوء. لقد كذب عليها، هذا صحيح، لكنها كانت كذبة صغيرة. كذبة غير مهمة إلى حدٍّ كبير. لا - كذبة *غير مهمة كلياً*.

مـــدّ يده من دون أن يفتح عينيه، ولمس القطعة الجلدية المستطيلة المتصلة بالمفاتيح. كانت عتيقة ومقشوطة، ومنقوشة بأحرف ر.د.ل. لم يجد ضرورة لشراء حلقة مفاتيح جديدة، أو قطعة جلدية جديدة تحمل أحرف اسمه الأولى.

لكن، ثمة شيء غريب بخصوص قطعة الجلد تلك، أليس كذلك؟

أجل. شيء غريب بالفعل.

عـــندما كان يعد النقود بجانب طاولة مطبخ ليبـــي، وقام ليبـــي برمـــي المفاتيح على المشمَّع الملون بمربعات حمراء وبيضاء كي يأخذها، رأى أن القطعـــة الجلديـــة كانت قديمة وبالية ومسودَّة، وأن الأحرف

الأولى من اسم ليبي كانت ممحوة تقريباً بفعل الزمن والاحتكاك الدائم مع الفكة في جيب الرجل العجوز وقماش الجيب نفسه.

لكن تلك الأحرف أصبحت واضحة وبارزة في أثناء جلوسه في السيارة. لقد تم ترميمها وتجديدها بطريقة ما.

لكن، لم يكن ذلك مهماً بالنسبة إليه – مثل الكذبة.

كان متأكداً من ذلك. أمر تافه، وغير ذي أهمية على الإطلاق.

أدار المفتاح، فعنَّ المارش، لكن المحرك لم يقلع. أسلاك رطبة. بالطبع، هذا هو السبب.

همس آرني مخاطباً كريستين: "أرجوك. كل شيء على ما يرام، لا تقلقي. كل شيء على حاله".

التقط المحرك الشرارة، لكنه أخفق في الإقلاع. ثم تابع المحاولة مرة بعد مرة. كانت قطرات المطر الثلجي تنقر الزجاج ببرود. لكنه كان آمناً في السيارة، فالمكان جاف ودافئ.

"هيا. هيا يا كريستين. هيا عزيزتي".

التقط المحرك الشرارة مجدداً، ثم أقلع. ترجرج الضوءان التحذيريان قليلاً ثم انطفأا. ومض ضوء المولد بشكل خافت مرة أخرى مع الإقلاع المتقلقل للمحرك ثم انطفأ نهائياً عندما أصبح إيقاع دوران المحرك ثابتاً.

أصدر السخَّان هواءً دافئاً لطيفاً حول ساقيه مبطلاً برودة الشتاء في الخارج.

بدا له أنه كانت هناك أشياء عصية على الفهم بالنسبة إلى لي، ذلك أنها لم تكن موجودة معه من قبل. البثور، ومناداته هيبي، وجه *البيتزا!* والرغبة في التحدث، والرغبة في التواصل مع الآخرين، والعجز. بدا له أنها لا تستطيع أن تفهم حقيقة أنه لولا كريستين لما امتلك الجرأة أبداً للاتصال بها هاتفياً، حتى لو كانت تمشي واشمة على جبهتها *أريد*

أن أواعـــد آرني كانيـــنغهام. لم يكـــن بوسعها أن تفهم أنه في بعض الأحيان كان يشعر أنه أكبر سنّاً بثلاثين سنة – لا! بل خمسين سنة – وأنـــه لـــيس ولداً على الإطلاق بل محارباً قديماً مصاباً بجروح شديدة وعائداً من حرب غير معلنة.

داعب عجلة القيادة، فتوهجت عينا القطة الخضراوان على لوحة القيادة وكأنهما كانتا تواسيانه.

تنهّد هامساً: "حسناً".

غيَّـــر ناقل التروس إلى وضعية القيادة D، ثم أدار مفتاح المذياع. كان ديدي شارب يغني Mashed Potato Time زمن البطاطا المهروسة.

انطلـــق بالـــسيارة وفي نيته التوجه إلى المطار كي يركن سيارته هـــناك، ويلحق بالباص الذي يعود إلى البلدة عند تمام الساعة. وهذا ما فعلـــه، ولكـــن ليس في الوقت المناسب للعودة في باص الساعة الحادية عشرة ليلاً كما أراد، إذ استقل باص منتصف الليل بدلاً منه. و لم يخطر بذهنه إلا عندما أصبح في سريره في تلك الليلة – مستحضراً قبلات لي الدافـــئة وليس إخفاق محرك كريستين في العمل – أنه ضيَّع ساعة من الـــزمن في مكان ما في تلك الليلة، بعد مغادرته منـــزل عائلة كابوت وقـــبل الوصول إلى المطار. فشعر كمن يقلب المنـــزل رأساً على عقب بحـــثاً عـــن شـــيء ضروري جداً ثم يكتشف أنه كان موجوداً في يده الأخرى طوال الوقت.

أين كان؟

تذكَّـــر بصورة ضبابية أنه ابتعد عن حافة الرصيف المقابل لمنـــزل لي ثم...

... تجوَّل فحسب.

نعم. كان يتجوّل. هذا كل ما هنالك. ليست قضية كبيرة.

تجـــوّل عـــبر الثلج المتراكم، تجول عبر الطرقات المفروشة بالثلج، تجـــول مـــن دون إطارات مخصصة للثلج؛ ومع ذلك، كانت كريستين ثابتة بصورة مدهشة، و لم تخطئ طريقها أبداً أو تتزحلق عند المنعطفات. بدت كريستين تملك طريقة مميزة وآمنة ومضمونة بحيث إن تلك الجولة كانت ثابتة كما لو أن السيارة كانت تسير على مسار حافلة كهربائية. تجول على أنغام الراديو الذي كان يبث مجموعة متواصلة من الأغنيات القديمة التي بدت عناوينها أنها تتألف فقط من أسماء فتيات: بيجي سو، كارول، باربرا آن، سوزي دارلينغ.

أحس في مرحلة ما بشيء من الرعب فضغط أحد أزرار الكروم على مغـــير المـــوجات الذي ركّبه، ولكن بدلاً من ظهور محطة 104 – FM ظهرت محطة WDIL مجدداً، باستثناء أن مقدم الأغاني هذه المرة بدا مجنوناً مـــثل آلان فريد، وكانت الأغنية التالية بصوت سكريمنغ جي هوكينـــز الخشن: "*I put a spell on you...because you are mine...*".

أخـــيراً، ظهر المطار بأضوائه الدالة على وجود طقس سيئ، والتي كانت تنبض بشكل منتظم مثل ضربات قلب مرئية. وبصورة تدريجية تحـــولت أنغام المذياع إلى خشخشة مشوشة بسبب التداخل الكهربائي فأوقف عمل المذياع. وعندما ترجل من السيارة، أحس بشعور غامض من الارتياح.

إنـــه مستلقٍ الآن في سريره، يحاول النوم جاهداً لكنه لا يستطيع. وفي الخارج، كان المطر الثلجي المتكثف قد تحول إلى كتل من الثلج.

ثمة شيء محيِّر.

لم يكـــن بوســـعه حتى أن يكذب على نفسه ويقول إنه لم يكن يعـــرف ذلك. لقد علّق عدة أشخاص على طريقته البارعة والجميلة في ترميم سيارته. عندما ذهب بها إلى المدرسة، تحلّق فتيان ورشة الميكانيك

جميعهم حولها، ونزلوا تحتها بواسطة المزلجة كي ينظروا إلى نظام العادم الجديد، وماصات الصدمات الجديدة، والهيكل. وغاصوا في المحرك متفحصين الأحزمة والرادياتور - الذي أصبح بصورة عجائبية خالياً من التآكل والمادة الخضراء اللزجة التي تنتج عن استعمال مانع التجمد لسنوات طويلة - والمولّدة، والأسطوانات اللامعة المحكمة داخل صماماتها. حتى مصفاة الهواء كانت جديدة، ومسحوبة إلى الوراء دلالة على السرعة، وكان مطلياً على سطحها العلوي الأرقام 318.

نعم، لقد أصبح بطلاً بالنسبة إلى زملائه في ورشة الميكانيك، وقد استقبل كل تعليقاتهم وإطراءاتهم بابتسامة عريضة متعالية. ولكن، حتى في ذلك الحين، ألم يكن يشعر بالارتباك والحيرة في داخله؟ بالتأكيد.

لأنه لم يكن بوسعه أن يتذكّر ما قام بفعله على كريستين وما لم يقم به.

لقد أصبح الوقت الذي أمضاه في مرأب دارنل ضبابياً بالنسبة إليه حينئذ، مثل الجولة التي قام بها إلى المطار منذ عدة ساعات. كان باستطاعته أن يتذكر بداية عمله على إخفاء الانبعاج في الجزء الخلفي من السيارة، لكنه لم يكن يستطيع تذكُّر إنهائه. وكان بوسعه أن يتذكر طلاءه لغطاء المحرك - وتغطية الزجاج الأمامي وواقيات الطين بشريط لاصق ونزع اللاصق الأبيض في ورشة الطلاء - لكنه لم يستطع أن يتذكر متى بالضبط استبدل النوابض، ولا من أين حصل عليها. كل ما كان باستطاعته تذكُّره بشكل مؤكد هو جلوسه لفترات طويلة وراء المقود، مذهولاً من السعادة، كما شعر عندما همست له لي قائلة *أحبك* قبل دخولها مسرعة المنزل. كان يجلس هناك في مرأب دارنل بعد ذهاب معظم الأشخاص، الذين كانوا يصلحون سياراتهم، من أجل تناول طعام العشاء. كان يجلس ويفتح الراديو كي يستمع إلى الأغاني القديمة في محطة WDIL.

وربما كان الزجاج الأمامي هو الجزء الأسوأ.

لم يشترِ زجاجاً أمامياً جديداً لكريستين. كان متأكداً من ذلك، لأن حسابه المصرفي كان سيصبح أقل بكثير لو أنه اشترى واحداً من تلك الواجهات الملفوفة الجميلة. وألن يكون معه وصل بذلك؟ لقد فتّش عن هذا الوصل ذات مرة في الملف الذي كان يحتفظ به في غرفته والذي كتب على غلافه **مواد السيارة**، لكنه لم يجد شيئاً. وإذا شئتم الصدق، لم يفتش عنه بحماسة كبيرة.

قال دينيس إن التشققات التي كانت تشبه شبكة العنكبوت بدت أصغر. وبعد ذلك، في ذلك اليوم في هيدين هيلز، اختفت كلياً. أصبح الزجاج الأمامي صافياً ومن دون أي خدش.

ولكن، متى حدث ذلك؟ وكيف حدث ذلك؟

لم تكن لديه أدنى فكرة.

أخيراً غط في النوم، ورأى أحلاماً مزعجة جعلته يتقلب في الفراش محولاً الشرشف تحته إلى كرة من القماش. وفي الخارج دفعت الريح الغيوم فتلألأت السماء بنجوم خريفية باردة.

24

شوهدت في الليل

كان حلماً، كانت متأكدة من ذلك؛ حتى النهاية تقريباً.

في الحلم، استيقظت من حلم آخر كانت تمارس الحميمية القصوى فيه مع آرني، ليس في السيارة، وإنما في غرفة زرقاء هادئة ليس فيها أي نوع من أنواع المفروشات باستثناء بساط أزرق غامق ومجموعة متناثرة من الوسائد مغطاة بقماش حريري أزرق فاتح. استيقظت من هذا الحلم في غرفتها في ساعات الصباح الأولى من يوم أحد.

سمعت صوت سيارة في الخارج، فتوجهت إلى النافذة، ونظرت إلى الشارع، فرأت كريستين متوقفة عند حافة الرصيف. كان محركها يعمل لأنها رأت بخاراً يتصاعد من العادم، لكنها كانت فارغة. في الحلم، ظنت أن آرني كان يقف عند الباب، بالرغم من أنها لم تسمع طرْقاً عليه. كانت تريد أن تنزل بسرعة لتفتح الباب، مع أن أباها كان سيستشيط غضباً إذا استفاق من نومه، ورأى آرني هناك عند الرابعة فجراً.

لكنها لم تتحرك، بل بقيت واقفة هناك بجانب النافذة تنظر إلى كريستين بكراهية شديدة، وخوف أيضاً.

كريستين كانت تكرهها أيضاً.

متنافستان، قالت في نفسها. كانت - في الحلم - خائفة ويائسة أكثر منها غيورة. ها هي كريستين تقف بجانب الرصيف عند الفجر، منتظرة لي. *انزلي. عزيزتي. هيا. سنتجول، ونتحدث عمن يحتاج إليها أكثر، عمن تهتم به أكثر، وعمن ستكون أفضل له على المدى الطويل. هيا... أنت لست خائفة، أليس كذلك؟*

كانت مرعوبة.

هذا ليس عدلاً، إنها أكبر سنّاً، إنها تعرف الحَيل، ستخدعه -.

همـــست لي بحـــدة في المنام: "ابتعدي". ثم نقرت بأصابعها على زجـــاج الـــنافذة. كان الزجاج بارداً، وكان بوسعها رؤية العلامات الصغيرة التي خلّفتها أصابعها على الزجاج والتي كانت كل واحدة منها تشبه شكل الهلال. كم تبدو بعض الأحلام حقيقية.

لكـــن، لا بـــد أن ذلك كان حلماً. لا بد أنه حلم لأن السيارة سمعـــتها. فما إن خرجت الكلمة من فمها حتى بدأت المساحات تعمل فجـــأة، نافضة الثلج الرطب عن الزجاج الأمامي بطريقة ازدرائية نوعاً مـــا. ثم انحـــرفت عن الرصيف بهدوء، وبدأت تسير مبتعدة، من دون سائق.

كانـــت مـــتأكدة من ذلك... كما يمكن لأي شخص أن يكون مـــتأكداً في الحلـــم. صحيح أن النافذة من جهة الراكب كانت مغطاة بالـــثلج لكنها لم تكن مغشية تماماً، إذ كان بوسعها رؤية ما بداخلها. ولم يكن هناك أحد جالسٌ خلف المقود. ولهذا، لا بد أنه كان حلماً.

عـــادت إلى سريرها (الذي لم تجلب إليه أي عشيق من قبل مثلها مثل آرني، الذي لم يعرف أي عشيقة على الإطلاق) وهي تفكر في ليلة مـــيلاد قديمة جداً، قبل اثنتي عشرة أو ربما أربع عشرة سنة. لم تكن، بالتأكـــيد، تتجاوز الرابعة من عمرها آنذاك. كانت قد ذهبت مع أمها إلى أحد المخازن الكبيرة في بوسطن، لعله كان مخزن فيلين، ربما...

وضعت رأسها على الوسادة، وغطت في النوم (في الحلم) بعينين مفتوحـــتين تنظران إلى ضوء الفجر الخافت المتسلل عبر النافذة. وبعد ذلك، رأت - في الأحلام، يمكن حدوث أي شيء - قسم الألعاب في مخزن فيلين.

كانـــا يبحثان عن شيء لبروس، الابن الوحيد لشقيق أبيها. وفي مكـــان من المخزن، كان هناك سانتا يقهقه – هو هو هو – عبر مكبر صوت، لكن صوته المضخَّم لم يكن يبدو ودوداً بل شريراً ومخيفاً، أشبه بقهقهة مهووس أتى في الليل حاملاً – ليس هدايا – بل ساطور جزار.

رفعت يدها، وأشارت نحو إحدى زوايا العرض وقالت لأمها إنها تريد من سانتا أن يجلب لها تلك اللعبة.

لا يا حبيبتي، لا يمكن لسانتا أن يجلب لك هذه. إنها لعبة للصبية.

لكنني أريدها!

سيجلب لك سانتا لعبة جميلة، ربما باربـــي –.

أريد تلك!

الجـــني الصبـــي فقط يصنع تلك الألعاب. لي لي حبيبتي. إنها من أجل الصبية. الجنية الفتاة تصنع دمىً جميلة –.

لا أريد دمية! لا أريد باربـــي! أريد... تلك!

إذا كـــنت ستغضبين، فسأضطر إلى أخذك إلى المنـــزل، لي. إنني أعني ذلك، الآن.

هكذا استسلمت في النهاية، وجُلب لها ليس دمية باربـــي ماليبو فحسب وإنما كين ماليبو أيضاً، وقد استمتعت بهما (كما تعتقد)، لكنها كانت لا تزال تتذكر سيارة السباق الحمراء التي تسير على قاعدة ذات تـــلال خضراء وطريق مرسوم ببراعة إلى درجة أنه كان يبدو حقيقياً، حـــتى إنه كان مزوداً بقضبان حماية على الجانبين. كانت تسير بسرعة ومـــن دون سلك ما جعلها تعتقد أن في الأمر خطباً ما. بالطبع، إن ما أذهلـــها هـــو أن السيارة كانت تسير لوحدها. وبالرغم من أن أمها أخـــبرتها أن مـــوظفاً في المخـــزن كان يسيِّرها من إحدى المقصورات بواسطة جهاز تحكم لاسلكي، إلا أنها لم تصدق ذلك.

ظلـــت واقفـــة هـــناك ويداها الصغيرتان متشبثتان بسور منطقة العـــرض، تـــراقب بذهـــول تلك السيارة وهي تلتف وتلتف مسرعة، لوحدها، إلا أن أمها جذبتها برفق وأبعدتها عن المكان.

نامت لي بعمق أكبر، وبشكل تدريجي تلاشت الذكريات والأحلام، وفي الخارج كان ضوء النهار يزحف ببطئ مثل حليب بارد، منيراً الشارع الفارغ والساكن، كعادته في صباحات أيام الأحد. كانت باكورة سقوط الـــثلج في ذلـــك الموسم على حالها لم تمس، باستثناء آثار عجلات سيارة اقتـــربت من الرصيف المقابل لمنـــزل عائلة كابوت ثم ابتعدت عنه مجدداً، وتابعت طريقها باتجاه التقاطع في نهاية ذلك الحي الواقع في أطراف البلدة.

لم تـــستفق من نومها حتى العاشرة تقريباً، عندما نادتها أمها كي تنـــزل وتتناول فطورها. وبحلول ذلك الوقت كانت درجة الحرارة قد أصـــبحت تقارب الستين درجة فهرنهايت؛ في غربـــي بنسلفانيا تكون بداية شهر تشرين الثاني في العادة متقلباً مثل أوائل نيسان. لهذا السبب، كان الثلج قد ذاب بحلول الساعة العاشرة، واختفت آثار العجلات.

25

بادي يزور المطار

ذات لـــيلة، بعـــد مرور نحو عشرة أيام، سلكت سيارة كامارو زرقـــاء، مـــرتفعة بشدة من الخلف بحيث بدت مقدمتها وكأنها كانت تحتكّ بالطريق، المسار المؤدي إلى مرأب المطار.

نظر ساندي جالتون من مقصورته الزجاجية بقلق، فالتفت بادي ريـــبرتون نحوه من نافذة السائق راسماً على وجهه ابتسامة عريضة. بدا بـــادي وكأنه لم يحلق ذقنه منذ أسبوع، وكانت عيناه تشعّان بوميض

شخص تعاطى الكوكايين بكثرة مؤخراً - في الحقيقة، لقد حصل بادي ورفاقــه على غرام جيد منه في ذلك المساء. باختصار، كان بادي يبدو إلى حدٍّ كبير مثل كلينت إيستوود شرير.

قال بادي: "كيف حالهما (يقصد خصيتيه) يا ساندي؟".

صـــدرت ضـــحكة عالية من الكامارو ابتهاجاً بهذا التعليق. كان دون فاندنبرغ، وموتشي ويلش، وريتشي تريلوني مع بادي في السيارة، وبفـــضل غرام الكوكايين وزجاجات تكساس درايفر التي جلبها بادي معـــه من أجل المناسبة، يشعرون بنشوة عارمة. لقد جاؤوا للقيام بلعبة قذرة مع سيارة آرني كانينغهام.

قـــال ساندي: "اسمعوا، إذا انكشف أمركم أيها الشباب، سأفقد وظيفتي". كان الصاحي الوحيد بينهم، ويشعر بندم شديد لأنه أخبرهم أن آرني يركن سيارته هناك.

قـــال موتـــشي من المقعد الخلفي: "إذا قُبض عليك أنت أو أي شـــخص مـــن فرقة المهمة المستحيلة اللعينة هذه، فإن الموظف سيتبرأ منكم". فضحك الجميع بقوة أكبر.

تلفّـــت ســـاندي حـــوله لـــيرى إن كان ثمة سيارات أخرى - شهوداً - في المكان، ولكن بما أنه لم يكن يُتوقَّع وصول أي طائرة قبل أكثر من ساعة، فإن المرأب كان مهجوراً مثل الجبال على القمر. كان الطقس قد أصبح بارداً جداً، وكانت الريح تعصف فوق مدارج المطار وتصفر بشدة بين صفوف السيارات الفارغة.

"بإمكـــانكم أن تضحكوا أيها المتخلّفون. إنني لم أرَكم، هذا كل شيء. وإذا قُبض عليكم، فسأقول إنني كنت أتبرَّز".

قال بادي: "يا الله، يا له من طفل. لم أعتقد أبداً أنك طفل هكذا يا ساندي. صدقاً".

صـــاح ريتشي: "آآآ! آآآ!" فضحكوا مجدداً. "اقلب على ظهرك، وادَّعي أنك ميت أمام دادي وورباكس، يا ساندي".

قال ساندي: "لا أبالي. فقط كونوا حذرين".

قال بادي: "سنفعل يا رجل". كان قد احتفظ بزجاجة سابعة من تكـــساس درايفـــر وبكمـــية لا بأس بها من الكوكايين، فقدّمهما إلى ساندي قائلاً: "خذ. متّع نفسك".

ابتسم ساندي رغماً عنه وقال: "حسناً"، ثم أضاف كي لا يظنوا أنه ضعيف، "قوموا بعمل جيد".

اتـــسعت ابتسامة بادي، وتلاشى وميض عينيه، وأصبحتا باردتين وقاسيتين ومخيفتين. "أوه، سنفعل. سنفعل".

انطلقـــت الكامارو متجهة نحو المرأب، وتابع ساندي سيرها لعدة لحظـــات من خلال مراقبة أضوائها الخلفية، لكن بادي أطفأها فجأة. وبقي صوت المحرك مسموعاً لعدة لحظات أخرى قبل أن يتلاشى كلياً هو الآخر.

أفـــرغ ساندي المخدرات على الطاولة بجانب التلفزيون النقّال ثم استنـــشقها بواسطة ورقة دولار ملفوفة، وبعد ذلك تحوَّل إلى زجاجة التكـــساس درايفر. كان يعرف أنه إذا وُجد مخموراً في العمل فإنه قد يُطرَد من العمل أيضاً، لكنه لم يكترث للأمر كثيراً. وإضافة إلى ذلك، أن يكـــون مخموراً أفضل من أن يظل قلقاً يتلفت حوله بحثاً عن إحدى سيارتي أمن المطار الرماديتين.

كانت الريح تهب باتجاهه، ولهذا فقد كان قادراً على سماع الكثير من الأصوات.

رنـــين زجـــاج يتكسَّر، ضحكة مكبوتة، طرقة عالية على جسم معدني... صوت زجاج يتكسر مرة أخرى.

صمت.

أصوات خافتة لم يقدر على تمييز كلماها.

فجـــأة سمع ساندي وابلاً من الضربات، تبعها مزيد من الزجاج المتكـــسر في الظـــلام، وارتطام قطعة معدنية بالأرض. وبعد ذلك سمع بادي يأمر أحدهم قائلاً: "قم بذلك هناك!".

ثم تمتمة احتجاج غير مفهومة.

بادي مجدداً: "لا تكترث للأمر! على لوحة القيادة، قلت!".

تمتمة أخرى.

بادي: "لا أبالي!".

لسبب ما أحدث تعليقه هذا ضحكة مكتومة.

تبلل جسد ساندي بالعرق بالرغم من البرد القارس، فأغلق نافذته الـــزجاجية، وشـــغّل التلفـــزيون. ثم راح يشرب من زجاجة تكساس درايفر المكونة من مزيج من عصير الفواكه وشراب فرنسي رديء؛ هذا ما كانوا يشربونه عندما لم يكونوا يشربون شراب الشعير آيرون سيتي. ومـــاذا يُفتـــرَض به أن يفعل؟ يقنع نفسه أنه أفضل منهم؟ كان ذلك سيعرِّضه لعقاب شديد آجلاً أم عاجلاً، لأن بادي لم يكن يحب الجبناء.

بـــدأ شعوره يصبح أفضل مع سريان مفعول الشراب في جسده. وعندما مرت إحدى سيارتي أمن المطار بالقرب منه، ورفع الشرطي يده ملـــوحاً له، رفع ساندي يده أيضاً بهدوء شديد، وكأن كل شيء كان طبيعياً كالمعتاد.

عـــادت الكامارو الزرقاء بعد نحو خمس عشرة دقيقة من دخولها المـــرأب؛ هـــذه المـــرة من طريق الخروج. كان بادي يجلس باسترخاء وهدوء خلف المقود، واضعاً بين فخذيه زجاجة تكساس درايفر فارغة إلا من ربعها. كان مبتسماً وعيناه تشعان بوميض مخيف.

قال بادي: "كل شيء على ما يرام، يا صديقي الطيب".

رسم ساندي ابتسامة متكلفة وقال: "جيد. جيد".

قال ريتشي: "حافظ على هدوئك يا رجل".

"بالتأكـــيد". كان ساندي سعيداً لأنهم سيرحلون. لعله لن يتردد كـــثيراً علـــى محطـــة وقود فاندنبيرغ بعد هذه الحادثة. ولعله سيلتحق بدروس ليلية أيضاً. وربما سيضطر إلى التخلي عن عمله هذا أيضاً.

كـــان بـــادي لا يزال ينظر إليه راسماً تلك الابتسامة الغريبة القاسية، فشرب ساندي جرعة كبيرة من تكساس درايفر، وكاد أن يختـــنق بها. وللحظة تخيل أنه يتقيأ على وجه بادي، فتحول قلقه إلى رعب.

قـــال بادي: "إذا سألتك الشرطة حول هذا الأمر، إنك لا تعرف شـــيئاً. لم تـــرَ شـــيئاً. كما قلت، اضطررت إلى التبرز قرابة التاسعة والنصف".

"بالتأكيد بادي".

"كلنا كنا نضع قفازاتنا. لم نترك أي بصمات".

"جيد".

"حافظ على هدوئك يا ساندي".

"نعم، حسناً".

ضـــغط بادي على دواسة البنـــزين، فرفع ساندي البوابة بواسطة الـــزر الـــيدوي، وانطلقـــت الكامارو بسرعة هادئة متجهة نحو طريق الخروج من المطار.

جلـــس ساندي في مقصورته، وراح يتابع التلفزيون بقلق. وقبيل بدء قدوم الواصلين من كليفلاند في رحلة العاشرة وأربعين دقيقة، أفرغ ما بقي من زجاجة تكساس درايفر خارج النافذة.

26

كريستين محطمة

في الــــيوم التالي، استقل آرني ولي الباص متوجهين إلى المطار كي يأتــيا بكريستين. كانا ينويان الذهاب إلى بيتسبورغ للتبضع من أجل الميلاد، وكانا متشوقين إلى القيام بذلك معاً.

كـــان مزاج آرني رائقاً في الباص، حيث راح يطلق النكات حول الموجـــودين معهما في الباص دافعاً إياها إلى الضحك رغماً عنها، فهي كانـــت حائـــضاً في ذلك الحين، وغالباً ما تكون دورقما الشهرية مؤلمة ومحـــبطة. قال لها إن المرأة السمينة التي تنتعل حذاء عمل رجالي كانت راهـــبة غـــير مخلصة، والشاب الذي يعتمر قبعة راعي بقر كان سارقاً وضـــيعاً. إن خـــروجه من قوقعته كان أمراً مذهلاً بحق. كانت تشعر بسعادة ورضا باحث عن الذهب اشتبه بوجود ذهب من خلال دلائل معينة وتبيَّن في نهاية المطاف أنه كان محقاً. لقد أحبَّته، وكانت محقة في محبتها له.

نـــــزلا مـــن الباص في الموقف الأخير، وتوجها نحو المرأب سيراً على الأقدام بيدين متشابكتين.

قالت لي: "هذا ليس سيئاً. خمس وعشرون دقيقة من المدرسة".

"صـــحيح، هذا جيد. إنه يحافظ على الهدوء في العائلة، هذا أهم شيء. عندما جاءت أمي ورأت كريستين أمام المنـــزل جن جنونها".

ضـــحكت لي، وطيَّر الهواء شعرها خلف ظهرها. كانت درجة الحرارة قد ارتفعت قليلاً عما كانت عليه ليلة البارحة، لكن الجو كان لا يزال بارداً. كانت تشعر بالسعادة، لأنها كانت مغرَمة.

مـــشيا عبر السيارات في طريقهما نحو القسم المخصص لركن السيارات لمدة ثلاثين يوماً. في تلك الأثناء، كانت هناك طائرة قادمة تطير فوقهما وعلى وشك الهبوط على مدرج المطار. كان آرني يقول شـــيئاً مـــا، لكـــن صوت محركات الطائرة غطّى على صوته كلياً بعـــد الكلمـــات القلـــيلة الأولى - كـــان يقول شيئاً يتعلق بغداء مناســـبة الشكر - فالتفتت لي إليه، ونظرت إلى فمه المتحرك ولكن الصامت.

فجأة، توقف فمه عن الحراك، وتوقف عن المشي أيضاً. ثم اتسعت عيـــناه، والـــتوى فمه، وأطبقت يده الممسكة بيد لي بشكل مؤلم على مفاصل أصابعها، فصاحت لي:

"آرني... آرني، ما الأمر؟... آووو، إنك تؤلمني!".

قـــال كلمة واحدة - "كريستين!" - ثم ترك يدها وبدأ يركض. اصـــطدمت ســـاقه بمصد سيارة كاديلاك، فكاد أن يقع لكنه أمسك نفسه، وتابع جريه مجدداً.

أخيراً، أدركت أن الأمر يتعلق بالسيارة - السيارة، السيارة، دائماً تلك السيارة اللعينة - فأحست بغضب عارم يغلي في صدرها.

لكن غضبها هدأ لحظة نظرت... ورأت.

ركض آرني نحو ما بقي من سيارته رافعاً يديه، ثم توقف فجأة في وضعية شخص مرعوب توشك سيارة على دهسه.

بقي على تلك الحالة للحظة وكأنه كان يحاول إيقاف السيارة، أو العالم برمته، ثم أنـــزل يديه. ارتفعت تفاحة آدم في حنجرته، ونـــزلت مـــرتين، كأنـــه كان يحاول منع شيء يريد الخروج من جوفه - أنين، صـــرخة - ثم تحجّـــرت حنجـــرته، وتصلّبت عضلات رقبته، ونتأت الشرايين فيها. كانت أشبه برقبة رجل يحاول رفع بيانو.

مـــشت لي نحوه ببطء. كانت يدها لا تزال تنبض؛ وغداً سوف تـــتورم وتـــصبح بـــلا فائـــدة، لكنها لم تكن تشعر في تلك اللحظة. إحساسها بألمه وحزنه جعلها تنسى ألمها.

قالت بصوت حزين: "آرني، من الذي فعل هذا؟". صحيح أنها لم تكـــن تحب السيارة، لكن رؤيتها في تلك الحالة جعلها تفهم تماماً التزام آرني بها.

لم يجـــب آرني، بـــل ظل واقفاً ينظر إلى كريستين بعينين دامعتين ورأس مطأطأ قليلاً.

كانـــت هناك فجوتان في الزجاج الأمامي المهشم، وشظايا الزجاج منـــثورة مثل ماسات مزيفة على أغطية المقاعد الممزقة. وكان نصف المصد الأمامـــي مخلـــوعاً ومجرجراً على الأرض بالقرب من شبكة من الأسلاك الـــسوداء تشبه أذرع أخطبوط. وثلاثة من النوافذ الجانبية كانت مكسورة أيـــضاً، إضـــافة إلى ثقوب في الهيكل عند مستوى الخصر. واستطاعت أن تـــرى من خلال باب الراكب المفتوح أن زجاج لوحة القيادة كان محطماً كذلك، وإبرة عداد السرعة ملقية فوق حصيرة السائق.

دار آرني حول سيارته ببطء متفحصاً هذا المشهد أمامه. حاولت لي التحدث إليه مرتين، لكنه لم يجبها. التقطت ذلك الشيء الذي يشبه الأخطـــبوط فاتـــضح لها أنه كان غطاء الموزّع الكهربائي، لقد أراها والـــدها هذه القطعة ذات مرة عندما يعبث في سيارتهم. نظر آرني إلى الغطـــاء للحظة، كأنه كان يتفحص عينة حيوانية غريبة، ثم رماها على الأرض. كان الزجاج يتكسر تحت أقدامهما. تحدثت معه مرة أخرى، لكـــنه لم يجب أيضاً، فشعرت هذه المرة - إضافة إلى إشفاقها عليه - بالخوف. أخبرت دينيس جيلدر لاحقاً أنه بدا لها - في ذلك الحين على الأقل - كما لو أنه فقد عقله.

حاولت مرة أخرى: "آرني".

كـــان آرني ينظـــر عبر الفجوة إلى نافذة السائق. بدأ يصدر من صـــدره صوت خافت مريع، صوت حيوان مفترس. نظرت من فوق كتفيه، وفجأة أحست بحاجة مجنونة إلى الضحك، والصراخ، والتقيؤ في وقـــت واحد. كان هناك شيء على لوحة القيادة، شيء لم تلحظه من قبل، فتساءلت من يمكنه أن يكون بمثل تلك الدرجة من الوضاعة بحيث يقدم على فعل شيء كهذا على...

صرخ آرني بصوت عالٍ لا يشبه صوته: "متغوطون!".

استدارت لي، وتشبثت بالسيارة المجاورة لكريستين، وتقيأت.

"أيها المتغوطون اللعينون! سأنال منكم! سأنال منكم حتى لو كان هذا آخر شيء أقوم به! لو كان آخر شيء لعين أقوم به في حياتي!".

تقـــيأت لي مرة أخرى، وللحظة وجدت نفسها تتمنى لو أنها لم تقابل آرني كانينغهام أبداً.

27

آرني وريجينا

دخـــل آرني البيت في تلك الليلة في الثانية عشرة إلا ربعاً. كانت ثـــيابه التي كان ينوي الذهاب بها للتبضع في بيتسبورغ ملطخة بالعرق والـــشحم، ويـــداه أكثـــر وساخة، مع جرح سطحي على ظهر اليد اليسرى. وكان يبدو على وجهه التعب والذهول مع دوائر داكنة تحت عينيه.

كانـــت أمه جالسة بجانب الطاولة تلعب السوليتير. كانت تنتظر قدومـــه إلى المنـــزل وتخـــشاه - أي قدومه - في الوقت نفسه. لقد

اتصلت لي (التي تركت انطباعاً جيداً لدى ريجينا؛ بالرغم من أنها لم تكن تعتقد أنها مناسبة تماماً لولدها) وأخبرتها بما حدث، وكان يبدو من صوتها أنها كانت تبكي.

أخبرتها لي أيضاً أن آرني اتصل من المرأب بأحدهم لإحضار قاطرة كي تقطر سيارته، ثم أوقف لها سيارة أجرة بالرغم من احتجاجها على ذلك. وبعد انتهاء المكالمة مع لي، اتصلت ريجينا على الفور بمرأب دارنل فردَّ عليها صوت صفيري جاد، قائلاً: "نعم، مرأب دارنل". لكنها أقفلت الخط، مدركة أنه سيكون من الخطأ التحدث إليه هناك، بدا لها أنها ومايكل ارتكبا ما يكفي من الأخطاء بخصوص آرني وسيارته. وقررت أن تنتظر قدومه إلى المنزل وتتحدث إليه وجهاً لوجه.

وها قد حانت الفرصة لفعل ذلك: "آرني، أنا آسفة".

لو كان مايك موجوداً أيضاً، لربما كان ذلك أفضل، لكنه كان في مدينة كنساس، يحضر ندوة حول التجارة وبدايات الأنشطة التجارية الحرة في العصور الوسطى، ولن يعود حتى يوم الأحد، ما لم يرغمه ما حدث على القدوم في وقت أبكر.

كرر آرني ما قالته بنبرة خالية من أي تعبير: "آسفة".

"نعم، أنا؛ أقصد نحن..." لم تستطع إكمال جملتها. كان هناك شيء فظيع في ملامحه الجامدة، فلم تستطع إلا أن تنظر إليه، وهز رأسها وقد اغرورقت عيناها بالدموع، مع أنها كانت امرأة صلبة تكره البكاء. لقد نشأت في عائلة كاثوليكية لأب يعمل في البناء وأم منهكة وشقيقة وسبعة أشقاء، وصمَّمت على الذهاب إلى الجامعة بالرغم من اعتقاد والدها الراسخ أن الشيئين الوحيدين اللذين تتعلَّمهما الفتاة هناك هو فقدان العذرية والانقطاع عن التعبد. وإذا كانت عائلتها تعتقد أنها

صلبة في بعض الأوقات، فذلك لأن العائلة لم تفهم أنك عندما تُرمَى في الجحـيم فإنـك تخـرج منه صلباً بفعل الشيِّ في النار. وعندما تكون مـضطراً إلى الاحتـراق من أجل اختيار طريقك الخاص، فإن رغبتك ستكون دائماً أشد وأقوى.

"أتعلمين؟".

هزَّت رأسها نافيةً.

"كنت ستجعلينني أضحك لو أنني لم أكن متعباً وبالكاد أتمكن من الوقـوف. كـان بإمكانك التواجد هناك والتلويح بالقضبان الحديدية والمطـارق مـع الشبان الذين قاموا بفعل ذلك. لربما أنت أشد سعادة منهم الآن".

"آرني، هذا ليس عدلاً".

تطاير الشرر من عينيه بشكل مفاجئ وصرخ بغضب شديد: "بل عـدلاً! كانـت فكرتك أنت إبعادها من أمام المنـزل! وفكرته هو وضعها في مرأب المطار! من الملام هنا برأيك؟ من برأيك؟ هل تعتقدين أن ذلك كان سيحدث لو أنها كانت هنا؟ قولي لي؟".

"آرني، هـل يمكنـنا أن نتحدث حول هذا الأمر؟ مثل إنسانين عاقلين؟".

قـال ببرود: "قام أحدهم بالتبرُّز على لوحة العدادات في سيارتي. كيف نقيس ذلك بالعقل يا ماما؟".

اعتقدت أنها سيطرت على دموعها، لكن هذا الخبر أعاد الدموع مـن جديد، فطأطأت رأسها، وبكت حيرةً وألماً وخوفاً وحزناً على ما رآه ولدها.

قالت محاولةً لملمة نفسها وضبط دموعها: "آرني، سنتحدث عما سنفعل في الصباح. سنتحدث عن الأمر في الصباح".

"ليس إذا لم تستيقظي باكراً. سأصعد وأنام قرابة أربع ساعات، ثم سأذهب إلى المرأب مجدداً".

"لماذا؟".

أطلق ضحكة مجنونة، ثم قال: "لماذا برأيك؟ لدي الكثير من العمل لأقوم به. أكثر مما تتصورين".

"لا... لـــديك مدرســـة غـــداً... أنا... أنا لن أسمح لك آرني، أنا لن -".

"ســـأذهب إلى المدرسة. سآخذ ثياباً جديدة معي، وأستحم أيضاً حـــتى لا يشتم الطلاب الآخرون في الصف رائحة بشعة. وبعد ذلك، بعـــد انتهاء المدرسة، سأعود إلى مرأب دارنل. هناك الكثير من العمل، لكنني قادر على إنجازه... أنا متأكد من ذلك... لكنه سيستنفد الكثير مـــن مدخراتي، مع ذلك. بالإضافة إلى ذلك، عليّ أن أبقى على رأس عملي الذي أقوم به لصالح ويل".

"وفروضك... دراستك!".

"آه"، رسم ابتسامة ساخرة ثم أضاف، "ستتأثر بالطبع. لا يمكنني أن أخدعك بهذا الخصوص. ولا أستطيع أن أعدك بمعدل ثلاثة وتسعين بعد الآن أيضاً. لكنني سأنجح. يمكنني أن أحقق علامات C، وربما بعض علامات B".

"لا! لديك جامعة لتفكر فيها!".

عـــاد نحـــو الطاولـــة - كان يعرج مجدداً، وبصورة شديدة هذه المرة - وأسند يديه على الطاولة ثم جلس ببطء. فقالت أمه في نفسها: *إنـــه شـــخص غريب عني... ابني أصبح غريباً. هل هذا خطأي حقاً؟ ألأنني أردت الأفضل له؟ أرجوك يا الله، اجعل ما أراه كابوساً أستيقظ منه باكيةً، لأنه يبدو لي حقيقياً تماماً.*

نظـــر إلى عينـــيها وقـــال برقة: "الأشياء التي أهتم بها الآن هي كريـــستين، ولي، والحفاظ على مكانتي عند ويل دارنل كي أتمكن من إصلاحها وإعادتها إلى وضعها السابق. إنني لا أكترث للجامعة. وإن لم تدعـــيني وشـــأني، فإنني سأترك المدرسة أيضاً. لا بد أن هذا سيجعلك تصمتين، إن لم يفلح أي شيء آخر".

"لا يمكـــنك أن تفعـــل هـــذا، إنـــك تفهم ذلك يا آرني. لعلي أستحق... أستحق قسوتك... لكنني سأقاوم نوبة الدمار الذاتي التي تمر بها الآن بكل ما أملك. لذا لا تتحدث عن ترك المدرسة".

"لكـــنني سأفعل ذلك فعلاً. لا أريد أن تخدعي نفسك وتعتقدي أنني لن أفعل بذلك. سأبلغ الثامنة عشرة في شباط، وسأقوم بذلك بنفسي حينئذ إن لم تخرجي من هذا الأمر من الآن فصاعداً. هل تفهمينني؟".

قالـــت وهي تبكي: "اذهب إلى السرير. اذهب إلى السرير، إنك تحطم قلبـــي".

ضـــحك بسخرية، وقال: "صحيح؟ إنه أمر مؤلم، أليس كذلك؟ أعلم".

ثم غادر الغرفة على مهل، وهو يعرج من الجهة اليسرى قليلاً. وما إن سمعت صوت خطواته وهو يصعد السلم حتى انفجرت في نوبة بكاء جديـــدة. نهـــضت بـــصعوبة، ثم خرجت من الباب الخلفي كي تتابع بكاءهـــا ســـراً. لقد تغير كل شيء، وقد حدث ذلك بسرعة إعصار مخـــيف. كان ابنها يكرهها. لقد رأت ذلك في ملامح وجهه. ولم يكن ذلك ناتجاً عن نوبة غضب، أو مزاج سيئ مؤقت، أو أحد الاضطرابات العابرة التي تحدث في مرحلة المراهقة.

ظلـــت تبكـــي في الخارج حتى بدأ البرد يلسع قدميها العاريتين، وبـــصورة أشـــد، جسدها الذي لا يغطيه سوى ثوب منـــزلي رقيق.

فدخلت المنـــزل، وصعدت إلى الطابق العلوي. وقفت أمام باب غرفة آرني لمدة دقيقة تقريباً قبل أن تقرر دخولها.

كان نائماً بسرواله فوق مفرش السرير. نظرت إلى ساعة المنبه – والراديو في وقت واحد – فرأت أنها كانت مجهزة كي ترنّ عند الساعة الـــرابعة والنـــصف. فكّرت في إيقاف المنبه، حتى إنها مدّت يدها كي تفعل ذلك، لكنها تراجعت في النهاية.

ذهبت إلى غرفة نومها، وجلست بجانب الهاتف. رفعت السماعة، وأمسكتها لعدة لحظات. إذا اتصلت بمايكل في منتصف الليل، فإنه قد يظن أن شيئاً فظيعاً قد حدث.

ضحكت وقالت في نفسها، *وماذا يمكن أن نسمي ما يحدث؟* ألم يكن فظيعاً؟ بالتأكيد، وكان لا يزال مستمراً أيضاً.

اتصلت برقم فندق رامادا في مدينة كنساس، حيث كان ينـــزل زوجهـــا فيه، غير مدركة أنها كانت للمرة الأولى منذ مغادرتها منـــزل عائلـــتها الكئيب في روكسبورغ للالتحاق بالجامعة قبل سبعة وعشرين عاماً تطلب المساعدة.

28

لي تقوم بزيارة

كانت تجلس على واحد من كرسيّين مخصصين للضيوف بركبتين متلاصـــقتين وقدمين متصالبتين، مرتديةً كنـــزة صوفية متعددة الألوان وتنورة قطنية بنية، تسرد قصتها لدينيس جيلدر. ظلت ممسكة بأعصابها حـــتى النهاية، وعندها بكت ولم تجد منديلاً لديها، فناولها دينيس علبة المناديل من فوق الطاولة المحاذية للسرير.

"هوِّني عليك يا لي".

"لا أس – ســتط – طيع! إنه لا يأتي لرؤيتي... وفي المدرسة إنه يبدو مر – رهقاً على الدوام... وأنت قلت إنه لم يأتِ إلى هنا –".

"إنه سيأتي إذا احتاج إليّ".

"إنك مليء بالتف – فاهاات الذكو – و- ورية!" بعد قولها هذا بــدت مــصعوقة بصورة مضحكة لما قالته، فنظرا إلى بعضهما بعضاً للحظة، ثم ضحكا.

سألها دينيس: "هل رآه الفم الآلي؟".

"من؟".

"الفــم الآلي. إنــه اللقــب الذي يطلقه ليني بارونج على السيد فيكيرز. الموجِّه التربوي".

"أوه، أجــل، أعــتقد أنه رآه. لقد دُعي إلى الذهاب إلى مكتب التوجــيه قبل يومين، يوم الاثنين. لكنه لم يقل شيئاً. وأنا لم أجرؤ على أن أسأله، لأنه لن يقول شيئاً. لقد أصبح غريباً تماماً".

هز دينيس رأسه موافقاً. كان يشعر بالعجز وبخوف متعاظم على آرني، الذي بدا – من خلال التقارير التي وردت إلى غرفة دينيس خلال الأيــام القليلة السابقة – أنه كان على حافة انهيار عصبــي. ولم يكن تقرير لي إلا الأحدث بينها والأكثر تصويراً. قالت له إن والد آرني جاء إلى المنـــزل مبكراً من مؤتمر ما وأن شجاراً آخر حدث في المنــزل. وأخــبرته أيــضاً أنهــا كانت تعتقد أن آرني كان على وشك مغادرة المنــزل نهائياً، بالرغم من أن آرني لم يقل لها ذلك صراحةً.

دينيس لم يكن يريد التحدث مع آرني في مرأب دارنل.

قالت: "ماذا يمكنني أن أفعل؟ ماذا ستفعل لو كنت مكاني؟".

"انتظري. لا أعرف ماذا يمكنك أن تفعلي أكثر مما فعلت".

"لكن ذلك صعب. يريد والداي أن أتوقف عن رؤيته، أن أتخلى عـــنه. إنهما خائفان... من أن يقدم ريبرتون وأصدقاؤه على فعل شيء آخر".

"أنت متأكدة تماماً من أن بادي وأصدقاءه فعلوا ذلك، صحيح؟".

"أجـــل. الجميع متأكدون من ذلك. لقد اتصل السيد كانينغهام بالشرطة بالرغم من أن آرني طلب منه عدم القيام بذلك. قال إنه سيرد عليهم بطريقته الخاصة، وهذا ما أرعب والديه، وأرعبني أيضاً. اعتقلت الشرطة ريبرتون وأحد أصدقائه، الشخص الذي يدعونه موتشي... هل تعرفه؟".

"أجل".

"والـــشاب الذي يعمل ليلاً في مرأب المطار، لقد اعتقلوه أيضاً. جالتون، اسمه الأول هو -".

"ساندي".

"يظنون أنه مشترك في الأمر. ربما سمح لهم بالدخول".

"إنـــه يـــسير معهم، هذا صحيح، لكنه ليس فاسداً مثلهم. دعيني أقول لك شيئاً يا لي، إذا لم يتحدث آرني إليك، لا بد أن شخصاً آخر فعل".

"في الـــبداية الـــسيدة كانينغهام وبعد ذلك أبوه. لا أعتقد أنهما يعرفان أن الآخر تحدث إلي. إنهما...".

قاطعها دينيس قائلاً: "منـــزعجان".

هـــزت رأسها نافيةً، وقالت: "أكثر من ذلك. إنهما يبدوان مثل مـــصدومين. لا يمكـــنني أن أشعر بالأسف نحوها - كل ما تريده هو أسلوبها، باعتقادي. ولكن، كان بوسعي البكاء على السيد كانينغهام، إنـــه يبدو لي..." صمتت للحظة، ثم واصلت كلامها من نقطة أخرى،

"عـــندما وصـــلت إلى هناك بعد ظهر أمس، بعد المدرسة، طلبت مني السيدة كانينغهام أن أدعوها ريجينا، لكنني لا أستطيع القيام بذلك".

ابتسم دينيس.

"هل تستطيع أنت؟".

"في الحقيقة، أجل، لكنني تدربت كثيراً على هذا".

ابتـــسمت، ثم قالـــت: "حسناً، قد يشكل ذلك فرقاً. على كل حـــال، عندما ذهبت إلى هناك، كانت هي هناك لكن السيد كانينغهام كان لا يزال في المدرسة... أعني الجامعة".

"أجل".

"لقـــد أخَـــذَت إجازة من العمل طوال الأسبوع - ما بقي منه. قالـــت إنها لم تستطع العودة إلى العمل، ولو لمدة ثلاثة أيام قبل مناسبة الشكر".

"كيف كانت تبدو؟".

"كانـــت مـــنهكة. بدت أكبر بعشر سنوات من المرة الأولى التي رأيتها فيها منذ شهر".

"وهو، مايكل؟".

"أكـــبر سنّاً منها، ولكن أكثر قوة. كأن هذا الأمر جعله بطريقة ما... مسيطراً على الوضع".

لم يقل دينيس أي شيء. لقد عرف مايكل منذ ثلاث عشرة سنة ولم يـــرَه لمـــرة واحدة مسيطراً على الوضع، ولهذا لم يكن باستطاعته التيقُّن من ذلك. لكن ريجينا هي التي كانت تلعب دور المسيطر دائماً. كـــان مايكـــل يعدُّ المشروبات في الحفلات التي كانا يقيمانها. وكان يـــستمع إلى مـــسجلته، وكان يبدو حزيناً... ولكن لم يكن باستطاعة دينيس، مهما شط به الخيال، أن يتصور مايكل *مسيطراً على الوضع*.

"دخل المنـــزل تقريباً عندما كانت توشك على إنهاء قصتها. طلبا مني البقاء لتناول العشاء – يتناول آرني طعامه في مرأب دارنل – لكنني أخبرتهما أن عليّ أن أعود إلى المنـــزل، فعرض عليّ السيد كانينغهام أن يقلّني، فذهبت معه".

"هل هما في موقعين مختلفين؟".

"لـــيس تماماً... لكن السيد كانينغهام هو الذي اتصل بالشرطة، علـــى سبيل المثال. آرني لم يرده أن يفعل ذلك، والسيدة كانينغهام – ريجينا – لم تستطع حمل نفسها على القيام بذلك".

"هل يحاول فعلاً إعادة تصليحها مجدداً؟".

قالـــت هامسةً: "أجل". ثم صاحت بعصبية: "لكن هذا ليس كل شـــيء! إنه غارق مع ذلك الشخص، دارنل! أنا أعلم ذلك! البارحة، خلال حصة الدراسة في الفترة الثالثة أخبرني أنه سيركّب مقدمة جديدة علـــيها – على سيارته – هذا المساء، فقلت له، ألن يكون ذلك مكلفاً يـــا آرني، فقـــال لي لا تقلقـــي بخصوص ذلك لأن وضعي المالي كان جيداً –".

"هوِّني عليك".

بـــدأت تبكي مجدداً. "وضعه المالي جيد لأنه وشخص آخر يُدعى جيمـــي سايكس يقومان ببعض المهام لصالح ويل أيام الجمعة والسبت. هذا ما قاله لي. ولا أعتقد أن المهام التي يقومان بها لصالح ذلك السافل قانونية".

"بمـــاذا أخـــبر رجـــال الـــشرطة عـــندما جاؤوا ليسألوه حول كريستين؟".

"قـــال لهم إنه وجدها على تلك الحالة. سألوه إذا كان يعلم من يمكـــن أن يكون قد فعل ذلك، فقال آرني لا. وسألوه حول صحة خبر

مشاجرته مع بادي ريبرتون، وإشهار ريبرتون سكيناً في وجهه، وطرده بسبب ذلك، فقال آرني إن ريبرتون ألقى كيس غدائه على الأرض، وداس عليه ثم جاء السيد كيسي من الورشة وفضَّ الشجار. وسألوه إذا قال ريبرتون إنه سينتقم منه، فأجاب آرني أنه ربما قال شيئاً من هذا القبيل، لكن الكلام سهل ورخيص".

لم يقل دينيس شيئاً، لكنه وجد تحريف آرني لما حصل في منطقة التدخين، وجعله يبدو مثل شجار عادي، أو بحسب تعبيره *تدافش - تدافش*، أمراً مثيراً للخوف.

"هل تعرف ماذا يعمل آرني لصالح ذلك الرجل، دارنل؟".

"لا". نفى دينيس معرفته بأي شيء، بالرغم من أن والده أخبره ببعض الأمور من قبل؛ *سيارات مسروقة، دخان ومشروبات، أشياء ممنوعة مثل الألعاب النارية.*

قال دينيس: "سأتحدث معه".

"جيد" قالت ذلك ثم وقفت، وأضافت: "لا أريد أن تكون الأمور مثل السابق، دينيس. أعرف أن الأشياء لا تبقى على حالها، لكنني ما زلت أحبه، و... وأتمنى أن تقول له ذلك".

"أجل، لا عليك".

صمتا للحظات بدت طويلة جداً. كانا مرتبكين. وكان دينيس لا يزال يشعر بانجذاب قوي نحوها.

أخيراً قالت لي: "متى سيدعونك تخرج؟".

"يقولون إنني سأبقى عالقاً هنا حتى كانون الثاني، لكنني سأخدعهم. سأذهب إلى المنزل في الميلاد. إنني أبذل كل ما في وسعي في غرفة التعذيب".

"غرفة التعذيب؟".

"المعالجة الفيزيائية. يبدو أن ظهري في حالة جيدة. والعظام الأخرى تلتئم بسرعة - الحكاك فظيع في بعض الأحيان. إنني أحتسي مشروب ثمرة rosehip بكثرة. يقول الدكتور أرووواي أن ذلك مجرد خرافة شعبية، لكن المدرب بافر يقسم بها، ويتفحص الزجاجة كل مرة يزورني فيها".

"هل يزورك المدرب كثيراً؟".

"أجل. وهو جعلني تقريباً أعتقد أن هذه الثمرة تساعد على التئام العظام المكسورة بسرعة. لكنني لن ألعب كرة القدم بعد الآن. سأبقى على عكازين لفترة من الوقت، وبعد ذلك، إذا كنت محظوظاً، سأتخرج من الثانوية على عكاز واحد. يقول الدكتور المرح أرووواي إنني سأعرج لمدة سنتين تقريباً. أو لعلي سأعرج طوال حياتي".

"أنا آسفة جداً. آسفة لأن ذلك حدث لشخص لطيف مثلك. لكن جزءاً من أسفي أناني، لأنني أتساءل ما إذا كانت الورطة التي يعاني منها آرني الآن ستحدث لو كنت أنت موجوداً".

"هذا صحيح"، أدار عينيه بطريقة هزلية، "ألقي اللوم عليّ".

لكنها لم تبتسم. "بدأت أقلق بخصوص سلامة عقله، أتعرف ذلك؟ هذا هو الشيء الوحيد الذي لم أقوله لوالديّ أو والديه. لكنني أعتقد أنه أمه... أنها ربما... لا أعرف ما الذي قاله لها في تلك الليلة، بعد اكتشافنا السيارة في تلك الحالة المهشمة، ولكن... أعتقد أنهما أظهرا مخالبهما في وجه بعضهما".

هز دينيس رأسه.

"لكن هذا كله جنوني. لقد عرض والداه شراء سيارة مستعملة جيدة بدل كريستين، لكنه رفض. ثم أخبرني السيد كانينغهام، عندما أوصلني إلى البيت، أنه عرض على آرني شراء سيارة جديدة... أن

يـــسيل بعـــض السندات التي وفَّرها منذ العام 1955. لكن آرني رفض أيـــضاً متذرعاً أنه لا يستطيع قبول هدية كهذه. فقال السيد كانينغهام إنـــه يـــتفهم ذلك، واقترح على آرني إعادة النقود لاحقاً، بل إنه كان سيأخذ فائدة إذا كان هذا ما يريده آرني... دينيس، هل تفهم ما أعنيه؟".

"نعـــم، إنـــه لا يـــريد أي سيارة أخرى، بل تلك السيارة فقط، كريستين".

"لكن هذا يبدو لي هوساً. لقد وجد شيئاً ما وصبّ كل اهتمامه علـــيه، ألـــيس ذلك هو الهوس؟ أنا خائفة، وأحياناً أشعر بالكراهية... لكـــن الخوف والكره لا يتعلقان بآرني، بل بتلك السيارة اللعينة، تلك الساقطة كريستين".

"إنني أفهم ما تشعرين به".

قالت وكأنها كانت تتحداه: "هل تفهم فعلاً؟".

"أجل. أعتقد ذلك".

نظر كل منهما إلى الآخر في غرفة المستشفى.

29

مناسبة الشكر

قـــدمت إدارة المستـــشفى غداء الشكر على مراحل، من الحادية عشرة صباحاً حتى الواحدة من بعد الظهر. وحصل دينيس على غدائه في الثانـــية عـــشرة والنصف. ثلاث شرائح صغيرة من لحم صدر ديك رومـــي، ومغـــرفة واحدة من مرق اللحم، ومغرفة صغيرة من البطاطا المهروسة، بحجم وشكل كرة بيسبول، ووعاء بلاستيكي صغير من مرق التوت البري، وآيس كريم للتحلية.

كـــان ذلك أسوأ مناسبة شكر يمضيها في حياته. وبما أنه لم يكن هناك علاج فيزيائي في ذلك اليوم، وجد دينيس نفسه يغط في النوم عند الثانية من بعد الظهر؛ في قيلولة مبكرة وغير اعتيادية.

كـــان أبـــوه وأمه وأخته قد زاروه لمدة ساعة واحدة في الصباح، وللمـــرة الأولى أحس أن إيلي كانت متلهفة للمغادرة. كانوا مدعوِّين إلى زيـــارة عائلة كاليسون من أجل تناول الطعام بمناسبة الشكر. ولوو كاليسون، أحد الصبية الثلاثة في عائلة كاليسون، كان في الرابعة عشرة من عمره - *ووسيماً*. يبدو أن أخاها المعطوب أصبح مملاً.

اتـــصلوا بـــه مـــن منـــــزل عائلة كاليسون قرابة الثانية عشرة والنـــصف، وبدا له والده أنه كان ثملاً. وكان دينيس نفسه على وشك الانـــتهاء من وجبته الشهية - إنه الغداء الوحيد الذي يتمكن من إنهائه في خمـــس عـــشرة دقـــيقة فقط - وقد بذل قصارى جهده كي يبدو ســـعيداً، حـــتى لا يفسد عليهم وقتهم المرح. أخذت إيلي السماعة، وراحـــت تتحدث معه وتقهقه بصورة صاخبة، ولعل حديثها معه كان هو سبب شعوره بالتعب ورغبته في النوم.

كـــان المستـــشفى هادئاً بصورة غير عادية في ذلك اليوم، إذ لم يـــسمع أصوات أجهزة التلفزيون والراديو من الغرف الأخرى. ولهذا الـــسبب نـــام بعمق حتى الساعة الخامسة، وعندما استيقظ وجد آرني جالساً على الكرسي البلاستيكي الصغير الذي جلست عليه لي قبل يوم واحد فقط.

لم يستغرب دينيس أبداً رؤية آرني، لأنه اعتقد ببساطة أنه كان يحلم.

"هاي آرني. كيف الحال؟".

"بخير، لكنك تبدو وكأنك لا تزال نائماً. أتريد بعض الدغدغة في الرأس؟ ذلك سيوقظك تماماً!".

كـــان هـــناك كيس بني على حضن آرني. أجلس دينيس نفسه بصعوبة في الفراش، ثم قال: "يا الله، هذا أنت فعلاً!".

"هل كنت تتوقع جيدرا، الوحش ذا الرؤوس الثلاثة؟".

"كنت نائماً. ظننت أنني كنت لا أزال نائماً". فرك دينيس رأسه كأنه كان يريد طرد النوم من رأسه. "مناسبة شكر سعيدة يا آرني".

"ســـعيدة جداً. ولك أيضاً. هل أطعموك الديك الرومي مع كل الملحقات؟".

ضـــحك دينيس وقال: "لقد حصلت على شيء يشبه لعبة مائدة الطعام التي كانت تملكها إيلي عندما كانت في السابعة، أتذكر؟".

وضـــع آرني يده على فمه، وأصدر أصواتاً توحي أنه على وشك التقيؤ. "أذكر، ذلك مقرف".

"أنا مسرور حقاً لأنك أتيت". أحس دينيس للحظة أنه قريب من البكاء. لعله لم يكن يدرك كم كان محبطاً في حقيقة الأمر. وهذا جعله يـــزداد تـــصميماً على الذهاب إلى المنـــزل في الميلاد، لأنه إذا بقي في المستشفى بحلول ذلك الوقت، فإنه ربما سيقدم على الانتحار.

"ألم يأتِ أهلك؟".

"بالتأكيد، لقد أتوا. وسيعودون في المساء أيضاً. أمي وأبـــي على الأقل، لكن هذا لا يواسيني كثيراً، كما تعلم".

"صـــحيح. حسناً، لقد جلبت لك بعض الأشياء. أخبرت السيدة في الأسفل أنني جلبت لك ثوب استحمام". ضحك آرني قليلاً.

قال دينيس مشيراً إلى الكيس الكبير: "ما هذا؟".

"آه، لقـــد أغرت على البراد بعد تناولنا للطير. ذهب أبـــي وأمي لزيارة أصدقائهما من الجامعة؛ إنهما يفعلان ذلك كل سنة. ولن يعودا قبل الثامنة تقريباً".

كـــان آرني يفرغ محتويات الكيس في أثناء تحدثه، وكان دينيس يـــراقبه مذهولاً. أخرج شمعدانين معدنيين وشمعتين. وضع الشمعتين في الـــشمعدانين، ثم أشعلهما بواسطة علبة كبريت مكتوب عليها مرأب دارنل. أطفأ الضوء المعلق في سقف الغرفة، ثم أخرج أربعة ساندويشات ملفوفة بطريقة غير متقنة بواسطة ورق نايلون.

"أذكر أنك كنت تقول إن ازدراد ساندويشتين لحم ديك رومي عند الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً في يوم خميس أفضل من غداء مناسبة الشكر".

"أجل، تناول الساندويش أمام التلفزيون. ولكن، آرني، صدقاً لم تكن مضطراً إلي".

"آه، اســكت. إنـــني حتى لم آتِ لزيارتك خلال ثلاثة أسابيع. لحـــسن حظـــي أنني دخلت عندما كنتَ نائماً، وإلا فإنك ربما كنت ســتقتلني". أعطاه ساندويشتين، ثم أكمل: "المفضلة لديك، باعتقادي. لحم أبيض ومايونيز على الخبز الرائع".

قهقه دينيس قليلاً في البداية، ثم انفجر في الضحك. ومع أن ذلك تـــسبب لـــه بألم في ظهره، إلا أنه لم يستطع التوقف. كان الخبز أحد أســـرار آرني ودينيس عندما كانا طفلين. كانت أماهما جديتين للغاية بخصوص موضوع الخبز، حيث كانت ريجينا تشتري خبزاً رقيقاً مخصصاً للحمية، في حين أن والدة دينيس كانت تفضل خبز الجاودار. أما آرني ودينـــيس فكانـــا يـــأكلان ما يُعطَى لهما، لكن كليهما كانا - بصفة ســـرية - مـــولعين بالخبـــز الرائع. وفي أكثر من مناسبة، كانا يجمعان نقـــودهما معاً، وبدلاً من شراء السكاكر، كانا يشتريان رغيفاً من الخبز الرائع ومرطبان خردل، ومن ثم ينسلان إلى مرأب منـــزل آرني (أو إلى غـــرفة دينـــيس المقامة فوق شجرة، والتي تحطمت - للأسف - بفعل

عاصفة هوجاء قبل تسع سنوات) ويبدأان بالتهام الرغيف مع الخردل، ويقرأان قصص ريتشي ريتش الهزلية إلى أن ينتهي الرغيف بأكمله.

ضحك آرني مع دينيس، وبالنسبة إلى الأخير كان ذلك هو الجزء الأفضل من يوم الشكر.

أقفـــل آرني الباب، ثم عاد، وأخرج من كيسه البني حزمة مكونة من ست زجاجات من شراب الشعير بوش.

قال دينيس: "العجائب لن تتوقف أبداً". ثم ضحك مجدداً من تلك المفاجأة.

"لا. لا أظن أنها ستتوقف يوماً". رمى زجاجة شراب الشعير من فوق الشمعتين وقال: "في صحتك".

"فلنحيا إلى الأبد". ثم بدأا يشربان.

بعد انتهائهما من التهام الساندويشات الثخينة، أخرج آرني علبتين بلاســـتيكيتين مـــن كيسه الذي بدا وكأنه كان بلا قعر. كان فيهما قطعتان من فطيرة تفاح منـــزلية الصنع.

"لا يا رجل، لا أستطيع. سأنفجر".

"كُلْ".

أخـــذ دينيس العلبة البلاستيكية مع شوكة بلاستيكية قائلاً: "لا أســـتطيع حقاً". ومع ذلك، أنهى قطعته بأربع لقمات كبيرة ثم تجشَّأ، وبعد ذلك شرب ما بقي من زجاجة شراب الشعير الثانية ثم تجشأ. "في البرتغال، يُعتبر هذا إطراءً للطباخ".

ابتسم آرني وقال: "كما تقول". ثم وقف، وأشعل مصباح الغرفة، وأطفأ الشمعتين.

"ســـأكرهك غـــداً. ربما سأجلس على ذلك المرحاض هناك لمدة ساعة. وهذا سيؤلم ظهري".

"هل تذكر تلك المرة عندما رحنا نطلق الهواء الفاسد من مؤخرتينا أمـــام إيلـــي؟" ضحكا معاً. "ظللنا نضايقها حتى جاءت أمك ووبختنا بشدة".

قـــال دينيس وهو يبتسم: "لم تكن هناك رائحة لكنه كان ذات صوت مدوٍّ".

"مثل طلقات نارية". ضحكا مجدداً، لكنها كانت ضحكة حزينة نـــوعاً ما - إذا كان هناك مثل هذا النوع من الضحك. ثم صمتا قليلاً وغرق كل منهما في أفكاره الخاصة.

أخـــيراً قـــال دينـــيس: "لقـــد زارتني لي البارحة. وأخبرتني عن كريستين. أنا آسف يا صديقي. أمر مزعج".

رفـــع آرني رأســـه، وتحول شروده إلى ابتسامة مرحة لم يصدقها دينـــيس كثيراً، ثم قال: "صحيح. كان أمراً بشعاً، لكن ردّ فعلي كان مفرطاً أكثر من اللزوم".

"أي شـــخص كان سيفعل الشيء نفسه". أحس دينيس فجأة أنه أصـــبح حـــذراً، ومـــع أنه كان يكره ذلك، إلا أنه لم يستطع تفاديه. وكـــذلك الأمـــر بالنـــسبة إلى آرني، الـــذي أصبحت عيناه المرحتان غامضتين، وحذرتين أيضاً.

"بالتأكـــيد. لقد تسببت بالألم لأمي. ولي (كابوت) أيضاً، كما أعـــتقد. كانت رؤية ما حدث صدمة شديدة"، هز رأسه، "كان خبراً سيئاً".

"هل ستفعل شيئاً بخصوص ذلك؟".

"بالتأكيد. لقد فعلت مسبقاً. لن تصدق ذلك يا دينيس لو رأيت كـــيف كانـــت تبدو في المرأب. كانوا يصنعون سيارات قوية في تلك الأيـــام، لـــيس مثل اليوم حيث كل ما يبدو أنه معدن ليس في الحقيقة

سوى بلاستيك لامع. تلك السيارة دبابة لعينة. كان الزجاج هو الجزء الأسوأ فيها. والإطارات بالطبع، لقد شقّوا الإطارات".

"وماذا بشأن المحرك؟".

قـــال آرني على الفور: "لم يلمسوه". لكنها كانت كذبته الأولى، لأن لي أخبرت دينيس أنها رأت غطاء الموزع الكهربائي على الأرض. وإذا كانـــوا قد وصلوا إلى غطاء الموزع فلماذا لا يكونوا قد وصلوا إلى أشياء أخرى؟

قال دينيس في نفسه: *آرني، هل تكذب عليّ؟*

"إذاً، ماذا ستفعل بخصوص ذلك الآن؟".

"أنفـــق الـــنقود عليها، ماذا أستطيع غير ذلك؟ إطارات جديدة، زجاج جديد. وسأعمل على إصلاح هيكلها مجدداً، وبعد ذلك ستعود كما لو كانت جديدة".

كمـــا لو كانت جديدة. لكن لي قالت إنهما رأيا السيارة محطمة كلياً. *لماذا تكذب يا آرني؟*

كان آرني ينظر إلى دينيس بعينين ضيِّقتين متفحصتين وكأنه كان يريد معرفة ما إذا كانت كذبته قد انطلت على دينيس.

ابتسم دينيس أخيراً وقال: "حسناً، هذا عظيم".

ظلت النظرة الضيقة المتفحصة مرسومة على عيني آرني للحظة، ثم ابتسم بحرج وهزّ كتفيه وقال: "حظ. عندما أفكّر في الأشياء التي كان بإمكـــانهم فعلـــها - سكّر في خزان الوقود، دبس في الكاربوراتور - كانوا أغبياء لحسن حظي".

"ريبرتون وطاقمه المرح؟".

"أجل، ومن غيرهم".

"لكنك لم تبلغ عنهم".

"أبـــي قام بذلك".

"هذا ما قالته لي".

سأله آرني بحدة: "وبماذا أخبرتك أيضاً؟".

"لا شيء. وأنا لم أسأل". رفع يده وأضاف: "هذا شأنك. سلْم".

"بالتأكـــيد". ضــحك قليلاً، ثم وضع يده على وجهه وقال: "لم أتجاوز الأمر بعد، اللعنة. لا أعتقد أنني سأتجاوزه أبداً، دينيس. الذهاب إلى المرأب برفقة لي، والشعور وكأنني ملك على العالم، ورؤية -".

"ألن يفعلوا ذلك مجدداً إذا أصلحتها مرة أخرى؟".

قال آرني ببرود وصلابة: "لن يفعلوها مرة أخرى".

"ماذا تعني؟".

"ســأركنها في المنــزل، هذا ما أعنيه"، ثم رسم ابتسامة عريضة وأضاف، "ماذا ظننت أنني كنت أعني؟".

"لا شـــيء. ولكن، لا أعرف، آرني. إنك تبدو واثقاً تماماً من أن ريبرتون سيدع الأمر يمر".

"إنـــني آمـــل أنه سيعتبر ما حدث على أنه رد اعتبار. لقد تسببنا بطرده من المدرسة -".

قال دينيس بحدة: "هو الذي تسبب بطرد نفسه! لقد شهر سكيناً، اللعنة! ولم تكن مجرد سكين، كانت حربة لعينة!".

"أنـــا أقـــول كـــيف ينظر هو إلى الأمر". قال ذلك ثم رفع يده ضاحكاً. "سلْم".

"أجل، حسناً".

"لقـــد تـــسببنا بطـــرده من المدرسة - أو بدقة أكبر، أنا تسببت بذلك - وهو وأصدقاؤه حطموا كريستين. تعادل. النهاية".

"صحيح، إذا نظر إلى الأمر بهذه الطريقة".

"أعـــتقد أنـــه سينظر إليه هكذا. لقد استجوبته الشرطة وموتشي ويلـــش وريتـــشي تـــريلوني. لقد أرعبتهم. وكادت أن تجعل ساندي جالتون يعترف، حسب ظني"، زم آرني شفتيه، "طفل بكّاء لعين".

صُـــعق دينيس فحاول إجلاس نفسه من دون تفكير في الفراش، لكنه أحس بألم شديد في ظهره، فعاد واستلقى مجدداً، ثم قال: "يا الله، يا رجل، تبدو وكأنك تريده ألا يتعاون!".

"لا أكترث لما يفعله هو أو أي واحد منهم. لم يعد يهم بعد الآن".

"آرني، هل أنت بخير؟".

للحظة ارتسم على وجه آرني تعبير حزين للغاية، لكنه سرعان ما اختفى، مثل نظرة الشك السابقة، ثم قال: "بالتأكيد، أنا في حالة ممتازة، باســـتثناء أنك لست الوحيد الذي يؤلمه ظهره. أتذكر عندما أرهقته في فيلادلفيا بلينـــز؟".

هز دينيس رأسه.

"انظر إلى هذا". وقف آرني، ورفع قميصه كاشفاً عن مشد جديد ونظـــيف؛ لـــيس كمشد ظهر ليبـــي القديم والقذر. "لقد آذيته مرة أخـــرى عـــندما أرجعت كريستين إلى مرأب دارنل. لا أذكر بالضبط كيف حدث ذلك. ربما عندما علّقت كريستين بشاحنة القطر، أعتقد. لكنني لا أعرف بالضبط. لقد وصفه لي الدكتور ماسيا - دينيس، هل أنت بخير؟".

حاول دينيس جاهداً أن يبدو طبيعياً. "ستتعافى منه".

قال آرني وهو يعيد وضع قميصه داخل بنطاله: "بالتأكيد. يُفترَض بـــي أن أنتبه لما أرفعه حتى لا أتسبب بذلك مرة أخرى".

لم يقـــل دينـــيس شيئاً، محاولاً عدم القيام بأي حركة توحي بمدى استغرابه.

ثم قـــال آرني بسرعة: "اسمع. عليّ أن أذهب. أتمنى أنك لا تتوقع مني البقاء في مكان بشع كهذا طوال الليل".

"هذا أنت، دائماً مستعجل. ولكن، شكراً يا صديقي، صدقاً. لقد أبهجت يومي الكئيب".

ابتـــسم آرني ابتسامة صادقة هذه المرة ثم قال: "فقط تذكَّر شيئاً واحداً، دينيس، لا أحد يفتقدك، لا أحد على الإطلاق".

"كُلني نيئاً مع شعير لذيذ".

رفع آرني إصبعه الوسطى في وجه دينيس.

هكذا، مع انتهاء الرسميات، أصبح بإمكانه الرحيل. أمسك بكيسه البني، فسُمعت طقطقة الشمعدانين وزجاجات شراب الشعير الفارغة. في تلـــك اللحظة خطر بذهن دينيس فكرة مفاجئة، فنقر بأصابعه على جبيرة ساقه وقال: "وقِّع هنا، آرني".

"لقد فعلت من قبل، أليس كذلك؟".

"صحيح، لكنه انمحى. وقِّع مجدداً".

هز كتفيه قائلاً: "إذا كان لديك قلم".

أعطـــاه دينيس قلماً من درج الطاولة المحاذية للسرير وهو يبتسم. انحنى آرني فوق الجبيرة المعلقة بشكل مائل بواسطة بكرة وأثقال، ووجد فراغاً أبيض بين نقوش الأسماء والعبارات، ثم كتب: "إلى دينيس جيلدر، أغبى رجل في العالم. آرني كانينغهام".

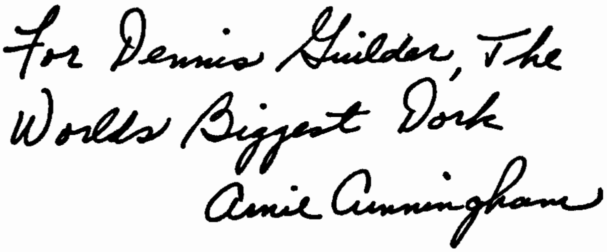

نقر بأصابعه على الجبيرة، ثم أعاد القلم لدينيس، قائلاً: "تمام؟".

"أجل. شكراً. ابقى هادئاً آرني".

"أنت تعرفني. مناسبة شكر سعيدة".

"ولك أيضاً".

ثم غادر آرني. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، جاء والد ووالدة دينيس، من دون إيلي، التي كانت في ما يبدو مرهقة من شدة استمتاعها بالمناسبة. وفي طريق عودتهما علّق والدا دينيس على شرود دينيس، حيث قال والده: "كان شارداً تماماً. العطلات في المستشفى ليست ممتعة على الإطلاق".

أما بالنسبة إلى دينيس نفسه، فقد أمضى وقتاً طويلة في تلك الليلة متأملاً ومتمعناً في توقيعيْ آرني. لقد وقَّع آرني بالفعل على جبيرته من قبل، لكن ذلك حدث عندما كانت كلتا الساقين مجبَّرتين بالكامل. في المرة الأولى وقَّع على جبيرة الساق اليمنى، التي كانت مرفوعة في الهواء عندما جاء آرني، أما الآن، فقد وقَّع على جبيرة الساق اليسرى.

رنَّ دينيس جرس الممرضة واستخدم كل جاذبيته من أجل إقناعها لتخفيض الساق اليسرى كي يتمكن من المقارنة بين التوقيعين، بوضعهما جنباً إلى جنب. لقد قُصَّ جزء من جبيرة الساق اليمنى من قبل، وستُزال بأكملها خلال أسبوع أو عشرة أيام. لم يكتب آرني أي كلمات في المرة الأولى بل وقَّع فقط، وتوقيعه لم يُمحَ كما قال دينيس - كانت تلك إحدى كذبات دينيس - بل قُصَّت الجبيرة بعناية بالغة كي يبقى الجزء الذي يحمل توقيعه موجوداً.

قرَّبت الممرضة الساقين من بعضهما حتى أصبحتا متوازيتين تقريباً. وبعد التمعُّن ملياً في التوقيعين، سألها دينيس بصوت جاف: "هل يبدوان لك متشابهين؟".

"لا. سمعـــت عـــن تزوير الشيكات وليس عن الجبائر. هل هذه مزحة؟".

"بالتأكيد... إنها مزحة".

أحس دينيس بقشعريرة باردة كالثلج تصعد من معدته إلى صدره. نظر إلى التوقيعين المتجاورين، نظر إليهما ملياً، وشعر أن حرارة جسده بدأت تنخفض وأن الشعيرات الموجودة خلف رقبته وقفت وتصلّبت.

لم يكونا متشابهين على الإطلاق.

في وقـــت متأخـــر مـــن ليلة الشكر تلك، هبّت ريح باردة في ليبرتيفيل، كانت مترددة في البداية لكنها تحولت إلى عصْف ثابت بعد حين. وكانت آخر أوراق الخريف المصفرَّة والذابلة تسقط من الأشجار وتتدحرج على الأخاديد المخصصة لتصريف مياه الأمطار في الأسقف، مصدرةً صوتاً يشبه صوت تدحرج عظام.

لقد حلَّ الشتاء على ليبرتيفيل.

30

موتشي ويلش

كان يوم الخميس الذي جاء بعد مناسبة الشكر آخر يوم في شهر تـــشرين الثاني، وفي تلك الليلة كان ملعب سيفيك سينتر في بيتسبورغ ممتلئاً عن آخره بالمعجبين الذين جاؤوا لحضور حفلة جاكسون براون. موتـــشي ويلش ذهب إلى هناك برفقة ريتشي تريلوني ونيكي بيلينغهام لكـــنه انفصل عنهما حتى قبل أن يبدأ العرض. وسواء لأن تلك الحفلة

المــرتقبة أحدثت جواً مفعماً بالإثارة والفرح بين الناس أم لأن موتشي كان قد أصبح شخصاً مألوفاً ومحبباً في تلك الأماكن، فقد كانت تلك الليلة مميزة إلى حدٍّ كبير بالنسبة إليه. لقد جمع ما يقارب الثلاثين دولاراً مـــن التـــسول، ووزّعها على جيوبه كلها، فكان يخشخش مثل حصالة توفير للأطفال. وكان الحصول على توصيلة مجانية أمراً يسيراً أيضاً مع كل السيارات المغادرة. انتهت الحفلة في الحادية عشرة وأربعين دقيقة، ووصل موتشي إلى ليبرتيفيل في الواحدة والربع تقريباً.

آخر شاب ركب معه كان متوجهاً إلى بريستونفيل على الطريق 63، فأنـــــزله عند التحويلة 376 المؤدية إلى شارع جون كنيدي. قرر موتـــشي الذهاب مشياً إلى محطة وقود فاندنبيرغ لرؤية بادي. وبما أن الأخـــير كـــان يملـــك سيارة فهذا يعني أنه لن يضطر إلى الذهاب إلى المنــــزل مـــشياً على الأقدام. سار نحو ربع ميل من التحويلة 376 في الـــبرد القـــارس، وكان لا يزال أمامه نحو ميل آخر قبل أن يصل إلى المحطـــة، عندما رأى السيارة واقفة بجانب الرصيف. كان الدخان يخرج من أنبوب العادم مشكلاً غيمة صغيرة في الهواء الساكن قبل أن يتطاير بكـــسل في عـــدة طبقات مكدسة فوق بعضها. وكانت شبكة قضبان المبرِّد تنظر إليه مثل فم غبـــي مبتسم. لقد عرف السيارة، إنها بليموث فيوري ذات لونين، عاجي وأحمر غامق. إنها كريستين.

توقـــف موتـــشي مصدوماً. لا يمكن أن تكون كريستين، ذلك مستحيل. لقد ثقبوا الرادياتور في أماكن عديدة، وصبّوا زجاجة كاملة تقريباً من تكساس درايفر في الكاربوراتور، ووضع بادي خمسة أرطال مـــن السكر في خزان وقودها. ولم يكن ذلك سوى البداية، فريبرتون كان مبتكراً في تحطيمه لسيارة صاحب الوجه القبيح. وفي النهاية، كان من المحال أن تسير تلك السيارة من جديد قبل ستة أشهر، هذا إذا كان

ذلك ممكناً. ولهذا، لا يمكن أن تكون هذه السيارة هي كريستين. لا بد أنها بليموث فيوري 58 أخرى.

لكنها كانت كريستين، وهو كان يعرف ذلك.

كانت السيارة مركونة بمحاذاة الرصيف الذي كان يسير عليه – مقدمـــتها إلى الأمام. وكان من غير الممكن معرفة من كان يجلس وراء المقود – إذا كان هناك أحد – لأنها كانت تقف تحت أحد أعمدة النور في الشارع وكان الزجاج الأمامي الجديد متوهجاً بفعل انعكاس ضوء المصباح البرتقالي عليه.

بدأ موتشي يشعر بالخوف.

لعـــق شفتيه الجافتين بلسانه وتلفت حوله. إلى يساره كان هناك شارع جون كنيدي العريض ذو المسارات الستة، الذي كان يبدو مثل قعـــر نهـــر جـــاف في تلك الساعة. وإلى يمينه كان هناك محل تصوير مكـــتوب على واجهته الزجاجية كلمة كوداك بأحرف برتقالية معلّمة حوافها الخارجية باللون الأحمر.

التفت إلى السيارة مجدداً، وفتح فمه ليقول شيئاً لكنه لم يصدر أي صوت. حاول مجدداً فقال بصوت متحشرج: "هذا أنت، كانينغهام؟".

تقـــدَّم خطوة إلى الأمام، ثم نظر مجدداً إلى الشارع. لا بد أن تأتي سيارة أخرى، إذ لا يمكن أن يكون شارع جون كنيدي مهجوراً كلياً حـــتى في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل. ولكن، لم تأتِ أي سيارة.

تنحنح موتشي وقال: "أنت لست غاضباً، أليس كذلك؟".

اشتعلت مصابيح كريستين المزدوجة الأمامية فجأة، مسلطة ضوءاً أبيض شديداً عليه. ثم انطلقت نحوه، وأصدرت إطاراتها صوت شحيط مـــدوياً. لقد انطلقت بقوة مفاجئة بحيث بدا الجزء الخلفي منها وكأنه

قرفص مثل وركي كلب يستعد للوثب. قفز إطاراها المحاذيان للرصيف فــوقه وبقــي الإطاران البعيدان فوق الشارع، وتوجهت على هذا الــنحو إلى موتــشي. وكانت الإطارات تقذف زوبعة من الشرر وراءها.

صــرخ موتــشي، وتنحى جانباً فأصابت حافة مصد كريستين الأمامــي ربلة ساقه اليسرى، وأخذت معها قطعة من اللحم. سار دم حــار علــى ساقه، واستقر في قعر حذائه. وحرارة دمه جعلته يدرك بصورة غريبة كم كان الطقس بارداً في تلك الليلة.

سقط موتشي على أرضية مدخل محل التصوير. سمع صوت محرك الــسيارة يعلــو من جديد، ثم صوت زعيق الإطارات فوق الإسمنت. كانت كريستين تسير إلى الوراء فوق قناة تصريف مياه الأمطار. وبينما كانت تمر بجانبه، رأى موتشي... رأى...

أن ما من أحد كان يجلس وراء المقود.

أحس موتشي بذعر شديد يتملكه. ركض بأقصى سرعته باتجاه الجانب البعيد من شارع كنيدي. كان هناك زقاق بين سوبرماركت ومــصبغة، لا يــسمح بمرور سيارة. لو أنه فقط يستطيع الوصول إليه –.

كانت النقود المعدنية تخشخش بجنون في جيوب معطفه العسكري الخشن. كان يجري بأقصى سرعته بحيث إن ركبتيه كانتا توشكان على الارتطام بذقنه. وكان ظله يلحق به.

تسارع المحرك من مكان ما وراءه، ثم هدأ، تسارع مجدداً، ثم هدأ، ثم بــدأ يهــدر. زعقت الإطارات، وانطلقت كريستين وراء موتشي. صرخ موتشي لكنه لم يسمع صوت صراخه لأن السيارة كانت لا تزال تزعق مثل امرأة قاتلة غاضبة إلى حدّ الجنون.

لم يعـــد ظله يلحق به، بل أصبح يسبقه الآن ويزداد طولاً بشكل متسارع. وفي الواجهة الزجاجية للمصبغة رأى عينين صفراوين كبيرتين تتفتحان.

حـــاول موتـــشي في آخر لحظة أن يقفز إلى الجهة اليسرى، لكن كريـــستين قفزت معه وكأنها كانت تعرف آخر فكرة يائسة خطرت بـــباله، وأصابته في ظهره إصابة مباشرة، فطار في الهواء وحط على بعد ثلاثة عشر متراً على الرصيف المحاذي للسوبرماركت.

كانـــت الـــضربة قـــوية إلى درجة أنها جعلته يرتد عن الرصيف ويـــسقط فـــوق الشارع، مخلّفاً وراءه بقعة من الدم تشبه لطخة حبر؛ صورة ستظهر في اليوم التالي على الصفحة الأولى من جريدة كيستون في ليبرتيفيل.

رجعـــت كريستين إلى الوراء، ثم استدارت نصف استدارة بحيث أصـــبحت تقف بشكل متعامد مع الطريق، ثم انطلقت باتجاه موتشي، الـــذي كان راقداً بالقرب من حافة الرصيف. حاول النهوض لكنه لم يستطع؛ كان مشلولاً كلياً.

فـــتح فمـــه المـــليء بأسنان مكسورة فخرج منه صوت هامس مرعوب: "لا... لا -".

زأرت كريـــستين ودهـــسته، وتطايرت النقود المعدنية في جميع الاتجاهـــات. ثم عـــادت ودهسته مجدداً عند رجوعها إلى الطريق. ثم وقفت هناك. كان محركها يتسارع ثم يهدأ حتى يكاد يتوقف، ثم يعود إلى التسارع من جديد؛ كأنها كانت تفكر.

ثم عـــادت إلـــيه مـــن جديد، ودهسته واجتاحت الرصيف، ثم رجعت، ودهسته مجدداً في طريق رجوعها إلى الوراء.

تقدمت إلى الأمام.

رجعت إلى الوراء.

لم يعد ذلك الشيء الممد على الأرض يبدو مثل كائن بشري، بل أصبح يشبه كومة متناثرة من الخرق البالية المدماة.

اســتدارت السيارة نصف استدارة، ثم انطلقت بسرعة متزايدة، وعبرت فوق الكومة الدامية على الأرض، وراحت تبتعد مصدرة هديراً مــدوياً هزّ جدران الأبنية حيث الناس نيام؛ لكنهم لم يعودوا نياماً تماماً في ذلــك الحــين، إذ بدأت الأضواء تنار فيها، والناس الساكنون فوق محــالهم الــتجارية هرعوا إلى النوافذ لرؤية سبب كل ذلك الضجيج، معتقدين أن حادثاً ما قد وقع.

كان أحد مصابيح كريستين الأمامية مكسوراً، والآخر كان يتذبذب بــصورة غــير منتظمة تغطيه طبقة رقيقة من دماء موتشي. وشبكة المبرد كانت مطعوجة إلى الداخل. كانت الدماء المتناثرة فوق غطاء المحرك تتسع على شكل مراوح يدوية مع تزايد سرعة الريح. وكان العادم يصدر صوتاً مزعجاً بسبب تحطم أحد كاتمي الصوت في كريستين.

في الداخل، في لوحة القيادة، كان عداد المسافة لا يزال يسير إلى الوراء، وكأن كريستين كانت ترجع بالزمن إلى الوراء، تاركة وراءها ليس فقط مشهد الدهس، بل واقعة الدهس نفسها.

فجــأة خفــت صــوت العادم المزعج تدريجياً، وعاد إلى نعومته الــسابقة، وبدأت مراوح الدم فوق غطاء المحرك تسير إلى الوراء باتجاه مقدمــة الــسيارة، مثل فيلم يسير بالعكس. وأصبح المصباح الأمامي المــتذبذب يشع بشكل طبيعي وثابت من جديد. وبسرعة البرق، التأم زجاج المصباح الآخر المتكسر وعاد كما كان.

كــان هــناك صــوت *بانك* - *بانك* - *بانك* يصدر من مقدمة الــسيارة، يــشبه الــصوت الــذي تسمعه عندما تعصر علبة شراب

شـــعير. كانـــت شـــبكة قـــضبان مبرد كريستين تصلح اعوجاجاتها بنفسها.

انعطفـــت كريـــستين إلى شارع هامبتون حتى قبل أن يصل أول المـــستيقظين من زعيق إطاراتها إلى بقايا موتشي. كان الدم قد اختفى كلـــياً مـــن على غطاء محركها، واختفت جميع الخدوش أيضاً. وبينما كانـــت تسير بهدوء نحو بوابة مرأب دارنل، سُمع آخر صوت *بانك!* لآخـــر طعجـــة تصلح ذاتها - كانت هذه في الجهة اليسرى من المصد الأمامي، المنطقة التي صدمت ربلة موتشي.

بدت كريستين وكأنها خرجت للتو من المصنع.

وقفـــت السيارة أمام البوابة الكبيرة وسط المبنى الصامت والمظلم. كـــان هـــناك صندوق بلاستيكي معلق على حاجب الشمس الخاص بالسائق، وهو جهاز إلكتروني صغير أعطاه ويل دارنل لآرني عندما بدأ الأخير ينقل الدخان والمشروبات إلى نيويورك من أجله.

عـــنَّ الجهاز الأوتوماتيكي لفتح البوابة لفترة قصيرة، ثم انفتحت الـــبوابة مـــصدرة قعقعة عالية في ذلك السكون، أضيئت بضعة أنوار داخلية خافتة.

انكـــبس زر المصابيح الأمامية، فانطفأت تلك المصابيح، ودخلت كريستين بهدوء فوق الأرضية الإسمنتية الملطخة ببقع الزيت نحو الموقف عـــشرين. في الخلـــف، بدأت البوابة المرتفعة، المجهزة بمؤقت يعمل لمدة ثلاثـــين ثانـــية، تنـــزل رويداً رويداً حتى انغلقت. ثم انطفأت الأنوار، وعم الظلام في المرأب من جديد.

داخل كريستين، استدارت مفاتيح تشغيل المحرك فجأة إلى اليسار، فـــتوقف المحـــرك عن العمل، وراحت القطعة الجلدية المنقوشة بأحرف ر.د.ل تـــتأرجح إلى الأمام والخلف بأقواس متناقصة... إلى أن توقفت

عـــن الأرجحـــة نهائياً. ولم يعد يُسمَع في مرأب دارنل للخدمة الذاتية سوى طقطقة بطيئة لمُبَرد كريستين.

31

بعد يوم واحد

لم يـــذهب آرني إلى المدرســـة في الـــيوم التالي، متذرعاً بإصابته بالإنفلونـــزا. لكنه قال لوالديه في المساء أنه أصبح يشعر بتحسن كاف ليمكّـــنه مـــن الـــذهاب إلى مرأب دارنل والقيام ببعض الأعمال على كريستين.

احـــتجّت ريجينا، لكنها لم تعارضه صراحةً. كان وجهه في تلك الأثـــناء قـــد أصـــبح خالياً تماماً من حب الشباب والبثور، غير أنه - بالمقابل - كان شديد الشحوب مع دوائر سوداء تحت عينيه، وكأنه لم يـــذق طعـــم النوم لأيام، فضلاً عن المشية العرجاء التي كانت لا تزال تلازمه. تساءلت في نفسها بقلق ما إذا كان ابنها يتعاطى أدوية من نوع مـــا، ما إذا كانت إصابة ظهره أسوأ مما هو ظاهر عليه ما اضطره إلى تـــناول بعض الأقراص كي يتمكن من مواصلة عمله على تلك السيارة اللعيـــنة. لكـــنها صرفت هذه الفكرة عن ذهنها، لاعتقادها أن آرني، بالرغم من هوسه بالسيارة، لا يمكن أن يكون بهذا الغباء.

"أنا بخير حقاً، ماما".

"لكنك لا تبدو بخير، وبالكاد لمست عشاءك".

"سأتناول بعض الطعام لاحقاً".

"كيف حال ظهرك؟ إنك لا ترفع الكثير من الأشياء الثقيلة هناك، أليس كذلك؟".

"لا ماما". لكن هذه كذبة بالطبع، فهذه الإصابة كانت الأسوأ منذ تلك الإصابة الأصلية في فيلي بلينز. لقد خلع المشد لفترة قصيرة، لكنه أحس بألم فظيع في الظهر، فاضطر إلى ارتدائه من جديد بعد خمس عشرة دقيقة فقط. وهو كان يشعر أن ظهره كان أفضل حالاً بالفعل، وكان يعرف لماذا. لأنه كان ذاهباً إليها، هذا هو السبب.

نظرت إليه بقلق وبشيء من الضياع. للمرة الأولى في حياتها لم تعرف كيف تواصل. لقد أصبح آرني خارج سلطتها الآن. وهذا كان يعذبها ويؤرقها، الأمر الذي دفعها إلى طلب موعد مع الدكتور ماسيا لترى ما إذا كان سيعطيها بعض الأدوية للاكتئاب الذي تحس به والأرق الملازم لها.

وأخيراً قالت: "هل ستعود باكراً؟".

"بالتأكيد".

"آرني، أتمنى أن تبقى في البيت. إنك حقاً لا تبدو في حالة جيدة على الإطلاق".

"سأكون بخير. يتوجب عليّ أن أنقل بعض قطع السيارات إلى جيمسبورغ لصالح ويل غداً".

"ليس إذا كنت مريضاً. إنها مسافة تقارب المائة وخمسين ميلاً".

"لا تقلقي". ثم قبَّلها على خدّها.

كان يفتح باب المطبخ استعداداً للخروج عندما سألته: "هل تعرف الفتى الذي دُهس ليلة أمس؟".

استدار ونظر إليها ببرود قائلاً: "ماذا؟".

"ذكرت الصحيفة أنه كان في ثانوية ليبرتيفيل".

"أوه، حادثة الصدم والهرب... هذا ما تقصدينه؟".

"أجل".

"لقـــد حـــضرت صفاً معه عندما كنت في السنة الأولى. أعتقد ذلك. لا، حقاً إنني لا أعرفه، ماما".

هزت رأسها بارتياح: "جيد. قالت الصحيفة إن هناك بقايا مخدرات في جسده. إنك لا تتناول مخدرات أبداً، أليس كذلك، آرني؟".

ابتسم آرني برقة لوجهها الشاحب والقلق، وقال: "لا يا أمي".

"وإذا بـــدأ ظهرك يتسبب لك بالألم، هل ستذهب إلى الدكتور ماسيا من أجل ذلك؟ لن تشتري أي شيء من بائعي المخدرات، أليس كذلك؟".

"لا يا أمي". ثم غادر المنـــزل.

كان قد نـــزل الثلج مرة أخرى قبل بضعة أيام، تبعه طقس دافئ أذاب معظمــه. لكنه هذه المرة لم يختفِ كلياً، بل انسحب إلى الأمكنة المظللة، مشكلاً بقعاً بيضاء تحت السياجات وقواعد الأشجار. ولكن، بالـــرغم مـــن بقايـــا الثلج تلك - أو ربما بسببه - فقد كانت حديقة منـــــزلهم تبدو شديدة الخضرة في ظل ضوء شمس المغيب عندما خرج آرني مـــن المنـــــزل. وكان والده يبدو مثل لاجئ غريب عندما كان يجمع آخر أوراق الخريف المتساقطة.

رفـــع آرني يده محيياً والده في محاولة للمغادرة من دون التحدث إليه. لكن والده ناداه، فذهب آرني إليه رغماً عنه، لأنه لم يكن يريد أن يفوِّت موعد الباص.

كـــان مايكل قد تقدَّم بالسن أيضاً بسبب العواصف التي أثارها كريستين، بالرغم من وجود عوامل أخرى ساهمت في ذلك أيضاً؛ لقد حـــاول الوصول إلى موقع رئاسة قسم التاريخ في هورليكس لكن طلبه رُفض رفضاً قاطعاً. كما أشار طبيبه، خلال المراجعة السنوية التي يقوم بها، إلى وجود بداية حالة التهاب وريدي لديه.

"مرحباً بابا. اسمع، عليّ أن أسرع إذا أردت اللحاق بالـــ".

رفـــع مايكل رأسه من كومة الأوراق البنية المتجمدة التي استطاع جمعها ونظر إليه، ثم قال: "أرنولد، أين كنت البارحة؟".

"لمـــاذا؟" فتح آرني فمه مدهوشاً ثم أغلقه ببطء. "لماذا؟ هنا، هنا بابا. أنت تعرف ذلك".

"صحيح؟".

"بالتأكـــيد. لقـــد خلدت للنوم عند العاشرة. كنت مرهقاً. لماذا؟".

"لأنـــني تلقـــيت اتصالاً من الشرطة اليوم حول ذلك الفتى الذي دُهس في شارع جون كنيدي ليلة أمس".

"موتشي ويلش".

"اسمه الأخير كان ويلش، أجل".

"لا تعرف أمي أنه أحد الأشخاص الذين حطموا كريستين، أليس كذلك؟".

"ليس مني".

"وأنا لم أخبرها أيضاً. وسأكون مسروراً إذا لم تكتشف ذلك".

"لعلها ستكتشف ذلك في النهاية. في الحقيقة، إنها ستكتشف ذلك علـــى الأغلب، فهي امرأة بالغة الذكاء، في حال أنك لم تلاحظ ذلك. لكنها لن تعرف هذا مني".

هـــز آرني رأسه موافقاً، ثم ابتسم بشكل مرح وقال: *"أين كنت ليلة البارحة*؟ لقد اهتزت ثقتك بـــي، بابا".

"ربما لو كنت تقف خارج نفسك خلال الأشهر القليلة الماضية، لفهمت لماذا سألتك".

"بالله عليك، ماذا يعني ذلك؟".

"أنـــت تعلـــم تماماً ماذا يعني. إنه حق لا يحتمل النقاش أكثر مما فعلـــنا. إنـــنا لا نكف عن اللف والدوران حول النقطة اللعينة نفسها. حياتك كلها تنهار وأنت تقف هنا وتسألني عمَّ أتحدث".

ضـــحك آرني بـــسخرية وقـــال: "أمي سألتني إذا كنت أتعاطى المخـــدرات. لعلك تريد أيضاً أن تعرف إذا كنت أتعاطاها؟". مد يده متظاهـــراً برفع كمِّ سترته. "أتريد أن تنظر لتجد إذا كانت هناك آثار إبر؟".

"لست بحاجة إلى أن أسألك إذا كنت مدمناً على المخدرات. إنك مـــدمن علـــى شيء واحد أعرفه تماماً، وهذا كاف. إنها تلك السيارة اللعينة".

استدار آرني كي يذهب فأمسك مايكل من ذراعه.

"اترك ذراعي".

أنـــزل مايكل يده وقال: "أردتك فقط أن تكون متأكداً من أنني أعـــرف أنك غير قادر على قتل أي شخص مثل معرفتي أنك غير قادر علـــى الـــسير فـــوق الماء. لكن الشرطة ستستجوبك يا آرني، والناس سيـــستغربون إذا رأوا الـــشرطة تـــأتي إلى هـــنا فجأة. بالنسبة إليهم، الاستغراب يمكن أن يعني الذنب".

"كل هذا لأن سكيراً ما دهس ذلك المتغوط ويلش؟".

"الأمر ليس كذلك. لقد حصلت على معلومات كثيرة من ذلك الـــشخص جانكينـــز الذي اتصل بـــي هاتفياً. إن الشخص الذي قتل ويلش، كائناً من يكون، قام بدهسه مرة بعد مرة بعد مرة بعد -".

قال آرني مرعوباً: "توقف".

"كان ذلك فعلاً وحشياً يفوق القدرة على التصديق. هذا ما قاله جانكينـــز. أرأيت، لم يكن ذلك حادثاً على الإطلاق، بل جريمة قتل".

"جريمة قتل. لا، لا أعتقد أبداً -".

"ماذا؟" أمسك مايكل بسترة آرني. "ماذا قلت؟".

"لم أكن أعرف أن الأمر على هذا النحو. هذا كل ما أردت قوله".

"أردتـــك أن تعلـــم فقط أنهم سيبحثون عن شخص يملك دافعاً، مهمـــا كـــان تافهاً. إنهم يعلمون ما حدث لسيارتك، وأن ويلش قد يكون متورطاً. قد يأتي جانكينـــز ويستجوبك".

"ليس لدي أي شيء لأخفيه".

"لا، بالتأكيد لا. ستفوِّت باصك".

"أجل. عليّ أن أذهب". لكنه بقي واقفاً للحظة ينظر إلى والده.

"بعها آرني. لماذا لا تبعها؟ عندما ستنتهي من إصلاح، بعها. يمكن أن تحصل على الكثير من المال. ألفين، ربما ثلاثة آلاف".

قال آرني بلطف: "لا، لا يمكنني أن أفعل ذلك، بابا. لا يمكنني أن أفعل ذلك الآن. لقد أنفقت الكثير عليها. الكثير جداً".

كان هذا آخر شيء يقوله قبل أن يغادر.

32

ريجينا ومايكل

كانـــت ريجينا مرهقة ذلك المساء، فذهبت وزوجها إلى النوم معاً قرابة التاسعة مساء، قبل وقت طويل من عودة آرني إلى المنـــزل. أقاما علاقة حميمية، لكنها كانت بدافع الواجب أكثر منه بدافع الرغبة، ومن دون مـــتعة أيضاً (مؤخراً كانا يفعلان ذلك كثيراً، لكنه كان يفتقر إلى المـــتعة، وبـــدأ مايكل يشعر بانـــزعاج لأن زوجته كانت تستخدمه كقرص منوِّم)، ثم استلقيا في سريريهما المتجاورين.

سألها مايكل: "كيف كان نومك البارحة؟".

"ممتاز". بدت ريجينا صادقة في إجابتها، لكن مايكل لم يصدقها.

"لقد استيقظت في الحادية عشرة، وبدا لي آرني قلقاً". كان هناك شـــيء ما في وجه آرني لم يتمكن مايكل من التيقّن من ماهيته بسبب الـــضوء الخافت هذا المساء. هل بدا ولده مذنباً أم خائفاً؟ لعله انعكاس الضوء فقط؟ لكنه إن لم يجد جواباً مناسباً فقد لا يأتيه النوم هذه الليلة.

"نهضت في الواحدة"، صمتت ريجينا للحظة، ثم أضافت بسرعة، "كـــي أذهب إلى الحمام فقط. وألقيت نظرة عليه. العادات القديمة لا تزول بسهولة، أليس كذلك؟".

"أجل، أعتقد ذلك".

"كـــان نائماً بعمق آنذاك. أتمنى لو أنني أستطيع حمله على ارتداء بيجامته في الطقس البارد".

"كان نائماً مرتدياً سرواله التحتي؟".

"أجل".

أحس مايكل بالراحة وبشيء من الخجل من نفسه أيضاً. ولكن، كان يجب عليه أن يتأكد. كان آرني في المنـــزل عند الساعة الواحدة، والفـــتى ويلش قُتل على بعد ثلاثة أميال بعد خمس وعشرين دقيقة. من المـــستحيل أن يكون باستطاعة آرني ارتداء ثيابه، والخروج من المنـــزل مـــن دون أن تـــشعر بذلك ريجينا - التي كانت بالتأكيد غير غافية في ذلك الوقت - والذهاب إلى مرأب دارنل كي يجلب كريستين، ومن ثم التوجه إلى حيث قُتل ويلش.

اطمأن عقل مايكل، فاستدار نحو اليمين، وغط في النوم. حلم أنه كـــان مـــع ابنه عندما كان في التاسعة من عمره يلعبان الغولف فوق سلـــسلة متـــرامية الأطراف من المساحات الخضراء تتخللها برك مياه

وطـــواحين هوائية. وحلم أهما كانا لوحدهما، لأن أم ابنه ماتت خلال الولادة.

ابتـــسم مايكل في نومه. لكن ريجينا المستلقية بعينين مفتوحتين في الـــسرير المجاور لم تكن تبتسم. كانت تنتظر سماع صوت انفتاح الباب الذي يخبرها بعودة ابنها من الخارج.

عندما ستسمع صوت الباب وهو يُفتَح ثم يُغلَق... عندما ستسمع صوت خطواته على السلّم... عندئذ ستتمكن من الخلود إلى النوم.

ربما.

33

جانكينز

جـــاء جانكينـــــز إلى مرأب دارنل عند الساعة الثامنة وخمس وأربعـــين دقـــيقة تقريباً من ذلك المساء. كان آرني قد أهى قبل فترة قصيرة عمله على كريستين، حيث قام باستبدال هوائي المذياع، الذي نـــزعه ريبرتون وعصابته، بواحد جديد. وخلال الربع ساعة الأخيرة، كـــان يجلـــس وراء المقود ويستمع إلى سلسلة ليلة الجمعة من الأغاني الذهبية على محطة WDIL.

أراد تـــشغيل الراديو وإدارة قرص الترددات للتأكد من أنه علّق الهوائـــي بشكل مناسب ومن عدم وجود تشويش، لكنه وقع بالصدفة علـــى إشـــارة إذاعة WDIL القوية وبقي عندها. لم تكن هذه الإذاعة تـــبث أي إعلانـــات لليلة الجمعة، و لم يكن هناك أي مذيعين، بل مجرد أغاني فقط يتخللها بين الحين والآخر صوت أنثوي يذكّر المستمعين أهم يستمعون إلى WDIL بيتسبورغ، بلو سويد راديو.

فعل ماذا؟

قام باستبدال الهوائي، أجل. وسوّى بعض الطعجات أيضاً، كان يتذكّر ذلك جيداً. غير أنه لم يطلب أي لوح زجاجي للنوافذ (مع أنها كلها كانت مركبة وجديدة)، ولم يطلب أغطية مقاعد جديدة (وكانت مركبة أيضاً)، ولم ينظر تحت غطاء المحرك إلا مرة واحدة قبل أن يغلقه مجدداً والرعب يتملّكه من مقدار الضرر الذي أصاب محرك كريستين.

لكن الرادياتور كان كاملاً، وصندوق المحرك جديد ولامع، والبستونات تتحرك بنعومة وسلالة، وتصدر صوتاً يشبة خرخرة قطة.

فجأة سمع صوتاً داخله يقول له بشكل ماكر: *ولكن، يا آرني، كيف أُصيب ظهرك؟*

لقد أُصيب في فيلي بلينز (هذا ما قاله للجميع). *إحدى السيارات المحطمة بدأت تنزلق على أرضية الجزء الخلفي لشاحنة القطْر الخاصة بويل دارنل، فدفعتها محاولاً إرجاعها إلى مكانها – لم أفكر في الأمر، كان ردّ فعل تلقائياً. تمزَّقت بعض العضلات في مكان ما من ظهري.* صحيح أن هذا ما قاله للجميع، لكن ظهره لم يصب بهذه الطريقة، أليس كذلك؟

في تلك الليلة عندما وجد آرني ولي كريستين محطمة في مرأب المطار... في تلك الليلة في مرأب دارنل، بعد ذهاب الجميع، قام بتشغيل الراديو في مكتب ويل، وراح يستمع إلى الأغنيات القديمة في محطة WDIL... و... بطريقة ما أُصيب ظهره.

ما الذي كان يفعله بحيث تسبب في إيذاء ظهره؟

فجأة أصدر المذياع تشويشاً يشبه تقريباً مواء قطة.

همس آرني وهو يمرر يده على لوحة القيادة: "لا تقلقي". نعم، كانت السيارة تخيفه في بعض الأحيان. وكان يعتقد أن والده محق، فهي

غيَّرت حياته نوعاً ما. لكنه لم يكن قادراً على التخلي عنها بقدر عدم قدرته على الانتحار.

اختفى التشويش وكان فريق مارفيليتس يغنون: Please Mr. Postman.

عندها سمع صوتاً يقول: "آرنولد كانينغهام؟".

انتفض آرني، وأطفأ المذياع، والتفت فرأى رجلاً أنيقاً صغير الحجم منحنياً فوق النافذة. كانت عيناه بنيتين غامقتين وكان وجهه مشرقاً؛ اعتقد آرني أن الطقس في الخارج هو السبب في ذلك.

"نعم؟".

"رودولف جانكينز. شرطة الولاية، قسم التحقيقات". مدّ يده من النافذة المفتوحة.

ابتسم آرني ابتسامة عريضة، وتلقف اليد الممدودة، وشدّ عليها بقوة، قائلاً: "لا تطلق النار أيها الشرطي، سأرمي كل أسلحتيّ".

ابتسم جانكينز بفتور بينما كانت عيناه تستكشفان السيارة بطريقة لم تعجب آرني أبداً.

"واو! كوّنت الشرطة المحلية لدي انطباعاً أن الأشخاص الذين اعتدوا على سيارتك قد حطموها تماماً. لكنها بالتأكيد لا تبدو كذلك".

هز آرني كتفيه، ثم خرج من السيارة. كانت ليالي الجمعة تمر ببطء في مرأب دارنل. وويل نفسه كان نادراً ما يأتي في تلك الليالي، وهو لم يأتِ أبداً في تلك الليلة. ولم يكن في المرأب في تلك اللحظة سوى آرني والشرطي ورجلين يعملان على تصليح سيارتيهما.

"لم تكن متضررة بقدر ما كانت تبدو". اعتقد آرني أن هذا الشرطي الأنيق المبتسم يمكن أن يكون ذكياً للغاية. لكنه أحس أيضاً أن

بوسعه التعامل معه، ذكياً كان أم لم يكن. في النهاية، لم يكن هناك أي شيء يدعو للقلق. "لم يحدث ضرر جوهري".

"أوه؟ فهمــت بأهم أحدثوا ثقوباً في الهيكل بوساطة أداة حادة. ســأكون ملعوناً لو كان بإمكاني رؤية معجونة ملء الفراغات. لا بد أنــك عبقري تصويج يا آرني. بحسب طريقة قيادة زوجتي، ربما يجدر بــي أن أصبح زبوناً لديك".

"أنا جيد لكنني لست كما تتوقع. بإمكانك رؤية عمل التصويج إذا بحــثت عنه"، قال آرني مشيراً إلى تموج دقيق عند الجزء الخلفي من كريــستين. "وهــناك"، مــشيراً إلى تموج آخر. "كنت محظوظاً لأنني وجــدت قطع التبديل الأصلية الخاصة بهيكل البليموث في محل راجلز. لقد استبدلت الباب الخلفي بأكمله من هذا الجانب. هل ترى كيف أن الدهان غير متطابق تماماً؟" نقر بأصابعه على الباب.

"لا. ربما يمكنني التمييز بواسطة ميكروسكوب، آرني، لكنه يبدو مــتطابقاً تماماً بالنسبة إليّ". نقر أيضاً بأصابعه على الباب، فقطّب آرني جبينه.

قــال جانكينـــز: "عمل رائع"، مشى على مهل حول مقدمة السيارة، "عمل رائع يا آرني. يجب تهنئتك".

"شكراً". راقب آرني جانكينــز بينما كان يستخدم عينيه الثاقبتين – بالــرغم ممــا كانت تبديه ملامحه الخارجية من مظاهر إعجاب صادق – للبحث عن طعجات مشبوهة، أو بقعة دم، أو خصلة شعر... للبحث عن دلائــل تشير إلى موتشي ويلش. وعندما أصبح آرني متأكداً مما كان يفعله هذا المتغوط، قال له: "كيف يمكنني مساعدتك أيها المحقق جانكينــز؟".

ضحك جانكينــز وقال: "يا رجل، هذا رسمي جداً. لا يمكنني أن أتحمل هذا. قل رودي، رجاءً".

ابتسم آرني وقال: "حسناً. كيف يمكنني مساعدتك يا رودي؟".

قـــال جانكينـــز وهو يقرفص كي ينظر إلى المصابيح الأمامية من جهة السائق: "أتعلم، هذا غريب". نقر بأصابعه على أحدها متأملاً، ثم مـــرر سبابته على إطار غطائها المعدني، فتجمَّع طرف معطفه السفلي علـــى أرض المـــرأب الإسمنتـــية القذرة للحظة قبل أن يقف وأضاف: "حـــصلنا علـــى تقارير حول شيء ما من هذه المادة؛ أعني آثار حطام سيارتك".

"آه، هيـــي، إنهم لم يحطموها. لقد حاولوا، كما تعلم، لكنهم لم يقوموا بعمل جيد في هذا الخصوص".

"حـــسناً. أعـــتقد أنـــني لم أســـتخدم التعبير المناسب"، ضحك جانكينـــــز، "علـــى كل حال، عندما وصل الأمر إلي، ماذا تظن أنني قلـــت؟ *أين الصور*؟ هذا ما قلته. اعتقدت أنها هفوة، كما تعلم. لذا، اتصلت بقسم شرطة ليبرتيفيل فأخبروني أنه لم تكن هناك أي صور".

"لا. ولـــد مثلي لا يمكنه أن يحصل إلا على تأمين مسؤولية، أنت تعلم ذلك. وحتى تأمين المسؤولية يأتي مع دفع سبعمائة دولار. لو أنني كنت أملك تأميناً على الأضرار، لأخذت الكثير من الصور. ولكن، بما أنني لا أملكه، فلماذا ألتقط الصور؟ من المؤكد أنني لن أريد الاحتفاظ بها في ألبوم صوري".

"لا. لا أعتقد ذلك". مشى جانكينـــز بكسل حول الجزء الخلفي مـــن الـــسيارة، باحثاً عن زجاج مكسور، بعض الخدوش، أي شيء. "ولكـــن، أتعلم ما هو الشيء الآخر الذي وجدته غريباً؟ إنك حتى لم تبلِّغ عن الجريمة!" رفع رأسه، ونظر إلى آرني بعينين متسائلتين، ثم ابتسم ابتـــسامة محـــتارة مـــزيفة. "حتى *إنه لم يبلّغ عنها*، هه قلت لهم. *ابن الـــساقطة! ومـــن بلّـــغ عنها؟* فقالوا لي إنه والد ذلك الشخص". هز

جانكينـــز رأسه. "لا أفهم ذلك يا آرني. صدقاً. شاب ينهك نفسه في إصلاح سيارة قديمة حتى تصبح تساوي ألفين، ربما خمسة آلاف دولار، ثم يأتي بعض الشبان ويحطمونها -".

"قلت لك -".

رفـــع جانكينـــز يده، وابتسم بشكل ودي. للحظة أحس آرني أنه سيقول *سلْم* كما يفعل دينيس أحياناً عندما تصبح الأمور متوترة بينهما.

"أصابوها بأضرار، آسف".

"لا بأس".

"على كل حال، وفقاً لما قالته صديقتك، أحد المعتدين... حسناً، تـــبرَّز على لوحة القيادة. اعتقدت أنك ستصاب بغضب شديد، وتبلّغ عما حدث".

الـــتقت عينا آرني الباردتين مع عيني جانكينـــز المتشككتين وبقيا علـــى هذه الحال لثوان، بدت طويلة جداً، ثم قال آرني: "البراز يُغسَل. أتريد أن تعرف شيئاً سيِّد رودي؟".

"بالتأكيد بني".

"عـــندما كان عمري عاماً ونصف، أمسكت بشوكة وشوهت مكتـــباً أثرياً احتفظت أمي به ربما لمدة خمس سنوات. قالت إنها توفر نقودها. اعتقدت أنني شوَّهته في فترة زمنية قصيرة جداً. بالطبع، أنا لا أذكـــر ذلـــك، لكـــنها تقول إنها لم تفعل شيئاً سوى الجلوس والبكاء بحرقة". ضحك آرني قليلاً. "وحتى هذا العام، لا أتذكر أن أمي فعلت ذلك مرة أخرى. الآن بوسعي أن أتذكر هذا. لعلي نضجت قليلاً، ما رأيك؟".

أشعل جانكينـــز سيجارة، ثم قال: "هل فاتني المغزى، آرني؟ لأنني لم أفهم بعد".

"قالت إنها كانت تفضّل إبقاء الحفّاضات عليّ حتى سن الثالثة ولا تـــرى مــــا فعلـــته. قالت إن البراز يُغسَل"، ابتسم قليلاً، "تغسله بالماء فيزول".

"كما زال موتشي ويلش؟".

"لا أعلم أي شيء عن هذا".

"لا؟".

"لا".

"بـــشرف الكشاف؟". كان السؤال مرحاً لكن العينين لم تكونا كـــذلك أبداً، إذ كانتا تستطلعان آرني بحثاً عن أدنى حركة تدل على المراوغة.

"بالتأكـــيد، بشرف الكشاف. اسمع، أعتقد أن من واجبك القيام بذلك. إنه عملك –".

قاطعـــه جانكينـــــــز برقة، قائلاً: "بالطبع إنه عملي. لقد دُهس الصبـــي ثلاث مرات ذهاباً وإياباً. لقد أصبح كتلة من اللحم. وأزالوه عن الطريق بواسطة مجرفة".

قال آرني باستياء: "رجاءً".

"لمـــاذا؟ ألـــيس هذا ما يُفترَض بك فعله مع البراز؟ تزيله بواسطة مجرفة؟".

صـــاح آرني بغـــضب: "ليس لي علاقة بالأمر!" أجفل صوت آرني الـــرجلين الوحـــيدين الموجودين في المرأب، فنظرا إلى آرني وجانكينـــز باســـتغراب. عندها أحس آرني بالحرج، فأخفض صوته وقال معتذراً: "أنا آســـف. أتمـــنى فقـــط أن تتركني وشأني. أنت تعلم جيداً أن لا علاقة لي بالأمـــر. لقـــد تفحصت السيارة بأكملها. لو أن كريستين صدمت ذلك المدعو ويلش ذلك العدد من المرات وبتلك القوة، فستكون محطمة كلياً".

"بالتأكـــيد. سيارتك تبدو في حالة جيدة، بعكسك أنت يا فتى. إنك تبدو مثل السائر في نومه. إنك في حالة رثة للغاية. اعذرني"، رمى سيجارته بعيداً، "أتعلم يا آرني؟".

"ماذا؟".

"أعـــتقد أنـــك تكذب بسرعة أكبر من سرعة الحصان"، ضرب براحة يده على غطاء محرك كريستين، "أو ربما ينبغي لي أن أقول أكبر من سرعة سيارة بليموث".

نظر آرني إليه من دون أن يتفوه بأي كلمة.

"لا أظن أنك تكذب بخصوص قتل الفتى ويلش، لكنني أعتقد أنك تكذب بشأن ما فعلوه لسيارتك. قالت صديقتك إنهم حطموها تماماً، وهـــي كانـــت أكثر إقناعاً منك. حتى إنها بكت عندما كانت تخبرني بذلك. قالت لي إن الزجاج المكسور كان متناثراً في كل مكان... من أين اشتريت الزجاج البديل، بالمناسبة؟".

أجاب آرني على الفور: "من ماكونيل. في بيتسبورغ".

"أما زلت تحتفظ بالإيصال؟".

"لقد رميته".

"لكنهم سيتذكرونك. طلبية كبيرة مثل هذه".

"ربمـــا، لكنني لن أتكل على هذا لو كنت مكانك يا رودي. إنهم أكـــبر اختـــصاصيين في زجـــاج السيارات في غرب نيويورك وشرق شـــيكاغو. وهـــذا يغطي مساحة واسعة من الأرض. إنهم يقدمون لك طلبك، والكثير مما يأتيهم سيارات قديمة".

"مع ذلك، فهم سيملكون الأوراق الخاصة بذلك".

"دفعت نقداً".

"لكن اسمك سيكون مكتوباً على الفاتورة".

قـــال آرني مع ابتسامة باردة: "لا. بل اسم مرأب دارنل للخدمة الذاتية. بهذه الطريقة حصلت على حسم عشرة بالمائة".

"لقد غطيت كل شيء، أليس كذلك؟".

"حضرة الملازم جانكينـــز -".

"إنك تكذب بشأن الزجاج أيضاً، بالرغم من أنني سأكون ملعوناً إذا كنت أعرف لماذا".

"أعـــتقد أنك تظن أن الصالحين الأتقياء يكذبون أيضاً. منذ متى كان شراء زجاج بديل إذا حطم أحدهم نوافذك جريمة؟ أو الدفع نقداً؟ أو الحصول على حسم؟".

"لم يكن كذلك في أي يوم".

"دعني وشأني إذاً".

"الأهـــم هو أنك، باعتقادي، تكذب بخصوص عدم معرفتك بأي شيء مما حدث للفتى ويلش. أنت تعرف شيئاً ما، وأريد أن أعرف ما هو".

"لا أعلم أي شيء".

"بخصوص ماذا؟".

"ليس لدي شيء آخر لأقوله لك. أنا آسف".

"حـــسناً". قال جانكينـــز مستسلماً بسرعة فائقة أثارت شكوك آرني. ثم أخرج محفظته من جيب السترة التي كان يرتديها تحت معطفه. رأى آرني أنـــه كان يحمل مسدساً معلقاً تحت كتفه، معتقداً أنه تعمَّد إظهـــاره. أخرج بطاقة من المحفظة وأعطاها إلى آرني، ثم قال: "يمكنك الاتـــصال بـــــي على أحد هذه الأرقام إذا أردت التحدث بشأن أي شيء. أي شيء مهما كان".

وضع آرني البطاقة في جيب قميصه.

قام جانكينـــز بجولة بطيئة أخرى حول السيارة. وبينما كان يقوم بـــذلك، قال مكرراً مديحه السابق: "عمل رائع". ثم نظر إلى عيني آرني وأضاف: "لماذا لم تبلّغ عن الأمر؟".

تنهَّد آرني بسأم وأجاب: "لأنني اعتقدت أن هذه ستكون النهاية. اعتقدت أهم سيتركونني وشأني".

"صحيح، هذا ما اعتقدته أيضاً. عمت مساء يا بني".

"عمت مساء".

ســـار جانكينـــز عدة خطوات مبتعداً، ثم استدار وعاد مجدداً، وقال بلطف: "فكِّر في الأمر. إنك حقاً تبدو في حالة يُرثى لها. هل تعلم ما أعنيه؟ لـــديك صديقة جميلة. إنها قلقة عليك، وهي تشعر بالسوء حيال ما حصل لسيارتك. ووالدك قلق عليك أيضاً. كان بوسعي الإحساس بذلك حتى من خلال الهاتف. فكِّر في الأمر ثم اتصل بـــي، بني. ستنام بشكل أفضل".

كان آرني على وشك أن يقول له شيئاً ما، فإذا بوخزة ألم شديد تنـــبعث مثل شرارة كهربائية مفاجئة في ظهره، فكان لها تأثير الصفعة على وجه شخص أُصيب بنوبة هستيرية، فأحس بالسكينة تعود إليه من جيد. ثم قال: "تصبح على خير رودي".

نظر جانكينـــز إليه للحظة أو لحظتين ثم غادر المكان.

بـــدأ آرني يـــرتجف مـــن أخمص قدميه حتى قمة رأسه. مدّ يده المرتعشة باحثاً عن مقبض الباب، فوجده أخيراً، ثم فتح الباب، وانسل إلى الـــداخل، وجلس وراء المقود. أدار المفتاح نصف دورة نحو وضعية ACC، فاشتعلت الأضواء التحذيرية. ثم مدّ يده نحو قرص الراديو.

وقبل أن تصل يده إلى القرص، سقطت عيناه على القطعة الجلدية المعلقة بالمفاتيح التي تحمل أحرف ر.د.ل، وحلم أن جثة رونالد ليبـــي المتعفـــنة تجلس وراء المقود، مرتدية بذلة عسكرية ملطخة بعفن رمادي

مزرقّ من المقبرة. كان لحمه منسلخاً والعظم ظاهراً في عدة أماكن من خـــلال البذلة. وكان محجراه، حيث كانت عيناه تسكنان ذات يوم، فـــارغين ومظلمـــين (بالرغم من وجود شيء متحرك ما فيهما). بعد ذلـــك، اشتعلت مصابيح كريستين الأمامية فجأة وظهر شخص ما في دائرة الضوء المسلّط. شخص مألوف.

موتشي ويلش.

وبينما كانت كريستين تقترب من موتشي ويلش، كان الراديو - المولّف على محطة WDIL - يبث أغنية ***القبلة الأخيرة*** لفرانك ويلسون وكافاليرز.

أحس آرني بالغثيان، فخرج من السيارة مسرعاً، واتجه نحو المقدمة وراح يتقـــيأ. تقيأ عدة مرات حتى فرغ جوفه تماماً ولم يعد يخرج منه سوى بصاق حامض.

شعر فجأة أنه كان بحاجة إلى التحدث مع لي.

ذهب إلى مكتب ويل الصامت إلا من دقات الساعة المعلقة على الحائط، وأمسك الهاتف، وراح يدير القرص ضارباً رقم منـــزل عائلة كابوت. بالرغم من أنه كان يحفظ الرقم غيباً، إلا أنه أخطأ مرتين لأن أصابعه كانت ترتجف بشدة.

أجابت لي بنفسها، وبدا صوتها ناعساً: "آرني؟".

"يجب أن أتحدث معك. لي، يجب أن أراك".

"آرني، الساعة تقترب من العاشرة، وأنا خرجت للتو من الحمام، وإلى السرير مباشرة... كنت على وشك النوم".

قال آرني وهو يغمض عينيه: "رجاءً".

"غـــداً. غـــير ممكن اليوم. لن يسمح لي والداي بالخروج في هذا الوقت المتأخر -".

"إنها العاشرة فقط، واليوم الجمعة".

"إنهمـــا لا يـــريدان أن أراك كثيراً، آرني. لقد أُعجبا بك في البداية، وأبـــي لا يزال معجباً بك... ولكن، كلاهما يعتقدان أنك أصـــبحت غريباً نوعاً ما". صمتت قليلاً، ثم أضافت: "وأنا أعتقد ذلك أيضاً".

"هل هذا يعني أنك لا تريدين مقابلتي بعد الآن؟".

"لا. ظنـــنت أنـــك أنت لا تريد رؤيتي... ليس في المدرسة. وفي الليالي، أنت دائماً في مرأب دارنل، تعمل على سيارتك".

"لقـــد انتهى كل شيء الآن. إنها السيارة - *آآوو، اللعنة!*" وضع آرني يديه على ظهره متأوهاً من الألم.

"آرني؟ هل أنت بخير؟".

"أجل. أُصبت بوخزة في ظهري".

"ما الذي كنت ستقوله؟".

"غـــداً. سنذهب إلى باسكين روبينـــز ونتناول الآيس كريم وربما نقـــوم بـــبعض التبضع من أجل الميلاد، ونتناول العشاء، وسأعيدك إلى المنـــزل بحلول السابعة. ولن أتصرف بغرابة، أعدك".

ضحكت قليلاً، فأحس آرني براحة كبيرة تغمره، ثم قالت: "أيها الغبـــي".

"هل هذا يعني أنك موافقة؟".

"أجـــل إنـــه يعني موافقة... قلت إن والديّ لا يريدان أن أراك كثيراً، ولم أقل إنني أنا لا أريد ذلك".

قـــال آرني محاولاً بكل جهده الحفاظ على صوته ثابتاً: "شكراً، شكراً على هذا".

"عن ماذا كنت تريد التحدث معي؟".

كريستين. أريد التحدث عنها، وعن أحلامي. وعن السبب الذي يجعلني دائماً أريد الاستماع إلى WDIL، وعما فعلته تلك الليلة بعد ذهاب الجميع... الليلة التي أصبت فيها ظهري. آه، يا لي، أريد أن -.

شرارة جديدة من الألم تلسع ظهره مثل مخلب قطة.

وأخيراً قال: "أعتقد أننا تحدثنا للتو عن ذلك".

"أوه... جيد".

"لي؟".

"نعم".

"سيكون هناك المزيد من الوقت الآن، أعدك. كل الوقت الذي تريدينه"، ثم فكَّر في نفسه، *لأنه، مع وجود دينيس في المستشفى... لم يبقَ لي أحد سواك، لم يبقَ إلا أنت بيني... وبين...*

قالت لي: "هذا جيد".

"أحبك".

"إلى اللقاء آرني".

قوليها... أعيديها على مسامعي. أريدك أن تقوليها لي!

لكنه لم يسمع سوى صوت إقفال الخط من الطرف الآخر.

جلس وراء مكتب ويل لوقت طويل، مطأطأ الرأس، يحاول استجماع نفسه. ثم وقف وتوجه نحو الباب. إنها ستخرج معه غداً، هذا هو المهم. سيقومان بالتبضع كما كانا يخططان في ذلك اليوم عندما حطم المتغوطون كريستين. سيمشيان ويتحدثان، ويمضيان وقتاً ممتعاً. وستقول له إنها تحبه.

همس لنفسه بينما كان يقف في الباب: *ستقولها*، لكنه سمع صوتاً هامساً آخر من الطبقات الدنيا في وعيه، صوتاً متسائلاً يقول: *كيف أصبت ظهرك يا آرني؟ كيف أصبت ظهرك؟*

كان سؤالاً يخشى الإجابة عنه.

34
لي وكريستين

كـــان يـــوماً رمادياً ينذر بسقوط الثلج، لكن آرني كان محقاً في أمـــرين؛ لقد أمضيا وقتاً ممتعاً، وهو لم يتصرف بغرابة. كانت السيدة كابـــوت في المنــــــزل عندما وصل آرني وكان استقبالها الأولي جيداً. لكـــن لي لم تنـــزل من الطابق العلوي إلا بعد وقت طويل - ربما بعد عـــشرين دقيقة - مرتدية كنـــزة بلون الكراميل، ملتصقة بصورة مثيرة بثدييها، وسروالاً جديداً أحمر، ملتصقاً بوركيها بصورة مثيرة أيضاً. لعل ذلـــك التأخير غير المفهوم لفتاة دقيقة جداً في مواعيدها كان مقصوداً. سألها آرني حول ذلك لاحقاً لكنها أنكرت هذا ببراءة واضحة، مع أن تأخيرها أدى غرضه في كلتا الحالتين.

كان باستطاعة آرني أن يكون فاتناً عندما يضطر إلى ذلك. وهذا مـــا فعله - عن عمد - مع السيدة كابوت التي أصبحت غايةً في الود معـــه قبل أن تنـــزل لي أخيراً من الطابق العلوي وهي تقفز بحيوية على السلّم، وتعقد شعرها على شكل ذيل فرس. كانت السيدة كابوت قد ضيَّفته علبة كوكاكولا، وراحت تستمع بإمعان إليه بينما كان يسلّيها ببعض القصص عن نادي الشطرنج.

قالـــت مـــوجهة كلامهـــا لابنتها: "إنه النشاط الإضافي المتمدن الوحيد الذي أسمع به". ثم نظرت باستحسان إلى آرني.

قالت لي بطرافة: "مملللل". ثم وضعت ذراعها حول خصر آرني، وقبَّلت خدَّه بصوت عالٍ.

"لي كابوت!".

"آســـفة مامـــا، لكنه يبدو ظريفاً مع أحمر الشفاه. انتظر، لدي منديل. لا تعبث بها".

بيـــنما كانـــت تفتش في محفظتها، نظر آرني إلى السيدة كابوت وقلب عينيه، فوضعت يدها على فمها وضحكت. لقد أصبحت العلاقة بينهما ودية تماماً.

أحـــسّا في البداية بارتباك بقي عالقاً في حديثهما على الهاتف في اللـــيلة السابقة، لكنه تلاشى كلياً بعد وصولهما إلى باسكين روبينـــز. كـــان آرني يشعر بخشية غامضة من أن تخذله كريستين في الطريق، أو من أن تقول لي شيئاً سيئاً بحق كريستين، كونها لم تكن تحب الركوب في ســـيارته. لكـــن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث على الإطلاق، فقد سارت كريستين مثل ساعة سويسرية، والأشياء الوحيدة التي قالتها لي حولها كانت تعبِّر عن مدى سعادتها ودهشتها.

بعـــد خـــروجهما من المرأب الصغير الخاص بمحل الآيس كريم مـــتوجهين نحو مونروفيل مول، قالت لي: "لم أكن لأصدق ذلك. يبدو أنك عملت مثل كلب".

"لم تكن سيئة بقدر ما بدت لك. هل تمانعين ببعض الموسيقى؟".

"لا، بالطبع لا".

شغّل آرني الراديو. كان فريق سيلويتس يغنون Get a Job احصل على عمل.

رسمت لي تعبير قرف على وجهها وقالت: "ديل، ياك. هل يمكنني تغييرها؟".

"تفضّلي".

حوّلت لي التردد إلى محطة بيتسبورغ لموسيقى الروك، وكان بيلي جويل يغني You may be right لعلك على حق. عندئذ فكّر آرني في

نفـــسه، *الآن ســـتبدأ بإحداث مشكلة ما*. لكن كريستين ظلت تسير بسلاسة وثبات.

كان المول يعج بالمتسوقين المنهمكين في شراء احتياجاتهم، والجو كـــان مفعمـــاً بالبهجة. إن الزحمة المسعورة، والبشعة أحياناً، في تلك الفترة تكون أفضل من الأسبوعين الأخيرين اللذين يسبقا الميلاد. كانت روح المـــيلاد لا تـــزال جديدة بحيث كنت تستطيع النظر إلى الشرائط الملـــونة المعلقـــة في ممرات المول الواسعة من دون أن تشعر بالسأم، ولم يكـــن الرنين المتواصل لأجراس سانتا قد أصبح مزعجاً بعد (إحساس يجعلـــك تشعر بالذنب)، إذ كانوا لا يزالون يغنون أناشيد جميلة تحمل كلمـــات مفرحة ونوايا طيبة بدلاً من الأنشودة الرتيبة المملة – *الفقراء لـــيس لـــديهم مـــيلاد، الفقراء ليس لديهم ميلاد، الفقراء ليس لديهم ميلاد* – التي كان آرني يسمعها دائماً مع اقتراب يوم الميلاد.

ظلا يمشيان بيدين متشابكتين إلى أن أصبح عدد الأكياس يمنعهما من القيام بذلك – عندها اشتكا آرني مازحاً من أنها حوَّلته إلى حمار من كثرة الأكـــياس الـــتي كـــان يحملها. وعندما كانا ينـــزلان السلالم إلى الطابق السفلي، حيث كان آرني يريد شراء كتاب حول كيفية صنع الألعاب من أجـــل والـــد دينيس جيلدر، لاحظت لي أن الثلج بدأ يتساقط في الخارج. وقفـــا أمام نافذة بئر السلم المزجَّج، وراحا ينظران إلى الثلج مثل الأطفال. أمسك آرني بيدها، ونظر إليها فالتفتت نحوه وابتسمت. قرَّب رأسه منها، فشدت على يده وقرَّبت رأسها أيضاً، ثم تبادلا قبلة خفيفة. وبعد انتهائهما مـــن مخـــزن الكتب، وقفا فوق باحة التزلج الواقعة في مركز المول، وراقبا المتزلجين وهم يدورن ويرقصون على أنغام أناشيد الميلاد.

كـــان ذلـــك يـــوماً رائعاً بحق إلى اللحظة التي أوشكت فيها لي كابوت على الموت.

نعـــم، كانت ستموت حتماً لولا طالب التوصيل الذي أوقفهما على الطريق. كانا في طريق عودهما إلى المنـــزل في ذلك الحين، وكان الظـــلام قد حل منذ وقت طويل في ذلك المساء المثلج من أوائل كانون الأول. أمـــا كريـــستين فكانت تمشي بثبات كالعادة بالرغم من الثلج الناعم الذي فرش الطرقات بسماكة عشرة سنتيمترات تقريباً.

كـــان آرني قـــد حجز طاولة لهما في مطعم بريتيش ليون ستيك هـــاوس، المطعـــم المحترم الوحيد في ليبرتيفيل، لكن الوقت مرّ بسرعة فائقة، إذ كانت الساعة تشير إلى الثامنة إلا ربعاً عندما خرجا من المول. ولي وعـــدت أمها أنها ستعود عند الثامنة والنصف، بسبب قدوم بعض الـــضيوف إلى منـــــزلهم، فاتفقـــا على طلب وجبة سريعة من مطعم ماكدونالد على طريق جون كنيدي.

التقطت المصابيح الأمامية طالب التوصيل بينما كان واقفاً عند تقاطع الطـــريق 17 مع شارع جون كنيدي، على بعد خمسة أميال من ليبرتيفيل. كان شعره الأسود الطويل منقّطاً بالثلج، ويضع بين قدميه حقيبة قماشية.

عـــندما اقتربا منه رفع طالب التوصيل لافتة كُتب عليها بأحرف لامعـــة، ليبرتيفيل، بنسلفيانيا. وعندما اقتربا أكثر قلب اللافتة إلى الجهة الخلفية، حيث كُتب عليها: طالب جامعي غير مضطرب عقلياً.

انفجرت لي ضاحكة وقالت: "دعنا نقلّه معنا، آرني".

"عـــندما يقولون إنهم غير مضطربين عقلياً، عندها ينبغي لك أن تحذري. ولكن، لا بأس". في تلك الليلة، كان بوسع آرني أن يفعل أي شيء تطلبه منه لي.

اتجهت كريستين بسلاسة إلى جانب الطريق. لكن الراديو تشوّش حالمـــا توقفت، وكان آنذاك يبث لحناً من ألحان الهارد الروك. وعندما اختفى التشويش، كان بيج بوبير يغني Chantilly Lace.

بيـــنما كان طالب التوصيل يركض نحو السيارة، سألت لي آرني: "ماذا حلّ بموسيقى الروك؟".

"لا أعـــرف". لكنه كان يعرف، إذ حصل ذلك معه من قبل. في بعض الأحيان، كانت المحطة الوحيدة التي يلتقطها راديو كريستين هي WDIL، مهمـــا ضغطت على الأزرار أو عبثت بمحول الأف أم تحت لوحة القيادة. إما WDIL أو لا شيء.

فجـــأة أحس أن التوقف لاصطحاب طالب التوصيل كان خطأً. ولكـــن، كان الأوان قد فات في تلك اللحظة، فالشخص كان قد فتح الـــباب الخلفي، ورمى بحقيبته على الأرضية بين المقعدين، ثم انسل إلى الداخل وراءها، فدخلت معه هبة هواء بارد وزوبعة من الثلج.

قال طالب التوصيل: "آه، شكراً يا رجل. لقد رحلت أصابع يديّ وقدميّ إلى ميامي بيتش منذ عشرين دقيقة تقريباً. لا بد أنها ذهبت إلى مكان ما، على كل حال، فأنا لم أعد أشعر بها".

قال آرني باقتضاب: "اشكر سيدتي".

حنى الشاب رأسه بلباقة، وقال وهو يميل قبعة وهمية: "شكراً لك يا سيدتي".

قالت لي مع ابتسامة: "لا شكر على واجب. ميلاد مجيد".

"ولكمـــا أيضاً. بالرغم من أنك لن تعرفي بوجود مثل هذا الشيء إذا كـــنت واقفة هناك في الخارج تحاولين إيقاف أحدهم من أجل أن يقلـــك معه. كان الناس يمرون بـــي مثل الريح ثم يختفون، فووم". ثم نظـــر حـــوله بإعجـــاب وقال: "سيارة جميلة يا صديقي. سيارة جميلة فعلاً".

قال آرني: "شكراً".

"هل أصلحتها بنفسك؟".

"أجل".

كانـــت لي تنظر إلى آرني بشيء من الحيرة. فقد تغير مزاجه المرح السابق وأصبح بارداً بشكل مفاجئ. وفي الراديو انتهت في ذلك الأثناء أغنية بيج بوبير وبدأت أغنية **لا بامبا** لريتشي فالينـــز.

هـــز الـــشاب رأسه وضحك ثم قال: "أولاً بيج بوبير ثم ريتشي فالينـــز. لا بد أنها ليلة الموت في الراديو. WDIL العزيزة".

قالت لي: "ماذا تعني؟".

أطفـــأ آرني الراديو وقال: "ماتا في حادث تحطم طائرة مع بادي هولي".

قالت لي بصوت خافت: "آه".

لعل الشاب أحس أيضاً بتغير مزاج آرني، إذ إنه غرق في الصمت في مقعده الخلفي. وفي الخارج بدأ الثلج يتساقط بصورة أسرع وأقوى معلناً وصول أول عاصفة في ذلك الفصل.

عـــندما بـــدأت أضواء القوسين الذهبيين تتلألأ أمامهم بين الثلج المتساقط، قالت لي: "هل تريدني أن أدخل، آرني؟".

قـــال آرني بينما كان ينحرف نحو جانب الطريق: "سأدخل أنا. ماذا تريدين؟".

"فقـــط برغـــر وبطاطـــا مقلية". كانت تنوي طلب الكثير من الأشياء - بيج ماك، ومخفوق الفواكه وحتى البسكويت - لكنها فقدت شهيتها للأكل.

بدا وجه آرني شاحباً، كوجه مريض باليرقان، تحت وهج الأضواء الـــصفراء المنعكسة من قطع الآجر الصغيرة التي كانت تكسو الجانب السفلي من جدار المطعم. التفت إلى الوراء، وأسند ذراعه على المقعد، ثم قال للشاب في الخلف: "هل أجلب شيئاً لك؟".

"لا، شكراً. ينتظرني والداي على العشاء. لا يمكنني أن أخيب أمل أمي. إنها توبخني بشدة كلما أصل إلى البـــي -".

قطع صوت انغلاق الباب كلمته الأخيرة.

"هـــل هو مبتهج هكذا دائماً؟ أو يصبح صموتاً نوعاً ما في بعض الأحيان؟".

قالت لي: "إنه لطيف جداً". فجأة بدأت تحس بالقلق يتسلل إليها. لقـــد أوقف آرني عمل المحرك، وأخذ المفاتيح معه، وتركها وحدها مع هـــذا الـــشخص الغريب في المقعد الخلفي. نظرت إليه من خلال مرآة الـــرؤية الخلفـــية، فرأت أن شعره الطويل المتشابك بفعل الريح، وذقنه الشعثاء، وعينيه الداكنتين، جعلته يبدو متوحشاً في عينيها.

وفي محاولـــة مـــنها لطـــرد مخاوفهـــا، قالت له: "إلى أي جامعة تذهب؟".

"بيتـــسبورغ". التقت أعينهما في المرآة، فأشاحت لي بنظرها علـــى الفور. فكّرت في نفسها، *هل تركني آرني مع هذا الشخص الغـــريب كعقـــاب لي؟ لأنـــني أنا التي ارتأيت اصطحابه؟* كانت مذعورة.

"شـــعور سيئ". قال ذلك بشكل مفاجئ بحيث جعلها تشهق. كـــان باستطاعتها رؤية آرني يقف خامساً أو سادساً في الصف، ما يعـــني أنـــه لن يصل إلى الطاولة إلا بعد مدة. عندئذ تخيلت طالب التوصـــيل يطـــوق رقبتها بيديه محاولاً خنقها. بالطبع كان بوسعها الوصـــول إلى زمور السيارة، ولكن، هل سيصدر صوتاً؟ لماذا ظنت أنـــه لـــن يصدر أي صوت؟ لأن... لأن كريستين لم تكن تحبها. نعـــم، كانـــت تعـــتقد فعـــلاً أن كريستين تكرهها بشدة، بهذه البساطة والجنون.

قالـــت: "عفـــواً؟" ثم نظـــرت إلى المرآة مجدداً، وعندها أحست بارتـــياح كبير، لأن طالب التوصيل لم يكن ينظر إليها نهائياً، بل كان يتفحص السيارة من حوله. لمس غطاء المقعد براحة يده، ثم مرر أطراف أصابعه عليه.

"شعور سيئ"، هزّ رأسه، "السيارة، لا أعرف لماذا، ولكن ينتابني شعور سيئ".

"صحيح؟".

"أجل. علقت في مصعد ذات مرة عندما كنت طفلاً صغيراً. ومنذ ذلـــك الحـــين، أصبحت أخاف من الأماكن الضيقة. لم يسبق لي أن شعرت بهذا الشعور في سيارة، ولكن، يا الله، أشعر بذلك الآن. بل وفي أســـوأ حالاته. أعتقد أن باستطاعتك إشعال عود ثقاب على لساني من شدة جفاف فمي".

ضحك ضحكة قصيرة مرتبكة، ثم أردف قائلاً: "لو أنني لم أكن متأخراً جداً لخرجت من السيارة، وذهبت سيراً على الأقدام. لا أقصد الإساءة لك ولسيارة صديقك". عندما نظرت لي إلى المرآة مجدداً لم تجد أن عينـــيه متوحشتان على الإطلاق، بل قلقتان وحسب. كان واضحاً أنه لم يكن يمزح بخصوص خوفه من الأماكن الضيقة. تساءلت لي كيف أمكـــن لها أن تكون بذلك الغباء، غير أنها كانت تعرف كيف، ولماذا. كانت تعرف ذلك جيداً.

"إنك لا تشتمين رائحة ما، أليس كذلك؟".

"رائحة؟".

"رائحة بشعة".

"لا، على الإطلاق"، كان قلبها يخفق بقوة داخل صدرها، "لا بد أن ذلك جزء من نوبة رهاب الأماكن الضيقة".

"أعتقد ذلك".

لكـــنها كانـــت تشم تلك الرائحة. تحت الرائحة العطرة للجلد والفرش الجديد، كانت هناك رائحة خفيفة، تشبه رائحة البيض الفاسد.

"أتمانعين إن أنـــزلت النافذة قليلاً؟".

"كمـــا تشاء". وجدت لي صعوبة في الحفاظ على صوتها طبيعياً. فجـــأة تذكـــرت الـــصورة التي رأتها على غلاف صحيفة صباح اليوم الفائـــت، صـــورة موتشي ويلش - على الأرجح أنها أُخذت من ألبوم صور طلاب المدرسة الثانوية. كُتب تحت الصورة: *بيتر ويلش، ضحية حادثة صدم - وهرب مميتة تشعر الشرطة أنها ربما كانت جريمة قتل.*

أنـــــزل طالب التوصيل النافذة نحو عشرة سنتيمترات، فدخلت نـــسمة باردة بددت تلك الرائحة. في تلك الأثناء، كان آرني قد وصل إلى الطاولـــة ويقوم بتسليم طلبه. نظرت لي إليه، وأحست بمزيج مزعج مـــن الحب والخوف معاً، ووجدت نفسها للمرة الثانية أو الثالثة مؤخراً تتمنى لو أنها ركّزت على دينيس أولاً، دينيس الذي كان يبدو بعيداً عن المشاكل وحساساً و...

"فقط أخبريني عندما تشعرين بالبرد... أنا غريب بعض الشيء، أعرف ذلك"، قال طالب التوصيل معتذراً، ثم تنهَّد وأضاف، "أحياناً أفكّـــر في أنـــه لم يكن يجب عليّ أن أقلع عن المخدرات، أتعلمين هذا؟".

ابتسمت لي.

خرج آرني من المطعم حاملاً بيده كيساً أبيض. وقبل أن يصل إلى السيارة، كاد أن يتزحلق على الثلج، لكنه تماسك في آخر لحظة.

جلـــس وراء المقود، وأغلق الباب، ثم قال بصوت خشن: "الجو بارد مثل ثلاجة هنا".

قال طالب التوصيل وهو يرفع النافذة بسرعة: "آسف يا صديقي". انتظرت لي لترى إن كانت ستشم تلك الرائحة مجدداً، لكنها لم تستطع أن تشم سوى رائحة الجلد والفرش وعطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه آرني.

"خذي لي". أعطاها قطعة برغر وبطاطا مقلية وعلبة كوكاكولا. أما هو فقد جلب لنفسه بيج ماك.

قال طالب التوصيل: "أريد أن أشكرك مرة أخرى على التوصيلة، يا صديقي. يمكنك أن تنزلني عند الزاوية بين جون كنيدي وسينتر".

"حسناً". شغّل آرني السيارة وانطلق. في تلك الأثناء، بدأ الثلج ينهمر بقوة أكبر وأصبحت الريح تصفر. للمرة الأولى أحست لي أن كريستين انزلقت قليلاً بينما كانت تتوجه نحو منتصف الطريق، الذي أصبح مهجوراً تقريباً آنذاك.

مع اختفاء الرائحة وجدت لي أن شهيتها عادت مجدداً، فراحت تأكل بنهم. وعندما انتهت من نصف قطعة البرغر ظهرت زاوية كنيدي وسينتر على يسارهم، المعلَّمة بواسطة نصب تذكاري للحرب، فتوجه آرني بالسيارة نحو اليسار وهو يضغط ضغطات خفيفة متوالية على الكابح كي لا تنزلق كريستين.

قال آرني بلطف لطالب التوصيل: "عطلة نهاية أسبوع سعيدة". بدا آرني وكأنه عاد إلى طبيعته من جديد، فقالت لي في نفسها، *لعله كان بحاجة إلى بعض الطعام فقط.*

"ولكما أيضاً. ميلاد مجيد".

قالت لي: "ولك أيضاً". أكلت لقمة أخرى من البرغر، ومضغتها، وبلعتها، و... أحست أنها علقت في منتصف حلقها. وفجأة لم تعد قادرة على التنفس.

فتح طالب التوصيل الباب وهمَّ بالخروج. كان صوت الريح يشبه صفير مصنع.

لا أستطيع التنفس يا آرني، لا أستطيع، إنني أختنق! حاولت أن تقول شيئاً لآرني، ولكن لم يخرج من فمها سوى صوت ضعيف كانت متأكدة من أن عويل الريح غطى عليه. وضعت يديها على حلقها فوجدته منتفخاً ونابضاً. حاولت أن تصرخ، لكنها لم تستطع.

(آرني، لا أستطيع)

حاولت أن تسعل كي تخرج كتلتا اللحم والخبز المحشورتان في حلقها، ولكن من دون جدوى. وعلى لوحة القيادة كان هناك ضوءان خضراوان لامعان يراقباها.

(قطة، مثل عيني قطة، يا الله لا أستيطع أن أتنفس)

بدأ صدرها يكافح للحصول على بعض الهواء. حاولت السعال مجدداً، ومرة أخرى لم تفلح. بدا صوت الريح لها أعلى من أي صوت عرفته في حياتها، وأخيراً حوَّل آرني انتباهه من طالب التوصيل إليها. كان يلتفت بحركة بطيئة، وعيناه تتسعان بصورة شبه هزلية. وحتى صوته بدا لها عالياً جداً، مثل صوت زيوس وهو يتحدث إلى إنسان فقير من خلف مجموعة من الغيوم الرعدية:

"لي... هل أنت بـ... يا الله... إنها تختنق! يا الله إنها –".

مدّ يديه نحوها بحركة بطيئة، ثم سحبهما مجدداً. شلّ الذعر قدرته على الحركة.

(ساعدني ساعدني كرمى لله، افعل شيئاً أنا أموت. يا الله، إنني أختنق، آرني لماذا لا تساعدني؟)

لكنها بالطبع كانت تعرف لماذا. لأن كريستين لم تكن تريدها أن تحصل على المساعدة. كانت تلك هي طريقة كريستين في التخلص

منها، طريقة كريستين في التخلص من المرأة الأخرى، المنافسة. في تلك الأثناء أصبح الضوءان على لوحة القيادة مثل عينين حقيقيتين، كأنهما عينان مدورتان باردتان كبيرتان تراقبانها وهي تموت اختناقاً.

(ماما أنا أموت. وهي حية، إنها حية. أوه يا الله، كريستين حية)

بدأت لي تتخبط على المقعد وهي ممسكة بحلقها. كان صدرها يعلو وينخفض بصورة متشجنة، وعيناها تجحظان، وشفتاها تزرقّان. ضربها آرني على ظهرها وهو يصرخ. وعندما وجد أن ذلك لم ينجح أمسكها بكتفيها. كان واضحاً أنه كان يريد سحبها خارج السيارة، لكنه ارتد فجأة إلى الوراء، وقوَّم جلسته، وسحب يديه بشكل لاإرادي إلى جانبيه.

في تلك الأثناء بدأ صفير الريح يخفت، كل شيء حولها بدأ بالتلاشي، ولم تعد حاجتها ماسة إلى الهواء. لعلها كانت تحتضر، ولكن لم يعد يبدو ذلك سيئاً بالنسبة إليها. لم يعد أي شيء يبدو سيئاً بالنسبة إليها، باستثناء تينك العينين الخضراوين في لوحة القيادة، اللتين لم تعودا باردتين في ذلك الحين، بل تشعان بالكره ونشوة الانتصار.

خرج آرني من السيارة، وفجأة انفتح باب لي وسُحبت إلى الخارج بقوة. أنعشها الهواء البارد قليلاً وجعل كفاحها من أجل التنفس يبدو هاماً بالنسبة إليها من جديد، لكن تلك العقبة لم تتحرك... لم تتحرك على الإطلاق.

صرخ آرني بصوت مزمجر، صوت زيوس: *"ماذا تفعل؟ أبعد يديك عنها!"*.

ذراعان قويتان حولها. الريح تلفح وجهها. والثلج يزوبع في عينيها.

(أوه يا الله اسمعني أنا خاطئة إنني نادمة أنا آسفة بشدة لأنني أغضبتك... أوه! آووو! ماذا تفعل أضلاعي تؤلمني ماذا... ما الذي

تفعله؟) كانت الذراعان تعصرانها بقوة، وكانت اليدان متشابكتين فوق التجويف الذي يقع أسفل ثدييها. وفجأة برز أحد الإبهامين، إبهام طالب التوصيل، وراح يضغط بشكل مؤلم نحو الأعلى باتجاه عظم صدرها. وفي الوقت نفسه كانت قبضتا الذراعين تشدان بقوة وحشية.

(أوووووو إنك تكسر أضلاعي)

بدا حجاب الحاجز لديها وكأنه ارتفع بأكمله إلى الأعلى وطار شيء ما من فمها مثل قذيفة، كتلة رطبة من الخبز واللحم.

"اتركها!" صاح آرني بينما كان ينزلق ويتزحلق حول الجزء الخلفي من كريستين إلى حيث كان طالب التوصيل يمسك بجسد لي المترنح مثل دمية متحركة بحجم إنسان، "اتركها! إنك تقتلها!".

بدأت لي تشهق وتزفر بشكل سريع ومتقطع. بدا حلقها ورئتاها وكأنها كانت تحترق في أنهار من النار مع كل جرعة من الهواء البارد والرائع. وبالكاد كانت تدرك أنها كانت تبكي.

أفلتها طالب التوصيل أخيراً، وقال: "هل أنت بخير؟ هل أنت بـ".

كان آرني قد وصل إليه، وسدد لكمة قوية على فمه، فانزلقت قدما طالب التوصيل على الثلج، وسقط على ظهره. ثم تقدّم آرني إليه رافعاً قبضتيه في الهواء. كانت عيناه تقدحان شرراً من شدة الغضب.

أخذت لي شهيقاً مؤلماً آخر وصرخت: "ماذا تفعل يا آرني؟ توقف!".

التفت آرني إليها وقال بذهول: "هه؟ لي؟".

"لقد أنقذ حياتي. لماذا تضربه؟".

كان الجهد الذي بذلته كبيراً جداً بحيث إنها شعرت وكأنها ستفقد وعيها. كان بوسعها الاستناد إلى السيارة لكنها لم تكن تريد الاقتراب

مـــنها، أو لمـــسها. ولذلك مشت بشكل مترنح نحو عمود إنارة قريب مـــنها، وتشبثت به مثل شخص سكران، وهي تلهث مطأطأة الرأس. لقد حدث شيء ما للوحة القيادة، شيء لم تشأ التفكير فيه.

(تحول العدادان في لوحة القيادة إلى عينين)

وضـــع آرني ذراعـــه برقة حول خصرها وقال: "لي، حبيبتي، هل أنت بخير؟".

أدارت لي وجههـــا قليلاً نحوه، ورأت وجهه الشاحب والمذعور، فانفجرت في البكاء.

اقتـــرب طالب التوصيل منهما بحذر وهو يمسح فمه الدامي بكمِّ سترته.

قالت لي بين أنفاسها اللاهثة: "شكراً لك" - خفّ الألم قليلاً في تلـــك الأثـــناء، وأصـــبحت الـــريح القوية الباردة مريحة على وجهها الساخن - "أعتقد... أعتقد أنني كنت سأموت لو لم...".

أحست بالإعياء مجدداً، فأخفضت رأسها، وانتظرت حتى تستعيد قوتها.

قـــال طالـــب التوصيل: "إنها طريقة هايمليخ. إنهم يعلّمونك إياها عندما تذهب إلى العمل في الكافيتيريا. في المدرسة. إنهم يدربونك على دمية مطاطية. ديزي ميي، هكذا يسمونها. إنك تقوم بذلك، لكنك لا تعرف أبداً إذا كانت - كما تعلمان - ستنجح على إنسان حقيقي أم لا. لم أعتقد أبداً أنني سأضطر إلى استخدامها بشكل واقعي. إنها نافعة فعـــلاً. هل رأيتما كيف طارت قطعة اللحم اللعينة تلك؟". مسح فمه بيده، ونظر بشرود إلى الدم المتجمد على راحة يده.

قـــال آرني: "أنا آسف لأنني ضربتك... كنت... كنت..." كان على وشك البكاء.

"لا علـــيك يا رجل، أعرف ذلك". ثم وضع يده على كتف آرني وأضاف: "لا بأس، لا ضغينة. يا فتاة، هل أنت بخير؟".

"أجـــل". في تلك الأثناء، بدأ تنفسها وقلبها يعودان إلى وضعهما الطبيعيين. قادها آرني نحو السيارة فمشت واضعة ذراعها على كتفه.

قال طالب التوصيل بتردد: "حسناً... سأذهب الآن".

قالـــت لي: "انتظر. ما اسمك؟ لقد أنقذت حياتي، وأود أن أعرف اسمك".

"باري غوتفريد. بخدمتك". مرة أخرى أمال طالب التوصيل قبعته الوهمية.

قالت لي: "لي كابوت. وهذا آرني كانينغهام. شكراً مرة أخرى".

قـــال آرني: "بالفعل". لكن لي لم تشعر بامتنان حقيقي في صوته. عندما أدخلها آرني إلى السيارة، هاجمتها تلك الرائحة مجدداً. ولم تكن هـــذه المرة خفيفة ومستترة بل قوية ونافذة. أحست بخوف مجنون يغزو عقلها وقالت لنفسها: *إنها رائحة غضبها.*

فجـــأة دار الكـــون مـــن حولها، وانقلبت معدتها، فخرجت من السيارة على الفور وتقيأت.

وتحوَّل كل شيء إلى اللون الرمادي لبعض الوقت.

سألها آرني لما بدا لها أنها المرة المائة: "هل أنت متأكدة من أنك بخـــير؟" لكـــنها أحست ببعض الارتياح لأنها كانت تدرك أنها المرة الأخـــيرة. كانـــت تـــشعر بإعـــياء شديد وبألم نابض في صدرها وصدغيها.

"أنا بخير الآن".

"جيد. جيد".

كانا واقفين أمام منزل لي، وكانت كريستين مركونة بجانب الرصيف، لكن محركها كان قيد العمل والضوءان الدالان على التوقف كانا مشتعلين.

"لقد أرعبتني عندما أُغمي عليك بتلك الطريقة".

"لم يُغمَ علي... أحسست بالدوخة لبضع دقائق فقط".

"لقد أرعبتني على كل حال. فأنا أحبك، تعلمين ذلك".

نظرت إليه بجدية وقالت: "أتحبني فعلاً؟".

"بالتأكيد أحبك! لي، تعرفين أنني أحبك!".

أخذت نفساً عميقاً. صحيح أنها كانت مرهقة، لكنها وجدت أن عليها أن تفصح عما كان يجول بخاطرها، وفي تلك اللحظة بالذات. لأنها إن لم تفعل، فقد يبدو ما حدث سخيفاً كلياً - بل وجنونياً - في صباح اليوم التالي. رائحة تظهر وتختفي؟ عدّادا لوحة القيادة يتحولان إلى عينين؟ والأدهى من ذلك هو الشعور المجنون أن السيارة حاولت قتلها فعلياً؟

غير أن كل ذلك كان صحيحاً، وآرني كان يعلم - نعم، جزء منه كان يعلم ذلك جيداً - ولهذا السبب كان لا بد من قول كل هذا من دون تأجيل.

نظرت إلى عينيه وقالت بهدوء: "أجل، أعرف أنك تحبني. لكنني لن أذهب معك مرة أخرى إلى أي مكان في هذه السيارة. وإذا كنت تحبني فعلاً، فستتخلص منها".

كان تعبير الصدمة على وجهه كبيراً ومفاجئاً كما لو أنها ضربته على وجهه.

"ما... ما الذي تتحدثين عنه يا لي؟".

"لقد سمعت ما قلته. لا أعتقد أنك ستتخلص منها - لا أعرف إذا كنت حتى قادراً على ذلك بعد الآن - ولكن، إذا كنت تريد أن تذهب

معـــي إلى مكـــان مـــا، فـــسنذهب بالباص، أو نطلب توصيلة من إحدى السيارات، أو نطير. لكنني لن أركب في سيارتك مرة أخرى. إنها فخ قاتل".

في تلك الأثناء، بدأ تعبير الصدمة يتحول إلى غضب؛ ذلك النوع من الغضب الأعمى والعنيد الذي رأته يرتسم على وجهه مراراً مؤخراً. وليس فقط بسبب الأمور الهامة، بل والتافهة أيضاً، امرأة تنطلق عندما تكون الإشارة صفراء، شرطي يوقف السير في اللحظة التي يحين دورهم في المسير.

قـــال آرني: "*إذا كـــنت تحبني، فستتخلص منها*. هل تعرفين من تشبهين الآن؟".

"لا يا آرني".

"أمي".

"آســـفة". لم تشأ أن ترد عليه، لا بالكلمات، ولا بإنهاء الحديث بدخول المنـــزل. لربما كانت فعلت لو لم تكن تشعر نحوه بأي شيء، لكنها كانت لا تزال تحبه. وانطباعها الأصلي عنه - وهو أن آرني كان شخـــصاً طيـــباً ومحترماً ولطيفاً (وربما جذاباً أيضاً) - لم يتغير كثيراً. المشكلة كلها هي السيارة، السيارة فقط. ذلك هو التغيير.

مـــرر آرني يده في شعره المنقّط بالثلج، ثم قال: "كنت ستختنقين في الـــسيارة، حسناً، أنا أتفهَّم أنك تشعرين بالسوء حيال ذلك. لكن الـــسبب هو البرغر، لي، هذا كل ما في الأمر. أو ربما ليس ذلك أيضاً. لـــربما حاولـــت التحدث بينما كنت تمضغين، أو استنشقت الهواء في اللحظـــة غير المناسبة، أو شيء ما. يمكنك أيضاً أن تلقي بالملامة على رونالـــد ماكدونالـــد. الناس يختنقون وهم يأكلون بين الحين والآخر، ببساطة. وفي بعض الأحيان، إنهم يموتون. أنت لم تموتي. الحمد لله على ذلك. ولكن، أن تلقي اللوم على سيارتي!".

"آرني، أنـــا تعـــبة وصـــدري يؤلمني وأحس بصداع وأعتقد أنني امتلكت الشجاعة لقول ذلك لمرة واحدة. فهل ستسمعني؟".

"إذا كان حول كريستين، وفّري أنفاسك. من الجنون أن تلوميها وأنت تعرفين ذلك".

"أجل، أعرف أن ذلك جنون، وأعرف أنني أضيِّع أنفاسي، لكنني أطلب منك أن تسمعني".

"سأستمع".

أخـــذت نفـــساً عميقاً، متجاهلة الألم في صدرها، ونظرت إلى كريستين، التي كانت تصدر بخاراً أبيض بين الثلج المتساقط بكثافة، ثم أبعدت عينيها بسرعة. هذه المرة، تحول ضوءا التوقف إلى عينين - عينا وشق صفراوان.

"عـــندما اختـــنقت... عـــندما كنت أختنق... لوحة القيادة... الأضـــواء فيها تغيرت. لقد تغيرت. كانت... لا، لن أذهب إلى ذلك الحد، لكنها بدت مثل عينين".

ضـــحك آرني ضـــحكة ساخرة قصيرة. في تلك الأثناء، فُتحت إحـــدى الستائر في المنـــزل، ونظر شخص ما إلى الخارج، ثم أُسدلت الستارة مجدداً.

"لو أن طالب التوصيل ذاك... الشاب غوتفريد... لو لم يكن موجوداً، لكنت ميتة الآن يا آرني. كنت ميتة. أخبرتني أنك عملت في الكافيتيريا في مدرسة ليبرتيفيل في سنواتك الثلاث الأولى. رأيت صـــورة طـــريقة هايمليخ معلقة على الباب المؤدي إلى المطبخ. لا بد أنـــك رأيـــتها أيـــضاً. لكنك لم تحاول تطبيقها عليّ، آرني. كنت ستضربني على الظهر، وهذه الطريقة لا تنفع. لقد عملت في مطعم ذات مـــرة في ماساتشوسيتس، وأول شيء يعلّمونك إياه، حتى قبل

أن يعلّموك طريقة هايمليخ، هو أن ضرب شخص *مختنق على الظهر لا ينفع*".

"ماذا تقولين؟".

لم ترد عليه، لكنها لم تبعد عينيها عنه. نظر إلى عينيها للحظة، ثم أبعدهما بغضب وارتباك واضحين.

ثم قال: "لي، الناس ينسون الأشياء. أنت محقة، كان ينبغي لي أن أستخدمها. ولكن، عندما تأخذين ذلك المنهاج، إنك تعرفين كيف تستخدمينه على نفسك". شبك يديه معاً وضغط بإبهامه على الحجاب الحاجز. "يحدث ذلك فقط في حرارة اللحظة، الناس ينسون -".

"أجل، إنهم ينسون. ويبدو لي أنك تنسى الكثير من الأشياء في تلك السيارة. كأن تكون آرني كانينغهام، مثلاً".

هز آرني رأسه وقال: "أنت بحاجة إلى بعض الوقت لتفكّري في الأمر، لي. أنت بحاجة -".

"هذا بالضبط ما لست بحاجة إليه. لم يسبق لي أن خضت تجربة خارجة عن الطبيعة في حياتي، بل إنني لم أعتقد يوماً بمثل هذه الأمور، لكنني الآن أتساءل ما الذي يجري وما الذي يحدث لك. لقد بديا مثل عينين، آرني. وفي ما بعد... لاحقاً... كانت هناك *رائحة*. رائحة عفنة كريهة".

انتفض آرني فجأة.

"أنت تعلم عما أتحدث".

"لا. ليس لدي أدنى فكرة".

"لقد انتفضت للتو وكأنك قرصت من أذنك".

"إنك تتخيلين بعض الأشياء... الكثير من الأشياء".

"الـــرائحة كانت موجودة. وهناك أشياء أخرى أيضاً. في بعض الأحيان لا يبث مذياعك سوى محطة الأغاني القديمة تلك -".

رمشت عيناه وارتجفت زاوية فمه اليسرى قليلاً.

"في بعـــض الأحيان، عندما نكون نداعب بعضنا في السيارة، إنها تتوقف عن الدوران، وكأن ذلك لم يكن يعجبها. *كأن السيارة لم تكن تحب ذلك يا آرني*".

قال آرني ببرود مثير للقلق: "إنك منـــزعجة".

"نعم، أنا منـــزعجة. وأنت؟" بدأت الدموع تنهمر على خديها. *أعـــتقد أن هذه هي النهاية بالنسبة إلينا، آرني. أحبك، لكنني أعتقد أن كل شيء انتهى، وهذا يجعلني حزينة جداً وآسفة.* "تحولت علاقتك مع والديك إلى... معسكر مسلح. وأنت تنقل، الله يعلم ماذا، إلى نيويورك وفيرمـــونت لـــصالح ذلـــك الحيوان المقزز البدين ويل دارنل. وتلك السيارة... تلك السيارة...".

لم تـــستطع قول المزيد. سقطت الأكياس من يدها، فانحنت كي تلـــتقطها وهي تبكي، لكنها من شدة إرهاقها لم تنجح إلا في تحريكها قلـــيلاً. فـــانحنى آرني ليـــساعدها، فدفعته بخشونة، قائلة: "اتركها! أنا سأرفعها!".

قـــال آرني بصوت مختلج وعينين دامعتين: "حسناً. جيد. انضمي إلى البقـــية إن شـــئت. لقـــد أصـــبحت الآن واحدة من كل أولئك المـــتغوطين. ومن يكترث؟" أخذ نفساً مرتعشاً فانفلت نحيش قصير من فمه قبل أن يطبق يده عليه.

قال وهو يمشي بشكل عكسي: "لقد أصبحت مجنونة! طار عقلك من رأسك! فلتستمري في ممارسة ألاعيبك! لست بحاجة إليك! لست بحاجة إلى أي واحد منكم!".

ثم علا صوته حتى أصبح صراخاً حاداً، في تناغم مع صوت الريح: *"لست بحاجة إليك، فلتغربـــي عن وجهي!"*.

هرع نحو جهة السائق. انــزلقت قدماه قليلاً، فتشبث بكريستين ولم يسقط. دخل السيارة، وشغل المحرك. اشتعلت المصابيح الأمامية ثم انطلقت الفيوري فزوبع الثلج من خلف إطاريها الخلفيين.

بـــدأت دمــوعها تنهمر بغزارة أكبر بينما كانت تراقب تذبذب الــضوءين الخلفيين للسيارة إلى أن اختفيا مع انعطافها حول المنعطف. كانت الأكياس لا تزال مبعثرة بين قدميها.

في تلــك اللحظـــة، خــرجت أمها من المنــزل مرتدية بشكل عشوائي معطفاً مطرياً مفتوحاً وثوباً ليلياً مصنوعاً من الفلانيل الأزرق، ومنتعلة حذاء مطاطياً أخضر.

"حبيبتي، ماذا حدث؟".

قالـــت لي وهي تبكي: "لا شيء. لم يحدث شيء. تشاجرت مـــع آرني، هـــذا كـــل شيء. ساعديني على حمل هذه الأشياء من فضلك".

حمـــلا الأكـــياس، ودخـــلا المنــزل. وفي الخارج، كانت الريح تعصف والثلج ينهمر بغزارة. وبحلول الصباح، ستصبح سماكته أكثر من عشرين سنتيمتراً.

ظـــل آرني يتجول بالسيارة إلى ما بعد منتصف الليل، لكنه نسي ذلـــك لاحقاً. كانت الشوارع المهجورة مكسوة بالثلج. ومع أن تلك اللـــيلة لم تكـــن مناسبة للسيارات الأميركية العظيمة، إلا أن كريستين كانـــت تسير في تلك العاصفة بسهولة وثبات، حتى من دون إطارات خاصة بالثلج.

كانت محطة WDIL تبث الموسيقى. وفجأة جاءت النشرة الإخبارية. توقع أيزنهاور، في مؤتمر اتحاد العمال الأميركي واتحاد الشركات الصناعية، أن العمال والإدارة سيسيران معاً بتناغم نحو المستقبل. أنكر ديف بيك أن نقابة سائقي الشاحنات تشكل جبهة للكسب غير القانوني. تُوفي مغني الروك إدي كوشران في حادث سيارة بينما كان في طريقه إلى مطار هيثرو في لندن - ثلاث ساعات من الجراحة الاضطرارية فشلت في إنقاذ حياته. الروس ينقلون صواريخهم البالستية العابرة للقارات. كانت WDIL تبث الموسيقى طوال أيام الأسبوع، لكنها في عطلة نهاية الأسبوع كانت تصبح متزنة فعلاً. نشرات إخبارية من الخمسينيات.

(هذا شيء جنوني)

عادت الموسيقى من جديد: بوبي دارين يغني Splish-Splash، إيرني كودي يغني Mother-in-Law، التوأم كالين يغنيان When. والمسّاحتان تسابقان الزمن.

نظر إلى يمينه فرأى رونالد دي ليبي جالساً بجانبه.

كان رونالد دي ليبي يرتدي سرواله الأخضر وقميصاً عسكرياً باهت اللون، وينظر من خلال محجري عينيه المظلمين. كانت هناك خنفساء تقبع داخل أحدهما.

قال رونالد دي ليبي: يجب *عليك أن تجعلهم يدفعون الثمن. عليك أن تجعل المتغوطين يدفعون الثمن، كانينغهام. حتى آخر واحد لعين منهم.*

قال آرني بصوت هامس: "أجل. هذا صحيح". تأرجحت المساحتان ذهاباً وإياباً.

35

والآن هذا الفاصل القصير

في مدرســة ليبرتيفيل، ترك المدرب بافر مكانه للمدرب جونــز، وأفــسحت كرة القدم المجال لكرة السلة. لكن لاعبــي كرة السلة في المدرســة لم يكونوا أفضل حالاً من محاربــي كرة القدم؛ تمثلت النقطة المــضيئة الوحيدة في ليني بارونج، وهو رياضي يمارس ثلاث رياضات مخــتلفة، لكنه يبرع أكثر في كرة السلة. كان بارونج بحاجة إلى تقديم أداء مميــز في ذلك الموسم إذا كان يريد الحصول على المنحة الرياضية لدخول جامعة ماركيت التي كان يرغب بشدة في التسجيل فيها.

ســاندي جالتون اختفى من البلدة بشكل مفاجئ. ولم يبدُ على أمه - وهي مدمنة على الشراب في الخامسة والأربعين من عمرها، مع أنها كانت تبدو وكأنها في الستين - أي اكتراث لغيابه. وكذلك الحال بالنــسبة إلى أخيه الأصغر، الذي كان يتعاطى المخدرات أكثر من أي فــتى آخر في ثانوية جورنيك جونيور. سرت إشاعة - رومانسية - في مدرســة ليبرتيفيل تقول إنه عبر الحدود إلى المكسيك. وانتشرت إشاعة أخــرى أيــضاً - لكنها أقل رومانسية - تفيد أن بادي ريبرتون كان يلاحق ساندي من أجل شيء ما، ولهذا السبب وجد أن من الأفضل له أن يختفي عن البلدة.

مــع اقتراب عطلة الميلاد، كانت المدرسة تزداد فوضوية - كما يحــصل دائمــاً قــبل العطل الطويلة - وكان معدل علامات الطلاب يسجِّل انحداره المعتاد قبل الميلاد. كانت التقارير حول الكتب تُسلَّم في وقت متأخر، وكانت مشاريع الصف تُترَك نصف منتهية أو غير منتهية.

أمـــا بالنـــسبة إلى نسبة فترات الاحتجاز بسبب التقبيل والمداعبات في الممـــرات فقد ارتفعت بشكل كبير جداً، وارتفعت كذلك الاعتقالات بسبب تناول الماريجوانا مع انغماس طلاب مدرسة ليبرتيفيل الثانوية في بهجة الميلاد.

فـــشلت لي في أحد الامتحانات للمرة الأولى في مرحلتها الثانوية وحـــصلت علـــى علامة D في تمرين على الطباعة. حاولت أن تدرس لكنها كانت تجد نفسها دائماً ترجع بذاكرتها إلى الوراء، مرة بعد مرة، إلى كريستين - إلى العدادين الخضراوين على لوحة القيادة اللذين تحولا إلى عـــيني قطـــة، كارهتين شامتتين، تراقبانها وهي تختنق حتى كادت تموت.

لكن، في أغلب الأحيان، يتحول الأسبوع الأخير من المدرسة قبل المـــيلاد إلى فتـــرة طيـــبة تسود فيها مشاعر المحبة والتسامح. ففي هذا الأسبوع، يُغَضّ الطرف عادةً عن الإساءات التي تنال عقوبة الاحتجاز في فترات أخرى من السنة، ويميل بعض الأساتذة القساة إلى التساهل في تصحيح امتحان أخفق الجميع في أدائه، وتتصالح الفتيات المتخصامات، وتهـــدأ طباع الشبان الذين يثيرون شجاراً في العادة على أتفه الأسباب. ولعل المثال الأوضح على طغيان هذه الروح في مدرسة ليبرتيفيل الثانوية هـــو حقـــيقة أن بعض الطلاب شاهدوا الآنسة رات - باك، المشرفة المـــرعبة على قاعة الدراسة رقم 23، تبتسم... وليس لمرة واحدة، بل عدة مرات.

في المستـــشفى، استبدل دينيس جيلدر جبيرتيه المعلقتين بجبيرتين مخصـــصتين للمـــشي. ولم يعـــد العلاج الفيزيائي معذِّباً كما كان في السابق. كان يمشي في الممرات المليئة بالأشرطة الملونة وصور الميلاد - المناسِـــبة لـــلأولاد في الصف الأول والثاني والثالث الابتدائي - مع ألم

نابض بين فخذيه، متناغم أحياناً مع أنغام أغنيات الميلاد المرحة الصادرة من مكبرات صوت معلقة في السقف.

كانت تلك فترة فاصلة، فترة هدوء واسترخاء. خلال جولاته التي بدت وكأنها لا تنتهي - ذهاباً وإياباً - عبر ممرات المستشفى، كان دينيس يقول لنفسه إن الأمور كان يمكن أن تكون أكثر سوءاً - أكثر سوءاً بكثير.

لكنها سرعان ما أصبحت كذلك بالفعل.

36

بادي وكريستين

في يوم الثلاثاء 12 كانون الأول، خسر فريق ليبرتيفيل لكرة السلة أمام فريق بوكانييرز 54-48 في ملعب مدرسة ليبرتيفيل. ومع ذلك، فقد خرج معظم المشجعين غير خائبي الأمل كثيراً، ذلك أن جميع الصحفيين الرياضيين في منطقة بيتسبورغ كانوا قد توقعوا بخسارة أخرى لفريق تيريرز. إضافة إلى ذلك، فقد كان لديهم ما يفخروا به، وهو ليني بارونج، الذي سجّل لوحده 34 نقطة، وهو رقم قياسي جديد للمدرسة.

غير أن بادي ريبرتون كان يشعر بخيبة الأمل.

ولأنه كان مستاء، فقد كان ريتشي تريلوني متألماً جداً لاستيائه. وكذلك بوبي ستانتون الجالس في المقعد الخلفي.

خلال الأشهر القليلة التي تلت طرده من المدرسة، بدا على ريبرتون وكأنه كبُر في السن - للحيته دور في ذلك - فبات أقل شبهاً بكلينت إيستوود وأكثر شبهاً بممثل سكّير لدور الكابتن أهاب. كان

يشرب كثيراً خلال الأسابيع القليلة السابقة، وتراوده أحلام فظيعة إلى درجة أنه كان بالكاد يتذكرها. كان يستيقظ من نومه مرتجفاً والعرق يتصبب منه، شاعراً وكأنه نجا للتو من موت مرعب.

أنـــزل بادي نافذة سيارته الكامارو المهترئة والمطعوجة، فدخل هـــواء شـــديد البرودة إلى السيارة، ثم رمى زجاجة فارغة إلى الطريق. وبعد ذلك مدّ يده من فوق كتفه وقال: "كوكتيل مولوتوف آخر".

قال بوبـــي ستانتون باحترام: "في الحال، بادي". ثم وضع زجاجة تكـــساس درايفـــر في يد بادي. لقد زوَّدهم بكميات كبيرة من هذا الشراب، بحيث إنها كانت كافية لشل البحرية المصرية بأكملها، بحسب تعبيره - بعد المباراة.

نـــزع الغطـــاء - مـــوجهاً السيارة في تلك اللحظات بواسطة مـــرفقيه - ثم شرب نصف الزجاجة دفعة واحدة. وبعد ذلك أعطاها لريتشي ثم أطلق تجشؤاً طويلاً. كانت مصابيح الكامارو الأمامية تقطع الطـــريق 46 في اتجـــاه شمال شرق ليبرتيفيل في خط مستقيم عبر ريف بنـــسلفانيا. وكانت الحقول المغطاة بالثلج على جانبـــي الطريق متلألئة بعـــدد هائل من النقاط المضيئة في محاكاة للنجوم في سماء الشتاء حالكة الـــسواد. كـــان بادي متوجهاً - بطريقة نصف ثملة - نحو سكوانتيك هيلز، وهي مكان جميل ومنعزل لبلوغ النشوة بسلام وسكينة.

أعاد ريتشي الزجاجة إلى بوبـــي، الذي شرب بكثرة بالرغم من أنـــه لم يكن يستسيغ مذاق تكساس درايفر. كان يعتقد أنه لن يكترث للمـــذاق على الإطلاق إذا ما ثمل قليلاً. صحيح أنه قد يعاني في اليوم الـــتالي من عوارض ما بعد السكر المزعجة، إلا أن اليوم التالي كان في تلـــك اللحظـــة بعيداً نحو ألف سنة بالنسبة إليه. كان بوبـــي لا يزال يشعر بالإثارة لمجرد كونه برفقتهم، لأنه المبتدئ الوحيد بينهم - كان لا

يزال في السنة الأولى من المرحلة الثانوية. أما بادي المشهور بسوء طباعه وانحرافه، فقد كان البقية ينظرون إليه بمزيج من الخوف والرهبة.

قـــال بادي بكآبة: "مهرجون لعينون. يا لهم من مجموعة لعينة من المهرجين. هل تسمّون تلك مباراة كرة سلة؟".

قال ريتشي مؤيداً: "جميعهم مجموعة من المتخلفين عقلياً، باستثناء بارونج. أربع وثلاثون نقطة، ليست سيئة على الإطلاق".

قال بادي وهو يرمق ريتشي بنظرة ثملة طويلة ومتفحصة: "أكره ذلك الإفريقي اللعين. هل تكترث لأرنب الغابة ذاك؟".

أجابه ريتشي على الفور: "مستحيل، بادي".

"هذا أفضل لك، لأنني سأنال منه".

فجأة قال بوبـــي من المقعد الخلفي: "أيهما تريدان أولاً. الأخبار الجيدة، أم السيئة؟".

قـــال بادي: "الخبر السيئ أولاً". مع الزجاجة الثالثة، لم يعد بـــادي يشعر بالألم بل بمجرد غضب وحزن. وكان قد نسي مسألة طرده من المدرسة – على الأقل في ذلك الحين – بسبب تركيزه على فـــريق كرة السلة، مجموعة المختلين عقلياً الذين تسببوا بخيبة أمله. "الخبر السيئ دائماً". كانت الكامارو تسير بسرعة خمسة وستين ميلاً في الـــساعة على طريق ذي مسارين بدأ يرتفع قليلاً مع اقترابهم من سكوانتيك هيلز.

"حسناً. الخبر السيئ هو أن مليون مرِّيخي حطّوا للتو في نيويورك. والآن، أتريدان الخبر السعيد؟".

قـــال بادي بصوت حزين خافت: "ليس هناك خبر سعيد". كان ريتـــشي يود أن يقول لبوبـــي ألا يحاول إهاج بادي عندما يكون في مثل تلك الحالة، لأن ذلك لن يزيده إلا ضيقاً.

كان بادي في حالته تلك منذ حادثة دهس موتشي ويلش - ذلك المتسول الأحمق الصغير ذو الأربع أعين - من قبل معتوه ما على طريق جون كنيدي.

"الخـــبر الجـــيد هو أنهم يأكلون الزنوج ويتبولون بنـــزيناً". قال بوبـــــي ذلك ثم ضحك ملأ شدقيه. وبعد عدة لحظات من الضحك أدرك بوبـــــي أنه كان يضحك لوحده، فصمت على الفور. نظر إلى مـــرآة الـــرؤية الخلفية فرأى عيني بادي الحانقتين ترمقانه بنظرة حمراء ملتهبة فشعر برعشة من الخوف تسري في جسده.

في الخلف، على بعد نحو ثلاثة أميال منهم، كانت هناك مصابيح أمامية لسيارة ما تصدر وميضاً خافتاً في ظلمة الليل.

قال بادي: "هل تعتقد أن ذلك مضحك؟ تخبرنا نكتة عرقية لعينة وتعتقد أنها مضحكة؟ إنك متعصب قذر، هل تعلم ذلك؟".

"لكنك قلت -".

"قلـــت إنني لا أحب بارونج. بشكل عام، أظن أن الزنوج أناس صالحون مثل البيض... أو تقريباً مثل البيض".

"ولكن -".

زمجر بادي: "اصمت وإلا فستذهب إلى بيتك مشياً على الأقدام، مـــع فتق في جسدك. وبعد ذلك بإمكانك أن تكتب *أنا أكره الزنوج* على حزامك اللعين".

قال بوبـــي بصوت خافت ومرتعب: "أنا آسف".

"أعطني تلك الزجاجة وأقفل فمك".

أعطاه الزجاجة بسرعة بيد مرتعشة.

أفـــرغ بادي بقية الزجاجة في جوفه. في تلك الأثناء، عبروا لافتة كُتب عليها **حديقة سكوانتيك هيلز 3 أميال**. في موسم الصيف تكون

البحيرة الواقعة في منتصف الحديقة ملأى بالناس لكن الحديقة تُقفَل بدءاً من شهر تشرين الثاني إلى نيسان. ومع ذلك يُحافَظ على الطريق الذي يقطـع الحديقة وصولاً إلى البحيرة خالياً من الثلوج من أجل المناورات الدوريـة التي يقوم بها الحرس الوطني ورحلات التخييم الشتوية لفرق الكـشافة. وكان بادي قد اكتشف مدخلاً جانبياً يلتف حول البوابة الرئيسة ثم ينضم إلى الطريق المؤدي إلى الحديقة.

"أعطـني زجاجة مولوتوف جديدة أيها الحيوان المقزز العنصري اللعين".

أعطاه بوبـي زجاجة جديدة من دون أن ينبس ببنت شفة.

شرب بادي جرعة كبيرة، وتجشأ، ثم سلَّم الزجاجة إلى ريتشي.

"لا شكراً يا رجل".

"اشـربْ وإلا سـتجد نفـسك تحـصل على حقنة شرجية بواسطتها".

"حسناً، حسناً". شرب ريتشي متمنياً لو أنه بقي في المنـزل تلك الليلة.

نظـر بادي في مرآة الرؤية الخلفية، ورأى السيارة الأخرى قادمة بسرعة. نظر إلى عداد السرعة فرأى أنه كان يسير بسرعة خمسة وستين مـيلاً في الساعة. لا بد أن السيارة وراءهم كانت تسير بسرعة تقارب السبعين ميلاً في الساعة. فجأة تذكَّر بادي أحلامه المزعجة التي لم يكن يستطيع تذكّرها تماماً، وأحس بوخزة خفيفة في صدره.

وصلوا إلى نقطة ينقسم فيها الطريق إلى فرعين، الطريق 46 يستمر شـرقاً باتجـاه نـيو ستانتون، والطريق الآخر يتجه شمالاً نحو حديقة سكوانتيك هيلز. كانت هناك لافتة برتقالية كبيرة كتب عليها **مقفلة في أشهر الشتاء.**

مـــن دون أن يخفف من سرعته كثيراً، انحرف بادي يساراً وبدأ يصعد الهضبة مثل السهم. لم يكن الطريق الجانبـــي المؤدي إلى الحديقة مـــنظفاً من الثلوج بشكل جيد، والأشجار وارفة الظلال منعت شمس بعـــد الظهر من إذابة الثلج، ولهذا السبب انـــزلقت الكامارو قليلاً قبل أن تتشبث بالطريق مجدداً. شهق بوبـــي ستانتون في الخلف لكن صوته لم يكن مسموعاً.

نظـــر بادي في المرآة متوقعاً رؤية السيارة الأخرى تسلك الطريق 46 – بما أن هذا الطريق لم يكن معروفاً من قبل معظم السائقين – فإذا بـــه يـــراها تنعطف يساراً وبسرعة أكبر من السرعة التي انعطف بها – أصـــبحت في تلـــك الأثـــناء على بعد أقل من ربع ميل عنهم. كانت مـــصابيحها الأمامـــية تصدر أربع دوائر بيضاء متوهجة تكشف داخل الكامارو.

التفت بوبـــي وريتشي إلى الخلف.

قال ريتشي: "من هذا السافل؟".

لكـــن بـــادي أحـــس فجأة أنه يعرف من هو. إنها السيارة التي دهـــست موتشي ويلش. نعم، إنها هي. والمعتوه الذي فرم لحم موتشي يجلس وراء مقود تلك السيارة، وهو الآن يسعى وراء بادي.

ضغط على دواسة البنـــزين، فبدأت الكامارو تطير. وصلت إبرة عـــداد السرعة إلى السبعين، ثم بدأت تميل بشكل تدريجي نحو الثمانين. ومـــع ذلـــك، لم تبتعد الأضواء خلفهم، بل كانت تقترب منهم أكثر فأكثـــر. في تلـــك اللحظة، اندمجت المصابيح المزدوجة لتشكل عينين بيضاوين كبيرتين.

قال ريتشي: "يا رجل، هلا تخفف من سرعتك؟"، مدّ يده ليضع حزام الأمام، "لو بقينا على هذه السرعة –".

لم يجـــبه بادي. كان متقوساً وراء المقود، موزعاً نظراته تارة على الطريق أمامه وتارة أخرى على المرآة حيث كانت تلك المصابيح تكبر وتكبر.

قال بوبـــي بصوت متحشرج: "الطريق ينعطف في الأمام". وما إن اقترب المنعطف منهم، وومضت العاكسات المعلقة على سور حماية الطريق على أثر وقوع مصابيح الكامارو الأمامية عليها، صرخ بوبـــي مذعوراً: *"بادي! إنه ينعطف! إنه ينعطف!"*.

علـــى الفـــور تحـــوَّل بادي إلى السرعة الثانية، فأصدر المحرك عنين احـــتجاج مدوياً. وصلت إبرة عداد النسبة المئوية للدورات إلى الرقم 6000، وتـــراقص لفترة وجيزة عند الرقم 7000 الملوّن بالأحمر، ثم انخفض مجدداً إلى مدىً أكثر طبيعيةً. أصدر العادم سلسلة من الفرقعات المدوية مثل رشـــاش أوتوماتيكـــي. أدار بادي المقود، فانجرفت السيارة حول المنعطف الحاد، وانـــزلقت العجلتان الخلفيتان فوق الثلج المرصوص. وفي آخر لحظة ممكـــنة رفع ذراع تغيير السرعات إلى السرعة السابقة مجدداً، وضغط على دواســـة البنـــــزين، ثم ترك جسده يتأرجح بحرية بينما كان الجزء الخلفي الأيـــسر من الكامارو يصطدم بالضفة الثلجية الجانبية للطريق ثم يرتد عنها مجـــدداً. انـــزلقت السيارة في الاتجاه الآخر، فذهب معها، ثم ضغط على دواســـة البنـــزين مجدداً. وللحظة اعتقد أنها لن تستجيب، وأن الانـــزلاق سيتواصل، وأنهم سيذهبون بشكل عرضي بسرعة خمسة وسبعين ميلاً إلى أن يصطدموا ببقعة خالية من الثلج وينقلبون.

لكن الكامارو عدَّلت وضعيتها من جديد.

صرخ ريتشي: "بحق الله تمهل يا بادي!".

لم يجبه بادي، بل ظل متشبثاً بالمقود وهو يحدق إلى الطريق أمامه بعينين محمرتين جاحظتين وعلى وجهه ابتسامة عريضة. كانت زجاجة

تكساس درايفر محشورة بين ساقيه. *هيا! هيا أيها القاتل المجنون السافل. لنرَ كيف ستفعل ذلك من دون أن تنقلب!*

بعـــد لحظة واحدة ظهرت المصابيح الأمامية مرة أخرى، وكانت أقـــرب مـــن ذي قبل. فتضاءلت ابتسامة بادي العريضة تدريجياً حتى تلاشت. وللمرة الأولى أحس بالخوف - خوف حقيقي - يتسلل إليه.

كـــان بوبـــي ينظر إلى الوراء عندما كانت السيارة الأخرى تنعطف حـــول المـــنعطف، فالتفت إلى الأمام وعلائم الدهشة والخوف بادية على وجهه، ثم قال: "إنها لم تنـــزلق. لكن ذلك مستحيل! ذلك -".

قـــال ريتشي: "من هذا؟" ثم مد يده ليلمس مرفق بادي، فدفعها بادي بقوة شديدة جعلها تصطدم بزجاج نافذته.

قال بادي بصوت هامس: "إياك أن تلمسني. ليس وأنا أسير بهذه السرعة". أصبح الطريق مستقيماً أمامهم، لكنه لم يعد قطراناً أسود بل ثلجـــاً أبـــيض، مرصوصـــاً وخطراً. وكانت الكامارو تسير فوق هذا الـــسطح الـــزلق بـــسرعة تزيد عن تسعين ميلاً في الساعة. والشيئان الوحيدان المرئيان فيها كانا سقفها وكرة البينج بونج البرتقالية الموضوعة على رأس هوائي مذياعها.

"هل هي -؟" تكسَّر صوت ريتشي و لم يستطع إكمال جملته.

عـــندما نظـــر إليه بادي، ورأى ريتشي علائم الخوف في عينيه الحمراوين الصغيرتين، تصاعد رعب ريتشي إلى حلقه مثل زيت حار.

"أجل. أعتقد أنها هي".

زعـــق بوبـــــي بـــصوت حاد يشبه صوت امرأة عجوز: "إنها ستـــصدمنا! بـــادي، إنها ستصدمنا!" كانت السيارة التي تلاحقهم قد أصـــبحت علـــى بعد أقل من خمس أقدام من المصد الخلفي للكامارو، وكانـــت مـــصابيحها العالية تُغرق الكامارو بضوء ساطع أبيض كافٍ

لقراءة الأحرف الصغيرة. اقتربت منهم أكثر، وبعد لحظة سُمع صوت ارتطام.

انحرفت الكامارو، وتراجعت السيارة خلفهم قليلاً، فأدرك بادي أنهم باتوا قيد أنملة من الانزلاق بشكل دوراني سريع وخارج عن السيطرة إلى أن يرتطموا بشيء ما وينقلبوا.

سالت قطرة عرق حارة ولاسعة من جبينه، ودخلت في عينه.

لكن الكامارو عدّلت نفسها من جديد.

عندما أحس أنه مسيطر على السيارة، ضغط بادي على دواسة البنزين بشكل تدريجي حتى النهاية. إذا كان كانينغهام هو الذي يقود تلك الخردة - آهــا، ألم يكن هذا جزءاً من الأحلام التي لم يكن يتذكرها جيداً؟ - فإن الكامارو ستسبقه حتماً.

في تلك الأثناء، كان المحرك يصدر هديراً صاخباً. مرة أخرى وصلت إبرة عداد دوران المحرك إلى الخط الأحمر المشير إلى الرقم 7000 دورة في الدقيقة، وتخطى عداد السرعة إشارة المائة ميل، وبدأ الطريق أمامهم يبدو مثل لقطة في فيلم سُرِّعت بشكل جنوني.

تمتم بوبي بقلق شديد: "أوه يا الله الرحيم، يا الله الرحيم لا تدعني أموت أوه يا الله الرحيم -".

قال بادي في نفسه: *لم يكن موجوداً تلك الليلة التي حطمنا فيها سيارة صاحب الوجه القبيح. إنه لا يعرف ما الذي يجري. يا له من مسكين سيئ الحظ.* أما ريتشي تريلوني، الجالس إلى يمينه، فقد كان يعرف كل شيء. كان يجلس بشكل مستقيم في مقعده وكانت عيناه جاحظتين ووجهه شاحباً مثل شاهد قبر.

اقتربت السيارة منهم مجدداً، وتضخَّمت مصابيحها الأمامية في مرآة الرؤية الخلفية. ذُهل بادي لرؤيتها تقترب من سيارتهم فصرخ في

داخلـــه: *لا يمكن أن يسير بسرعة أكبر مني! لا يمكن!* لكنه كان أسرع مـــنه بالفعل. بدأ عقله يدور مثل فأر في قفص، باحثاً عن مخرج، ولكن لم يكـــن هناك أي مخرج، فالطريق الجانبـــي الصغير الذي كان يسلكه عادة لتجاوز البوابة ودخول الحديقة كان قد أصبح خلفه مسبقاً.

صـــدمتهم السيارة مرة أخرى، وانحرفت الكامارو مجدداً - هذه المـــرة بسرعة مائة وعشرة أميال في الساعة تقريباً. قال بادي في نفسه بـــيأس: *لـــيس هناك أمل يا رجل*. رفع يديه عن المقود، وأمسك بحزام الأمان. للمرة الأولى في حياته يوثق حزام الأمام حول خصره.

في الـــوقت نفـــسه زعق بوبـــي ستانتون من الخلف: "البوابة، يا رجل! أوه يا الله بادي إنها البواااااب ـــ".

كانـــت الكامـــارو قد صعدت مرتفعاً أخيراً ينقسم في نهايته إلى طـــريقين يمثلان طريقي الدخول والخروج من الحديقة. وبينهما توجد غـــرفة صغيرة مبنية فوق منصة إسمنتية - في الصيف كانت هناك سيدة تجلس فيها وتأخذ دولاراً من كل سيارة تدخل إلى الحديقة.

في تلـــك الأثناء كانت الغرفة مغمورة بضوء ساطع بينما كانت الـــسيارتان تقتربان منها بسرعة جنونية؛ مع تفاقم الانـــزلاق، كانت الكامارو تميل بصورة تدريجية نحو جهتها اليسرى.

صرخ بادي: "اللعنة عليك يا صاحب الوجه القبيح! اللعنة عليك وعلـــى الحصان الذي تركبه!" ثم أدار المقود إلى آخره بغضب. صرخ بوبـــي مجدداً، في حين وضع تريلوني يديه على وجهه مردداً في داخله آخـــر فكرة خطرت له، *احذر من الزجاج المتكسر، احذر من الزجاج المتكسر، احذر من الزجاج المتكسر*.

استدارت الكامارو دورة كاملة حول نفسها وأصبحت بمواجهة الـــسيارة الملاحقة، وبدأ بادي بالصراخ ليس لأنه أصبح متأكداً من أنها

ســـيارة صاحب الوجه القبيح – من المستحيل أن يخطئ في تمييز شبكة مبرِّدها الذي كان يبدو بعرض ميل على الأقل – *بل لأنها كانت فارغة تماماً. لم يكن هناك أحد وراء المقود.*

في آخـــر ثانـــتين قبل الاصطدام، انحرفت كريستين فجأة نحو ما أصبح في ذلك الحين يسار بادي وتجاوزت الكامارو باتجاه طريق دخول الحديقـــة بـــسرعة خاطفـــة مثل طلقة في طريقها للخروج من سبطانة بندقية، ثم ارتطمت بالحاجز الخشبـــي الذي طار في سماء الليل المظلم.

اصـــطدم الجـــزء الخلفي من الكامارو بالجزيرة الإسمنتية التي تقع فـــوقها الغـــرفة الصغيرة – كانت بعلو عشرين سنتيمتراً – فانخلع كل شيء كان مثبتاً على الهيكل السفلي للسيارة. تناثرت قطع العادم المحطم وكاتم الصوت المزدوج على الثلج وبدت مثل تماثيل غريبة الشكل. في الـــبداية، تغـــضَّن الجـــزء الخلفي، ثم تهشم كلياً وتهشم معها بوبـــي ســـتانتون. أحس بادي بصورة غير واعية وكأن دلواً من الماء الساخن انسكب على ظهره – كانت تلك دماء بوبـــي.

طـــارت الكامـــارو في الهواء مثل مقذوف مشوه الشكل وسط زوبعـــة مـــن الشظايا المتطايرة، مع بقاء أحد أضوائها الأمامية متوهجاً بصورة مجنونة. أتمّت دورة كاملة ثم سقطت على الأرض بقوة وبدأت تتـــشقلب. وفي أثناء دورانها تشقق حاجز منع انتشار النيران وانـــزلق المحرك بشكل جانبـــي ساحقاً ريتشي تريلوني من الخصر إلى الأسفل. وعـــندما توقفت السيارة عن الحركة اشتعلت النيران في خزان الوقود المتشقق.

كان بادي ريبرتون لا يزال حياً، بالرغم من الجروح المختلفة التي أُصـــيب بهـــا من جراء شظايا الزجاج المتطايرة – تسببت إحداها في استئـــصال أذنـــه اليسرى بدقة عملية جراحية، مخلّفة فجوة حمراء على

ذلــك الجانب من رأسه - وبالرغم من كسر إحدى ساقيه. لقد أنقذ حــزام الأمــان حياته. كان صوت طقطقة النار يشبه صوت شخص يكوّر ورقة بيده، وكان بادي يشعر بالحرارة العالية تلسع جسده. حرر نفــسه من الحزام ثم حاول فتح الباب فوجده موصداً من شدة تغضُّن الــسيارة. وبــشق الأنفس رمى بنفسه من خلال الفجوة التي خلَّفها الزجاج الأمامي المكسور.

كانت كريستين واقفة قبالته على بعد نحو خمسة وثلاثين متراً عند نهايــة آثار انــزلاق طويل ومائل - كانت في انتظاره. وكانت همهمة محركها تشبه لهاثاً بطيئاً لحيوان ضخم.

لعق بادي شفتيه. كان يحس بشيء ما ينسحب ثم ينغرز في جانبه الأيسر. يبدو أن بعض أضلاعه كانت مكسورة أيضاً.

تــسارع محرك كريستين ثم تباطأ، تسارع ثم تباطأ، بهدوء وبطء وكأن ما يحدث كان كابوساً مرعباً.

انعكــست نقــاط مضيئة برتقالية ووردية على الثلج مع ازدياد ضراوة النار المشتعلة في المحرك. *إنه سينفجر* -.

انفجــر خزان وقود الكامارو بالفعل مصدراً دوياً شديداً، وشعر بــادي وكأن يداً خشنة تدفعه من الخلف، فطار في الهواء ثم حط على الــثلج علــى جانبه المتضرر. كانت سترته تحترق، فراح يتدحرج على الــثلج مــن أجل إطفاء نفسه. وفي الخلف تحولت الكامارو إلى كتلة ملتهبة من النار في الليل. حاول بادي الاستناد على ركبتيه.

في تلك الأثناء، بدأ محرك كريستين يتسارع ثم يتباطأ بسرعة أكبر هذه المرة، وباستعجال أكبر.

أخــيراً، تمكــن بادي من الاستناد على يديه وركبتيه. نظر إلى كريــستين مــن خلال خصل شعره المتعرِّق والمنسدل أمام عينيه فرأى

غطـــاء المحرك مغضّناً ومفتوحاً قليلاً بسبب اصطدام السيارة في الحاجز الخشبـــي، والمشعاع يقطر مزيجاً من الماء ومانع التجمد بحيث بدا فوق الثلج مثل روث حيوان طازج.

لعـــق بـــادي شفتيه مجدداً. كانتا جافتين مثل جلد عظاءة. كان ظهـــره ساخناً كما لو أنه تعرَّض لحرق شديد بالشمس. وكان بوسعه اشـــتمام رائحة ثيابه المدخّنة، لكنه من هول الصدمة لم يكن مدركاً أن كلاً من سترته وقميصه كانت قد احترقت كلها.

قال بادي: "اسمع. اسمع. هيي -".

زعق محرك كريستين، ثم انطلقت نحوه. تأرجح جزؤها الخلفي يمنة ويـــسرة بينما كانت إطاراتها تشق طريقها عبر الثلج الزلق. كان غطاء محركها يبدو مثل فم يزمجر.

انتظـــر بـــادي قلـــيلاً، مقاوماً الرغبة الملحة بالقفز والابتعاد عن طـــريقها، مقاوماً - قدر استطاعته - الذعر الشديد الذي أطاح برباطة جأشه. لم يكن هناك أحد في السيارة. لو أنه كان شخصاً مولعاً بالخيال لربما كان قد فقد عقله مسبقاً.

في اللحظـــة الأخيرة تدحرج نحو اليسار مطلقاً صرخة ألم بسبب احتكاك نهايتي العظمة المكسورة في ساقه ببعضهما بعضاً. أحس وكأن طلقـــة ناريـــة عبرت بجانبه على بعد بضعة سنتيمترات فقط، ثم اشتم رائحة بخار العادم الحارة والبشعة تلفح وجهه.

استدارت كريستين ثم عادت نحوه من جديد.

صرخ بادي بألم: "لا! لا! لاااا".

قفـــز بردّ فعل تلقائي، لكن الطلقة النارية كانت أقرب هذه المرة، إذ إنهـــا اقتطعت جزءاً من جلد حذائه مخدِّرة قدمه اليسرى على الفور. استند مجدداً على يديه وركبتيه، مثل طفل صغير يلعب لعبة *أنا أشهد* في

حفلـــة ميلاد. امتزج الدم النازل من فمه مع المخاط المنساب بحرية من أنفـــه – لقد شق أحد أضلاعه المكسورة رئته. وكان الدم يسيل أيضاً على وجنته من الفجوة التي بقيت مكان أذنه المقطوعة.

توقفت كريستين.

هدأ محركها، وبدأ يخرخر بشكل منتظم، مصدراً بخاراً أبيض من أنـــبوب عادمها. وخلف بادي، كانت ألسنة اللهب تتصاعد من بقايا الكامـــارو. هبت ريح شديدة ففرَّقتها وزادت من اشتعالها. كان رأس بوبـــي ستانتون، الجالس في محرقة المقعد الخلفي، مائلاً ووجهه المتفحِّم يرسم تكشيرة متصلّبة.

فكّر بادي في داخله: *أنت تلعبين معي. هذا ما تفعلينه. كما يفعل القط مع الفأر.*

كانـــت مصابيحها الأمامية تعمي بصره. قال بصوت متحشرج: "من فضلك. رجاءً. سأقول له... سأقول له إنني آسف... سأذهب إليه زاحفاً على يدي وركبتي إذا كان هذا ما تريدينه... فقط رجاءً... من فضل –".

زعـــق المحرك مجدداً، ووثبت كريستين نحوه مثل القادم من حقبة مظلمـــة. صرخ بادي وقفز جانباً لكن مصدَّها الأمامي أصاب مقدمة ساقه من الأسفل ورماه نحو الضفة بجانب طريق الحديقة. كُسرت ساقه الأخرى.

انعطفـــت كريـــستين، وعـــادت نحوه مجدداً. لكن بادي وجد فرصـــة... فرصـــة ضئيلة للهرب. بدأ يتسلق الضفة مثل مجنون هائج، حافراً الثلج بيديه العاريتين، اللتين فقدتا الإحساس منذ فترة من الوقت، وبقدمـــيه مـــتجاهلاً آلام ســـاقيه المبرحة. ومع ازدياد توهج مصابيح كريـــستين الأمامـــية، وازدياد هدير محركها كانت أنفاسه تتحول إلى

صرخات قصيرة متتابعة. كان يشعر بها وهي قادمة إليه مثل نمر مرعب آكل للبشر.

باكـياً، ضاحكاً، متمتماً بكلمات غير مفهومة، وصل بادي إلى قمـة الـضفة الثلجية التي كوَّمتها جرّافة ثلج تابعة للحرس الوطني قبل بـضعة أيـام. ترنّح هناك قليلاً قبل أن يوازن نفسه، ثم استدار حول ذراعـيه ليـصبح في مواجهة كريستين، التي كانت في تلك الأثناء قد انعطفت، وعادت إليه مجدداً. اصطدمت في الضفة الثلجية تحت المكان الذي يجثم فيه بادي بنحو ثلاثين سنتيمتراً متسببة بانهيار ثلجي خفيف وتغـضُّن غطـاء المحرك أكثر من ذي قبل، لكن بادي لم يُصب بأذى. رجعـت إلى الوراء عبر سحابة من الثلج المخضوض، وبدا محركها في تلك الأثناء وكأنه يزعق من شدة الغضب والإحباط.

بـشيء من الشعور بالنصر، صرخ بادي رافعاً إصبعه الوسطى في وجهـا: *اللعـنة علـيك! اللعنة عليك! اللعنة عليك!* كان رذاذ الدم والبـصاق يتطاير من فمه، ومع كل كلمة كان يقولها، كان يحس بألم شديد في جانبه الأيسر.

زمجرت كريستين، وصدمت الضفة الثلجية مجدداً.

هـذه المرة انهارت كمية كبيرة من الضفة - كانت قد تخلخلت بفعـل الـصدمة الأولى - دافنةً مقدمة كريستين المغضَّنة المزمجرة. كاد بادي أن يسقط معها لو لم يتصرف بسرعة ويترك جسده ينـزلق على جزئها الخلفي إلى الخلف قليلاً متشبثاً بالثلج بيديه مثل خطّافين قويين. قلب نفسه على جانبه وهو يلهث مثل سمكة سُحبت إلى الشاطئ.

عادت كريستين مرة أخرى.

صـرخ بادي: "ابتعدي من هنا! ابتعدي من هنا أيتها الساقطة المجنونة!".

تسبب اصطدامها بالضفة هذه المرة بإسقاط كمية كافية من الثلج لغمر غطاء محركها حتى الزجاج الأمامي. اشتغلت مساحتي الزجاج وبدأتا تنفضان الثلج الذائب عنه.

رجعت كريستين إلى الوراء مجدداً. أدرك بادي أن ضربة أخرى ستجعله يسقط فوق غطاء محركها مع الثلج المنهار، فترك نفسه ينزلق إلى الوراء، وبدأ يتدحرج على الجانب الآخر من الضفة الثلجية، صارخاً مع كل مرة تصطدم فيها أضلاعه المكسورة بالأرض، إلى أن استقر أخيراً على ظهره فوق منطقة من الثلج الرخو. بدأت أسنانه تصطك وجسده يرتعش بقوة من شدة البرد.

لم تأتِ كريستين، ولكن كان باستطاعته سماع همهمة محركها. لم تأتِ، لكنها كانت تنتظر.

التفت نحو الضفة، فلاحظ أن وهج الكامارو المحترقة وراءها بدأ يخفت قليلاً. كم مضى على الاصطدام؟ لم يكن يعرف. هل يمكن أن يلاحظ شخص ما النار ويأتي لنجدته؟ لم يكن يعرف ذلك أيضاً.

أدرك بادي أنه سيتجمد حتى الموت إن لم يأتِ أحد لنجدته، فأحس بالرعب يتملّكه من جديد. دفع نفسه بكل ما بقيَ لديه من عزم إلى أن أصبح في وضع جالس. كان يحاول التوصل إلى قرار في ما إذا كان ينبغي له الزحف إلى قمة الضفة مرة أخرى كي يراقب كريستين – لأن عدم تمكّنه من رؤيتها كان يشعره بخوف أكبر – عندما التفت إلى الضفة مجدداً وانحبست أنفاسه وجحظت عيناه.

كان هناك رجل فوق الضفة.

لا، لم يكن رجلاً على الإطلاق، بل جثة متعفنة ترتدي سروالاً أخضر. ولم تكن تلبس قميصاً بل مجرد مشدّ للظهر ملوث بالتراب

ملفوف حول أسفل ظهرها المتفحم. كانت هناك عظمة ناتئة من خلال الجلد المشدود على وجهها.

همست الجثة المضاءة بنور النجوم: "هذه هي نهايتك أيها المتغوط".

هنا انهار بادي كلياً وبدأ يصرخ بشكل هستيري. بدا شعره الطويل وكأنه تحوّل إلى خوذة بشعة فوق وجهه المدمى والملطخ بالسخام مع تصلّب وانتصاب جذور كل شعرة منه. تدفق الدم من فمه مجدداً مبللاً ياقة سترته. حاول دفع نفسه بيديه إلى الخلف بينما كان ذلك الشيء يتجه نحوه. *كانت الجثة بلا عينين، وكان بوسعه اشتمام رائحتها، يا الله، كانت تفوح منها رائحة الموت.*

مدت جثة رونالد دي ليبي يديها المتحللتين نحو بادي ريبرتون وابتسمت.

صرخ بادي وبكى، ثم تصلبت شفتاه فجأة مشكلة حرف O كبيراً. سقط إلى الخلف، وبدأ يرفس الثلج بقدميه بينما كانت آخر أنفاسه المتكثفة تخرج من فمه المرتخي مثل بخار عادم سيارة.

رفرف شبح الجثة فوق الضفة، ثم اختفى من دون أن يترك أي أثر.

على الجانب الآخر من الضفة، هدر محرك كريستين في صرخة انتصار مدوية وصلت إلى أعالي مرتفعات سكوانتيك هيلز ثم ارتد صداها من جديد.

37
دارنل يفكّر

ظل ويل دارنل في المرأب إلى ما بعد منتصف الليلة التي التقى فيها بـــادي ريـــبرتون وصديقاه كريستين في سكوانتيك هيلز. كانت حالة صـــدره في ذلك اليوم سيئة جداً، وهو يخاف من النوم عندما يكون في هذه الحالة، بالرغم من أنه في العادة ينام مثل الدب في الشتاء.

بالرغم من أن الطبيب أخبره أن من غير المحتمل على الإطلاق أن يختنق حتى الموت في أثناء النوم، إلا أنه مع التقدم في العمر ومع التفاقم البطيء للنفاخ في رئتيه بات يخشاه أكثر فأكثر. وحقيقة أن خوفه هذا لم يكـــن عقلانياً البتة لم يغير في الأمر شيئاً. وبالرغم من أنه لم يدخل الكنيـــسة منذ كان في الثانية عشرة من عمره - أي منذ تسعة وأربعين عاماً! - إلا أنه كان مهتماً بصورة مرَضية بالظروف المحيطة بموت البابا جـــون بول الأول. لقد مات البابا في سريره قبل عشرة أسابيع، ووُجد على هذه الحال في الصباح. *لعله اختنق أثناء النوم*، هذه هي الفكرة التي استحوذت على عقل ويل دارنل، *لعله اختنق في أثناء النوم*.

في التاســعة والنـــصف مـــساء، دخل دارنل إلى المرأب بسيارته الكريسلر إمبيريال موديل 1966 - آخر سيارة أراد امتلاكها - تقريباً في الوقت نفسه الذي رأى فيه بادي ريبرتون لأول مرة وميض المصابيح الأمامية البعيدة تلمع في مرآة الرؤية الخلفية في سيارته.

كان ويل يملك أكثر من مليوني دولار، لكن المال لم يعد يمنحه الكـــثير من المتعة، لا بل إنه لم يعد يبدو ملموساً تماماً بالنسبة إليه. كـــان النفاخ في رئتيه هو الشيء الوحيد الحقيقي والملموس بصورة

بـــشعة بالنسبة إلى ويل دارنل، وهو كان يرحِّب بأي شيء يشغل ذهنه عنه.

ومـــشكلة آرني كانينغهام هي التي كانت تشغل ذهنه عن التفكير في رئتيه المريضتين. كان يعتقد أن ذلك هو السبب الذي دفعه إلى إبقاء كانينغهام في المرآب بالرغم من كل الدوافع الداخلية القوية التي كانت تطالـــبه بإبعـــاده عن المكان. كان الفتى خطراً بطريقة ما. وكان هناك شـــيء ما يجري معه ومع سيارته المرمَّمة، بليموث 1958 - شيء فائق الغرابة.

لم يكن الفتى موجوداً في المرآب تلك الليلة، لأنه ذهب مع نادي الـــشطرنج في مدرســـة ليبرتيفيل إلى فيلادلفيا لمدة ثلاثة أيام من أجل المنافسة في بطولة الولايات الشمالية. وكان آرني قد سخر من الأمر في الـــيوم الفائـــت - لقد تغيَّر آرني كثيراً عن ذلك الفتى الساذج المليء بالبـــثور الـــذي تعارك معه بادي ريبرتون، الفتى الذي اعتبره ويل على الفور (وبشكل خاطئ) ضعيفاً بكَّاءً وربما مخنثاً أيضاً.

قـــال لويل في مكتبه بينما كانا يدخنان السيجار معاً (لقد أصبح يستمتع بالسيجار أيضاً، وويل كان يشك في أن أبويه يعلمان ذلك) إنه تغـــيَّب عن الكثير من اجتماعات النادي بحيث إنه كان يجب أن يكون مفـــصولاً بحـــسب قوانين النادي. كان المشرف على نادي الشطرنج، السيد سلوسون، يعرف ذلك لكنه تغاضى عنه إلى ما بعد البطولة.

قـــال آرني: "لقـــد تغيَّبت عن الاجتماعات أكثر من أي شخص آخـــر، لكـــنني ألعب أفضل من الجميع، والمتغوط يعرف ذلك". لوى وجهه من الألم ثم ضغط بكلتا يديه على أسفل ظهره.

قال دارنل: "عليك أن تجعل طبيباً يفحص ظهرك".

غمزه آرني قائلاً: "لا أحتاج إلا إلى مضاجعة لطيفة تمطّ الفقرات".

"إذاً، ستذهب إلى فيلادلفيا". كان دارنل يشعر بالاستياء لذهاب آرني، لأن ذلــك كان سيضطره إلى وضع جيمي سايكس مسؤولاً عن الليلتين التاليتين، وجيمي لا يميز بين مؤخرته والآيس كريم.

"بالتأكــيد، لن أفوِّت عليَّ ثلاثة أيام من المتعة في المدينة". لاحظ آرني حينــئذ وجه ويل الكالح فابتسم ابتسامة كبيرة وأضاف: "لا تقلق يــا رجــل، لقــد اقتربنا من الميلاد، وكل زبائنك سيشترون الألعاب لأطفــالهم بدلاً من وحدات الإشعال وعدّة الكاربوراتور. هذا المكان سيكون مهجوراً حتى السنة القادمة، وأنت تعرف ذلك".

"هل تذهب إلى ألباني من أجلي بعد عودتك؟".

"متى؟".

"في عطلة نهاية الأسبوع".

"السبت؟".

"أجل".

"ما الأمر؟".

"هنري باك لديه أربع عشرة سيارة مستعملة نظيفة يريد التخلص منها. يقول أنها نظيفة. اذهب وألقِ نظرة عليها. سأعطيك شيكاً فارغاً. إذا كانت السيارات جيدة أتمم الصفقة. وإذا لم تكن كذلك، قل له أن يذهب إلى الجحيم".

"وماذا سآخذ معي؟".

نظر ويل إليه مطولاً ثم قال: "هل بدأت تخاف يا كانينغهام؟".

"لا". أطفــأ آرني سيجاره نصف المدخَّن ثم نظر إلى ويل وأردف قــائلاً: "لعلي أشعر أن احتمالات النجاح تصبح أقل مع كل مرة أقوم بذلك. هل هو كوكايين؟".

قال ويل على الفور: "سأجعل جيمي يقوم بذلك".

"قل لي فقط ما هو".

"مائتا كرتونة وينستون".

"حسناً".

"هل أنت متأكد؟ بهذه البساطة؟".

ضحك آرني وقال: "ستكون استراحة من الشطرنج".

ركن ويل الكريسلر في أقرب موقف من مكتبه، الموقف الذي يحمـــل لافتة تقول *السيد دارنل، لا تعق المكان*. خرج من السيارة وصفق الباب بقوة وهو يتنفس بصعوبة. كانت حالة صدره في تلك الليلة سيئة جداً. لا، إنه لن ينام بصرف النظر عما قاله ذلك الطبيب اللعين.

كـــان جيمــــي، في تلك الأثناء، يكنس الأرض بفتور ولامبالاة. وجيمي سايكس طويل القامة، نحيل، في الخامسة والعشرين من عمره، لكـــن تخلّفه العقلي الخفيف كان يجعله يبدو أصغر عمراً بثماني سنوات تقـــريباً. لقـــد بـــدأ يمشط شعره نحو الخلف، مثل آرني، مثال جيمي الأعلى. كان المرأب خالياً تماماً، وصامتاً باستثناء صوت احتكاك شعر المكنسة الخشن بالأرض الملطخة بالزيت.

قـــال ويل بصوت صافر: "يبدو أن المكان مزدحم الليلة، جيمي، هه؟".

تلفت جيمي حوله وقال: "لا سيدي، سيد دارنل، لم يدخل أحد مـــنذ أن جـــاء السيد هاتش وأخذ سيارته الفيرلانس، وكان ذلك منذ نصف ساعة".

"إنني أمزح". لم يكن باستطاعتك التحدث مع جيمي إلا بمستوى الـــصف الأول الابتدائي. مع ذلك، فقد كان ويل يفكر في دعوته إلى

المكــــتب من أجل تناول كوب من القهوة الممزوجة بقليل من براندي كورفوازيير. "ما رأيك لو...".

توقف ويل فجأة عندما لاحظ أن الموقف عشرين كان فارغاً.

"هل جاء آرني؟".

قال جيمي وهو يرمش عينيه بغباء: "آرني؟".

"آرني، آرني كانينغهام. كم آرني تعرف؟ سيارته غير موجودة".

نظـــر جيمـــي إلى الموقف عشرين وقطب جبينه بذهول: "أوه. أجل".

ابتسم ويل وقال: "ذلك البارع خسر في بطولة الشطرنج، هه؟".

"أوه، هل هذا صحيح؟ يا الله، ذلك سيئ، أليس كذلك؟".

كبح ويل رغبة في إمساك جيمي وضربه، لكنه لم يشأ أن يغضب لأن ذلـــك كان سيجعل تنفسه أكثر صعوبة، وقد ينتهي به الأمر بملء رئتيه برذاذ الربو سيئ المذاق.

أخيراً فهم جيمي ما كان ويل يرمي إليه، فقال: "أوه، لم أرَ آرني. فقـــط رأيـــت كريستين تخرج من الباب، كما تعلم. يا لها من سيارة جميلة. لقد أصلحها مثل السحر".

"أجـــل. مثل السحر". فجأة غيَّر ويل رأيه بخصوص دعوة جيمي إلى تناول كوب من القهوة مع البراندي. قال له من دون أن يبعد نظره عن الموقف عشرين: "يمكنك الذهاب إلى المنـــزل الآن، جيمي".

"أوه، يا الله، سيد دارنل، قلت لي إنني سأعمل ست ساعات هذه الليلة. وهذا لن ينتهي حتى العاشرة".

"سأحسب أنك انصرفت في العاشرة".

بـــرقت عينا جيمي الشاحبتان لهذه الهبة الكريمة غير المتوقعة، وقال: "حقاً؟".

"أجل، حقاً، حقاً. اسمع الكلام وانصرف يا جيمي؟".

"بالتأكيد"، قال جيمي ذلك وهو يفكّر في أنها كانت المرة الأولى التي يرى فيها ويل دارنل - خلال خمس أو ست سوات من عمله لديه - يتحلى بروح الميلاد. ثم صاح وقد تلبّسته روح الميلاد هو الآخر: "أنا موافق يا صديقي الطيب!".

جفل ويل قليلاً ثم دخل بتثاقل مكتبه. شغَّل آلة صنع القهوة وجلس وراء طاولته، وراح يراقب جيمي بينما كان يضع المكنسة جانباً ويطفئ معظم أضواء النيون الرأسية ثم يحمل معطفه الثقيل.

أسند ويل ظهره إلى الكرسي وراح يفكر.

في الحقيقة، إن عقله هو الذي أبقاه حياً طوال تلك السنين، حياً وناجحاً. فهو لم يكن في أي يوم وسيماً، وكان بديناً طوال حياته الراشدة، وكانت صحته عليلة على الدوام. أثناء الطفولة أدت نوبة ربيعية من الحمى القرمزية، تبعتها حالة خفيفة من التهاب السحايا الشللي، إلى فقدان ذراعه اليمنى ثلاثين بالمائة من قدرتها الحركية. وفي مرحلة المراهقة عانى من حالة شديدة من بثور الشباب. وفي عمر الثالثة والأربعين اكتشف طبيبه ورماً إسفنجياً كبيراً تحت أحد إبطيه. صحيح أنه لم يكن خبيثاً، إلا أن عملية استئصاله أجبرته على الاستلقاء على ظهره معظم ذلك الصيف، ما أدى إلى إصابته بما يسمى قروح الفراش. وبعد ذلك بعام كاد ويل أن يموت بسبب إصابته بذات الرئة. وها هو الآن يعاني من بداية مرض السكري ومن النفاخ. لكن عقله كان دائماً حاضراً ووقاداً، وعقله هو الذي جعله ناجحاً.

وهكذا أسند ظهره إلى الكرسي وراح يفكر في آرني. كان يعتقد أن أحد الأشياء التي أثرت فيه إيجاباً في ما يتعلق بآرني هو ذلك الشبه بينه وبين ويل دارنل المراهق. بالطبع، لم يكن كانينغهام مريضاً، لكنه

كـــان مليئاً بالبثور ومكروهاً ووحيداً. وهذه الأشياء كلها تنطبق على ويل دارنل الشاب.

وكانينغهام يملك عقلاً أيضاً.

يملك عقلاً وتلك السيارة. تلك السيارة الغريبة.

قال جيمي قاطعاً سلسلة أفكاره: "ليلة سعيدة سيد دارنل". وقف عند الباب للحظة ثم أضاف بتردد: "ميلاد مجيد".

رفـــع ويـــل يده ولوَّح له من دون أن يقول شيئاً، فغادر جيمي المكـــان. رفع ويل جسده الضخم عن كاهل الكرسي وجلب زجاجة الكورفـــوازيير مـــن خزانة الملفات، ثم وضعها بجانب آلة صنع القهوة وجلـــس مجـــدداً. وبدأ يستحضر في ذهنه شريطاً زمنياً متسلسلاً حول آرني وسيارته.

آب: يجلـــب كانيـــنغهام سيارة بليموث 58 عتيقة ومهترئة إلى المرأب ويركنها في الموقف رقم عشرين. تبدو السيارة مألوفة. كيف لا وهـــي سيارة رولي ليبـــي. وآرني لا يعرف – وهو ليس بحاجة إلى أن يعـــرف – أن رولي ليبـــــي نفـــسه قـــام بنقل شيء ما إلى ألباني أو بورلنغـــتون أو بورتسموث لصالح ويل دارنل. في تلك الأيام كان ويل يمـــتلك ســـيارة كـــاديلاك 54. سيارات نقل مختلفة ولكن مع نفس الـــصندوق الخلفي المزيف ذي الحجرة المخفية لتعبئة المفرقعات النارية والـــسجائر والشراب والماريجوانا – في تلك الأيام لم يكن ويل قد سمع بالكوكايين بعد.

أواخر آب: ريبرتون وكانينغهام يتعاركان ودارنل يطرد ريبرتون. لقـــد سئم ويل من ريبرتون ومن تبجحه المتواصل ومشيته المتغطرسة. وبالرغم من أنه كان يقوم بكل التهريبات التي يريدها ويل إلى نيويورك ونيوإنجلاند، إلا أنه كان مهملاً، والإهمال خطر. كان لديه ميل لتجاوز

حدود السرعة المسموح بها، وبسبب ذلك حصل على مخالفات عديدة. ولو صادف شرطياً فضولياً لتحوَّل الجميع إلى المحكمة. لا يخشى دارنل السجن - ليس في ليبرتيفيل - لكنه سيضر بسمعته. في الماضي لم يكن يكترث للسمعة، لكنه أصبح كبيراً في السن الآن.

نهـض ويـل وصـب لنفسه القهوة، ثم أضاف ملء غطاء من البـراندي. توقف وفكَّر قليلاً، ثم أضاف غطاء آخر من البراندي. أخذ سيجاراً من جيب قميصه، نظر إليه، ثم أشعله. اللعنة عليك أيها النفاخ. خذ هذا.

مـع تصاعد الدخان العطر من حوله ووجود فنجان قهوة منكَّه بالبـراندي أمامه، حدّق ويل إلى مرأبه الصامت وشبه المظلم، وواصل تفكيره من حيث انتهى.

أيلول: يطلب الفتى منه ملصق فحص ولوحة ترخيص مؤقتة كي يـتمكن مـن اصطحاب صديقته إلى مباراة كرة قدم. ودارنل يعطيه طلـبه - يا للعجب، في الماضي كان دارنل يبيع ملصق الفحص بسبعة دولارات من دون أن ينظر إلى السيارة التي ستحملها. لكن سيارة الفتى ذات مظهـر جمـيل. صحيح أنها بحاجة إلى المزيد من العمل، وصوت محركها عالٍ بعض الشيء، لكنها بالإجمال جيدة بالفعل. إن الفتى بارع في عمله حقاً.

وهذا غريب جداً، أليس كذلك، إذا ما أخذت بعين الاعتبار *أن أحداً لم يرَه أبداً أثناء قيامه بتصليحها*.

أوه، باسـتثناء بعـض الأشـياء الصغيرة، بالطبع، مثل استبدال مـصابيح الـتوقف أو تغـيير الإطارات. غير أن الفتى لديه إلمام جيد بالسيارات، مع ذلك. لقد جلس دارنل ذات يوم وراقبه بينما كان يقوم باستبدال فرش المقعد الخلفي. ولكن، لم يشاهده أحد وهو يعمل على

تصليح نظام العادم الذي كان مهترئاً بالكامل عندما أدخل الفتى سيارته إلى المـــرأب لأول مـــرة. كمـــا أن أحداً لم يشاهده وهو يقوم بترميم الهيكل.

أخبره جيمي سايكس ذات مرة باعتقاده أن آرني كانينغهام كان يقوم بعمله الجدي ليلاً، بعد ذهاب الجميع.

قال دارنل بصوت عال: "ذلك عمل ليلي هائل". لا بد أنه كان كذلك، أجل. لأن ما كان يقوم به الفتى في النهار لا يتعدى الاستماع إلى الموســيقى الصادرة من محطة WDIL وتضييع الوقت من دون أي هدف.

"أعـــتقد أنـــه يقوم بعمله الحقيقي في الليل". هذا ما قاله جيمي لـــدارنل بـــبراءة طفل يشرح كيف ينـــزل سانتا من المدخنة. ولكن، بالرغم من أن ويل لم يكن يعتقد بسانتا، إلا أنه لم يصدِّق أيضاً أن آرني قام بتصليح سيارته ليلاً.

كـــان يعرف أن آرني كان يقود سيارته كثيراً في الساحة خلف المـــرأب في الليل، قبل أن تصبح صالحة للسير. كان يتجول في الممرات الـــضيقة بين آلاف السيارات التالفة بسرعة خمسة أميال في الساعة بعد ذهـــاب الجميع إلى منازلهم. يتجول وحسب. وقد سأله ويل ذات مرة عـــن الأمر فأجابه أنه كان يتحرّى ما إذا كان هناك اهتزاز في مقدمة الـــسيارة. لكن ويل كان يعرف أن أحداً لا يفعل ذلك بسرعة خمسة أميال في الساعة.

ثم هناك مسألة دوران عداد المسافة إلى الخلف. كان كانينغهام قد أشـــار إلى ذلـــك أمامه بابتسامة خفيفة ماكرة. وكان العداد يدور إلى الخلـــف بـــسرعة خمسة أميال تقريباً لكل ميل حقيقي تقطعه السيارة، وهـــذه سرعة كبيرة أذهلت ويل بصراحة. لقد سمع عن إرجاع عداد

المسافة في مجال عمله في السيارات المستعملة، وهو نفسه قام بذلك كثيراً، لكنه لم يرَ أبداً عداد مسافة يسير إلى الخلف من تلقاء ذاته. وكان يعتقد أن ذلك ضرباً من المستحيل، لكن آرني وصَّف الأمر أنه مجرد عطل صغير.

قال ويل لنفسه: *إنه عطل، هذا صحيح، لكنه عطل غريب جداً. يا لها من سيارة جميلة. لقد أصلحها مثل السحر.*

لم يكن ويل يعتقد بسانتا، لكنه كان مستعداً تماماً للاعتراف بوجود أشياء غريبة في العالم. ذات مرة، ادَّعى صديق له يعيش في لوس أنجلوس أنه رأى شبح زوجته قبل حدوث الزلزال الكبير في 1967، وويل لم يجد أي سبب للشك في ادّعائه (لكنه كان سيشك فيه حتماً لو كان الرجل يبتغي منفعة ما). كما زعم صديق آخر يُدعى كوينت يانغرمان أنه رأى والده، المتوفي منذ مدة طويلة، واقفاً مقابل سريره في المستشفى، بعد سقوط كوينت - عامل فولاذ - من الطابق الرابع لبناء قيد الإنشاء.

مثل جميع الناس، سمع ويل مثل هذه القصص طوال حياته، وكما يفعل معظم العقلاء ربما، قام بوضعها في نوع من الملف المفتوح، غير مصدِّق أو مكذِّب لها - ما لم يكن الراوي كذاباً مفضوحاً، بالطبع. لقد وضعها في ذلك الملف المفتوح لأن أحداً من الناس لا يعرف من أين يأتي الإنسان حين يولَد وإلى أين يذهب حين يموت. لقد وضع مثل هذه القصص في ذلك الملف المفتوح لأنه لم يختبر من قبل أي ظاهرة غير قابلة للتفسير.

ربما باستثناء ما كان يجري معه في ذلك الحين.

تشرين الثاني: ريبرتون وأصدقاؤه يحطمون سيارة آرني في مرأب المطار. وعندما جلبتها شاحنة القطر إلى المرأب ونظر إليها دارنل وقال

في نفـــسه: *إنهـــا لن تسير مجدداً أبداً*. وفي نهاية الشهر قُتل ذلك الفتى ويلش على شارع كنيدي.

كانون الأول: يأتي ذلك التحري جانكينـــز من الولاية ويتحدث إلى آرني، ثم يـــأتي في يوم آخر لا يكون فيه آرني موجوداً كي يعرف لمـــاذا يكـــذب الفتى بخصوص الضرر الذي تسبب به ريبرتون وزمرته لسيارة آرني. يقول له دارنل: *لماذا تتحدث إلي؟ تحدث إليه، إنها سيارته اللعيـــنة، وليـــست سيارتي. إنني أدير هذا المكان كي يتمكن الرجال العاملون على الحفاظ على سياراتهم من أجل تأمين الخبز لعائلاتهم.*

يـــستمع جانكينـــز لهذا الهراء. إنه يعرف أن دارنل يقوم بأشياء كثيرة غير إدارة مرأب للخدمة الذاتية وساحة سيارات مهترئة. ودارنل يعرف أن جانكينـــز يعرف.

يشعل جانكينـــز سيجارة ويقول: *إنني أتحدث إليك لأنني تحدثت مع الفتى من قبل ولم يخبرني بشيء. وأثناء حديثي معه اعتقدت للحظة أن الفتى كان سيخبرني، أحسست أنه كان خائفاً من شيء ما. ثم عاد واستجمع نفسه وبقي على صمته.*

يقول دارنل: *إذا كنت تعتقد أن آرني دهس ذلك الفتى ويلش، قل ذلك.*

يقول جانكينـــز: *لا. يقول والداه أنه كان نائماً في المنـــزل، ولا يـــبدو لي أنهما يكذبان للتغطية عليه. لكن ويلش كان من بين أولئك الـــذين حطمـــوا سيارته، نحن متأكدون من ذلك، وأنا متأكد من أنه يكـــذب بخصوص شدة الضرر الذي ألحقوه بها، ولا أعرف لماذا، وهذا الأمر يثير جنوني.*

يقول دارنل ببرود: *هذا مؤسف.*

يسأله جانكينـــز: *ما هو مقدار الضرر؟ أخبرني أنت.*

وهنا يقول له دارنل الكذبة الأولى والوحيدة خلال تلك المقابلته:

لم أنتبه إلى ذلك، صدقاً.

كان يعرف بالتأكيد، ويعرف أيضاً لماذا يكذب كانينغهام في هذا الأمر. إنه يكذب لأن الضرر كان هائلاً. وهو يكذب لأن السيارة رجعت كما لو أنها كانت جديدة، بل أفضل مما كانت عليه في السابق.

كذب كانينغهام لأن الحقيقة كانت غير قابلة للتصديق.

"غير قابلة للتصديق". قال ويل بصوت عالٍ، ثم شرب ما بقي من قهـــوته. فتح درج مكتبه وأخذ دفتر ملاحظاته للعام 1978. قلّب في صـــفحاته قليلاً إلى وجد ملاحظة كتبها هو بنفسه: كانينغهام. بطولة شطرنج. فيلادلفيا شيراتون كانون الأول 11-13.

اتصل بعامل المقسم وحصل على رقم الفندق ثم أجرى الاتصال. ولم يـــستغرب كثيراً لتسارع دقات قلبه عندما بدأ الهاتف بالرنين ورد عليه عامل الاستقبال.

"هلو. فيلادلفيا شيراتون".

قال ويل: "هلو. أنتم تستضيفون بطولة شطرنج، باعتقا -".

قاطعه عامل الاستقبال قائلاً: "الولايات الشمالية، أجل سيدي".

"إنـــني أتصل من ليبرتيفيل، بنسلفانيا. أعتقد أن طالباً من مدرسة ليـــبرتيفيل الـــثانوية يُدعى آرنولد كانينغهام مسجلاً عندكم. إنه أحد أولاد بطولة الشطرنج. أود أن أتحدث إليه، إذا كان موجوداً".

"دقيقة من فضلك، سأرى".

وُضـــع ويل على الانتظار. أسند ويل ظهره على الكرسي وبقي على هذا الحال لمدة بدت له طويلة جداً، بالرغم من أن عقرب الثواني في ســـاعة المكتب لم يكمل إلا دورة واحدة فقط. *إنه لن يكون هناك، وإذا كان هناك فسآكل برا -.*

"هلو؟".

كـــان الـــصوت شاباً، وفضولياً مع شيء من القلق، إنه صوت كانيـــنغهام مـــن دون أدنى شك. أحس ويل بهبوط مفاجئ في معدته، لكنه لم يدع ذلك يؤثر على صوته.

"مرحباً كانينغهام، دارنل".

"ويل؟".

"أجل".

"ما الأمر، ويل؟".

"ما هي أخبارك يا فتى؟".

"ربحـــت البارحة وتعادلت اليوم. لعبة حقيرة. حاولت لكنني لم أستطع التركيز عليها. ما الأمر؟".

بالطـــبع، لم يكن ويل ليتصل من دون حجة تنفع كتغطية. فقال بصوت هادئ: "هل لديك قلم، بني؟".

"بالتأكيد".

"هناك شركة في شارع نورث برود، تُدعى يونايتد أوتو بارتس. هل يمكنك أن تمر عليهم وترى ما عندهم من إطارات؟".

"إطارات مستعملة؟".

"نوعية ممتازة".

"بالتأكـــيد يمكـــنني ذلك. سأكون حراً غداً من منتصف الظهيرة حتى الثالثة".

"هذا جيد. اسأل عن روي موستانجيرا واذكر له اسمي".

"هذا كل شيء؟".

"أجل... باستثناء أنني آمل أن تُهزَم".

"هذا مستبعد"، قال آرني ذلك هذا ثم ضحك.

ودَّعه ويل ثم أقفل الخط.

إذاً، كان كانينغهام موجوداً في فيلادلفيا في تلك الليلة، وفيلادلفيا تبعد قرابة ثلاثمائة ميل عن ليبرتيفيل.

لمن يمكن أن يعطيه مفاتيح إضافية؟

جيلدر.

صحيح، لكن الفتى جيلدر في المستشفى.

صديقته.

لكنها لم تكن تملك شهادة قيادة. لقد أخبره آرني بذلك.

شخص آخر.

لم يكن هناك أي شخص آخر. فآرني لم يكن مقرباً من أي شخص آخر باستثناء ويل نفسه، وويل متأكد من أن آرني لم يعطِه مفاتيح إضافية.

مثل السحر.

اللعنة.

أسند ويل ظهره على الكرسي مجدداً، وأشعل سيجاراً آخر وراح يفكر في الأمر مجدداً. كانينغهام كان فيلادلفيا، وهو ذهب بواسطة باص المدرسة، لكن سيارته اختفت، وجيمي سايكس يقول إنه شاهدها وهي تخرج لكنه لم يرَ من كان يقودها. فماذا يعني كل هذا؟

شيئاً فشيئاً بدأ ذهنه يتحول نحو قنوات أخرى. فكّر في صديقته الوحيدة عندما كان في المدرسة الثانوية، وتُدعى واندا هاسكينز، وهي شقراء شاحبة ذات وجنتين بيضاوين مرشوشتين بالنمش، الذي كان يتكاثر بشكل مزعج في شمس شهر آب. كان احتمال زواجهما شبه مؤكد - كانت واندا إحدى أربع فتيات أقام ديل علاقة معهن (باستثناء بائعات الهوى)، لكنها الوحيدة التي حظيت بحبه. غير أنها

اضطرت إلى الانتقال مع عائلتها إلى ويتشيتا، لأن والدها كان يعمل في الجيش، وكانت آنذاك في الخامسة عشرة من عمرها.

كانـــت تـــستخدم حمرة شفاه معينة ذات طعم يشبه طعم التوت الطـــازج بالنسبة إلى ويل دارنل الشاب والطموح، الذي كان في ذلك الحـــين نحيفاً وصافي العينين. وكان ذلك المذاق يجعله يحلم بها في الليل، ويـــرقص معهـــا تلك الرقصة الخاصة العذبة - حتى قبل أن تقبل فعلياً بفعل ذلك.

مع انشغال ذهنه في تلك الرقصة، توقف ويل عن التفكير في آرني وسيارته، وبدأ يحلم.

استيقظ من نومه بعد نحو ثلاث ساعات على صوت قعقعة باب المرأب الكبير وهو ينفتح واشتعال المصباح الداخلي فوق الباب.

ســـارت كريستين على مهل عبر المرأب باتجاه الموقف عشرين ثم انسلت داخله.

عـــدّل ويـــل - الذي لم يكن مقتنعاً بعد أنه مستيقظ - جلسته وراح يـــراقبها بفضول يفتقر إلى الحماسة، الأمر الذي ينطبق فقط على أولئك الذين يُوقَظون من أحلامهم فجأة.

تـــسارع محرك كريستين مرة، مرتين. أطلق أنبوب العادم الجديد اللامع دخاناً أزرق اللون.

ثم توقف المحرك.

جلس ويل هناك من دون حراك.

كان بابه مقفلاً، لكنه كان يملك جهاز إنتركوم يصل بين مكتبه وساحة المرأب الواسعة. وهو نفس الإنتركوم الذي سمع من خلاله بداية عـــراك ريبرتون وآرني في شهر آب. ومن سمّاعة الإنتركوم سمع في تلك الأثناء طقطقة معدنية بينما كان محرك كريستين يبرد.

لم يخرج أحد من كريستين، لأنه لم يكن هناك أحد داخلها.

لقد وضع مثل هذه القصص في ملف مفتوح لأنه لم يختبر من قبل أي ظاهرة غير قابلة للتفسير... ربما باستثناء ما كان يجري معه في ذلك الحين.

نهض ويل عن كرسيه، تردد قليلاً، ثم توجه نحو باب المكتب، تردد مجدداً عند الباب قبل أن يفتحه ويخرج. مشى بين صفوف السيارات المركونة بشكل مائل متوجهاً نحو الموقف عشرين. كان وقع خطواته يصدر صدىً خلفه ثم يختفي بشكل غامض.

وقف بجانب السيارة. كان طلاؤها - الأحمر والأبيض - غامقاً وصافياً ومثالياً، من دون أي أثر لصدأ أو تشقق. وكان الزجاج نظيفاً ولامعاً.

الصوت الوحيد الذي كان يسمعه في ذلك الحين هو صوت قطرات الثلج الذائبة وهي تسقط ببطء من المصدين الأمامي والخلفي.

لمس ويل الهيكل فوجده ساخناً.

حاول فتح الباب الجانبي فانفتح بحرية. اشتم ويل رائحة جلد جديد، بلاستيك جديد، وكروم جديد، إلى جانب رائحة أخرى غير محببة وغير واضحة. أخذ نفساً عميقاً من أنفه لكنه لم يستطيع تمييز الرائحة. فكّر للحظة في رائحة لفت قديم في صندوق الخضراوات في قبو والده، فتغضّن أنفه اشمئزازاً.

حنى جسده ومد رأسه إلى الداخل فلم يرَ أي مفاتيح في دارة التشغيل. كان عداد المسافة يشير إلى 52,107.8.

فجأة، استدار الشق الفارغ حيث يُدخَل المفتاح من تلقاء نفسه، والتقط المحرك الساخن الشرارة على الفور وبدأ يدور مصدراً همهمة ثابتة.

اضـــطرب قلـــب ويل في صدره، وانحبست أنفاسه، فهرع نحو المكـــتب ليـــبحث في أدراج المكتب عن رذّاذ الربو الاحتياطي. كان صـــوت تنفـــسه يـــشبه صوت ريح شتوية تمر من تحت باب مدخل المنـــزل. وبدا لون وجهه مثل لون شمع قديم.

توقف محرك كريستين مرة أخرى.

وجـــد ويل الرذّاذ، فأدخله عميقاً داخل فمه ثم ضغط على الزر واستنـــشق مادتـــه. وبشكل تدريجي بدأ إحساسه بوجود صخرة ثقيلة جاثمـــة علـــى صدره بالتلاشي. جلس على كرسيه وأصغى بامتنان إلى صـــرير الاحـــتجاج المجـــنون والمتوقع لنوابضه. ثم غطى وجهه بيديه السمينتين.

لم يختبر أي ظاهرة غير قابلة للتفسير... حتى تلك اللحظة.

لقد رأى كل شيء بعينه.

لم يكـــن هناك من يقود تلك السيارة. وكانت تفوح منها رائحة لفت متعفن.

ولكـــن، حتى في تلك اللحظات، وبالرغم من كل الفزع الذي كان يشعر به، إلا أن ذهن ويل كان يتساءل حول كيفية الاستفادة مما اكتشفه.

38

انقطاع العلاقات

اكتُـــشف حطام الكامارو المحترقة عصر يوم الأربعاء بواسطة أحد حراس الحديقة إثر تلقي مركز الحراسة الواقع بجانب البحيرة اتصالاً من امـــرأة عجوز تعيش مع زوجها في بلدة أبر سكوانتيك الصغيرة. قالت المـــرأة إنهـــا رأت في الليلة السابقة ألسنة من اللهب تتصاعد من منطقة

قريبة من البوابة الجنوبية للحديقة. وعندما سُئلت عن التوقيت، أجابت أنها تظن أن ذلك كان نحو العاشرة والربع، لأنها كانت تشاهد فيلم ليلة الثلاثاء على محطة CBS و لم يكن قد تجاوز منتصفه آنذاك.

يوم الخميس ظهرت صورة السيارة المحترقة على الصفحة الأولى من صحيفة كيستون تحت عنوان: *مقتل ثلاثة أشخاص في حادث سيارة في حديقة سكوانتيك بارك*. وقد نُقل عن مصدر في شرطة الولاية قوله إن *الشراب ربما كان أحد المسببات* - طريقة رسمية غامضة للقول إن بقايا ما يزيد عن نصف دزينة من زجاجات تكساس درايفر وُجدت مبعثرة في موقع الحادث.

كان وقع الخبر شديداً بصفة خاصة على طلاب مدرسة ليبرتيفيل الثانوية، لأن الشبان يعانون صعوبة أكبر في تقبُّل الأخبار المزعجة حول وفياتهم. ولعل اقتراب الميلاد جعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة إليهم أيضاً.

شعر آرني كانينغهام بالحزن لدى سماعه الخبر - الحزن والخوف معاً. أولاً موتشي، والآن ريبرتون وريتشي تريلوني وبوبي ستانتون، والأخير كان طالباً في السنة الأولى من المرحلة الثانوية لم يسمع به آرني من قبل. وماذا كان فتىً كهذا يفعل مع أشخاص مثل ريبرتون وتريلوني، على كل حال؟ ألم يكن يعرف أن ذلك كان يشبه دخول قفص نمور حاملاً مسدس ماء؟ وقد وجد آرني صعوبة غير مفهومة في تقبل الرواية التي تناقلها الطلاب، والتي تقول ببساطة إن بادي وأصدقاءه ثملوا أثناء مباراة كرة السلة، ثم خرجوا وتجولوا بالسيارة وواصلوا الشرب فانتهى بهم الأمر إلى تلك النهاية السيئة.

لم يستطع أن يتجنب الإحساس أنه كان بطريقة ما متورطاً في ما حدث.

كانـــت لي قـــد توقفت عن التحدث معه منذ الجدال الذي وقع بينهما. وآرني لم يتصل بها أيضاً - منعه من الإقدام على ذلك كبرياؤه، وإحساسه بالخجل، وتمنيه أن تتصل هي به أولاً وتعود الأمور بينهما إلى ما كانت عليه... قبل...

قـــبل ماذا؟ قال في نفسه. *حسناً، قبل دنوّها من الموت اختناقاً في السيارة. قبل أن تحاول ضرب الفتى الذي أنقذ حياتها.*

لكـــنها أرادت منه أن يبيع كريستين، وهذا ببساطة مستحيل... ألـــيس كذلك؟ كيف يمكنه أن يفعل ذلك بعد كل ما بذله من جهد ودم، ودموع أيضاً، في سبيلها؟

قُـــرع جـــرس المدرسة الأخير يوم الخميس، الذي بدا وكأنه لن ينتهي، فهرع بسرعة نحو مرأب سيارات الطلاب ودخل كريستين.

جلس خلف المقود وسحب نفَساً مرتجفاً عميقاً وهو يراقب سقوط أولى نـــدف الثلج فوق غطاء المحرك اللامع. أخرج المفاتيح من جيبه وشغَّل محرك كريستين، فأقلعت الإطارات وسحقت الثلج المرصوص ثم انطلقت. كان يظن أنه قد يضطر في نهاية المطاف إلى تركيب إطارات خاصة بالثلج، لكـــن كريستين، في الواقع، بدت وكأنها لم تكن بحاجة إلى ذلك. تحسَّس بيده بحثاً عن زر تشغيل الراديو، فوجده ثم أداره على محطة WDIL. كان شـــيب وولي يغـــني The Putple People Eater - آكل الأشخاص البنفسجيين. جعلته هذه الأغنية يرسم ابتسامة على وجهه أخيراً.

مجـــرد وجوده خلف مقود كريستين - في موقع السيطرة - كان يجعل كل شيء يبدو أفضل. إن سماعه نبأ وفاة ريبرتون وتريلوني وذلك المـــتغوط الـــصغير بتلك الطريقة تسبب بصدمة كبيرة له، هذا طبيعي، وبعـــد مـــا حصل بينه وبين ريبرتون وزمرته في أواخر الصيف وذلك الخـــريف، كـــان من الطبيعي أيضاً أن يشعر بشيء من الذنب. لكن

حقـيقة وجوده في فيلادلفيا تثبت ببساطة أن لا علاقة له بما حدث – ذلك مستحيل.

في الواقع، كان آرني يشعر بالإحباط بسبب أشياء عامة. فدينيس كان في المستشفى، ولي كانت تتصرف بغباء مؤخراً، وكأن كريستين كانـــت تملك يدين حشرتا قطعة الهمبرغر تلك في حلقها، أيُعقَل هذا؟ إضافة إلى انسحابه من نادي الشطرنج.

ولعــل أســوأ ما في هذه المسألة الأخيرة هو طريقة قبول السيد سلوسون، مشرف نادي الشطرنج، قرار آرني من دون أن يحاول إقناعه بالعدول عنه. قال له آرني أموراً تافهة حول قلة الوقت الذي كان يملكه في تلـــك الأيام وأنه ببساطة سيضطر إلى تخفيض بعض نشاطاته، فهز السيد سلوسون رأسه ببساطة وقال: *حسناً آرني، سنكون في الغرفة 30 إن غيَّـــرت رأيك. لكن آرني شاهد في* عيني السيد سلوسون الزرقاوين الـــصغيرتين – اللـــتين بـــدوتا من وراء نظارته السميكة مثل بيضتين مسلوقتين مقرفتين – شيئاً من اللوم.

لكـــن الـــرجل لم يحاول حتى إقناعه بالعدول عن موقفه، هذا ما أزعج آرني. كان ينبغي له أن يحاول على الأقل، لأن آرني كان أفضل لاعـــب شطرنج في نادي المدرسة، وسلوسون كان يعرف ذلك جيداً. لـــو أنه حاول لربما غيّر آرني رأيه. وفي الحقيقة، أصبح آرني يملك المزيد من الوقت بعد... بعد...

بعد ماذا؟

... بعد إصلاح كريستين مرة أخرى. لو أن السيد سلوسون قال لـــه شيئاً مثل، *هيي آرني، لا تتعجل، دعنا نفكر في الأمر، بإمكاننا أن نـــستفيد منك...* أو لو أنه قال فقط *لماذا*، لربما أعاد التفكير في قراره. لكـــنه قـــال فقـــط، *سنكون في الغرفة 30 إن غيَّرت رأيك*، وبعض

الكلمـــات الفارغة، يا له من متغوط لعين، مثل بقية المتغوطين، لا أكثر ولا أقـــل. لم يكـــن خطأه خروج مدرسة ليبرتيفيل من الدور نصف النهائـــي. لقد فاز بأربع مباريات قبل ذلك الدور، وكان بوسعه الفوز مجـــدداً في الـــدور النهائي لو سنحت له الفرصة. لكن ذينك المتغوطين بـــاري كوالسون ومايك هيكس هما اللذان ضيَّعا تلك الفرصة عليه – لعلهما كانا يلعبان الشطرنج وهما يعتقدان أن روي لوبيز كان مشروباً خفيفاً أو شيئاً من هذا القبيل.

تحـــوَّل آرني من دون وجهة محددة في أرجاء ليبرتيفيل. واستمرت أفكـــاره تدور حول إبعاد اللوم عن نفسه. أثناء ذلك، كانت الإذاعة تبث مجموعة متوالية من الأغاني الذهبية القديمة. كان ظهره يؤلمه، ولكن بـــشكل خفيف. اشتد هطول الثلج لفترة وجيزة وامتلأت السماء بغـــيوم رماديـــة قاتمة فأضاء المصابيح الأمامية، وفجأة خفّ تساقط الـــثلج وانقشعت الغيوم مفسحة المجال لمرور أشعة شمس شتوية جميلة وبعيدة.

ظل يتجول.

تحولت أفكاره السابقة وأصبح يعتقد أن ريبرتون نال ما يستحقه في نهاية المطاف. وفجأة صُدم آرني عندما أدرك أن الساعة اقتربت من الـــسادسة مـــساء وأن الظلام قد حل. لاحت له في تلك الأثناء لافتة النـــيون التابعة لمطعم جينو بيتزا وهي تلوح في الظلام من جهة اليسار، فـــتوقف بجانب الرصيف ثم ترجل من السيارة. وقبل أن يشرع بعبور الشارع أدرك أنه نسي المفاتيح في السيارة.

مـــد رأسه ليأخذ المفاتيح فهاجمته الرائحة بشكل مفاجئ، الرائحة الـــتي أخبرته لي عنها، الرائحة التي أنكرها. انتزع المفاتيح وأخرج رأسه ووقف ينظر إلى كريستين وهو يرتعش.

آرني، كانت هناك رائحة. رائحة عفنة كريهة... أنت تعلم عما أتحدث.

لا، ليس لدي أي فكرة... إنك تتخيلين بعض الأشياء.

استدار آرني وقد تملّكه الرعب فجأة، ثم عبر الشارع بسرعة باتجاه مطعم جينو وكأن أحدهم كان يلاحقه.

طلب آرني قطعة بيتزا بالرغم من أنه لم يكن يرغب في الطعام حقاً. ثم صرف بعض أرباع الدولار إلى فكة وتوجه نحو كشك الهاتف بجانب آلة الجوكبوكس التي كانت تبث لحناً حديثاً لم يسمع به آرني من قبل.

اتصل بالمنزل أولاً فرد عليه مايكل. كان صوته بارداً جداً، وهو ما لم يعهده في مايكل أبداً، فازداد قلقه أكثر.

"مرحباً بابا. اسمع، أنا... آه... أنا لم أشعر بمرور الوقت هنا. أنا آسف".

"لا بأس. أين أنت، في المرأب؟".

"لا... آه، مطعم جينو، جينو بيتزا. بابا، هل أنت بخير؟ لا تبدو على طبيعتك".

"أنا بخير. لقد ألقيت غداءك للتو في صندوق القمامة، وأمك تبكي مجدداً في غرفتها، وأنت تتناول البيتزا. أنا بخير. هل تستمتع بسيارتك، آرني؟".

صمت آرني للحظة ثم قال: "بابا، لا أظن أن هذا منصف".

"لا أعتقد أنني أهتم كثيراً بعد الآن لما تظنه منصفاً أو غير منصف. كان لديك تبرير لسلوكك في البداية، ربما. لكنك في الشهر الأخير تحولت إلى شخص لا أفهمه على الإطلاق، وهناك شيء ما يحدث لا أفهمه بنفس المقدار. وأمك لا تفهمه أيضاً، لكنها تشعر به، وهذا يؤلمها

كثيراً. أعرف أنها تسببت بجزء من هذا الألم لنفسها، لكنني أشك أن ذلك يغير من نوعية الألم".

صاح آرني: "بابا، لم أشعر بمضي الوقت فقط. لا تجعل من هذا الأمر مشكلة كبيرة!".

"هل كنت تتجول؟".

"أجل، ولكن -".

"أعرف ذلك عندما يحصل عادةً. هل ستعود إلى المنزل الليلة؟".

"أجل، باكراً. أريد فقط أن أمرّ على المرأب. لدي بعض المعلومات طلب ويل مني الحصول عليها عندما كنت في فيلادلفيا -".

قال مايكل بتهذيب، ولكن ببرود: "لست مهتماً بهذا أيضاً. اعذرني".

"أوه".

"آرني؟".

"ماذا؟".

"ما الذي يجري؟".

"لا أعرف ماذا تقصد".

"أرجوك، لقد جاء ذلك المحقق إلى مكتبي. وذهب إلى أمك أيضاً. لقد أزعجها كثيراً. لا أظن أنه قصد ذلك، ولكن -".

قال آرني بحدة: "ما الأمر هذه المرة؟ ذلك السافل. ما الأمر هذه المرة؟ سوف -".

"سوف ماذا؟".

"لا شيء. ما الأمر هذه المرة؟".

"ريبرتون والولدان الآخران. ماذا تظن غير ذلك؟ الوضع الجيوسياسي في البرازيل؟".

"ما حصل لريبرتون كان حادثاً. لماذا يريد التحدث معك ومع أمي بشأن حادث، حباً بالله؟".

"لا أعلم... هل تعلم أنت؟".

صاح آرني مجدداً: "وكيف لي أن أعلم. كنت في فيلادلفيا، كيف لي أن أعلم بشأن ذلك؟ كنت ألعب الشطرنج، وليس... وليس... ليس أي شيء آخر".

"مرة أخرى، هل هناك مشكلة ما، آرني؟".

فكّر آرني في الرائحة النتنة البشعة، وفي لي عندما كانت تختنق ويتحول لونها إلى الأزرق. أغمض عينيه وأحس وكأن العالم كان يدور حوله بسرعة.

"آرني؟".

قال آرني من خلال أسنان مطبقة من دون أن يفتح عينيه: "ليس هناك أي شيء. لا شيء إلا الكثير من الأشخاص الذين يزعجونني لأنني أخيراً حصلت على شيء ملكي وحدي وفعلت ذلك بنفسي".

"حسناً. إذا أردت التحدث حول الأمر، أنا هنا. لطالما كنت مستعداً للاستماع إليك، بالرغم من أنني لم أعبِّر عن ذلك دائماً كما ينبغي. لا تنسَ أن تقبِّل أمك عندما تدخل المنزل، آرني".

"أجل، سأفعل. اسمع، ما -".

أقفل مايكل الخط.

وقف لعدة لحظات حاملاً الهاتف بيده بغباء بالرغم من أنه لم يكن يسمع أي شيء، حتى صوت الخط، لأنه كان كشك هاتف... غبياً... لعيناً.

دس يده في جيبه وأخرج الفكة ونثرها على الرف المعدني أمامه. أخذ عشرة سنتات وكاد أن يوقعها لكنه أمسك بها أخيراً ووضعها في الشق. ثم ضرب رقم منــزل لي.

ردت الـــسيدة كابــوت عليه وعرفت صوته على الفور. وبنفس السرعة تحول صوتها الأنثوي العذب إلى صوت قاس.

"إنها لا تريد التحدث معك ولا تريد رؤيتك".

"سيدة كابوت، من فضلك، لو يمكنني فقط أن -".

"أعتقد أنك فعلت ما يكفي. لقد جاءت إلى البيت باكية في تلك الليلة. وهي تبكي بين الحين والآخر منذ ذلك الحين. لقد تعرضت لنوع مـــن... تجربة معك في آخر مرة خرجتما معاً، وأنا أدعو ألا يكون ما حدث هو ما أفكر فيه. إنني -".

أحس آرني برغبة هستيرية بالضحك تعتمل داخله. لقد أوشكت لي على الموت اختناقاً بسبب قطعة همبرغر وأمها تخشى أن يكون آرني قد حاول اغتصابها.

"سيدة كابوت، يجب أن أتحدث إليها".

"لا أظن ذلك".

كـــان يحاول التفكير في قول شيء آخر عندما سمع صوت مشادة بالقـــرب مـــن سماعـــة الهاتف. احتجت السيدة بحدة وردت عليها لي بصوت غير مفهوم. وبعد ذلك بقليل قالت لي: "آرني؟".

"مرحباً لي. أردت فقط أن أتصل بك لأقول كم أنا آسف بشأن ما -".

"أجـــل، أعـــرف أنك آسف، وأنا أقبل اعتذارك يا آرني. لكنني لن... لا أستطيع الذهاب معك بعد الآن. ما لم تتغير الأمور".

قال آرني بصوت هامس: "اطلبـــي مني شيئاً سهلاً".

"هذا كل ما"، هنا ابتعد صوتها قليلاً عن الهاتف وهي تقول بحدة: "ماما، لا تقفي فوقي!" قالت أمها شيئاً يدل على استيائها، ثم ساد الصمت للحظة قبل أن يعود صوت لي مجدداً. "هذا كل ما يمكنني قوله، آرني. أعرف كم يبدو ذلك جنونياً، لكنني ما زلت أعتقد أن سيارتك حاولت قتلي في تلك الليلة. مهما حاولت تقليب الأمر في عقلي، فإنني دائماً أخرج بنفس النتيجة. إنني متأكدة من أن الأمر كان على هذا النحو. لقد امتلَكَتْك، أليس كذلك؟".

"لي، أرجو أن تعذري لغتي الفرنسية، هذا غباء لعين. إنها سيارة! هل يمكنك تهجئتها؟ س - ي - ا - ر - ة، سيارة! ليس هناك شيء -".

"أجل"، هنا بدأ صوتها يرتجف وكأنها أوشكت على البكاء، "لقد امتلكتك، وأعتقد أنه لا يوجد أحد يمكن تحريرك منها إلا أنت".

بدأ ظهره يرسل إشارات ألم شديد نحو دماغه.

"أليست هذه هي الحقيقة، آرني؟".

لم يجب، أو بالأحرى، لم يستطع أن يجيبها.

"تخلَّص منها. أرجوك. لقد قرأت حول ريبرتون في الصحيفة هذا الصباح، و-".

"وما علاقة هذا الأمر بأي شيء؟ ذلك كان حادثاً".

"لا أعرف. لعلي لا أريد أن أعرف. لكنني لم أعد قلقة علينا نحن. بل عليك أنت يا آرني. أنا خائفة عليك. ينبغي لك، لا، يجب عليك أن تتخلص منها".

قال آرني بصوت خافت: "فقط قولي إنك لن تتركيني، موافقة؟".

هنا اقتربت أكثر من حافة البكاء، أو لعلها كانت تبكي مسبقاً. "عدني يا آرني. عليك أن تعدني أنك ستفعل هذا. وبعد ذلك... بعد

ذلـــك ســـنرى. عدني أنك ستتخلص من السيارة. هذا كل ما أريده منك. لا شيء غيره".

"لا يمكنني فعل ذلك".

"إذاً، لم يبقَ لدينا الكثير لنتحدث بشأنه".

"أجل! أجل، لدينا ما نتحد –".

"لا. الوداع آرني. سأراك في المدرسة".

أحس بغضب عارم يعصف داخله، وتملَّكته رغبة قوية ومفاجئة في التلويح بسماعة الهاتف السوداء فوق رأسه مثل حبل البولا، الذي يرميه رعاة البقر الأرجنتيون للإمساك بالأبقار، وتحطيم زجاج كشك الهاتف اللعين ذاك، الذي كان يشبه غرفة تعذيب. لقد تخلى الجميع عنه، مثل فئران تهرب من سفينة على وشك الغرق.

بـــصعوبة بالغة، ضبط آرني أعصابه واستعاد السيطرة على زمام نفـــسه. مد يده نحو الرف المعدني ليأخذ عشرة سنتات فأسقط نصف الفكة على الأرض. وضع واحدة في الشق ثم فتح دليل الهاتف وقلَّب في صفحاته إلى أن وجد رقم المستشفى الذي ينـــزل فيه دينيس. دينيس. دينـــيس ســـيكون موجوداً. لطالما وقف دينيس إلى جانبه. دينيس لن يتخلى عنه.

أجابت عاملة المقسم فقال لها آرني: "الغرفة 240 من فضلك".

أُجـــري الاتصال وبدأ الهاتف يرن. رنّ... ورنّ... ورن. وما إن أوشـــك على فقدان الأمل، قال صوت أنثوي نشيط: "الطابق الثاني، الجناح سي. كنت تحاول الاتصال بمن؟".

"جيلدر. دينيس جيلدر".

"الـــسيد جـــيلدر موجود في غرفة العلاج الفيزيائي الآن. يمكنك التحدث معه في الساعة الثامنة".

فكّــر آرني في أن يقــول لها إن الأمر هام، هام جداً، لكنه فجأة شــعر بحاجة ماسة إلى الخروج من ذلك الكشك. كان رهاب الأماكن الضيقة يشبه يداً عملاقة تضغط على صدره.

"سيدي؟".

"نعم، حسناً، سأتصل مرة أخرى".

وضع السماعة في مكانها وخرج بسرعة من الكشك تاركاً الفكة علــى الــرف والأرض. التفت بضعة أشخاص ونظروا إليه - باهتمام خفيف - ثم عادوا إلى طعامهم مجدداً.

قال له العامل الموجود وراء الطاولة: "البيتزا جاهزة".

نظــر آرني إلى الساعة وأدرك أنه بقي في كشك الهاتف عشرين دقــيقة. دفــع ثمن البيتزا وكاد أن يوقع محفظته عندما كان يضع فيها الدولارات الثلاثة التي أرجعها العامل له.

قال العامل: "هل أنت بخير؟ تبدو شاحباً بعض الشيء".

"أنا بخير". أخذ البيتزا، الموضوعة ضمن علبة بيضاء مطبوع عليها اســم جينو، وخرج من المطعم على الفور. كانت الغيوم قد انقشعت تمامــاً حينــئذ والــنجوم تلمع مثل لآلئ معلّقة في السماء. وقف على الرصــيف للحظــات، نظر إلى السماء أولاً ثم إلى كريستين الواقفة في الجانب الآخر من الشارع... تنتظره بإخلاص.

قــال آرني في داخله: *إنها لا تجادل ولا تتذمر. يمكنك دخولها في أي وقــت والجلــوس على فرشها الناعم والاستراحة في دفئها. إنها لن ترفضك. إنها... إنها...*

إنها تحبه.

أجــل. كــان يشعر أن ذلك صحيح. تماماً كما كان يشعر أن ليبــي لم يكن ليبيعها إلى أي شخص آخر، ليس مقابل مائتين وخمسين

دولاراً، بــل ليس مقابل ألفي دولار. كانت قابعة هناك تنتظر الشاري المناسب. الشخص الذي...

الـــشخص الذي سيحبها لذاتها فقط. همس ذلك الصوت داخله مجدداً.

أجل هذه هي الحقيقة. هذه هي الحقيقة ببساطة.

وقــف هــناك حــاملاً بيده علبة البيتزا المنسية والبخار الأبيض يتــصاعد بكــسل منها. نظر إلى كريستين فأحس بزوبعة من المشاعر المتناقضة تعبث داخله. كان يحبها ولا يريدها، يكرهها ويقدِّرها. كان بحاجة إليها وبنفس الوقت بحاجة إلى الهرب منها. كان ملكها وكانت ملكه.

لكــن الأسوأ من ذلك كله هو شعوره بالرعب، الرعب المخدّر، إدراكه بأن... بأن...

كــيف أُصيب ظهرك في تلك الليلة يا آرني؟ بعد قيام ريبرتون – المــرحوم بــادي ريبرتون – وأصدقائه بتحطيمها؟ كيف آذيت ظهرك بحيث أصبحت مضطراً إلى ارتداء هذا الحزام النتن طوال الوقت؟ كيف آذيت ظهرك يا آرني؟

عــندما أحس أن الإجابة بدأت تتشكل داخل ذهنه، ركض آرني نحو كريستين على الفور، محاولاً تشتيت إدراكه، محاولاً الوصول إليها قبل أن يرى الصورة كاملة ويجن جنونه.

هــرع إلــيها كمــا يهــرع المدمن إلى حقنته عندما تصبح الارتعاشــات والنرفزة من السوء إلى درجة أنه لا يعود يفكر في أي شيء باستثناء الوصول إلى الراحة. هرع إليها كما يهرع الملعونون إلى قدَرهم المقدَّر مسبقاً. هرع إليها كعريس يسرع إلى المكان الذي تقف فيه عروسه.

هــرع إلى كريستين لأن داخلها لا يعود لأي شيء تأثير عليه - سواء أكان أبوه أم أمه أم لي أم دينيس، أم حتى ما فعله لظهره في تلك الليــيلة بعــد ذهاب الجميع، بعد إعادة سيارته المحطمة كلياً تقريباً من المطــار إلى مــرأب دارنل. في تلك الليلة، بعد تأكده من خلو المكان، وضــع محوّل التروس على الوضع الحيادي وراح يدفعها إلى أن بدأت تــسير على إطاراتها المثقوبة. دفعها إلى أن بدأ العرَق يسيل منه أنهاراً، وأصــبح قلــبه يدق مثل قلب حصان في سباق، وأصبح ظهره يصرخ طالــباً الــرحمة. وداخل كريستين، كان عداد المسافة يسير ببطء نحو الخلــف. وبعد أن تجاوز بوابة المطار بنحو خمسين قدماً أصبح الألم في ظهره لا يُطاق، وتخدَّرت يداه، وبعد ذلك -.

دخـــل كريستين وهو يلهث ويرتجف. سقطت علبة البيتزا على الأرض فالــتقطها ووضــعها على المقعد. وبشكل تدريجي بدأ الهدوء يتغلغل داخل جسده مثل دواء مهدئ. لمس مقود كريستين وترك يديه تنـــزلقان علــيه، تتحسسان استدارته. نــزع أحد قفازيه ومد يده داخل جيبه ليأخذ مفاتيحه، أو بالأحرى مفاتيح ليبـــي.

كان لا يزال بوسعه تذكُر ما حصل في تلك الليلة، لكن ذلك لم يعــد يــبدو مرعباً، بل أصبح يبدو - الآن، وهو جالس خلف مقود كريستين - رائعاً.

كان الأمر أشبه بمعجزة.

تذكّر كيف أصبح دفع كريستين بشكل مفاجئ أكثر سهولة، أكثــر ســهولة لأن الإطارات كانت ترمم نفسها بصورة سحرية، كانــت تــرتق شقوقها وثقوبها وتملأ نفسها بالهواء. وبعد ذلك بدأ الزجاج المكسور يشكل نفسه من العدم، والطعجات تنتأ إلى الخارج وتستوي.

ظل يدفعها إلى أن أصبحت جاهزة للسير، وبعد ذلك دخلها وبدأ يقودها. تجوَّل بها إلى أن تجاوز عداد المسافة ما فعله ريبرتون ورفاقه بها. وبعد ذلك أصبحت كريستين على ما يرام.

وما المرعب في ذلك؟

"لا شيء"، قال صوت بجانبه.

التفت فوجد رونالد دي ليبـــي جالساً على المقعد بجانبه، مرتدياً ســـترة سوداء مزدوجة الأزرار وقميصاً أبيض واضعاً ربطة عنق زرقاء. كـــان هناك عدد من الميداليات المعلقة بشكل مائل على أحد امتدادي ياقـــة سترته - كان ذلك هو اللباس الذي دُفن فيه ليبـــي، عرف آرني هـــذا بالـــرغم من أنه لم يرَه فعلياً. لكن ليبـــي كان يبدو أصغر عمراً وأكثر صلابة، ورجلاً لن ترغب في العبث معه.

قال ليبـــي: "شغِّلها. شغِّل المدفأة ودعنا نتجول".

قـــال آرني: "بالتأكيد". أدار المفتاح وانطلق. لقد دفعها في تلك اللـــيلة إلى أن رُمِّـــم كل الضرر. لا، بل أُلغي كل الضرر - أُلغي هي الكلمـــة الصحيحة لوصف ما حدث. وبعد ذلك أرجعها إلى الموقف رقم عشرين، تاركاً الباقي ليقوم به بنفسه.

قال الصوت بجانبه: "دعنا نستمع إلى بعض الموسيقى".

شغَّل آرني الراديو. كان ديون يغني Donna the Prima Donna.

"هل ستأكل البيتزا أم ماذا؟" هنا بدا الصوت وكأنه تغَّير قليلاً.

"بالتأكيد. هل تريد قطعة؟".

"لا أقول لا لقطعة من أي شيء".

فتح آرني علبة البيتزا بيد واحد وانتزع قطعة منها ثم التفت وقال: "إليك هذ -".

جحظت عيناه وبدأت قطعة البيتزا ترتعش في يده.

لم يكن ليبـــي هو الجالس بجانبه.

بل كان هو.

إنه آرني كانينغهام ولكن بعمر الخمسين تقريباً. لم يكن مسناً كما كان ليبـــي عندما شاهد آرني ودينيس أول مرة، لكنه كان في طريقه ليصبح كذلك. كان آرني كانينغهام الكهل يرتدي قميصاً قصير الكمين مـــصفرًّا وقذراً، وسروال جينـــز ملطخاً بالزيت. وكانت نظارته ذات إطـــار بلاستيكي ملصقة بشريط لاصق عند أحد طرفيها المستند على الأذن. وكان شعره قصيراً وآخذاً بالتراجع، وعيناه الرماديتان عكرتين وحمراوين. وكان فمه يحمل كل ملامح الوحدة القاسية. أحس آرني أن هذا الشيء - هذا الظهور، أو مهما كان اسمه - كان وحيداً.

وحيداً باستثناء كريستين.

كـــان من الممكن تشبيه النسخة المسنة من نفسه ورونالد ليبـــي بالأب وابنه، إذ كان الشبه كبيراً.

قال هذا الشيء: "هل ستقود السيارة أم ستنظر إلي؟" وفجأة بدأ يهـــرم أمام عيني آرني المذهولتين. تحول شعره إلى اللون الأبيض، وتجعد قميـــصه وانثنى مع ترهل جسده. وغزت التجاعيد وجهه وانحفرت في الجلـــد مشكلة خطوطاً عميقة. وغارت عيناه في محجريهما واصفرَّت قرنيتاهما. وأصبح أنفه العضو الوحيد البارز في ملامح وجهه.

وبينما كان جسد آرني كانينغهام الثمانيني يتلوى ويتقلب ويذوي علـــى مقعد كريستين الأحمر، قال بصوت أجش: "هل ترى أي شيء أخـــضر؟ هل ترى أي شيء أخضر؟ هل ترى أي شيء أ - " تكسّر الـــصوت وتحول إلى زعيق حاد، وفي نفس الوقت بدأ الجلد يتفسخ إلى قـــروح وأورام ســـطحية، وخلف النظارة غطت غشاوة بيضاء بلون الحليب كلتا العينين مثل ستارتين أُسدلتا. كان جسد هذا الشيء يتحلل

أمـــام عينيه وكانت رائحته تشبه الرائحة التي اشتمها من قبل، الرائحة الـــتي أخـــبرته عنها لي، لكنها أكثر سوءاً. كانت رائحة تفسخ سريع، رائحة موته بالذات. بدأ آرني يبكي بينما كان الراديو يبث أغنية *توتي فـــروتي* بصوت ليتل ريتشارد. في تلك الأثناء، كان شعر ذلك الشيء يتـــساقط على شكل خصل بيضاء رقيقة وكانت عظمتا الترقوة تبرزان من خلال الجلد المتمدد اللامع فوق قبة قميصه الدائرية الرخوة. وكانت شـــفتاه تتقلـــصان وتكشفان عن آخر الأسنان الباقية التي كانت مائلة باتجاهات مختلفة مثل شواهد قبور. إنه هو... إنه ميت، ومع ذلك كان حياً - مثل كريستين.

تمتم ذلك الشيء: "هل ترى أي شيء أخضر؟ هل ترى أي شيء أخضر؟".

بدأ آرني يصرخ.

39

جانكينز مرة أخرى

دخل آرني إلى مرأب دارنل بعد نحو ساعة. كان ذلك الراكب - إذا كان هناك من راكب حقاً - قد اختفى منذ وقت طويل. واختفت الـــرائحة أيضاً - لا بد أنه كان وهماً. قال آرني في نفسه: *إن بقيت مع مـــتغوطين لفترة طويلة بما يكفي، فكل شيء سيصبح له رائحة البراز. وذلك سيجعلهم سعداء بالطبع.*

كان ويل جالساً خلف طاولته في مكتب المزجّج يأكل ساندويش لحـــم بـــالجبن والخضار. رفع يده ملوحاً لآرني فقابله الأخير بنقرة من زموره بينما كان يركن السيارة.

لا بــد أن مــا حــدث له كان مجرد حلم. إنه نوع مجنون من الأحلام. الاتصال بالمنــزل، ثم بصديقته لي، ومحاولة الاتصال بدينيس وقــول تلك الممرضة أنه كان في غرفة العلاج الفيزيائي - كان الأمر أشــبه بالتنكــر لــه ثلاث مرات قبل صياح الديك، أو شيء من هذا القبــيل. كــان يتصرف بغرابة قليلاً في الأشهر الأخيرة، هذا صحيح، ولكــن، أي شخص غيره كان سيتصرف بغرابة بعد كل ما مر به منذ شــهر آب. المــسألة كلها وجهة نظر في نهاية المطاف، أليس كذلك؟ طــوال حياته كان يمثّل شيئاً معيناً بالنسبة إلى الناس، فإذا به يخرج من قوقعــته ويتحول إلى شخص عادي مع اهتمامات يومية عادية. ولهذا، مــن غير المستغرب على الإطلاق أن يستاء الناس من ذلك، لأنه عندما يــتغير شــخص ما (*نحو الأفضل أو الأسوأ، نحو الغنى أو الفقر*). فمن الطبيعــي أن يشعر الناس بشيء من الغرابة حيال ذلك... لأنه ينسف وجهة نظرهم التي اعتادوا عليها.

لكنه كان يشعر أنه على ما يرام الآن. أحس وكأنه... عبر الجسر الأخير، أو شيء كهذا.

عــندما استعاد توازنه، وجد نفسه واقفاً في منتصف طريق ضيق خلــف أبعد موقف سيارات تابع لمونروفيل مول - وهذا يعني أنه كان تقــريباً في منتــصف الطريق المؤدي إلى كاليفورنيا. خرج من السيارة ونظــر وراءها فشاهد فجوة في إحدى الضفتين الثلجيتين، وثلجاً ذائباً منــثوراً فــوق غطــاء محرك كريستين. من الواضح أنه فقد السيطرة وانــزلق بيــنما كان يمر في موقف السيارات (الذي كان من حسن حظــه فارغــاً في ذلك المكان البعيد، بالرغم من أن موسم التبضع من أجــل الميلاد كان في أوجه في ذلك الحين). كان محظوظاً لأن الموقف كان فارغاً ولم يصطدم بسيارة أخرى.

جلـــس هناك لبعض الوقت يستمع إلى الموسيقى وينظر إلى الهلال المعلـــق في كبد السماء. كان بوبـــي هيلمز يغني Jingle Bell Rock، ووصـــفه المذيع أنه صوت الموسم، فابتسم آرني وشعر أنه أصبح أفضل حالاً. لم يستطع أن يتذكر بالضبط ما رآه (أو ما كان يعتقد أنه رآه)، ولم يكـــن يريد أن يتذكر. فهو كان واثقاً من أن ذلك لن يحدث مرة أخـــرى. لقـــد جعله الناس يتخيل بعض الأشياء، ولعلهم سيشعرون بالسرور إذا ما عرفوا ذلك... لكنه لن يحقق لهم هذه الأمنية.

كانـــت الأمـــور ستتحسن على جميع المستويات. أولاً، سيصلح علاقـــته مـــع أبـــويه، وبوسعه أن يبدأ ذلك هذه الليلة بمشاهدة بعض الـــبرامج التلفزيونية معهما، كما كان يفعل في الماضي. وسيستعيد لي أيضاً. إذا لم تكن تحب السيارة - بصرف النظر عن غرابة أسبابها - لا بأس في هذا. يمكنه أن يشتري سيارة أخرى في وقت قريب ويقول لها إنه قايض كريستين بها. ويستطيع الاحتفاظ بكريستين في المرأب هنا - بـــأن يستأجر مكاناً لها. أما بالنسبة إلى ويل، فستكون النقلة التالية التي ســـيقوم بهـــا في عطلة نهاية الأسبوع القادمة آخر نقلة يؤديها له. لقد تمـــادى هذا القذر بما يكفي. لن تبدو جريمة نقل سجائر وشراب غير مرخصين بين الولايات أمراً ذا شأن بالنسبة إلى تقديم طلبه إلى الجامعة، أليس كذلك؟ *جريمة فدرالية؟* لا. ليس الأمر جيداً تماماً.

ضحك آرني قليلاً، وأحس أنه أفضل حالاً بالفعل. أثناء طريق عودته إلى مرأب دارنل أكل آرني البيتزا بالرغم من أنها كانت باردة. كان جائعاً جـــداً. تفاجـــأ لاخـــتفاء قطعة من البيتزا - في الواقع، لقد أحس بالقلق قلـــيلاً - لكـــنه تجاهل الأمر. لعله أكلها خلال تلك الفترة غير الواضحة لذهـــنه، أو لعله رماها من النافذة. فجأة أدرك أن اليوم التالي سيكون آخر يوم في المدرسة قبل عطلة الميلاد، فجعله هذا أكثر تفاؤلاً.

في تلك اللحظة انفتح الباب الجانبـــي المجاور لبوابة المرأب الكبيرة ودخل رجل منه. كان هذا الشخص هو جانكينـــز من جديد.

رأى جانكينـــز آرني ينظر إليه فرفع يده وقال: "مرحباً آرني".

نظـــر آرني إلى ويـــل من خلال زجاج مكتبه فهز الأخير كتفيه واستأنف أكل ساندويشه.

قال آرني: "مرحباً، هل يمكنني أن أخدمك بشيء؟".

"حـــسناً، لا أعرف". ابتسم جانكينـــز ونقل عينيه من آرني إلى كريستين وراح يتفحصها. "هل تريد أن تخدمني بشيء ما؟".

"غير محتمل". أحس آرني بالغضب يعتمل في داخله.

ابتـــسم رودي جانكينـــز - من الواضح أنه لم يشعر بالإهانة - وقال: "جئت للزيارة وحسب. كيف حالك؟".

مد جانكينـــز يده ليصافح آرني فاكتفى الأخير بالنظر إليها فقط. أنـــزل جانكينـــز يده من دون أي شعور بالإحراج ومشى حول كريستين وبدأ يتفحصها من جديد. راقبه آرني بشفتين مزمومتين بشدة إلى درجة أنهما تحولتا إلى اللون الأبيض. وكان يشعر بنوبة جديدة من الغضب كلما كان جانكينـــز يضع يده على كريستين.

قال جانكينـــز: "أتعلم؟ إنه لشيء غريب جداً ما حدث لريبرتون والولدين الآخرين، أليس كذلك؟".

"كنت في فيلادلفيا. بطولة شطرنج".

"أعلم".

"يا الله! إنك تلاحقني فعلاً!".

عـــاد جانكينـــز إلى آرني مجدداً، هذه المرة من دون ابتسامة على وجهـــه، وقـــال: "أجل، هذا صحيح، إنني ألاحقك. ثلاثة من الفتيان الذين أعتقد بأنهم متورطون في تحطيم سيارتك موتى الآن، إلى جانب

ولـــد رابع من الواضح أنه كان مجرد مرافق في تلك الجولة ليلة الثلاثاء. هـــذه مصادفة كبيرة جداً. إنها كبيرة جداً بالنسبة إليّ. يجب أن تكون واثقاً من أنني ألاحقك".

"اعتقدت أنه كان حادثاً... بأنهم كانوا مخمورين ومسرعين و–".

"ثمة سيارة أخرى مشتركة في الأمر".

"كيف تعرف ذلك؟".

"هـــناك آثار في الثلج، هذا أولاً. لسوء الحظ لقد شوهت الريح تلك الآثـــار كـــثيراً بحـــيث لم نستطع الحصول على صورة جيدة. لكن أحد الحواجز الخشبية عند بوابة حديقة سكوانتيك هيلز كان مكسوراً، ووجدنا آثار طلاء أحمر عليه. وسيارة بادي الكامارو لم تكن حمراء، بل زرقاء".

صـــمت قليلاً ليتمعن في وجه آرني ثم استأنف كلامه: "ووجدنا أيـــضاً آثار طلاء أحمر مطبوعة على جلد موتشي، يا آرني. هل يمكنك أن تستوعب هذا. *مطبوعة؟* هل تعلم كم من القوة يجب على السيارة أن تصدم شخصاً ما كي تطبع طلاءها على جلده؟".

أجابـــه آرني بـــبرود: "عليك أن تخرج وتبدأ بإحصاء السيارات الحمـــراء. ســـوف تصل إلى الرقم عشرين قبل أن تبلغ شارع بيزين، أضمن لك ذلك".

"بالتأكـــيد. لكنـــنا أرســـلنا عيّناتنا إلى مختبر الأف بـــي آي في واشـــنطن، حيث يملكون عينات عن كل درجة لون من ألوان الطلاء المستخدم في ديترويت. ولقد حصلنا على النتائج اليوم. هل تعرف ماذا كانت تلك النتائج؟ أتريد أن تتوقع؟".

"بما أنك هنا، فسأتوقع أنه كان أحمر خريفي. لون كريستين".

"قدّمـــوا لهذا الرجل دمية كيوبـــي". أشعل جانكينـــز سيجارة ونظر إلى آرني من خلال الدخان. كانت نظرته حادة وملامحه كذلك.

ضـــرب آرني يديـــه على رأسه بإيماءة انفعال مبالَغ فيها، ثم قال: "أحمـــر خريفي. رائع. طلاء كريستين الأصلي. ولكن هناك سيارات فورد من 1959 إلى 1963 مطلية بالأحمر الخريفي، وسيارات ثاندربيرد، وشـــيفروليه قدمت هذا اللون من 1962 إلى 1964، ولفترة قصيرة في منتصف الخمسينيات كان بإمكانك الحصول على سيارة رامبلر مطلية بالأحمر الخريفي. مضى على عملي في تصليح سيارتي البليموث 1958 نـــصف عام الآن. لقد حصلت على كتب السيارات – لا يمكنك أن تعمل على سيارة قديمة من دون هذه الكتب، وإلا فإنك فستخفق حتى قبل أن تبدأ. كان الأحمر الخريفي خياراً شائعاً. أنا أعرف ذلك"، نظر إلى جانكينـــز بتمعن، "وأنت تعرف ذلك أيضاً، أليس كذلك؟".

ظل جانكينـــز ينظر إليه بتلك النظرة المتمعنة الحادة والمثيرة للقلق مـــن دون أن يقـــول شيئاً. أدرك آرني أنها كانت نظرة شك واضحة، فأحس بالخوف والغضب في آن واحد.

"مـــاذا بحق الله تملك ضدي على كل حال سيد جانكينـــز؟ لماذا تلاحقني؟".

ضـــحك جانكينـــز ومشى حول آرني راسماً نصف دائرة كبيرة. كـــان المرأب فارغاً تماماً إلا منهما، إضافة إلى ويل الجالس في مكتبه. كـــان لا يزال يراقبهما بينما كان يلعق زيت الزيتون عن أصابعه بعد إنهاء ساندويشه.

"مـــاذا لدي ضدك؟ كيف تبدو لك جريمة قتل من الدرجة الأولى يا آرني؟ هل يعني ذلك لك شيئاً؟".

تجمَّد آرني في مكانه.

قـــال جانكينـــز بينما كان لا يزال يمشي: "لا تقلق. ليس هناك مشهد شرطي قاسٍ. لا تهديدات بالذهاب إلى وسط البلد – باستثناء أن

وسـط البلد في هذه الحالة يعني هاريسبورغ. لا تلاوة لحقوقك. كل شيء لا يزال على ما يرام بالنسبة إلى بطلنا آرنولد كانينغهام".

"إنني لا أفهم أياً مما تق -".

هـنا زمجر جانكينـز في وجه آرني: "بل تفهم... تماماً! ثلاثة من الـشبان الذين حطموا سيارتك موتى الآن. أُخذت عينات طلاء أحمر خريفي من موقعي الجريمتين، الأمر الذي جعلنا نستنتج أن السيارة التي استخدمها المجرم في كلتا الحالتين كانت على الأقل مطلية جزئياً بالأحمر الخريفي. وأنت تقف هناك وتدفع نظارتك فوق أنفك وتقول لي إنك لا تفهم عما أتحدث!".

قال آرني بهدوء: "كنت في فيلادلفيا عندما حدث ذلك. ألا تفهم هذا؟ ألا تفهم هذا على الإطلاق؟".

رمى جانكينـز سيجارته وقال: "أيها الفتى، هذا الجزء الأسوأ من القصة. هذا الجزء القذر فيها".

"آمـل أن تخـرج من هنا أو تعتقلني أو تفعل أي شيء. يُفترَض بـي أن أسجل حضوري للقيام ببعض الأعمال هنا".

"في الـوقت الحاضر، الكلام هو كل ما لدي. في المرة الأولى - عندما قُتل ويلش - يُفترَض أنك كنت نائماً في المنـزل".

"حجـة ضـعيفة جداً، أعرف. صدِّقني، لو كنت أعرف أن هـذا الهـراء سـيحدث لي لاستخدمت صديقاً مريضاً كي يسهر بجانبـي".

"أوه، لا، كان ذلك جيداً. وأبواك ليس لديهما أي سبب للشك في روايـتك. عـرفت ذلـك من التحدث معهما. وحجج الغياب - الحقيقية منها - تكون في العادة مليئة بالثغرات. أما عندما تكون خالية تماماً من أي ثغرة، فعندئذ أشعر بالنرفزة".

"يا الله الرحيم! كان اجتماع شطرنج! مضى لي على وجودي في نادي الشطرنج أربع سنوات الآن!".

"حتى اليوم"، قال جانكينز ثم هز رأسه، "أوه، أجل. لقد تحدثت مع مشرف النادي، السيد سلوسون. إنه يقول إنك خلال السنوات الثلاث الأولى لم تتغيب عن أي اجتماع، حتى إنك جئت إلى اجتماعين بالرغم من إصابتك بحالة خفيفة من الإنفلونزا. كنت نجمه المفضل. ثم، في هذه السنة، أصبحت تتغيب منذ البداية".

"أصبحت لدي سيارة أعمل عليها... وصديقة أيضاً".

"قال إنك تغيّبت عن البطولات الثلاث الأولى وأنه اندهش كثيراً عندما وجد اسمك موجوداً في استمارة الرحلة من أجل بطولة الولايات الشمالية. كان يعتقد أنك فقدت كل اهتمامك بالنادي".

"أخبرتك -".

"أجل، أخبرتني. مشغول جداً. سيارات وفتيات. هذا ما يجعل معظم الفتيان كثيري الانشغال. لكنك استعادت اهتمامك فجأة كي تذهب إلى فيلادلفيا، وبعد ذلك تركت النادي. يبدو لي هذا غريباً للغاية".

"لا أجد أي شيء غريب في ذلك".

"هراء. إنه يبدو وكأنك كنت تعرف ما سيحدث فأعددت لنفسك حجة غياب متينة".

بدأ آرني يحس بألم في رأسه. لماذا لا يتركه هذا الرجل المتوحش ذو العينين البنيتين المتفحصتين وشأنه؟ كل ما يقوله غير صحيح، غير صحيح على الإطلاق. إنه لم يقم بإعداد أي شيء، لا حجة غياب، ولا أي شيء آخر. لقد صُدم مثل الجميع عندما قرأ في الصحيفة ما حدث. لم يكن يحدث أي شيء غريب، باستثناء ذلك الشعور المجنون بالارتياب و...

كـيف آذيت ظهرك على كل حال يا آرني؟ وبالمناسبة، هل ترى أي شيء أخضر؟ هل ترى أي شيء...

أغمـض عينيه وللحظة أحس وكأن العالم يخرج عن مداره ورأى ذلك الوجه المتعفن المبتسم الأخضر يطوف أمامه، قائلاً: *شغِّلها.* شغِّل *المـدفأة ودعـنا نتجول. وبينما نحن نتجول، دعنا ننتقم من المتغوطين الـذين حطمـوا سيارتنا يا فتى، ما رأيك؟ دعنا نصدمهم بقوة لعينة سيـضطر بسببها مشرِّح الجثث في مستشفى المدينة إلى نـزع رقائق الطلاء من جثثهم بواسطة زردية. ما رأيك؟ جد لنا بعض الموسيقى في الراديو ودعنا نتجول. دعنا* -.

رجع إلى الوراء ولمس كريستين - لمس جسدها الصلب، البارد، والمطمئن - واستعاد توازنه على الفور. ثم فتح عينيه.

قـال جانكينـز: "هناك أمر آخر فقط، حقاً. وهو أمر يتعلق بإحـساسي الشخـصي، شيء لا يمكنك تضمينه في أي تقرير. إنك مختلف هذه المرة، يا آرني. أكثر صلابة نوعاً ما. يبدو لي كأنك كبرت عشرين عاماً".

ضـحك آرني، وأحس بالارتياح لأن ضحكته بدت طبيعية، ثم قال: "سيد جانكينـز، لديك برغي محلول".

"أه -ههـه. أعرف ذلك. الأمر كله غريب، أكثر غرابة من أي شيء آخر حققت فيه خلال سنواتي العشر كمحقق. في المرة الأخيرة، أحسست بأنك... لا أعرف... ضائعاً، حزيناً، متردداً، تحاول التملص بـأي وسيلة. أما الآن فلا أشعر بذلك أبداً. بل أكاد أشعر أنني أتحدث إلى شخص مختلف، شخص غير لطيف جداً".

"لقـد انتهيت من التحدث معك". قال آرني هذا وبدأ يمشي باتجاه المكتب.

"أريد أن أعرف ما الذي جرى. وسأكتشف ذلك، صدِّقني".

"أسدِ لي معروفاً وابقى بعيداً عن هنا. إنك مجنون".

دخــل آرني المكــتب وأغلــق الباب وراءه ولاحظ أن يديه لا ترتعشان على الإطلاق. كانت الغرفة عابقة بروائح سيجار ويل وزيت زيــتون وثــوم. اقتــرب من الطاولة ووقف مقابل ويل ثم أخذ بطاقة ســاعات العمل الخاصة به من على الرف وثقبها من دون أن يفتح فمه بكلمــة. ثم نظر من خلال زجاج النافذة فرأى جانكينــز واقفاً هناك ينظر إلى كريستين. ظل ويل صامتاً أيضاً، وكان باستطاعة آرني سماع صوت تنفسه. وبعد ذلك بدقيقتين غادر جانكينــز.

قال ويل: "شرطي؟" وأصدر تجشؤاً طويلاً بدا مثل صوت منشار كهربائي.

"أجل".

"ريبرتون؟".

"أجل. يظن أن لي علاقة بالأمر".

"بالرغم من أنك كنت في فيلادلفيا؟".

هز آرني رأسه وقال: "إنه لا يكترث لذلك أبداً".

إذاً، فهــو شــرطي ذكي - قال ويل في نفسه - *إنه يعرف أن الحقائق خاطئة، وحدسه يخبره أن هناك شيئاً غريباً، ولهذا فهو ذهب إلى أبعــد مما يمكن أن يذهب إليه أي شرطي آخر، لكنه قد يمضي مليون ســنة من دون أن يصل إلى الحقيقة.* تذكَّر السيارة الفارغة وهي تقود نفــسها نحو الموقف عشرين. وشق المفتاح الفارغ وهو يدور من تلقاء نفسه نحو وضعية التشغيل.

ولأنه كان يفكر في هذه الأشياء لم يثق ويل في قدرته على النظر إلى عيني آرني، بالرغم من تمرّسه في الخداع معظم حياته.

"لا أريد أن أرسلك إلى ألباني إذا كانت الشرطة تراقبك".

"لا يهمُّني إن أرسلتني إلى ألباني أم لم تفعل، ولكن ليس عليك أن تقلق بشأن ذلك. إنه الشرطي الوحيد الذي رأيته وهو مجنون. إنه غير مهتم بأي شيء باستثناء حالتيْ صدم وهرب".

هـــنا التقت عينا ويل بعينيْ آرني: "إنه مهتم بك أنت. أفضِّل أن أرسل جيمي".

"تحب طريقة قيادة جيمي، أليس كذلك؟".

نظر ويل إلى آرني للحظة ثم تنهّد وقال: "حسناً، ولكن، إذا رأيت ذلـــك الـــشرطي، تـــراجع. وإذا قُـــبض عليك وبحوزتك كيس ما، كانينغهام، فإنه كيسك. هل تفهم ذلك؟".

"أجل. هل تريد أن أقوم بعمل ما الليلة، أم ماذا؟".

"هـــناك بويك 77 في الموقف تسعة وأربعين. فكّ موتور المارش. وتفحَّص الملف اللولبـــي. إذا بدا لك جيداً، فكّه أيضاً".

هـــز آرني رأسه وغادر المكتب. تحوّلت عينا ويل المتفكرتان من ظهـــر آرني المغادر إلى كريستين. لم يكن من مصلحته إرسال آرني إلى ألـــباني وهـــو كان يعرف ذلك. وكان الفتى يعرف ذلك أيضاً، لكنه ســـيذهب بالرغم من ذلك. لقد قال إنه سيذهب ولهذا فهو سيذهب. وإذا حصل شيء ما فالفتى سيتحمَّل النتائج. كان ويل متأكداً من هذا.

لقد سمع كل ما دار بين آرني والشرطي من خلال الإنتركوم.

كان جانكينـــز محقاً.

لقد أصبح الفتى أكثر صلابة الآن.

عـــاد ويـــل ونظـــر إلى ســـيارة الفتى. سيأخذ آرني سيارة ويل الكريـــسلر إلى نيويورك. وأثناء غيابه سيراقب ويل كريستين، سيراقبها وسيرى ما سيحصل.

40
آرني في مشكلة

عـــصر اليوم التالي كان رودولف جانكينـــز وريك ميرسير من قـــسم التحقيقات في شرطة ولاية بنسلفانيا يتناولان القهوة في مكتب صـــغير كئيب يتقشَّر الطلاء من جدرانه. وفي الخارج كان هناك مزيج محبط من الثلج والمطر الثلجي يتساقط.

قال جانكينـــز: "أنا متأكد من أن ذلك سيحصل في عطلة نهاية الأسبوع هذه. لأن الكريسلر كانت تتحرك كل أربعة أو خمسة أسابيع خلال الأشهر الثمانية الأخيرة".

"فقط افهم أن اعتقال دارنل والشكوك التي تحملها تجاه ذلك الفتى أمران مختلفان".

"إنهمـــا ذات الشيء بالنسبة إليّ. الفتى يعرف شيئاً ما. وإذا أخفته قليلاً، فقد أكتشف ما هو".

"هل تعتقد أنه يملك شريكاً؟ شخص استخدم سيارته وقتل أولئك الشبان أثناء وجوده في بطولة الشطرنج؟".

هـــز جانكينـــز رأسه وقال: "لا، اللعنة. الفتى لديه صديق جيد وحيد، لكنه في المستشفى. لا أعرف بما أفكر فيه، باستثناء أن السيارة متورطة، وأنه هو أيضاً متورط".

وضع جانكينـــز كوب القهوة البلاستيكي وأشار بيده إلى الرجل الجـــالس في الجهـــة الأخـــرى من الطاولة، ثم قال: "عندما نغلق ذلك المكـــان، أريـــد ستة تقنيين من المختبر يفتشونه من أوله إلى آخره، من الـــداخل والخـــارج. أريد أن يفتشوا عن طعجات، انتفاخات، إعادة

طــلاء... وعـــن دمـــاء. هذا ما أريده فعلاً يا ريك. قطرة دم واحدة فقط".

"إنك لا تحب الفتى، أليس كذلك؟".

ضــحك جانكينـــز ضحكة قصيرة وهز رأسه وقال: "أتعلم؟ في المرة الأولى أحببته نوعاً ما. أحببته وشعرت بالإشفاق نحوه. أحسست وكأنـــه كان يغطي شخصاً آخر يمسك شيئاً ما عليه. ولكن، هذه المرة لم أحـــبه نهائـــياً... ولا أحـــب تلك السيارة أيضاً. الطريقة التي كان يلمسها على الدوام كلما اعتقدت أنني ضيَّقت الخناق عليه. إنها مخيفة".

"فقط تذكَّر أن دارنل هو الشخص الذي يتوجب علي اعتقاله. لا أحد في هاريسبورغ مهتم بذلك الفتى".

"سأتذكَّر. لأنه أداة لغاية ما. سألقي القبض على الشخص الذي قتل أولئك الشبان حتى لو كان ذلك آخر عمل أقوم به".

في صـــباح يـــوم السبت، 16 كانون الأول، كان هناك شرطيان بملابس مدنية من فرقة الجريمة التابعة لولاية بنسلفانيا جالسين في كابينة بـــيك أبّ داتـــسون عمـــرها أربع سنوات، يراقبان سيارة ويل دارنل الكريـــسلر الـــسوداء وهي تخرج من البوابة الكبيرة. كان المطر يهطل رذاذاً والجـــو عابقـــاً بـــضباب حفيف يستحيل معه معرفة أين تنتهي السحب ويبدأ الضباب الحقيقي.

رفع أحد الشرطيين جهاز إرسال إلى فمه وقال: "لقد خرج الآن بسيارة دارنل. ابقوا على أهبة الاستعداد أيها الشباب".

لحقا بالكريسلر حتى الطريق العام 76. وعندما شاهدا آرني يسلك المـــنعطف المتجه شرقاً نحو هاريسبورغ، سلكا المنعطف المتجه غرباً نحو أوهايـــو، ثم بلّغا عن ذلك. كانا سيخرجان من أحد مخارج الطريق 76

ويـــسيران بمحاذاتـــه ومن ثم يعودان إلى مكانهما الأصلي قرب مرأب دارنل.

أجاب صوت جانكينـــز: "حسناً. دعونا نصنع عجَّة".

وبعـــد عشرين دقيقة، بينما كان آرني يسير شرقاً بسرعة قانونية رزيـــنة، دق ثلاثة رجال شرطة يحملون معهم الأوراق القانونية المناسبة علـــى باب ويليام أبشو، الذي كان يعيش في ضاحية سويكلي الراقية. فـــتح أبـــشو الباب بنفسه مرتدياً ثوب الاستحمام. ومن خلفه سُمع صوت فيلم كرتوني صادر من التلفزيون.

صاحت زوجته من المطبخ: "ما الأمر حبيبـــي؟".

نظر أبشو إلى الأوراق، وكانت أوامر من المحكمة، وأحس أنه قد يُغمـــى عليه. إحدى تلك الأوراق كانت تأمر بمصادرة جميع سجلات الـــضرائب التابعة لويل دارنل (كشخص) وويل دارنل (كشركة) التي كانـــت بحـــوزة أبشو. وكانت الأوراق تحمل توقيعي النائب العام في بنسلفانيا وقاضٍ من المحكمة العليا.

صـــاحت زوجته مرة أخرى: "من عند الباب حبيبـــي؟" ثم جاء أحد أطفاله ليلقي نظرة.

حاول أبشو أن يقول شيئاً لكن صوته اختنق في حلقه. يبدو أن مـــا كان يخاف منه قد حصل أخيراً. لقد قرأ ذلك في وجوه رجال الشرطة أولئك. والأسوأ من هذا أن أحدهم كان عميلاً فدرالياً تابعاً لمكـــتب الشراب والتبغ والأسلحة، وهو أخرج بطاقة شخصية ثانية تزعم أنه عميل لدى شيء ما يُدعى الوحدة الفدرالية للسيطرة على المخدرات.

قـــال هذا الشرطي الفدرالي: "معلوماتنا تقول أنك تحتفظ بمكتب لك في منـــزلك".

فتح أبشو فمه ليجيب عن سؤال الشرطي الفدرالي لكن صوته لم يخرج مجدداً.

"هل هذه المعلومات صحيحة؟".

وأخيراً قال أبشو بصوت متحشرج: "أجل".

"ومكتب آخر في 100 شارع فرانكستاون في مونروفيل؟".

"أجل".

قالـــت زوجته آمبر مرة أخرى: "حبيبـــي، من عند الباب؟" ثم جاءت إلى الصالون ورأت الرجال الثلاثة واقفين عند مدخل الباب من الخارج فشدت عليها قبة سترها المنـــزلية.

فجأة انفجر الصبـــي الذي خرج ليرى من جاء إلى منـــزلهم في ذلـــك الـــوقت المبكـــر مـــن صباح يوم السبت بالبكاء وركض نحو التلفزيون.

عـــندما تلقّى جانكينـــز نبأ تسليم أمر المحكمة لأبشو ومصادرة جمـــيع الأوراق الـــتابعة لدارنل، والموجودة في كل من منـــزل أبشو ومكتبه في مونروفيل معاً، قام على الفور بجمع ستة من رجال الشرطة ثم قادهم نحو مرأب دارنل في ما كان يُسمى في السابق عملية اقتحام. كان المرأب مزدحماً إلى حد ما بالرغم من عطلة العيد - مع أنه لم يكن يُقارَن على الإطلاق بالازدحام الذي كان يصبح عليه في الصيف أثناء عطـــل نهايـــة الأسبوع. خمسة وعشرون رجلاً تقريباً أداروا رؤوسهم بـــسرعة نحو جانكينـــز عندما رفع مكبر صوت يعمل على البطاريات إلى فمه وصاح: "*هذه شرطة ولاية بنسلفانيا!*".

ترددت صدى كلماته في أرجاء المكان، ووجد جانكينـــز عينيه تنجذبان، حتى في تلك اللحظة، نحو سيارة البليموث القابعة في الموقف

رقم عشرين. لقد تعامل مع أسلحة ارتُكبت جرائم بواسطتها أكثر من خمس مرات خلال فترة عمله كشرطي، أحياناً في موقع الجريمة، وغالباً على منصة الشهادة في المحكمة، لكن مجرد النظر إلى تلك السيارة كان يُشعره بالقشعريرة.

عبس جيتي، موظف مصلحة الضرائب الذي كان يرافقهم، في وجه جانكينز كي يواصل كلامه. *لا أحد منكم يعرف ماذا تعنيه هذه. لا أحد منكم.* لكنه رفع مكبر الصوت مجدداً وقال: "*مكان العمل هذا مغلق! أكرر، مكان العمل هذا مغلق! بوسعكم أخذ سياراتكم إذا كانت قادرة على السير، وإذا لم تكن، من فضلكم اتركوا المكان بسرعة وهدوء! هذا المكان مغلق!*".

نظر إلى المكتب فوجد دارنل يتحدث عبر الهاتف وفي فمه سيجار غير مُشتعل. وكان جيمي سايكس واقفاً بجانب برّاد الكوكاكولا. كان وجهه البسيط يوحي بالقلق والارتباك - لم يكن مختلفاً كثيراً عن وجه الطفل بيل أبشو قبل أن ينفجر في البكاء.

قال ريك ميرسير - وهو الضابط المسؤول - لويل دارنل: "هل تفهم حقوقك التي أدليتها عليها؟" كان المرأب في تلك الأثناء فارغاً باستثناء أربعة رجال شرطة يقومون بتسجيل بعض البيانات حول السيارات التي تم احتجازها عند إغلاق المرأب.

قال ويل: "أجل". كان وجهه هادئاً، لكن الدلالة الوحيدة على انزعاجه كانت تتمثل في صفير تنفسه، وجيشان صدره الضخم تحت قميصه الأبيض، وطريقة إمساكه برذّاذ الربو في يده.

قال ميرسير: "هل تريد أن تقول أي شيء الآن؟".

"ليس قبل أن يأتي المحامي".

قال جانكينــز: "بإمكان محاميك أن يقابلنا في هاريسبورغ".

رمق ويل جانكينــز بنظرة احتقار من دون أن يقول شيئاً. خارج المرأب، كان عدد أكبر من رجال الشرطة قد أنهوا في تلك الأثناء تثبيت أختــام الــشمع الأحمــر على جميع الأبواب باستثناء الباب الجانبــي الــصغير، الــذي سيُــستخدَم للمرور منه إلى حين الانتهاء من عملية الاحتجاز.

قال ويل: "هذا أكثر الأشياء التي سمعتها جنوناً".

ابتــسم ميرسير وقال: "وستصبح أكثر جنوناً. إنك ستمضي فترة طويلة من الزمن وراء القضبان يا ويل. لربما سأجعلك يوماً ما مسؤولاً عن سيارات السجن".

نظر ويل إليه وقال: "إنني أعرفك. اسمك ميرسير. كنت أعرف والــدك جــيداً. كــان أكثر الضباط الذين خرجوا من بلدة كينج فساداً".

شــحب وجــه ريــك ميرســير ورفع يده يريد ضربه، فتدخَّل جانكينــز على الفور: "توقف يا ريك".

قال ويل: "لا بأس، استمتعا بوقتكما أيها الرجلان. اسردا النكات حــول ســيارات السجن. سوف أعود إلى هذا المكان وأمارس عملي خــلال أسبوعين. وإذا لم تكونا تعرفان ذلك فأنتما أكثر غباءً مما يبدو عليكما".

قــال ميرســير: "أخرج كيس القمامة هذا". كان وجهه لا يزال شاحباً.

بعــد نصف ساعة، كان ميرسير وجانكينــز جالسين في سيارة فــورد لا تحمل أي علامة تدل على أنها تابعة للشرطة. كانت الشمس

قـد قـررت الظهور وبث أشعتها بقوة على الثلج الذائب والطرقات المبتلة.

قال جانكينـز: "هل أنت بخير؟".

أجاب ميرسير بصعوبة: "ذلك الهراء الذي قاله بشأن أبـي. لقد أطلـق الـنار على نفسه، رودي. فجَّر رأسه. ولطالما اعتقدت... في الجامعـة قـرأت..." هز كتفيه "... الكثير من رجال الشرطة يطلقون الـنار على أنفسهم. ميلفين بيرفيس فعل ذلك، كما تعلم. وهو الرجل الذي قتل ديلينجر. هذا يثير العجب".

أشعل ميرسير سيجارة وسحب نفَساً عميقاً.

قال جانكينـز: "إنه لا يعرف أي شيء".

"بالتأكـيد لا يعـرف". فـتح النافذة ورمى سيجارته، ثم أخذ ميكروفون السيارة وقال: "مركز، هذا موبيل اثنان".

"عُلم، موبيل اثنان".

"ماذا يجري مع حمامتنا الزاجلة؟".

"إنـه علـى الطريق أربعة وثمانين في طريقه للوصول إلى بورت جيرفيس". بورت جيرفيس هي نقطة التقاء بين نيويورك وبنسلفانيا.

"هل نيويورك مستعدة؟".

"أجل".

"أخبرهم مرة أخرى أنني أريده شمال شرق ميدلتاون قبل أن يلقوا القبض عليه، ولتُؤخذ تذكرة عبوره الطريق المأجور كدليل".

"عُلم".

أعـاد ميرسـير الميكروفون وابتسم ثم قال: "عندما سيعبر باتجاه نيويورك ستصبح المسألة فدرالية حتماً، لكننا مع ذلك سنبقى أصحاب الحق الأول. أليس هذا جميلاً؟".

لم يقـــل جانكينــــــز شيئاً، لأنه لم يكن يعتقد أن ما يحصل كان جمـــيلاً على الإطلاق. من ويل دارنل ورذّاذه إلى انتحار والد ميرسير، فضلاً عن شعوره الغامر بالخوف من أن أشياء فظيعة ستحدث.

كانـــت الغـــيوم التي تغطي غربـــي نيويورك آخذة بالانقشاع، فـــبدأت معنويات آرني ترتفع. لطالما أحس آرني بالسعادة للابتعاد عن ليبرتيفيل... للابتعاد عن... كل شيء. وحتى معرفته بوجود سلع مهرَّبة في صندوق السيارة لم تكن لتخمد ذلك الشعور بالارتياح. ولكن، في الجهة الخلفية البعيدة من دماغه - غير مُدرَك تماماً، لكنه موجود - كان هـــناك تأمـــل خامل حول كيف يمكن للأشياء أن تكون مختلفة إذا ما قـــذف بالـــسجائر خارج السيارة وتابع طريقه. كيف يمكن لحياته أن تتغير، إذا ما ترك وراء ظهره كل تلك الفوضى المثيرة للإحباط.

لكنه، بالطبع، لم يكن ليفعل ذلك. التخلي عن كريستين بعد كل ما فعله من أجلها كان أمراً مستحيلاً.

شغَّل الراديو وبدأ يهمهم مع أغنية حديثة. في تلك الأثناء، كانت الـــشمس - الـــتي أضعفها شهر كانون الأول، لكنها مع ذلك كانت تحاول أن تكون قوية - قد بددت الغيوم كلياً، فابتسم آرني بسعادة.

كـــان لا يزال مبتسماً عندما مرت سيارة شرطة نيويورك بجانبه علـــى الطريق السريع وبدأ مكبر الصوت فوقها يصيح: "*هذا من أجل الكريسلر! توقفي جانباً كريسلر! توقفي جانباً!*".

التفت آرني وتلاشت الابتسامة المرتسمة على وجهه شيئاً فشيئاً. حدَّق إلى نظارة شرطي سوداء فتملَّكه رعب شديد - ولكن ليس على نفسه. بدأ عقله يدور بسرعة. رأى نفسه يدعس على دواسة البنـــزين ويحاول الهرب، ولعله كان سيفعل ذلك لو كان يقود كريستين. ورأى

دارنـــل يقول له إنه إذا قُبض عليه وبحوزته كيس ما، فالكيس يعود له. ورأى جانكينـــز بعينيه البنّيتين الحادتين وعرف أن ما يحصل كان من تدبيره هو.

"توقفي جانباً يا كريسلر! إنني لا أتحدث كي أسمع صوتي! توقفي جانباً الآن!".

لا يمكـــنني أن أقول شيئاً، فكّر آرني في داخله بينما كان ينحرف إلى جانب الطريق. كانت معدته تتقلب بجنون. نظر إلى نفسه في المرآة فرأى الخوف بادياً على عينيه حتى من وراء نظارته - ولكن، ليس على نفـــسه. نعـــم، ليس على نفسه، بل على كريستين. كان خائفاً على كريستين ومما يمكن أن يفعلوه بها.

شـــكّل ذهـــنه المذعور مجموعة متناقضة من الصور. استمارات جامعـــة ممهورة بكلمات **مرفوض – مجرم مدان**. قاض يتلو حكمه من فوق مقعد مرتفع. مجموعة من الشاذين الضخام في باحة سجن يبحثون عـــن لحـــم طـــازج. كريستين تسير على الحزام الناقل نحو آلة سحق السيارات في باحة الخردة وراء المرأب.

وبيـــنما كـــان يوقف الكريسلر ويشعل أضواء التوقف، في حين كانت سيارة الشرطة تتوقف جانباً خلفه (وتتجاوزه سيارة أخرى - لم ينتـــبه لوجودها - وتتوقف أمامه)، انبثقت في ذهنه، من العدم، فكرة مفاجئة ومريحة: *كريستين يمكنها الاهتمام بنفسها*.

وانبـــثقت فكـــرة أخـــرى في ذهنه بينما كان رجال الشرطة يـــتقدمون نحوه وبيد أحدهم مذكرة تفتيش. هي أيضاً بدت وكأنها آتـــية من العدم، لكنها ترددت بصوت العجوز رونالد دي ليبـــي الأجش: *وهي ستعتني بك أيها الفتى. كل ما عليك فعله هو الاعتقاد بها وهي ستعتني بك*.

فـــتح آرني بـــاب السيارة وخرج منها قبل لحظة من تمكّن أحد رجال الشرطة من فتحه.

قال أحدهم: "آرنولد ريتشارد كانينغهام؟".

أجابه آرني بهدوء: "نعم، بالتأكيد. هل كنت مسرعاً؟".

قال آخر: "لا يا بني. لكنك موجود في عالم من الألم، لا فرق".

تقـــدَّم الشرطي الأول منه وقال: "لدي هنا مذكرة واجبة التنفيذ تجيز تفتيش هذه الكريسلر إمبيريال 1966 باسم سكان ولاية نيويورك واتحـــاد بنـــسلفانيا والـــولايات المتحدة الأميركية. وإضافة إلى ذلك، مصادرة أي مواد غير مرخصة تُكتشَف خلال التفتيش".

"حسناً".

قال أحدهم: "أعطِني المفاتيح يا بني".

"لماذا لا تأخذها بنفسك أيها المتغوط".

قـــال الـــشرطي: "إنـــك لا تساعد نفسك أيها الفتى". لكنه بدا مذهـــولاً وخائفاً قليلاً في الوقت عينه، لأن صوت الفتى بدا للحظات وكأنه غلُظ وخشُن، وهو نفسه بدا وكأنه كبُر أربعين سنة وبانت عليه ملامح القسوة - مقارنة بالفتى النحيل الذي كان يراه أمامه.

مـــد الـــشرطي يده داخل السيارة وأخذ المفاتيح، وعلى الفور توجّه ثلاثـــة رجـــال آخـــرون نحو الصندوق الخلفي. قال آرني في نفسه: *إنهم يعـــرفون. ولكـــن، على الأقل، ليست لها علاقة بهوس جانكينـــز ببادي ريـــبرتون وموتـــشي ويلش والآخرين (ليس بشكل مباشر، على الأقل).* بدت تلك العملية أنها محكمة التخطيط وجيدة التنسيق وتستهدف عمليات التهريب التي كان يقوم بها ويل من ليبرتيفيل إلى نيويورك ونيوإنجلاند.

قـــال أحدهم: "أيها الفتى، هل تود الإجابة عن بعض الأسئلة أو قول شيء ما؟ إذا كنت تظن ذلك، فسأقرأ لك حقوقك الآن".

أجابه آرني بهدوء: "لا. ليس لدي أي شيء أقوله".

"يمكن أن تكون الأمور أسهل بكثير عليك".

قال آرني مبتسماً: "هذا إكراه. احذر، وإلا فإنك ستضع ثغرة كبيرة في قضيتك".

رد عليه الشرطي بارتباك: "إذا كنت تريد أن تكون سافلاً، فعليك أن تحذر أنت".

فتحوا الصندوق الخلفي وأخرجوا منه الإطار الاحتياطي، وعدة صناديق تحوي قطع تبديل صغيرة - نوابض، صمولات، براغي، وأشياء كهذه. للحظة، تمنّى آرني لو أنهم لا يجدون الحجرة الخفية، لكنه تجاهلها على الفور - كان ذلك نابعاً من الجزء الطفولي منه، الجزء الذي يتمنى التخلص منه نهائياً، لأنه كان سبب ألمه مؤخراً. *سيجدونها. وكلما كانوا أسرع في إيجادها، كلما كانت نهاية هذا المشهد المقرف سريعة أكثر.*

قال الشرطي الذي قرأ له مذكرة التفتيش: "حسناً، أغلقوا الصندوق". ثم التفت إلى آرني وقرأ عليه حقوقه، وبعد انتهائه، قال: "هل تفهم حقوقك التي قرأها عليك؟".

"أجل".

"هل تريد أن تدلي بشيء ما؟".

"لا".

"ادخل إلى السيارة، بني. أنت قيد الاعتقال".

تجمّعت دموع طفولية يائسة في حلقه وسدّته.

ارتجف صدره مرة... ثم مرة أخرى.

وضع الشرطي الذي قرأ عليه حقوقه يده على كتفيه فنفضها آرني بعصبية، وقال: "لا تلمسني".

"كما تشاء يا بني".

فتح الشرطي باب السيارة وأدخله.

أعاد مايكل كانينغهام سماعة الهاتف إلى مكانها ببطء وعناية شديدين، وكأنه إن فعل ذلك بسرعة أكبر، فإن الهاتف سينفجر.

جلس على كرسيه الدوّار وراء مكتبه الذي كان يحمل فوقه آلته الكاتبة، ومنفضة سجائر مطبوع على قاعها *جامعة هورليكس* بخط أزرق بالكاد كان مقروءاً بسبب بقايا رماد الدخان، ومخطوطة كتابه الثالث، وهي دارسة حول السفينتين الحربيتين المدرعتين مونيتور وميريماك. قلب محرر الصفحات الموجود على يمين الآلة الكاتبة، ثم سحب الصفحة التي كان قد وصل إلى منتصفها حين رن جرس الهاتف، ووضعها فوق بقية أوراق المخطوطة، التي كانت لا تزال تعج بتصحيحات مكتوبة بواسطة قلم رصاص.

في ذلك المساء، كانت السماء صافية وباردة - بعكس جو الصباح الغائم والدافئ - وكانت الريح باردة تعصف خارج المنزل. وكان ابنه معتقلاً في ألباني بتهم تصل إلى حد التهريب: *لا يا سيد كانينغهام، إنها ليست ماريجوانا، إنها سجائر، مائتا كرتونة سجائر من دون ختم الضريبة.*

كان باستطاعته سماع أزيز ماكينة خياطة ريجينا في الطابق السفلي. سيتوجب عليه الآن الوقوف، والتوجه نحو الباب، وفتح الباب، وعبور الرواق إلى السلالم، ونزول السلالم، ودخول غرفة الطعام، ومن ثم غرفة صغيرة كانت في الماضي غرفة غسيل قبل أن تتحول إلى غرفة خياطة، والوقوف هناك بينما ترفع ريجينا رأسها

(ستكون واضعة نظارتها الصغيرة الخاصة بالنظر للأشياء القريبة)، والقول: "ريجينا، اعتُقل آرني من قبل شرطة ولاية نيويورك".

حاول مايكل البدء بهذه الخطوات بالنهوض عن كرسيه أولاً، لكنه أحس بدقات قلبه تتسارع بشكل مؤلم في صدره والدم يخفق في رأسه فوضع يديه على صدغيه وضغط بقوة متأوِّهاً بصوت عال. ازدحمت الأفكار القديمة في رأسه. ما كان يتخوَّف منه ويتوقَّعه حصلَ أخيراً. منذ ستة أشهر كان الوضع على خير ما يرام، أما الآن، فها هو ابنه قابع في زنزانة في مكان ما. ما هو المنعطف الذي تحوَّلت عنده حياتهم؟ هل كان باستطاعته تغيير مسرى حدوث الأشياء؟ متى بدأ المرض بالتسلسل إلى منزلهم بالضبط؟

"يا الله".

ضغط على صدغيه بقوة أكبر، وهو يصغي إلى عنين الشتاء خارج النافذة. تراءت أمام عينيه صور غير متوقعة. زملاء له ينظرون إليه شزراً، وربما يتهامسون في ما بينهم في نادي المدرِّسين. اسمه يتردد على الألسن خلال حفلات الكوكتيل. لكن آرني لن يبلغ الثامنة عشرة إلا بعد شهرين، وهذا يعني أن اسمه لن يُكتَب في الصحيفة. بيد أن الجميع سيعلمون مع ذلك، فالأخبار تنتشر بسرعة.

فجأة، رأى آرني عندما كان في الرابعة من عمره، راكباً دراجة حمراء ذات ثلاثة دواليب اشترتها ريجينا من معرض لبيع الأدوات المستعملة من أجل أغراض خيرية. رغم أن الدراجة الحمراء كانت صدئة في أماكن عدة ودواليبها بالية، إلا أن آرني أحبها جداً إلى درجة أنه لو كان بمقدوره أن يأخذها إلى السرير معه، لفعل. أغمض مايكل عينيه فرأى آرني يقود الدراجة ذارعاً الرصيف جيئة وذهاباً، وشعره يطير ويهبط على عينيه، وفجأة رمشت عين ذهنه، أو ارتجفت، أو

فعلـــت شـــيئاً ما، وتحولت الدراجة الحمراء ذات الدواليب الثلاثة إلى كريـــستين، بطلائها الأحمر الملطخ ببقع الصدأ ونوافذها البيضاء بلون الحليب من شدة التقدم في العمر.

صرّ مايكل على أسنانه - لو شاهده شخص ما في تلك اللحظة، لظـــن أنـــه كان يبتسم مثل شخص مجنون. انتظر هناك إلى أن استعاد بعض السيطرة على نفسه ثم نـــزل إلى الطابق السفلي وأخبر ريجينا بما حصل. هو يخبرها وهي تفكر في ما ينبغي لهما فعله، كما تفعل دائماً.

41

قدوم العاصفة

حلّـــت أولى عواصـــف الشتاء الشمال شرقية القوية في ليبرتيفيل عـــشية المـــيلاد، وهي في طريقها لتضرب الثلث العلوي من الولايات المـــتحدة في مسار عريض وقابل للتوقع به بسهولة. ومع أن ذلك اليوم بدأ بشمس مشرقة وحرارة بلغت ثلاثين درجة، إلا أن مقدمي البرامج الموسيقية في المحطات الإذاعية المحلية توقعوا مسبقاً بما سيحصل، ناصحين أولئك الذين لم ينهوا تبضعهم بعد بفعل ذلك قبل عصر ذلك اليوم. أما أولئك الذين كانوا يخططون للقيام برحلات إلى منازلهم في المزارع من أجـــل إمـــضاء الميلاد على طريقة الأجيال القديمة، فقد نُصحوا بإعادة الـــتفكير في خططهم إذا لم يكن بالإمكان القيام بتلك الرحلات خلال أربع إلى ست ساعات.

بحلـــول الساعة الحادية عشرة صباحاً، عندما غادر دينيس جيلدر أخيراً مستشفى ليبرتيفيل المحلي (بحسب قوانين المستشفى، لم يُسمَح له باستخدام عكازيه إلا بعد خروجه من المبنى، ولهذا فقد خرج منه على

كرسي متحرك تدفعه شقيقته إيلين)، كانت الغيوم قد بدأت تتجمع في السماء وكانت هنالك حلقة مخيفة حول الشمس. قطع دينيس مرأب المستشفى على عكازيه محاطاً من الجانبين بوالديه القلقين بالرغم من أن باحة المرأب كانت قد رُشَّت بعناية بالملح بحيث لم يكن هناك أدنى أثر للثلج أو الجليد. توقف بجانب سيارة العائلة، ورفع رأسه قليلاً ليستقبل النسيم المنعش. كان يشعر وكأنه أُحيي من جديد وكان بوسعه البقاء هناك لساعات من دون أن يملَّ من ذلك.

وبحلول الساعة الواحدة ظهراً، كانت سيارة عائلة كانينغهام قد وصلت إلى ضواحي ليجونيير، على بعد تسعين ميلاً من ليبرتيفيل. في تلك الأثناء، أصبحت السماء رمادية غامقة، وانخفضت الحرارة ست درجات.

كانت فكرة عدم إلغاء زيارة عشية الميلاد التقليدية إلى الخالة فيكي (شقيقة ريجينا) وزوجها ستيف هي فكرة آرني. لقد أرست العائلتان على مدار السنوات طقساً دورياً غير منتظم يتمثل بقدوم فيكي وستيف إلى منزلهم في بعض السنوات، وذهاب عائلة كانينغهام إلى ليجونيير في سنوات أخرى. وقد جرى التحضير لرحلة هذه السنة في بداية شهر كانون الأول، لكنها أُلغيت بسبب *مشكلة آرني* - بحسب توصيف ريجينا. غير أن آرني بدأ يطرح موضوع الرحلة بشكل متكرر مع بداية الأسبوع السابق.

وأخيراً، بعد مكالمة تلفونية طويلة مع شقيقتها يوم الأربعاء، رضخت ريجينا لرغبة آرني - على الأغلب، لأن فيكي بدت هادئة ومتفهمة، والأهم من ذلك، لأنها لم تبدِ فضولاً كبيراً بشأن ما حدث. وهذا كان مهماً جداً بالنسبة إلى ريجينا التي اضطُرت، خلال الأيام الثمانية التي تلت اعتقاله في نيويورك، إلى التعامل مع سيل بدا أنه لا

ينتهـــي من الفضول الخبيث المقنَّع بقناع من التعاطف. وخلال حديثها مع فيكي انهارت ريجينا، أخيراً، وبكت، وكانت تلك هي المرة الوحيدة التي تسمح لنفسها بمثل هذه الرفاهية منذ اعتقال آرني. في تلك الأثناء، كان آرني نائماً في سريره، أما مايكل - الذي كان يشرب كثيراً ويبرر ذلـــك بعـــزوه إلى *روح الميلاد* - فقد كان في مشرب أومالي يحتسي شراب الشعير مع بول ستريكلاند، وهو منبوذ آخر في اللعبة السياسية في الكلـــية. وإذا مـــا صعدت إلى مكتبه بعد عودته إلى المنـــزل، فإنها كانت ستراه جالساً وراء طاولته يحدق من خلال النافذة إلى ظلمة الليل بعينين جافتين ولكن محتقنتين، وإذا ما حاولت التحدث إليه فإن حديثه سيكون مضطرباً إلى حد مريع ومتمحوراً في معظمه حول الماضي. أما بالنـــسبة إليها، فإنها كانت تبقى مستيقظة حتى الثالثة أو الرابعة صباحاً تهدس بأفكار وخطط تهدف إلى غاية وحيدة، وهي *تجاوز هذه الأزمة*.

لكن التحدث إلى فيكي جعل سيطرتها الحديدية على نفسها تهتز لفتـــرة وجيزة. لقد بكت أمام فيكي وواستها شقيقتها بهدوء ورقة، ما جعلـــها تكره نفسها بسبب كل إساءاتها غير المنصفة لفيكي على مدار الـــسنين. فيكي، التي تخلت ابنتها الوحيدة عن المعهد التي كانت تدرس فـــيه كي تتزوج وتصبح سيدة منـــزل، والتي كان ابنها الوحيد قانعاً بمدرســـة إعداديـــة صـــناعية (كانـــت ريجينا تعتقد - بشعور داخلي بالـــتفوق - أن هـــذا لم يكن مناسباً *لابنها!*)، والتي كان زوجها يبيع صكوك تأمين على الحياة، والتي هي نفسها كانت تبيع علباً بلاستيكية لحفـــظ المـــواد الغذائية؛ أمام فيكي هذه تمكنت ريجينا من البكاء، ولها أفصحت عن إحساسها المعذّب بخيبة الأمل والرعب والألم، وشعورها المـــريع بالحـــرج لمعـــرفتها أن الناس كانوا يغتابونها، وبأنهم كانوا منذ ســـنوات يـــريدون أن يروها تسقط وها قد تحقَّقت لهم أمانيهم. ولهذا

السبب، قررت ريجينا بأهم إذا كانوا سيحتفلون بالميلاد في تلك السنة البائسة، فإنهم سيحتفلون به في منزل فيكي وستيف المتواضع في ضاحية ليجونيير التي ما زال معظم سكانها - المنتمون إلى الطبقة الوسطى - يمتلكون سيارات أميركية ويسمُّون ذهابهم إلى مطعم ماكدونالد أنه *تناول طعام في الخارج*.

ومايكل، بالطبع، وافق على قرارها، وهي لم تكن تتوقع منه أكثر من ذلك، ولم تكن لتقبل منه أقل من ذلك.

بالنسبة إلى ريجينا، كانت الأيام الثلاثة التي تلت اعتقال آرني بمثابة ممارسة باردة ومطلقة للسيطرة، اندفاعاً قاسياً للحفاظ على نفسها، وعائلتها، وآرني. أما الألم الذي كان يشعر به مايكل، فلم يدخل أبداً ضمن معادلاتها. بعد نزول مايكل وإخبارها بما حصل، وضعت ريجينا بهدوء الغطاء على ماكينة خياطتها ثم توجهت نحو الهاتف كي تبدأ بالعمل. في ذلك الحين، كانت الدموع، التي ستذرفها لاحقاً أثناء تحدثها مع فيكي على الهاتف، بعيدة جداً عنها. عبرت بجانب مايكل في طريق خروجها من الغرفة وكأنه كان مجرد قطعة أثاث، وهو تبعها بتردد كما كان يفعل طوال حياتهما الزوجية.

اتصلت بمحامي العائلة، توم سبريغ، الذي أحالها فور سماعه أن المشكلة جرمية إلى زميل له يُدعى جيم ووربيرغ. اتصلت ريجينا بالمحامي الآخر لكنه لم يكن في مكتبه وجهاز الرد الآلي لم يخبرها برقم منزله. جلست بجانب الهاتف لعدة لحظات ثم عادت واتصلت بمحامي العائلة. سبريغ لم يكن يريد إعطاءها رقم منزل ووربيرغ لكنه في النهاية استسلم أمام إلحاحها الشديد.

اتصلت بووربيرغ فرفض قبول القضية رفضاً قاطعاً، فاضطرت ريجينا مجدداً إلى استخدام قدرتها الفائقة على الضغط. وفي النهاية لم

يكتفِ وورببرغ بقبول القضية بل وافق على الذهاب إلى ألباني في الحال، حيث كان يُحتجَز آرني، كي يعرف ما يمكنه فعله. ومع أنه قال لها إنه يعرف شخصاً بارعاً في ألباني يمكنه الحصول على المعلومات الضرورية، إلا أنها كانت مصممة، فذهب إلى ألباني في طائرة خاصة واتصل بها من هناك بعد أربع ساعات.

قال لها إن آرني محتجز بتهمة لم تُقرَّر بعد، وبأنه سيُنقَل إلى بنسلفانيا في اليوم التالي. لقد تعاونت بنسلفانيا مع نيويورك في التنسيق لعملية الاعتقال إلى جانب ثلاث وكالات فدرالية هي الوحدة الفدرالية للسيطرة على المخدرات، ومصلحة الضرائب الداخلية، ومكتب الشراب والتبغ والأسلحة. ولم يكن آرني هو الهدف الأساسي من العملية - إذ كان مجرد سمكة صغيرة - بل ويل دارنل وأياً من كان يتعامل معه. وأضاف وورببرغ أن أولئك الأشخاص، بعلاقاتهم المحتملة مع الجريمة المنظمة والتهريب غير المنظم للمخدرات في الجنوب الجديد، هم الأسماك الكبيرة.

فقالت له ريجينا، مستفيدة من معلومات استقتها من برامج الجريمة التي تُعرَض على التلفزيون: "اعتقال شخص بتهمة غير محددة أمر غير قانوني".

وورببرغ، الذي لم يكن سعيداً تماماً لوجوده في ذلك المكان لأنه كان يخطط لتمضية أمسية هادئة في المنزل في قراءة أحد الكتب، أجابها بشيء من الحدة: "سأركع على ركبتي وأحمد الله لأن هذا ما يفعلونه. لقد قبضوا عليه مع صندوق مليء بالسجائر غير المرخصة، وإذا ضغطت عليهم بهذا الخصوص فإنهم سيكونون أكثر من سعداء لتوجيه التهمة إليه، سيدة كانينغهام. أنصحك وزوجك أن تأتيا إلى هنا إلى ألباني بسرعة".

"اعتقدت أنك قلت إنهم سينقلونه غداً -".

"آه، أجل، هذا صحيح. إذا كنا نريد أن نلعب بقسوة مع هؤلاء الأشـــخاص، فينبغي لنا أن نفرح لأن اللعبة ستُلعَب في محكمة بلدتنا. الترحيل ليست المشكلة هنا".

"إذاً، وما هي؟".

"هــؤلاء الناس يريدون أن يلعبوا الدومينو. إنهم يريدون أن يقلبوا ابـــنك علـــى ويل دارنل. وآرنولد لا يتكلم. أريدكما أن تأتيا إلى هنا وتقنعاه أن من مصلحته أن يتكلم".

قالت ريجينا بتردد: "حقاً؟".

"بالتأكـــيد، أجل! إنهم لا يريدون أن يزجوا ابنك في السجن. إنه قاصر ومن عائلة محترمة ومن دون سجل جرمي سابق، ومن دون حتى مـــشاكل تـــتعلق بالانـــضباط في المدرسة. بإمكانه أن يخرج من هذه المشكلة حتى من دون أن يواجه قاضياً. ولكن، عليه أن يتكلم".

وهكـــذا ذهبا إلى ألباني، ووجدت ريجينا نفسها تمشي في رواق ضـــيق قصير مكسوٍّ ببورسلين أبيض ومضاء بمصابيح شديدة السطوع غائرة ضمن حجيرات صغيرة في السقف ومغطاة بشبكة من الأسلاك. كـــان المكان يعبق برائحة البول والليسول (معقّم). ظلت ريجينا تحاول إقـــناع نفسها أن ابنها معتقل في ذلك المكان، غير أن الوصول إلى تلك القـــناعة كان صعب المنال، إذ لم يبدُ ممكناً أن يكون ذلك صحيحاً، في حـــين بدا لها أن احتمال أن يكون ما تمر به في ذلك الحين مجرد هلوسة هو الاحتمال الأرجح.

لكن رؤية آرني بددت ذلك الاحتمال في الحال وملأ قلب ريجينا بخـــوف شـــديد. وتلك كانت اللحظة التي تشبثت فيها ريجينا بفكرة *تجاوز هذه الأزمة* كما يتشبث الغريق بطوق النجاة. كان آرني **موجوداً**

في غرفة مربعة صغيرة - وليس في زنـــزانة - لم يكن فيها من الأثاث سوى كرسيَّين وطاولة عليها آثار حروق سجائر.

كـــان آرني ينظـــر إليها بثبات وكان وجهه نحيلاً بصورة مريعة، أشـــبه بجمجمـــة، وخاصة مع قصّة شعره القصيرة. كان قد ذهب إلى الحلاق قبل أسبوع فقط، والغريب في الأمر هو اختياره قصة قصيرة بعد سنوات من إبقائه طويلاً - تقليداً لدينيس.

"آرني". ثم مشت نحوه تريد معانقته، لكنه أشاح برأسه بعيداً زامّاً شـــفتيه، فتوقفت في الحال. لو كانت امرأة أخرى لانفجرت في البكاء حينئذ، لكنها لم تكن من ذلك النوع من النساء.

ســـيطرت ريجيـــنا على مشاعرها وجلست على الكرسي الآخر وأخـــبرته بمـــا يجـــب عليه فعله، فرفض. ثم أمرته أن يفضي بما يعرفه للشرطة، فرفض. ثم حاولت إقناعه بالمنطق، فرفض. ثم حاولت إقناعه بالقـــسوة، فـــرفض. ثم توسلت إليه، فرفض. وفي النهاية، سألته لماذا، فرفض إخبارها.

وأخيراً، بعد أن فاض كيلها وثار الدم في عروقها، صرخت في وجهه: "كنت أظن أنك ذكي! لكنك غبـــي! إنك... إنك أحمق! إنهـــم سيضعونك في السجن! هل تريد أن تدخل السجن من أجل ذلك الرجل دارنل؟ هل هذا ما تريده؟ إنه سيسخر منك! سيسخر منك!" لم تكن ريجينا تتخيل قط أنها ستشعر بمثل هذا الغضب، لكن عـــدم اكتـــراث ابـــنها الواضح بكونه سيصبح موضع سخرية أثار غضبها أكثر فأكثر.

وقفـــت ودفعت شعرها بعيداً عن جبينها وعينيها، بحركة غير واعـــية لشخص يستعد للقتال. كانت تتنفس بسرعة وكان وجهها مصبوغاً بالأحمر.

وأخيراً قال آرني بهدوء: "إنني لا أفعل ذلك من أجل دارنل. وأنا لن أدخل السجن".

"مـــن أنـــت، أوليفر ويدنل هولمز؟ لقد قبضوا عليك في سيارته وصندوقه مليء بالسجائر! غير شرعية! سجائر!".

بـــنفس الهدوء، قال آرني: "إنها لم تكن في الصندوق. إنها كانت في حجرة تحت الصندوق. حجرة سرية. وهي سيارة ويل. وهو طلب مني أن آخذ سيارته".

"هل تقول أنك لم تكن تعرف بوجودها؟".

نظـــر إليها بازدراء وقال: "كنت أعرف. وويل يعرف. ولكن، عليهم أن يثبتوا ذلك، صحيح؟".

لم تـــستطع أن تقـــول شيئاً من فرط ذهولها، فاكتفت بالنظر إليه بعينين جاحظتين.

"وإذا حمَّلـــوني المـــسؤولية لسبب من الأسباب، فسأحصل على حكم مع وقف التنفيذ".

وأخيراً قالت: "إنك لا تفكر بشكل سليم. لعل أباك –".

قاطعها آرني قائلاً: "أجل، إنني أفكر بشكل سليم. لا أعرف ماذا تفعلـــين، لكنني أفكر بشكل سليم". نظر إليها بعينين خاليتين من أي تعبير فلم تستطع الاحتمال أكثر من ذلك فانصرفت.

دخلت غرفة الاستقبال الخضراء، حيث كان مايكل جالساً على مقعـــد بجانب ووربيرغ في انتظارها، ومرت بجانب زوجها وقالت له: "أدخـــل أنت، وحاول إقناعه". ثم استمرت بالمشي من دون أن تنتظر رده إلى أن خرجت من الغرفة إلى هواء كانون الأول البارد.

دخـــل مايكل لكن حظه لم يكن أفضل من حظ زوجته، فخرج بحلق جاف ووجه بدا أكبر بعشر سنين منه حين دخل.

وفي الفندق، أخبرت ريجينا وورببيرغ بما قاله آرني وسألته إذا كان محقاً أم لا.

قطّب وورببيرغ جبينه وقال: "أجل، هذا دفاع ممكن، لكنه سيكون أفضل بكثير إذا كان آرني هو قطعة الدومينو الأولى في الصف. غير أنه ليس كذلك. ثمة تاجر سيارات مستعملة هنا في ألباني يُدعى هنري باك. إنه مستلم البضاعة. لقد قُبض عليه أيضاً".

قال مايكل: "ماذا قال؟".

"لا أعرف. لكنني عندما حاولت التحدث إلى محاميه ورفض التحدث معي، وجدت ذلك مثيراً للريبة. أراهنكما على ما أملك أن بإمكان باك أن يشهد أن ابنكما كان يعرف بوجود تلك الحجرة السرية، وهذا سيئ". صمت للحظات ثم أضاف موجهاً حديثه إلى ريجينا: "أترين، ما قاله لك ابنك هو نصف ذكي فقط، سيدة كانينغهام. سأتحدث معه غداً قبل أن يعيدوه إلى بنسلفانيا. آمل أن أجعله يرى أن هناك احتمالاً بوقوع الأمر كله على رأسه".

بدأت أولى حبيبات الثلج تسقط بينما كانوا ينعطفون نحو شارع ستيف وفيكي. تحسس آرني القطعة الجلدية المتصلة بالمفاتيح في جيبه متسائلاً في داخله، *هل يسقط الثلج في ليبرتيفيل أيضاً؟*

كانت كريستين لا تزال في مرأب دارنل - محتجزة. هذا جيد. على الأقل إنها بمنأى عن الجو العاصف. سيستعيدها مجدداً، في الوقت المناسب.

كان الأسبوع السابق أشبه بحلم مشوّش ومزعج. عندما كان والداه يحاولان إقناعه في تلك الغرفة البيضاء، بدوا له مثل شخصين غريبين يتحدثان بلغة أجنبية لا يفهمها. في حين ظل ذلك المحامي

يـــتحدث عـــن شيء أسماه نظرية الدومينو، وعن ضرورة الخروج من "المـــبنى الملعـــون قبل أن يقع كل شيء على رأسك، أيها الفتى. هناك ولايتان وثلاث وكالات فدرالية عازمة على جلب بولدوزر التدمير".

لكن آرني كان قلقاً أكثر على كريستين.

كـــان يـــشعر أن رونالد دي ليبـــي إما موجود معه أو يحوم في مكـــان ما بقربه، بيد أن هذه الفكرة لم تخفه على الإطلاق، بل كانت تشعره بالراحة.

في ليلـــته الأولى في ألباني - بعد عودة والديه إلى الفندق - أُخذ آرني إلى زنـــــزانة احتجاز حيث غط في النوم بسرعة وسهولة مثيرتين للاســـتغراب. وأثناء نومه رأى حلماً مزعجاً جعله يستيقظ في منتصف الليل والعرق يتصبب من جسده.

حلم آرني أن كريستين كانت صغيرة بحجم يد إنسان وأنها كانت موجودة على مضمار لعبة بلاستيكية تحوي شوارع - منها شارع يشبه شـــارع بيـــزين وآخـــر يشبه شارع جون كنيدي حيث قُتل موتشي ويلش - ومبنىً بلاستيكياً يشبه تماماً مدرسة ليبرتيفيل الثانوية، ومنازل بلاستيكية وأشجاراً ورقية...

... ويـــل دارنل عملاق يحمل في يده جهازاً يتحكم بسرعة أو بـــطء سير الفيوري الصغيرة في تلك الشوارع البلاستيكية. كان الهواء يـــدخل ويخـــرج من رئتيه المتضررتين مصدراً صوتاً يشبه صفير ريح عاصفة.

قـــال ويل: *إياك أن تفتح فمك أيها الفتى.* كان واقفاً فوق عالمه الـــصغير مـــثل عملاق عجيب. *إياك أن تعبث معي لأنني المسيطر هنا. بإمكاني أن أفعل هذا.*

وعلى مهل، بدأ ويل يدير مفتاح التحكم باتجاه الوضع السريع.

صرخ آرني: *لا، لا تفعل هذا، أرجوك! إنني أحبها! أرجوك، سوف تقتلها!*

وعلى المضمار، بدأت كريستين الصغيرة تسرع أكثر فأكثر بين شوارع مدينة ليبرتيفيل المصغَّرة إلى أن أصبحت مجرد طيف ملوّن بالأحمر والأبيض، وبدأ محركها يصدر أزيزاً غاضباً ومدوياً.

من فضلك! رجاءً!

وأخيراً، بدأ ويل يدير مفتاح التحكم بالاتجاه المعاكس وعلائم السرور مرتسمة على وجهه. فانخفضت سرعة السيارة الصغيرة بشكل تدريجي.

مد آرني يده ليمسك بالسيارة الصغيرة فضربه ويل على يده.

لمن الكيس أيها الفتى؟

ويل، من فضلك -.

دعني أسمعك تقولها.

إنه كيسي.

تذكَّر ذلك فقط أيها الفتى.

عندئذ استيقظ آرني من نومه وصدى هذه الكلمات الأخيرة لا يزال يتردد في أذنيه. ولم يستطع النوم بعد ذلك.

هل من المستبعد أن يكون ويل يعرف شيئاً بخصوص كريستين؟ لا. لقد رأى الكثير من خلف تلك النافذة، لكنه يعرف كيف يبقي فمه مغلقاً - على الأقل حتى يحين الوقت المناسب لفتحه. لعله يعرف ما لا يعرفه جانكينز، وهو أن ترميم كريستين في تشرين الثاني لم يكن غريباً وحسب، بل مستحيلاً تماماً. لعله يعرف أن الكثير من الإصلاحات لم يقم بها آرني.

وماذا يمكن أن يعرف غير ذلك؟

لــربما كـــان ويل موجوداً في المرأب ليلة مقتل ريبرتون ورفيقيه. ســـرت قـــشعريرة بـــاردة في جسد آرني عندما أدرك أخيراً أن هذا الاحتمال وارد تماماً.

إيـــاك أن تفتح فمك أيها الفتى. إياك أن تعبث معي لأنني المسيطر هنا. بإمكاني أن أفعل هذا.

ولكن، على فرض أنه كان يعرف، فمن سيصدقه؟ من سيصدقه إذا قرر أن يخبر شخصاً ما أن كريستين تسير أحياناً من تلقاء ذاتها؟ أنها خـــرجت من المرأب لوحدها في تلك الليلة عندما قُتل موتشي ويلش، وكـــذلك ليلة مقتل ريبرتون ورفيقيه؟ هل سيصدق رجال الشرطة ذلـــك؟ إنهـــم سيـــضحكون حتى ينقلبوا على ظهورهم. وماذا بشأن جانكينـــــز؟ لم يكن آرني يعتقد أن جانكينـــز يمكن أن يصدق مثل هذا الشيء.

لكن ويل سيخرج من السجن بكفالة في اليوم التالي أو الذي يليه. وكريـــستين ستكون رهينة لديه. بإمكانه أن يحرقها، فهو أحرق الكثير مـــن الـــسيارات من قبل كما روى له شخصياً، وبعد ذلك هناك آلة ســـحق السيارات وراء المرأب. تدخل هيكل كريستين المحترق إلى الآلة وتخرج منها مكعباً من المعدن.

اســـتلقى آرني علـــى سرير الزنـــزانة. كان فمه جافاً وقلبه يدق بسرعة.

إيـــاك أن تفتح فمك أيها الفتى. إياك أن تعبث معي لأنني المسيطر هنا...

بالطـــبع، إذا حاول ويل فعل شيء ما وأغفل أمراً بسيطاً أو فقد تركيـــزه ولو للحظة واحدة، فإن كريستين ستنال منه. ولكن، لسبب ما، لم يكن آرني يعتقد أن ويل يمكن أن يفقد تركيزه.

في اليوم التالي، نُقل آرني إلى بنسلفانيا، ووُجه الاتهام إليه، ثم أُطلق سراحه بكفالة رمزية، على أن تُعقَد جلسة استماع في كانون الثاني. وحتى في ذلك الوقت المبكر، جرى التطرق إلى إمكانية اللجوء إلى هيئة محلّفين. تصدَّر موضوع الاعتقال الصفحات الأولى من صحف الولاية، مع أن تلك الصحف اكتفت بالإشارة إلى آرني بكلمة *شاب* من دون ذكر اسمه الذي *حُجب من قبل سلطات الولايات والسلطات الفدرالية كونه قاصراً.*

ومع ذلك، فإن معظم الناس في ليبرتيفيل كانوا يعرفون من كان ينقل البضائع لصالح ويل دارنل، ومن اعتُقل على طريق نيويورك بصندوق مليء بالسجائر المهرَّبة. وكان هذا كابوس ريجينا المؤرق.

قالت ريجينا: "لماذا تبتسم يا آرني؟" كان مايكل يقود سيارة العائلة بسرعة بطيئة باحثاً بين زوابع الثلج عن منزل ستيف وفيكي.

"هل كنت أبتسم؟".

وضعت يدها على شعره وقالت: "أجل".

فقال آرني بشرود: "إنني لا أذكر حقاً". فسحبت ريجينا يدها.

عندما وصلوا إلى منزلهم يوم الأحد تركه والداه لوحده معظم الوقت، إما لأنهما لم يكونا يعرفان كيف يتحدثان إليه، أو لأنهما كانا يشعران بالاشمئزاز منه... أو ربما بسبب الأمرين معاً. وهو لم يكن يأبه لكل ذلك. ذهبت أمه إلى سريرها ونامت طوال فترة بعد الظهر، بعد فصل سماعة الهاتف عن الجهاز. في حين أمضى مايكل وقته من دون هدف في غرفة المعدات اليدوية، يشغِّل أداة تسطيح الخشب الكهربائية بين الحين والآخر ثم يوقفها.

جلس آرني في غرفة المعيشة وشاهد مباراتي كرة قدم متتالتين من دون أن يعـــرف من كان يلعب، لكنه كان راضياً بمراقبة اللاعبين وهم يركـــضون في الملعب، أولاً تحت شمس كاليفورنيا الدافئة ولاحقاً تحت مزيج من المطر والمطر الثلجي الذي حوّل أرض الملعب إلى بركة واسعة من الطين ومحا خطوطه.

وقرابة الساعة السادسة غط في النوم.

وحلُم.

وحلُم مجدداً في تلك الليلة وفي الليلة التالية، في السرير الذي كان ينام علـــيه من طفولته المبكرة. ولم تكن هذه الأحلام شبيهة بذلك الحلم الذي رآه في الزنــــزانة والمـــتعلق بـــدارنل العملاق الواقف فوق مضمار لعبة ســـيارات. وكـــان ينسى تلك الأحلام بعد بضع لحظات من استيقاظه – ولعـــل هذا من حسن حظه. كل ما كان يتذكره منها هو أنه كان يجلس وراء مقـــود كريـــستين، يقود السيارة ببطء خلال عاصفة ثلجية هوجاء، حـــيث كان الثلج كثيفاً لدرجة أنه لم يكن يستطيع أن يرى أبعد من نهاية غطـــاء محـــركها، والـــريح تصدر صوت هدير مدو. وبعد ذلك تغيرت الصورة، إذ لم يعد الثلج ثلجاً، بل قصاصات ورقية متطايرة. وهدير الريح أصـــبح هدير حشد هائل مصطف على جانبـــي طريق فيفث أفينيو. كان الحشد يحييه ويهلل لكريستين. كانوا يهللون لأنه وكريستين...

... هربا.

كلما كان هذا الحلم المشوش يتراجع، كان آرني يفكر في نفسه: *عـــندما ينتهي كل هذا، سأرحل من البلاد. سأرحل بالتأكيد. سأقود السيارة إلى المكسيك.*

وبعـــد لحظـــات من استيقاظه من آخر هذه الأحلام، خطرت بـــباله فكـــرة تمضية الميلاد مع الخالة فيكي والعم ستيف، كما في

الماضـــي. استيقظ مع هذه الفكرة، وتشبثت برأسه بإصرار غريب. بـــدت لـــه فكرة جيدة للغاية، فكرة رائعة. الخروج من ليبرتيفيل قبل...

حسناً، قبل الميلاد. وماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟

وهكذا بدأ التحدث مع أمه وأبيه حول الأمر، لكنه وجد صعوبة أكبر في إقناع أمه. ويوم الأربعاء رضخت ريجينا أخيراً. كان يعرف أنها تحدثت مع فيكي، وبأن فيكي لم تكن تميل للتعالي على أمه، ما يعني أن الأمور كانت على خير ما يرام.

قالـــت ريجينا: "ها هو مايك. كنت ستتجاوزه كما تفعل في كل مرة نأتي إلى هنا".

همهم مايكل وانعطف نحو الممر المؤدي إلى المنـــزل. ثم قال بنبرة دفاعية يستخدمها دائماً عندما يكون مع زوجته: "رأيته". فقال آرني في نفـــسه: *إنهـــا تـــتحدث إلـــيه كما لو أنها تتحدث مع حمار، وتقوده كالحمار، وهو يشهنق كالحمار"*.

قالت ريجينا: "إنك تبتسم مجدداً".

"كـــنت أفكر كم أحبكما أنتما الاثنان". نظر إليه والده بدهشة وتأثُّر، وترقرت عينا ريجينا.

لقد صدَّقا بالفعل.

المتغوطان.

بحلـــول الساعة الثالثة من عشية الميلاد، كان الثلج لا يزال يسقط بكمـــيات قلـــيلة وبشكل متقطع، لكنه كان قد بدأ يندمج مع بعضه ويـــتكوم. قال متوقعو الأرصاد الجوية أن التأخر في وصول العاصفة لم

يكن خبراً جيداً وأن توقعاهم بخصوص سماكة الثلج تحولت من ثلاثين سنتيمتراً إلى نحو خمسة وأربعين سنتيمتراً مترافقة مع رياح شديدة.

كانت لي جالسة في غرفة المعيشة في منزلها مقابل شجرة ميلاد طبيعية صغيرة بدأت أوراقها الدقيقة بالنمو (كانت لي تمثل الجانب المحافظ على التقاليد في بيتها، حيث نجحت لمدة أربع سنوات في تجنب رغبة والدها في وضع شجرة اصطناعية ورغبة أمها في ابتداء موسم العيد بإوزة أو ديك مخصي بدلاً من ديك الحبش التقليدي). وكانت لوحدها في المنزل، بعد ذهاب والديها لزيارة عائلة ستيوارت - السيد ستيوارت هو سيد عمل والدها الجديد، وكانا يحبان بعضهما. والسيدة كابوت كانت متحمسة لتعزيز مثل هذه الصداقة، وذلك لأن العائلة غيرت مكان إقامتها ست مرات خلال السنوات العشر الماضية، متنقلة على امتداد الساحل الشرقي، ولأن السيدة كابوت أحبت ليبرتيفيل أكثر من جميع الأمكنة السابقة وكانت تريد البقاء فيها، وصداقة زوجها مع السيد ستيوارت قد تضمن إلى حد كبير تحقيق رغبتها.

وحيدة وما زلت عذراء، فكّرت لي في داخلها. كانت فكرة غبية للغاية، لكنها مع ذلك وثبت على قدميها وكأن شيئاً ما لسعها. ذهبت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة ووجدت ست علب كوكاكولا بجانب شراب شعير والدها. فقالت في نفسها: *ابتعد عني*. لكنها أمسكت إحدى العلب بالرغم من ذلك، غير مكترثة لما تفعله ببشرها.

على غير عادها، جعلها منزلها الفارغ تشعر بالقلق والتوتر. كانت أصوات المطبخ - طقطقة الثلاجة، وتكتكة الساعة الكهربائية، وصوت الفرن وهو يشوي قطعة من اللحم (ذكّرت نفسها، *أطفئي الفرن في الخامسة إن لم يعودا*) - وعنين الرياح في الخارج، وحتى

صوت جرجرة خفّها على أرضية المطبخ، كل هذه الأصوات بدت لها شــريرة ومخيفة في ذلك اليوم. لو أن الأمور جرت بطريقة مختلفة لربما كــان آرني معهـــا الآن. فوالداها، وخاصة أمها، أحباه في البداية. أما الآن، وبعـــد الذي حدث، فقد تثور ثائرة أمها لو علمت أنها تفكر فيه فقط. لكنها كانت تفكر فيه بالفعل، وطوال الوقت تقريباً. كانت تتساءل لماذا تغيَّر، وكيف كان يتقبَّل انفصالهما، وما إذا كان بخير أم لا.

اشـــتدت الـــريح في الخارج مصدرة هديراً قوياً ثم هدأت قليلاً، فخطـــر ببالها - من دون أي سبب، بالطبع - صوت محرك يتسارع ثم يبطئ.

لن تعود من المنعطف الخطير، وجدت نفسها بصورة غريبة تردد في ذهـــنها هـــذه الكلمات من أغنية فريق بلينك 182. ومن دون أي ســبب (بالطــبع) ذهبت إلى حوض المطبخ وسكبت الكوكاكولا في البالوعة.

أدركت لي بشيء من الدهشة أنها كانت مرعوبة قليلاً.

من دون أي سبب على الإطلاق.

بالطبع.

علـــى الأقل، لقد ترك والداها السيارة في المرأب (كانت تفكر في الـــسيارات). لم تحـــب التفكير في والدها وهو يقود السيارة في طريق عودتهما من منـــزل عائلة ستيوارت في هذا الطقس وخاصة بعد شرب ثـــلاث أو أربع كؤوس من الشراب. لكن منـــزل عائلة ستيوارت لم يكن يبعد سوى ثلاثة مباني عن منـــزلهم، والاثنان غادرا المنـــزل يلفان بعضهما ويقهقهان. كانا يبدوان مثل طفلين كبيرين ذاهبين لصنع رجل ثلـــج. إن العـــودة إلى المنـــزل سيراً على الأقل سينعشهما. هذا أفضل بالنسبة إليهما، ما لم...

هــدرت الريح مجدداً ثم هدأت، وفجأة رأت والديها يمشيان على الطــريق خــلال ســحب من الثلج العاصف، يتضاحكان ويمسكان ببعضهما مخافة السقوط. لعل البابا كان يقرص الماما، كما يفعل أحياناً عــندما يــشعر بالسعادة، الأمر الذي كان يزعجها دائماً لأنها كانت تعتقد أن ذلك فعلاً طفولياً لا يجدر بالبالغين القيام به.

وبيــنما كانا يمشيان انفتحت فجأة عينان خضراوان كبيرتان من بين البياض خلفهما... عينان بدوتا تماماً مثل الدائرتين اللتين رأتهما في لوحة قيادة كريستين عندما كادت تموت اختناقاً... وكانتا تكبران... كانتا تلاحقان والديها الغافلين الضاحكين الثملين.

شهقت وهرعت إلى غرفة المعيشة واقتربت من الهاتف وكادت أن تلمــسه لكــنها غيَّرت رأيها وعادت أدراجها إلى النافذة لتحدق إلى العاصفة البيضاء واضعة مرفقيها في راحتي يديها.

مــاذا تفعل؟ هل تتصل بهما؟ هل تقول لهما إنها تفكر في سيارة آرني القديمة والغريبة، صديقته الفولاذية كريستين، وانها تريد منهما أن يعــودا إلى المنــــزل لأنهــا خائفة عليهما وعلى نفسها؟ هل هذا ما ستفعله؟

لكنها كانت خائفة فعلاً، وخوفها كان حقيقياً. كانت تعرف أن شــيئاً مــا سيحدث. لقد صُدمت حين سمعت أن آرني اعتُقل بتهمة التهــريب، لكن صدمتها لم تكن تقارَن بفزعها الشديد عندما فتحت الــصحيفة في يــوم ســابق وقرأت ما حصل لبادي ريبرتون والشابين الآخــرين. في ذلك اليوم، لم يخطر ببالها سوى شيء واحد، ولسبب ما كانت متيقنة منه: *كريستين*.

والآن يتملّكها هاجس يتعلق بحدوث عمل أسود جديد، ولم يكن باســتطاعتها الــتخلص منه. كان آرني موجوداً في فيلادلفيا ليلة مقتل

ريبرتون - لقد تقصَّت عن ذلك في حينه. هي من فعل ذلك حتماً... لكـــنها لن تفكر في الأمر بعد الآن... سوف تشغِّل التلفزيون وتشغّل جميع محطات الراديو... لن تفكر في تلك السيارة التي تفوح منها رائحة تشبه رائحة القبر، تلك السيارة التي حاولت قتلها -.

همست لي: "اللعنة، ألا يمكنك أن تتوقفي".

فجـــأة ذهبت إلى الهاتف مجدداً وأخذت الدليل وبحثت عن رقم مستـــشفى ليـــبرتيفيل المحلي - كما فعل آرني ذات ليلة قبل أسبوعين. أخـــبرتها عاملـــة اســـتقبال ذات صوت لطيف أن السيد جيلدر غادر المستشفى في ذلك الصباح فشكرتها لي وأغلقت الهاتف.

وقفـــت متفكِّرة في غرفة المعيشة الفارغة تنظر إلى شجرة الميلاد الـــصغيرة والهدايا ووعاء طعام حيوان أليف في الزاوية. ثم فتحت دليل الهاتف مجدداً وبحثت عن رقم منـــزل عائلة جيلدر واتصلت به.

قال دينيس بفرح: "لي".

"دينـــيس، هـــل يمكـــنني أن آتي إلى منـــزلك؟ أريد أن أتحدث معك؟".

"اليوم؟".

احتشدت الأفكار في رأسها. اللحم في الفرن. عليها أن تطفئه في الخامسة. سيعود والداها إلى المنـــزل. إنها عشية الميلاد. الثلج، والأهم مـــن كـــل هذا... هو أنها لم تكن تعتقد أن من الآمن الخروج في تلك الليلة.

"لي؟".

"لـــيس الليلة. أنا ألازم المنـــزل نيابة عن والديّ. إنهما في حفلة كوكتيل".

"والداي أيضاً. أنا وأختي نلعب البارتشيزي. إنها تغش".

"أنا لا أغش" - لو قال ذلك في وقت آخر لربما ضحكت - "بعد الميلاد. ربما يوم الثلاثاء. السادس والعشرون. هل ذلك مناسب؟".

"بالتأكيد. لي، هل يتعلق الأمر بآرني؟".

كانت تشد على سماعة الهاتف بشدة لدرجة أن يدها باتت خدرة. "لا، ليس آرني. أريد أن أتحدث حول كريستين".

42

العاصفة تضرب

بحلول الساعة الخامسة من ذلك المساء غطت العاصفة الثلجية كامل ولاية بنسلفانيا من الحدود إلى الحدود. لم يحدث اندفاع المتسوقين الأخير والمعتاد عشية الميلاد، والعمال والباعة المرهقون كانوا ممتنِّين للطبيعة، بالرغم من ضياع ساعات العمل الإضافية. على كل حال، سيحصل الكثير من الازدحام - هكذا كانوا يقولون لبعضهم أمام المواقد وهم يشربون أنخاب عشية الميلاد - عندما يبدأ الزبائن بالعودة مجدداً يوم الثلاثاء.

لم تكن الطبيعة أمومية تماماً في ذلك المساء، بل كانت أشبه بمشعوذة عجوز وثنية ومخيفة لا يعني الميلاد لها أي شيء. لقد مزَّقت زينة غرفة التجارة وتركتها في مهب الريح. وطيَّرت مشهد الميلاد الموجود أمام مركز الشرطة ودفنته في الثلج المتكوم على أحد جانبي الطريق المحاذي للمركز، حيث لم يُعثَر على الخراف والماعز وباقي المشهد إلا عندما كشفها ذوبان الثلج في أواخر كانون الثاني. وكبصقة أخيرة في عين موسم العيد، قامت بقلب الشجرة الواقفة أمام مبنى بلدية ليبرتيفيل، والتي كانت بطول اثني عشر متراً، وأدخلتها في النافذة

الكبيرة لمكتب مخمِّن الضرائب. الكثير من الناس قالوا لاحقاً، إن ذلك المكان كان مناسباً لها.

وبحلول الساعة السابعة، بدأت جرافات الثلج عملها. وفي السابعة والـــربع شـــق أحد الباصات التابعة لشركة تريلوايز طريقه بصعوبة في شـــارع مين يتبعه صف قصير من السيارات مثل مجموعة جراء تلحق بأمهـــا، وبعـــد ذلك أصبح الشارع فارغاً تماماً باستثناء بضع سيارات مركونة بشكل مائل ومدفونة حتى مصدَّاتها بالثلج المكوَّم بسبب مرور الجرافات - معظمها ستُدفن تماماً بحلول الصباح. وعند تقاطع شارعي مـــين وبيـــزين، مال أحد أعمدة النور وتراقص في الهواء وسُمع أزيز كهربائي لفترة وجيزة ثم انقطع الضوء.

وفي الـــساعة الثامـــنة، عندما وصل السيد والسيدة كابوت إلى المنـــــزل أخيراً (ما أراح لي كثيراً، ولكن من دون أن تفصح لهما عن ذلـــك)، كانت الإذاعات المحلية تبث مناشدة من شرطة ولاية بنسلفانيا للجميع بالتزام منازلهم.

وبحلول التاسعة مساءً، عندما كان مايكل وريجينا وآرني مجتمعين حـــول التلفزيون بصحبة العم ستيف والخالة فيكي، مزوَّدين بما يكفي مـــن الشراب الساخن، كان نحو أربعين ميلاً من طريق بنسلفانيا مغلقاً بسبب تراكم الثلوج، وسيُغلَق معظمه بحلول منتصف الليل.

وفي التاســـعة والنصف، عندما أُضيئت مصابيح كريستين الأمامية فجـــأة في مرأب دارنل المهجور، كانت جميع طرقات ليبرتيفيل فارغة، باستثناء مرور بعض الجرافات بين الحين والآخر.

في مرأب دارنل الصامت، تسارع محرك كريستين ثم تباطأ.

تسارع ثم تباطأ.

ثم بدأت كريستين بالتحرك.

عـــنَّ الجهاز الإلكتروني المعلّق بحاجب الشمس أمام جهة السائق لفتـــرة وجيزة وبدأت البوابة الكبيرة بالارتفاع مصدرة قعقعة عالية لم يغطِّ عليها هدير الرياح العاتية في الخارج، ودخل بعض الثلج إلى المرأب وزوبع في المكان.

خرجت كريستين مثل شبح في الثلج. انعطفت يميناً وسارت على الطريق المغطى بالثلوج بثبات وثقة.

ومـــض الغمَّـــاز اليساري ثم انعطفت كريستين نحو طريق جون كنيدي.

كـــان دون فاندنـــبيرغ جالساً خلف الطاولة داخل مكتب محطة الوقـــود التي يملكها والده. كان يضع قدميه فوق الطاولة ويقرأ إحدى قصص أبيه التافهة.

رفـــع دون رأسه متضايقاً. لقد اتصل بوالده في السادسة - قبل أربـــع ساعات - وسأله ما إذا كان ينبغي له أن يقفل المحطة، ذلك أن العمـــل في تلـــك الليلة لن يكون كافياً لدفع ثمن الكهرباء التي يتطلبها تـــشغيل اللافـــتة الضوئية وحدها. غير أن والده، الجالس في منـــزله الدافـــئ، قـــال له أن يبقيها مفتوحة حتى منتصف الليل. قال دون في داخلـــه بيـــنما كان يعيد سماعة الهاتف إلى مكانها بانـــزعاج: *إذا كان يـــوجد رجـــل يُدعى سكرووج* [شخصية في إحدى روايات تشارلز ديكينـــز تمثل رجلاً بخيلاً وجشعاً] *فهو أبـــي*.

ببساطة، لم يعد دون يحب البقاء لوحده في الليل. منذ وقت ليس ببعيد، كان يتمتع بالكثير من الصحبة. لكنهم رحلوا جميعاً الآن. مع أنه في بعـــض الأحيان (عندما يكون لوحده في الليل، كما في هذه الليلة) كـــان يعتقد أنه قد يرفع رأسه ويراهم جالسين معه في المكتب: ريتشي

تـــريلوني من جانب، وموتشي ويلش من الجانب الآخر، وبينهما بادي ريـــبرتون حاملاً زجاجة تكساس درايفر بيده وواضعاً لفافة ماريجوانا وراء أذنـــه. وثلاثتهم كانوا يبدون له بيض البشرة بصورة مخيفة، مثل مصاصي الدماء، وعيونهم باردة ولامعة مثل عيون أسماك ميتة. وأحياناً كان يتخيل بادي يمد له الزجاجة قائلاً: *خذ لنفسك رشفة من الشراب أيها الأحمق، سرعان ما ستموت مثلنا.*

ولم يكن السبب وراء هذه التخيلات المريعة غائباً عن ذهن دون. لم يكن ينبغي لهم أبداً تحطيم سيارة صاحب الوجه البشع في تلك الليلة. كلهم لقوا مصرعهم بطريقة مرعبة، ما عداه هو وساندي جالتون الذي ركـــب ســـيارته الموســـتانج المهترئة ذات يوم ورحل إلى مكان غير معروف. وغالباً ما كان يفكر في فعل الأمر ذاته أثناء وجوده في المحطة في مثل هذه الليالي الطويلة.

أطلق الزبون زمور سيارته في الخارج.

وضع دون الكتاب بقوة على الطاولة بجانب آلة بطاقات الاعتماد القـــذرة وارتدى معطفه وهو ينظر إلى الخارج متسائلاً من ذاك المجنون الذي خرج في مثل تلك العاصفة الهوجاء. كان من المستحيل تمييز أي مـــن الـــسيارة أو الـــزبون. كل ما استطاع رؤيته هو أضواء المصابيح الأمامـــية وشكل الهيكل، الذي كان طويلاً جداً، فعرف أن السيارة لا يمكن أن تكون حديثة.

يـــوماً ما - فكَّر دون - بينما كان يضع قفازه، سيجلب والده مـــضخات ذاتية الخدمة وسينتهي كل هذا العناء. إذا كان الناس مجانين لدرجة الخروج في ليلة كهذه، فعليهم أن يضخوا وقودهم بأنفسهم.

كاد الباب ينفلت من يده عندما فتحه فأمسكه بقوة حتى لا يرتد إلى الـــوراء ويـــصطدم بالحائط ويتحطم الزجاج، حتى أنه كاد أن يقع

لمحاولــته هذه، لكن عمق الثلج - أكثر من عشرين سنتيمتراً - ساعده على البقاء على قدميه. يبدو أنه لم يقدِّر جيداً قوة العاصفة، بالرغم من عــويل الريح المستمر في الخارج (والذي كان يحاول عدم سماعه). *إذا أعطاني هذا الرجل بطاقة اعتماد فسأكسر ظهره.*

خاض في الثلج مقترباً من أول مجموعة من المضخات. ذلك المعتوه ركــن ســيارته عند المجموعة البعيدة. حاول دون رفع رأسه لينظر إلى الــسيارة لكــن الريح قذفت الثلج على وجهه فأخفض رأسه بسرعة، تاركاً قبعة معطفه تتلقف معظمه.

غمــزته أضواء مصابيح السيارة الأمامية المتوهجة بينما كان يعبر نحــو جانــب السائق. *إذا كان هذا الشخص يريد وقوداً بثمن دولار واحــد ويريدني أن أفحص البنــزين، فسأقول له اذهب إلى الجحيم.* رفع دون رأسه بينما كانت النافذة تنفتح.

"هل يمكنني مس -"، عندما وصل إلى حرف السين تحوّل الحرف إلى زعيق عال وحاد: "سسسسااااااااااااااااا -".

كــان الــوجه الــبارز من النافذة وجه جثة متحللة، والمحجران فــارغين، والــشفتان المحنطتان الممطوطتان تكشفان عن بضع أسنان مــصفرَّة ومائلة. وكانت هناك يد مسترخية على المقود في حين كانت الأخرى تمتد من خلال النافذة تريد لمسه.

ارتــد دون إلى الخلف مترنحاً وقلبه ينبض مثل محرك يعمل بطاقته القصوى. أشار الشيء الميت إليه - مبتسماً - كي يأتي وتسارع المحرك فجأة.

قالــت الجثة بصوت هامس: "*املأها*". شاهد دون، بالرغم من الصدمة والرعب، أنها كانت ترتدي بقايا بذلة عسكرية مهترئة وملوثة بالطحالب. "*املأها أيها المتغوط*".

همس صوت أجش آخر: "*خذ لنفسك رشفة من الشراب أيها الأحمق*". كان ذلك بادي ريبرتون الذي مد يده من نافذة المقعد الخلفي حاملاً زجاجة تكساس درايفر. كانت الديدان تتلوى داخل فمه المبتسم والخنافس تزحف في ما بقي من شعره. "*أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الشراب*".

صرخ دون وبدأ يركض على الثلج بخطوات كارتونية واسعة. نظر إلى الخلف فرأى أن السيارة هي كريستين، سيارة آرني، وهي تتحرك الآن وتفرم الثلج وراء إطاريها الخلفيين، والأشياء التي رآها اختفت، وهذا أسوأ بطريقة ما. كانت السيارة تسير من تلقاء ذاتها.

انعطف نحو الشارع وتسلق الضفة الثلجية التي كوّنتها الجرافات العابرة ووصل إلى الرصيف الذي جرّدته الريح من كل شيء باستثناء بعض قطع الجليد المتفرقة. داس دون على واحدة منها وتعثر وسقط على ظهره.

بعد لحظة واحدة غُمر الشارع بضوء أبيض ساطع. قلب نفسه ونظر بعينين جاحظتين مرعوبتين فوجد كريستين تخترق الضفة الثلجية وتنقض عليه مثل عربة دفع قطار.

في الساعة العاشرة والنصف، كان ويل دارنل جالساً في غرفة المعيشة في منزله البسيط المكون من طابقين، والذي كان يمتلكه من ثلاثين عاماً. كان يرتدي رداء قديماً وباهتاً فوق سروال بيجاما سميك، ويشاهد آخر تحوّل لإبينزير سكرووج إلى الجانب الطيب والكريم، لكنه لم يكن يتابعه حقاً. كان ذهنه يدقق مرة أخرى في أجزاء أحجية تزداد غرابة وإدهاشاً: آرني، ويلش، ريبرتون، كريستين. لقد هرم ويل عشر سنوات خلال ذلك الأسبوع منذ اعتقاله. صحيح أنه قال لذلك

الشرطي إنه سيعود لمزاولة عمله خلال أسبوعين، لكنه في داخله كان يشك في ذلك.

آرني، ويلش، ريبرتون... كريستين.

في بعض الأحيان، كان يعتقد أن اعتقاله، واعتقال محاسبه المطيع، لم يكونا السبب وراء شعوره الدائم بالخوف، وإحساسه أنه مُلاحَق. ومن المؤكد أن مسؤولي الضرائب لم يكونوا هم السبب الذي جعله يمسح الطريق بناظريه كل صباح قبل خروجه من المنزل، ولا علاقة للنائب العام في الولاية برغبته الملحة في النظر من وراء كتفه عندما كان يقود السيارة عائداً إلى المنزل كل مساء.

لقد فكَّر في ما رآه في تلك الليلة - أو ما اعتقد أنه رآه - مراراً وتكراراً، محاولاً إقناع نفسه أن ذلك لم يكن حقيقياً على الإطلاق... أو أنه كان حقيقياً حتماً. وللمرة الأولى منذ سنوات وجد نفسه يشك في حواسه. ومع تراجع الحادثة إلى الماضي، أصبح من السهل عليه أكثر الاعتقاد أنه غفا في تلك الليلة وحلُم بالقصة برمتها.

لم يرَ آرني منذ الاعتقال، ولم يحاول الاتصال به كذلك. في البداية فكَّر في الاستفادة مما يعرفه عن كريستين كي يبقي آرني فمه مغلقاً في حال أنه ضعف وخطر بباله أن يتكلم - بوسع الفتى إرساله إلى السجن إذا تعاون مع الشرطة. ولم يدرك دارنل مقدار ما يعرفه آرني إلا بعد وصول الشرطة، وفي تلك الأثناء تساءل بقلق، هل جميعهم كانوا يعرفون بنفس القدر؟ ريبرتون وأمثاله خلال السنوات الماضية؟ هل يمكن أن يكون بهذا الغباء؟

لا، هذا ليس صحيحاً - هكذا قرر ويل في نهاية المطاف. وحده آرني كانينغهام كان يعرف ذلك القدر، وذلك لأنه كان مختلفاً. كان يبدو وكأنه يفهم الأشياء بطريقة تشبه الحدس تقريباً. وكان ويل يكنُّ

له عاطفة شبه أبوية، ولكن هذا لا يعني أنه لن يتخلص منه إذا ما شعر أنه قد يوقعه في ورطة. *ولن أتردد الآن.*

أشـــعل ويـــل سيجاراً – أي شيء يخلّصه من طعم الرذّاذ اللعين الـــذي لم يكن يفارق حلقه مؤخراً. كان يجد مشقة بالغة في التنفس في الفتـــرة الأخيرة. والسيجار اللعين يزيد الأمر سوءاً، لكنه لم يعد قادراً على التخلص من هذه العادة في هذا العمر.

نهـــض والسيجار محشور بين أسنانه ثم أغلق التلفزيون. ينبغي له الذهاب إلى السرير، لكنه فكّر في شرب قدح من البراندي أولاً. كان التعب ملازماً له في الفترة الأخيرة، لكنه مع ذلك لم يكن يستطيع النوم بسهولة.

استدار وتوجه نحو المطبخ... وفي تلك اللحظة سمع صوت زمور سيارة صادراً من الخارج، مغطياً على عويل الريح.

توقـــف ويـــل عند مدخل المطبخ وربط حزام ردائه حول كرشه الضخم.

طووط. طووط. طووط.

اســـتدار ويـــل وعـــاد ببطء نحو غرفة المعيشة. كان متأكداً أنها كريـــستين حـــتى قبل أن يفتح الستارة وينظر إلى الخارج. لقد جاءت لتصفّي حسابها معه.

كانت كريستين واقفة عند بداية الممر المؤدي إلى المنـــزل، وبدت مثل شبح بين الثلج المزوبع. كانت مصابيحها الأمامية تصدر مخروطين ضـــوئيين آخذين بالاتساع بشكل تدريجي قبل أن يختفيا في العاصفة. للحظة بدا له أنه رأى شخصاً ما وراء المقود، لكنه عندما أغمض عينيه ثم فتحهما لم يجد فيها أحداً. كانت فارغة كما كانت عندما عادت إلى المرأب في تلك الليلة.

طووط. طووط. طوط – طوط.

كما لو أنها كانت تتكلم.

خفـــق قلبه بقوة في صدره. التفت واتجه نحو الهاتف بسرعة. لقد حان الوقت للاتصال بآرني.

لم يكن قد قطع نصف المسافة بينه وبين الهاتف حين سمع صوت هديـــر محرك كريستين. كان الصوت أشبه بزعيق امرأة اشتمت رائحة خـــيانة. وفي اللحظـــة التالية سمع صوت اصطدام قوي. رجع ويل إلى الـــنافذة فـــشاهد كريـــستين ترجع أدراجها من الضفة الثلجية العالية المكـــومة عند بداية الممر. كان غطاء محركها قد تغضَّن قليلاً وتناثرت علـــيه كتل من الثلج. هدر المحرك مرة أخرى ثم انطلقت كريستين عبر الطـــريق المغطى بالثلج وضربت الضفة الثلجية مجدداً. انفجر المزيد من الثلج وتبعثر في الهواء مثل دخان سيجار نُفخ أمام مروحة.

رجع ويل نحو الهاتف وهو يتنفس بمشقة. بحث عن رقم كانينغهام وراح يدير قرص الهاتف. ارتشعت يده وأخطأ في الرقم، شتَمَ ولعَنَ، ثم ضغط على زر الإيقاف، وأعاد ضرب الرقم من جديد.

في الخـــارج، هدر محرك كريستين ثم سُمع صوت اصطدام للمرة الثالـــثة. لعق ويل شفتيه وحاول أن يتنفس بهدوء، لكنه كان يشعر أن صدره يوشك على الإطباق.

بـــدأ الهاتف يرن في الجانب الآخر من الخط. ثلاث مرات. أربع مرات.

صوت زعيق محرك كريستين ثم اصطدام قوي.

ست رنّات. سبع رنّات. لا أحد في المنـــزل.

قـــال ويل بصوت خافت: "اللعنة عليك". ثم أقفل الهاتف. كان وجهـــه شاحباً ومنخراه متوسعين مثل منخري حيوان يشتم رائحة نار

بعكس اتجاه الريح. رمى سيجاره على السجادة ثم مد يده داخل جيب ردائه باحثاً عن الرذّاذ بينما كان يحث الخطا نحو النافذة من جديد.

أصـــاب ضوء المصابيح الأمامية وجه ويل للحظة فرفع يده الحرة كي يحمي عينيه. كانت كريستين تحاول شق طريقها فوق ما بقي من الضفة الثلجية المتجمدة والمرصوصة بشدة، لكن إطاريها الخلفيين فقدا القدرة على الدفع وبدأا يدوران في المكان بشكل هستيري.

تراجعت كريستين.

أصـــبحت رئتا ويل تجاهدان للحصول على الهواء. أخرج الرذاذ ووضـــعه في فمه في ضغط عليه. الشرطة. عليه أن يتصل بالشرطة. إنها ســـتأتي حتماً. وسيارة كانينغهام لا يمكنها الوصول إليه. إنه بأمان في منـــزله...

عـــادت كريـــستين وضربت الضفة من جديد، لكنها هذه المرة عـــبرت فـــوقها بسهولة. ارتفعت مقدمتها الملتوية أولاً، مسلطة الضوء علـــى واجهة المنـــزل، ثم هبطت بقوة على الممر الموصل إلى منـــزله. لقد أصبحت فوق الممر الآن. أجل، وماذا يعني ذلك؟ لكنها لا تستطيع التقدم أكثر. إنها... إنها...

عبرت كريستين، بسرعة متزايدة، الممر نصف الدائري ثم صعدت فوق الحديقة الجانبية حيث الثلج أقل عمقاً، متجهة نحو النافذة العريضة حيث يقف ويل مذهولاً.

ارتـــد ويل إلى الوراء، وهو يلهث بصعوبة، فتعثّر بكرسيه وسقط على الأرض.

صـــدمت كريستين المنـــزل فانفجر زجاج النافذة ودخلت الريح العاتـــية الغـــرفة ودخل معها الثلج الذي راح يعصف بشكل حلزوني عـــصبـــي فـــوق السجادة. أضاءت مصابيحها الأمامية الغرفة لفترة

وجيـــزة قـــبل أن تنسحب جارَّة وراءها مصدَّها الأمامي. كان غطاء محركها مغضَّناً ونصف مفتوح، وشبكة قبضان مبرِّدها محطمة.

كان ويل جاثياً على يديه وركبتيه يجاهد للحصول على الهواء. لو لم يتعثَّر ويسقط على الأرض لربما كان الآن ميتاً بسبب شظايا الزجاج المتطايــر. انفلت حزام ردائه ورفرف وراءه بينما كان يحاول الوقوف علـــى قدميه. رفعت الريح العاتية مجلة دليل التلفزيون من على الطاولة الـــصغيرة بجانـــب الكرسي وقذفتها عبر الغرفة لتسقط أسفل السلّم. أمسك ويل الهاتف بكلتا يديه وضرب الرقم صفر.

رجعـــت كريستين حتى وصلت إلى الضفة المستوية بالأرض عند مدخل الممر ثم زمجر محركها وانطلقت إلى الأمام بسرعة متزايدة. وبينما كانـــت تـــسير بـــدأ غطـــاء محركها وشبكة قضبان مبرِّدها يصلحان نفـــسيهما. ضربت أسفل النافذة العريضة مرة أخرى. تطاير المزيد من الـــزجاج وتكـــسّر الخـــشب وانشطرت الحافة السفلى من النافذة إلى نـــصفين، وللحظـــة بدت واجهة كريستين الزجاجية المتكسرة وكأنها كانت تسترق النظر إلى الداخل مثل عين عملاقة لكائن من عالم آخر.

قـــال ويـــل لعاملـــة المقسم: "الشرطة". لكن صوته بالكاد كان مسموعاً.

قالت عاملة القسم: "عفواً، سيدي، عليك أن ترفع صوتك. يبدو أن الاتصال سيئ جداً".

الشرطة. لكن صوته هذه المرة لم يكن أكثر من فحيح هواء. كان يوشك على الاختناق. أين رذّاذه؟

"سيدي؟".

هـــا هو الرذاذ. إنه ملقىً على الأرض. ترك ويل الهاتف ومد يده ليمسك بالرذاذ.

عــادت كريستين وضربت جانب المنــزل أسفل النافذة مجدداً. هــذه المرة تحطم الجدار الخشبــي بالكامل. ودخلت مقدمة كريستين المنبعجة والمحطمة غرفة معيشته. نعم، كانت في الداخل. كان بوسعه أن يشتم رائحة بخار العادم ورائحة المحرك الساخن.

تــراجعت كريستين وخرجت من الفجوة المثلّمة. لكنها ستعود مجدداً بعد ثوانٍ، وربما هذه المرة سوف... سوف...

أمسك ويل رذاذه وهرع نحو السلَّم.

كان قد قطع نصف درجات السلَّم عندما سمع محركها يزمجر من جديد فتوقف والتفت كي يشاهد ما يجري مستنداً على الدرابزين.

أمَّن له مكان وقوفه فوق السلّم زاوية رؤية مخيفة. راقب كريستين وهــي تعــبر فوق المرج المغطى بالثلج، ورأى غطاء محركها يطير نحو الأعلــى فأصــبحت مقدمتها تشبه فم تمساح عملاق أحمر وأبيض. ثم انفلت كلياً من مكانه عندما صدمت المنــزل مجدداً. هذه المرة حطمت كـــل ما تبقى من إطار النافذة ونثرت ألواح الخشب المتكسر في أرجاء غــرفته. وثــبت مصابيحها الأمامية، المتوهجة، ثم دخلت الغرفة. *لقد أصبحت داخل منــزله*، مخلّفة فجوة واسعة في الجدار خلفها.

صرخ ويل لكنه لم يستطع سماع صوته مع هدير محركها المزمجر. تحــركت كريــستين باتجاه السلم، مخلّفة آثاراً متعرجة لإطارات ثلجية فــوق السجادة، ثم صدمت السلم، قاذفةً ويل نحو الجدار. سقط الرذاذ من يده وتدحرج فوق درجات السلم حتى وصل إلى الأرض.

رجعت كريستين إلى الوراء عبر الغرفة، فأصدرت ألواح الخشب تحتها صريراً عالياً. أثناء رجوعها اصطدمت بجهاز التلفزيون فانفجرت شاشته. ثم تحركت إلى الأمام وضربت جانب السلم مرة أخرى. أحس ويل أن هيكل المبنى برمته بدأ يهتز من تحته. كانت كريستين واقفة تحته

مباشـــرة، وكان بوسعه رؤية الأحشاء المزيَّتة لمقصورة المحرك، والشعور بحرارة المحرك ذي الأسطوانات الثماني. بدأ بتسلق الدرجات المتبقية من السلّم متشبثاً بالدرابزين بإحدى يديه وواضعاً اليد الأخرى على حلقه في محاولة يائسة لتمرير الهواء إلى صدره المختنق.

وصـــل ويـــل إلى أعلـــى الـــسلم قبل لحظة واحدة من اصطدام كريـــستين التالي. سقطت قطعة خشبية طويلة داخل المحرك فمضغطتها المـــروحة وبصقتها على شكل غبار خشن من نشارة الخشب ونثرات خشبية صغيرة. قال ويل في نفسه: *إلى الممر. السقيفة. السقيفة ستكون آمنة. أجل، الس... يا الله.... يا الله...*

أحس ويل بألم حاد ومفاجئ في صدره، وكأن أداة حادة ثقبت قلـــبه، وتصلّبت ذراعه اليسرى بشكل مؤلم، والتنفس كان لا يزال مـــتعذراً عليه. ترنَّح إلى الخلف فتراجعت إحدى قدميه لترتكز على شـــيء مـــا لكـــنها لم تجد سوى الفراغ تحتها فسقط على السلّم وتدحـــرج علـــيه في دورتين كبيرتين إلى أن استقر على الأرض في الأسفل.

هجمت كريستين عليه وصدمته، ورجعت إلى الوراء، ثم صدمته مـــرة أخرى، فانخلع عمود السلَّم القوي مثل غُصيْن صغير. ثم رجعت إلى الخلف لتعود وتصدمه مجدداً.

علا صرير الدعائم الخشبية أسفل الأرضية وهي تنحني وتتكسّر. تـــوقفت كريستين وسط الغرفة قليلاً - وكأنها كانت تصغي السمع. كان اثنان من إطاراتها مستويين بالأرض، وإطار ثالث يكاد ينخلع مـــن هـــيكله المعدني. والجانب الأيسر من السيارة كان مثقوباً نحو الـــداخل والطـــلاء كان مكشوطاً في عدة أماكن منه على شكل بقع كبيرة جرداء.

فجأة هدر محدر كريستين ثم تراجعت إلى الوراء حتى وصلت إلى الفجـــوة المـــثلّمة الـــتي ثقبتها في الجدار الجانبـــي من المنـــزل. سقط إطاراها الخلفيان أولاً على الثلج من ارتفاع بضعة سنتيمترات. دارا في مكانهما للحظات قليلة إلى أن وجدا شيئاً يتشبثان به، ثم سحبا السيارة إلى الخـــارج. رجعـــت بـــشكل عكسي باتجاه الطريق. أصبح صوت محـــركها متقطعاً الآن، وكانت تصدر بخاراً أزرق يشوش الهواء حولها، والزيت يقطر منها.

عـــندما وصلت إلى الطريق استدارت باتجاه ليبرتيفيل ثم تحركت بـــبطء وهي تترنح يمنة ويساراً فوق إطاريها المثقوبين، مثل عجوز ثملة تـــتلمس طريقها عبر زقاق ضيق. كان الثلج ينهمر بغزارة على شكل خطوط مائلة بفعل الريح القوية.

تذبذب أحد مصابيحها الأمامية، الذي تحطم في آخر هجوم مدمر لها، ثم أضاء.

بـــدأت ســـحب الـــدخان الأزرق القـــذر تتلاشـــى بشكل تدريجي.

بدأ أحد إطاريها المثقوبين ينتفخ، ثم لحقه الثاني.

اختفى التقطع في المحرك.

بدأ غطاء المحرك المخلوع يكوّن نفسه من جديد، ابتداءً من أعلى الـــواجهة الزجاجية نحو الأسفل. كان يبدو مثل وشاح يُنسَج بواسطة إبرة غير مرئية. وبعد اكتمال السطح المعدني بدأ يكتسب اللون الأحمر، وكأن شيئاً ما كان يملؤه دماً.

بدأت التشققات على الزجاج الأمامي تختفي.

اشتعلت المصابيح الأمامية الأخرى، واحداً تلو الآخر.

والآن أصبحت تسير بثقة وسرعة وسلاسة في الليل العاصف.

وعداد المسافات يسير بهدوء نحو الخلف.

وبعد خمس وأربعين دقيقة، كانت كريستين تقبع في الموقف عشرين في ظلام مرأب الراحل ويل دارنل للخدمة الذاتية.

الفَصْل الثّالِث

كريستين - أغاني الموت المراهقة

43

لي تأتي للزيارة

قبل نحو خمس عشرة دقيقة من موعد وصول لي، وضعت عكازيَّ تحت إبطي وتوجهت إلى الكرسي الأقرب للباب كي تسمعني لي عندما أطلب منها الدخول. ثم أخذت مجلة *إسكواير* مجدداً ورجعت إلى مقالة بعنوان *فيتنام التالية*، والتي كانت جزءاً من فرض مدرسي. لكنني لم أنجح في قراءتها مرة أخرى. كنت عصبياً وخائفاً... لأنني ببساطة كنت متلهفاً لرؤيتها من جديد.

كان المنزل فارغاً، لأنني كنت قد طلبت من والدي، بعد وقت قصير من اتصالها بي عصر ذلك اليوم العاصف الذي صادف عشية الميلاد، أن يأخذ أمي وإيلين إلى مكان ما بعد ظهر السادس والعشرين من كانون الأول.

قال أبي بلطافة: "لِمْ لا".

"شكراً بابا".

"لا عليك. لكنك تدين لي بواحدة".

"بابا!".

غمزني بجدية وقال: "سأحك جلدك إذا كنت ستحك جلدي".

"يا للنُبْل".

"أمير حقيقي".

"إنها صديقة آرني، أليس كذلك؟".

"في الحقيقة، كانت كذلك. لكنني لا أعرف الوضع بينهما الآن".

"مشاكل؟".

"لم أقم بعمل جيد تماماً في أن أكون عينيه، أليس كذلك؟".

"من الصعب أن ترى من سرير مستشفى يا دينيس. على كل حال، سأحرص على أن تكون أمك وإيلي في الخارج يوم الثلاثاء. ولكن، كن حذراً، اتفقنا؟".

ومنذ ذلك الحين وأنا أتساءل ما الذي عناه أبي بتلك الجملة الأخيرة. من المؤكد أنه لم يكن قلقاً من أن أقفز عليها مع وجود جبيرة على الجزء العلوي من إحدى ساقي ونصف جبيرة على ظهري. أعتقد أنه كان يخشى أن شيئاً فظيعاً حدث لصديق عمري آرني الذي تحوّل فجأة إلى شخص غريب - شخص غريب خرج من السجن بكفالة.

بالطبع، كنت أعتقد أن ثمة شيئاً فظيعاً يجري، وقد أصابني ذلك بذعر شديد. صحيح أن صحيفة كيستون لا تصدر في الميلاد، لكن محطات التلفزة الثلاث التابعة لشبكة بيتسبورغ وكلتا المحطتين المستقلتين، كلها روت قصة ما حدث لويل دارنل إلى جانب صور مرعبة لمنزله. لقد بدا الجانب المواجه للطريق من منزله وكأن نازياً مجنوناً قاد دبابة بانزر وخرقه. وقد نشرت صحيفة هذا اليوم القصة تحت عنوان: "جريمة قتل محتملة تتعلق بحادثة موت غريبة لشخص يُشتبَه بكونه مجرماً". ولكن، كان يتوجب عليك إلقاء نظرة على الصفحة الثالثة كي تحصل على المزيد. وفي هذه الصفحة كانت الفقرة صغيرة، وذلك لأن ويل دارنل كان شخصاً *يُشتبَه بكونه مجرماً*، في حين أن دون فاندنبيرغ كان مجرد طالب تافه لم يكمل مرحلته الثانوية ويعمل في محطة للوقود.

كانت هذه الفقرة بعنوان: "مقتل عامل محطة وقود عشية الميلاد في حادثة صدْم وهرب". وأنهت الفقرة قصتها مع رئيس شرطة ليبرتيفيل الذي افترض أن السائق كان إما مخموراً أو تحت تأثير

المخـــدرات. لكنه لم يحاول - ولا الصحيفة أيضاً - أن يربط بين مقتل الشخـــصين اللـــذين لم يكن يفصل بينهما سوى عشرة أميال في ليلة عاصفة أوقفت كل حركة المرور في أوهايو وغربـــي بنسلفانيا.

قُرع جرس الباب.

"ادخل!" لكنني وقفت مستنداً على عكازي على كل حال.

انفتح الباب ومدت لي رأسها وقالت: "دينيس؟".

"أجل. ادخلي".

دخلـــت لي ودفعت قبعة معطفها إلى الخلف. كانت تبدو جميلة جداً بمعطفها الأحمر وسروالها الأزرق.

قالت وهي تحل أزرار المعطف: "اجلس. هيا، هذا أمر. إنك تبدو مثل لقلق كبير غبـــي مع هذين الشيئين".

"أكملي. إنني لا أستطيع مقاومة الإطراء لدرجة أنني أتمارض أحياناً".

"كيف حالك دينيس؟".

"أتعافى، وماذا عنك؟".

قالـــت بصوت خافت: "مررت بأوقات أفضل". ثم عضَّت على شـــفتها السفلى. يمكن أن تكون هذه الحركة مغرية إذا قامت بها فتاة، ولكن ليس الآن.

"علّقي معطفك واجلسي أنت أيضاً".

"حـــسناً". التقت عيناها بعيني، وكان هذا أكثر من قدرتي على الاحتمال فنظرت إلى مكان آخر، وأنا أفكر في آرني.

ذهبت وعلّقت معطفها ثم عادت ببطء إلى غرفة الجلوس.

"أين والداك؟".

"طلـــبت مـــن والـــدي أن يأخـــذ الجميع خارج المنـــزل لأنني أعتقد" - هززت كتفيَّ - "بأن الحديث يجب أن يكون بيننا وحدنا".

وقفــت بجانــب الأريكة وهي تنظر إلي من الجهة المقابلة من الغرفة. صدمتني مجدداً بساطة نظراتها اللطيفة. لم أستطع منع نفسي من التمعن في جمالها. كانت تفاصيل جسدها الأنثوي الجميل بارزة من تحت سروالها الأزرق الغامق وكنــزتها الزرقاء الفاتحة، وشعرها معقــوداً مــن الخلــف وملقىً على كتفها اليسرى، وعيناها بلون كنـــزتها - أو ربما أغمق قليلاً. بوسعكم القول إنه جمال أميركي ريفي بسيط، لولا عظمتي الوجنتين البارزتين، اللتين كانت تضفيان مسحة من الأنفة البسيطة على شخصيتها.

رأتــني أنظــر إلــيها فاحمرّ وجهها خجلاً، فأشحت بناظري بعيداً.

"دينيس، هل أنت قلق عليه؟".

"قلق؟ مذعور قد تكون كلمة أفضل".

"ماذا تعرف عن السيارة؟ ماذا أخبرك عنها؟".

"لــيس كــثيراً. اسمعي، هل تحبــي أن تشربــي شيئاً ما؟ هناك بعض الأشياء في الثلاجة - " وضعت يدي على العكازين.

"ابــقَ جالساً. أحب أن أشرب شيئاً ولكن أنا من سيجلبه. ماذا عنك؟".

"مشروب غازي بنكهة الزنجبيل إذا بقي منه شيئاً".

ذهبت إلى المطبخ وراقبت ظلها على الجدار وهي تتحرك برشاقة مثل راقصة. أحسست بثقل زائد في معدتي، يشبه الغثيان. ولكن، هناك اســم لهــذا النوع من الغثيان. أعتقد أنه يُدعى *الوقوع في حب حبيبة أفضل صديق لديك*.

قالت من المطبخ: "لديكم آلة لصنع مكعبات الثلج. لدينا واحدة أيضاً. أنا أحبها".

"أحـــياناً تفقد عقلها وتنثر مكعبات الثلج على الأرض. إنها تشبه جيمـــي كاجني في فيلم *حرارة شديدة. خذوا هذا أيها الجرذان القذرة.* إنها تدفع أمي للجنون".

سمعت ضحكتها مع صوت قرقعة مكعبات الثلج في الكأس. وبعد قليل عادت مع كأسين من الثلج وعلبتي كاندا دراي.

قلت وأنا آخذ كأسي: "شكراً".

"لا، شـــكراً لك. شكراً لموافقتك على سماعي. لو اضطررت إلى التعامل مع هذا الأمر لوحدي... أعتقد أنني كنت... لا أعرف".

"هوِّني عليك. ليس الأمر بهذا السوء".

"صحيح؟ هل تعرف ماذا حلَّ بدارنل؟".

أومأت برأسي.

"والشخص الآخر، دون فاندنبيرغ؟".

إذاً فهي ربطت بين الحادثتين أيضاً.

أومـــأت برأسي مرة أخرى، ثم قلت: "قرأت ذلك. لي، ما الذي يزعجك بخصوص كريستين؟".

صمتت لفترة بدت طويلة جداً. اعتقدت في البداية أنها لن تجيب، أو لـــن تقـــوى على الإجابة. كانت تحدق إلى كأسها المحمولة بكلتا يديها.

وأخيراً قالت بصوت خافت جداً: "أظن أنها حاولت قتلي".

لا أعرف ماذا كنت أتوقع أن تقول، لكنني بالتأكيد لم أكن أتوقع هذا.

"ماذا تعنين؟".

وهكذا راحت تسرد لي قصتها، بتردد في البداية، ثم بسرعة أكبر إلى أصـــبح الكلام يتدفق منها بغزارة. لقد سمعتم هذه القصة من قبل،

ولهـــذا فلـــن أعيدها عليكم مرة أخرى. وهي لم تكن تمزح بخصوص كونها خائفة، إذ كان ذلك واضحاً من شحوب وجهها واهتزاز صوتها وطريقة مداعبتها للجزء العلوي من ذراعها، وكأنها كانت تشعر بالبرد.

وأنهـــت قـــصتها بإخـــباري عن تحوُّل لوحة العدادين إلى عينين مـــراقبتين. ضحكت بعصبية على هذا الجزء الأخير، لكنني لم أشاركها الضحك. كنت أتذكَّر صوت جورج ليبـــي الجاف عندما كان يخبرني بقصة رونالد وفيرونيكا وريتا بينما كنا جالسيْن أمام فندق رينبو. كنت أتذكـــر تلك الأشياء وذهني يقوم بالربط بينها وبين ما تقوله لي حينئذ. و لم يعجبني ما خلصت إليه عملية الربط تلك. كان قلبـــي يخفق بعنف داخل صدري.

ثم أخـــبرتني عـــن عرضـــها الأخير الذي قدَّمته له - إما هي أو الـــسيارة. ووصفت لي ردّ فعل آرني الغاضب. وكانت تلك هي آخر مرة تخرج فيها معه.

قالـــت: "ثم قُبض عليه... وأنا بدأت أفكر... أفكر في ما حصل لبادي ريبرتون والشابين الآخرين... وموتشي ويلش...".

"والآن فاندنبيرغ ودارنل".

"أجـــل. ولكن، هذا ليس كل شيء". شربت قليلاً من كأسها ثم صـــبَّت المزيد. "عشية الميلاد، عندما اتصلت بك، ذهب أبـــي وأمي لزيارة صاحب عمل والدي. وأنا بدأت أشعر بالقلق. كنت أفكر في... يا الله، لا أعرف بماذا كنت أفكر".

"أعتقد أنك تعرفين".

فركت جبهتها بيدها قليلاً، ثم قالت: "أظن ذلك. كنت أفكر في أنهـــا كانـــت في الخارج. في الخارج وتلاحقهما. لكنها إذا كانت في الخـــارج عـــشية الميلاد، فأعتقد أنه كان لديها الكثير مما يشغلها عن

إزعـــاج والديَّ - " فجأة وضعت الكأس على الطاولة بقوة، ما جعلني أنـــتفض في مكـــاني، ثم صـــرخت: "ولماذا أتحدث عنها دائماً وكأنها إنسان؟" بدأت الدموع تنهمر على خديها. "لماذا أفعل هذا دائماً؟".

وضـــعت عكـــازيَّ تحتي وذهبت إلى الأريكة وجلست بجانبها. كانـــت أمـــي تضع دائماً علبة محارم في دُرْج الطاولة الصغيرة بجانب الأريكة. سحبت الدرج وأخذت عدة محارم وأعطيتها إياها، فشكرتني. وبعـــد ذلـــك وضعت ذراعي حولها وعانقتها - لم أحب نفسي كثيراً حينئذ.

تصلَّبت قليلاً في البداية، قبل أن تتركني أجذبها إلى كتفي. كانت ترتجف. أظن أننا كلينا كنا خائفين من الإتيان بأي حركة، ولهذا بقينا جالـــسين علـــى هذه الحال لعدة لحظات. كان صوت دقات الساعة يـــضفي جواً دراماتيكياً على الوضع، وضوء النهار الساطع يتغلغل عبر النافذة البارزة نحو الخارج، والتي كانت تتيح لي رؤية الشارع من مكان جلوسي. كانت العاصفة قد تراجعت بحلول منتصف ظهيرة الميلاد، أما الآن فإن السماء الزرقاء الصافية كانت تبدو وكأنها تنكر حدوث تلك العاصفة الثلجية - لولا أكوام الثلج، الشبيهة بالكثبان الرملية، المنتشرة على المروج المحاذية للشارع من الجانبين.

وأخـــيراً قلـــت لهـــا: "الرائحة. إلى أي درجة أنت متأكدة من ذلك؟".

قالـــت وهـــي تجذب نفسها بعيداً عني وتجلس باعتدال: "كانت موجـــودة". سحبت يدي بدوري، بشيء من خيبة الأمل والارتياح في آن واحـــد. "كانـــت موجودة حقاً... رائحة عفنة كريهة. لماذا؟ هل شممتها أنت أيضاً؟".

هززت رأسي نافياً. وكنت أقول الصدق، فأنا لم أشتمها أبداً.

"ما الذي تعرفه عن تلك السيارة؟ إنك تعلم شيئاً ما، بوسعي رؤية ذلك في وجهك".

حان دوري في تلك اللحظة كي أفكر ملياً وطويلاً. كانت لي تملك معلومات لم أكن أعرفها، وكنت أملك معلومات لم تكن هي تعرفها، لكنها كلها كانت تخمينية، والكثير منها لم تكن ملموسة وإنما مجرد مشاعر شخصية وظرفية... ومع ذلك فهي كانت بمجموعها كافية لملء النفس بالذعر. تساءلت لوهلة ماذا ستفعل الشرطة إذا علمت بما كنا نعرفه؟ لا شيء، هل يمكنك أن تجلب شبحاً إلى المحاكمة؟ أو سيارة؟

"دينيس؟".

"أنا أفكر".

في الحقيقة كنت أفكر في أننا يجب أن نفعل شيئاً ما أو نخبر شخصاً ما.

سألتني مجدداً: "ما الذي تعرفه؟".

أخذت يدها وأمسكتها بكلتا يدي وقلت: "حسناً، آرني اشترى كريستين من رجل ميت الآن، رجل يُدعى رونالد دي ليبي، لقد رأيناها على مرج حديقته ذات يوم عندما كنا عائدين من العمل، و-".

قالت لي برقة: "إنك تفعل ذلك أيضاً".

"ماذا؟".

"إنك تتحدث عنها كإنسان".

"أجل، أعرف، من الصعب التوقف عن ذلك، المهم هو أن آرني أرادها منذ اللحظة التي وقعت عيناه عليها، وأنا أعتقد الآن... لم أفكر في الأمر سابقاً، الآن فقط... أن ليبي كان يريد أن يأخذها آرني بنفس اللهفة، أي أنه كان سيهبه إياها لو وصلت الأمور إلى هذا الحد.

يـــبدو لي وكـــأن آرني شاهد كريستين وأدرك أنها له، وعندما شاهد ليبـــي آرني أدرك ذات الشيء".

سحبت لي يدها وبدأ تحك مرفقيها بقلق. ثم قالت: "قال آرني أنه دفع -".

"دفع، بالتأكيد. وما زال يدفع. إن كان آرني لا يزال موجوداً".

"لا أفهم ما تعنيه".

"سأريك بعد بضع دقائق. أولاً، دعيني أعطيك الخلفية الأساسية".

"حسناً".

"كان لدى ليبـــي زوجة وابنة. هذا في الخمسينيات. توفيت ابنته بجانب الطريق. لقد اختنقت حتى الموت بقطعة هامبرغر".

شحب وجه بشكل تدريجي إلى أن بدا مثل كأس مليئة بالحليب.

"لي! هل أنت بخير؟".

قالـــت بهدوء مخيف: "أجل". ثم التوى فمها - ربما أثناء محاولتها رسم ابتسامة مطمئنة. "أنا بخير". ثم وقفت فجأة وقالت: "أين الحمام، من فضلك؟".

"هناك واحد عند نهاية الرواق. لي، يبدو أنك لست بخير".

قالت بنفس الصوت الهادئ: "سوف أتقيأ". استدارت ومشت بتـــرنح - كـــل الرشاقة التي رأيتها من خلال ظلها اختفت الآن. خـــرجت من الغرفة على مهل، لكنها ما إن أصبحت خارج مجال الـــرؤية حتى تسارعت وتيرة خطواتها. فُتح باب الحمام، ثم سمعت الأصوات.

عـــندما عادت كانت لا تزال شاحبة، لكنها استعادت بعضاً من لونها.

قلت: "أنا آسف".

"لا بـــأس. لقد أفزعتني فقط" - ابتسمت ابتسامة تعبة - "فقط أخبرني شيئاً واحداً، دينيس. هل ما قلته صحيحاً؟ صحيحاً حقاً؟".

"أجل، إنه صحيح. وهناك المزيد. ولكن، هل تريدين فعلاً سماع المزيد؟".

"لا. ولكن أخبرني على كل حال".

"بإمكاننا أن ننسى الأمر". قلت ذلك من غير اقتناع.

"قد يكون من الأمن لنا... ألا نفعل ذلك".

"انتحرت زوجته بعد فترة قصيرة من وفاة ابنتها".

"السيارة -".

"لها علاقة بالأمر".

"كيف؟".

"لي -".

"كيف؟".

وهكذا أخبرها - ليس فقط عن الفتاة الصغيرة وأمها، بل عن ليبـــي نفـــسه، حسبما أخبرني شقيقه جورج. أخبرها عن غضبه اللامحدود، وعن الأطفـــال الـــذين كانـــوا يسخرون من ثيابه وقصة شعره، وعن هربه إلى الجيش حيث ثياب الجميع وقصات شعرهم متشابهتان. وعن سخطه الدائم مـــن المـــتغوطين، خصوصاً أولئك المتغوطين الذين كانوا يجلبون سياراتهم الغالـــية كـــي يـــصلحها على نفقة الحكومة. وعن الحرب العالمية الثانية، وشقيقه درو الذي قُتل في فرنسا. وعن سيارة الشيفروليه القديمة.

"تلك الكلمة".

"أي كلمة؟".

"المـــتغوطون" - بـــدت وكأنها أجبرت نفسها على قولها - "إنه يستخدمها. آرني".

"أعرف".

نظرنا إلى بعضنا مجدداً، ثم مدت يديها وأمسكت بيديّ.

"إنـــك باردة". ملاحظة لامعة أخرى من ينبوع الحكمة، دينيس جيلدر. لدي الملايين منها.

"أجل. أشعر وكأنني لن أكون دافئة مرة أخرى".

أردت أن أطوِّقها بذراعي لكنني لم أفعل. خشيت أن أفعل ذلك. كان آرني لا يزال بيننا. لكن الشيء الأسوأ هو الشعور الذي كان ينمو بداخلـــي بالتدريج، وهو أن آرني كان ميتاً... أو تحت نوع غريب من التأثير الجهنمي.

"هل قال أخوه شيئاً آخر؟".

"لا شيء مهم". غير أنني تذكرت فجأة ما قاله لي جورج ليبـــي: *كـــان مهووساً، وكان غاضباً، لكنه لم يكن وحشاً. على الأقل... لا أعتقد أنه كان كذلك.* بدا لي في حينه أنه كان يوشك على قول المزيد، فـــإذا بـــه يستدرك أنه كان يتحدث مع غريب. ماذا كان يوشك أن يقول؟

فجـــأة خطرت ببالي فكرة غريبة. دفعتها عني. لكن دفعها كان عملاً شاقاً مثل دفع بيانو.

"هل أخذت عنوان السيد ليبـــي؟".

"لا". فكَّرت قليلاً، ثم تذكرت الجنازة، فقلت مستدركاً: "ولكن أتصور أن مركز رابطة المحاربين الأميركيين القدامى في ليبرتيفيل يملكه. هم الذين دفنوا ليبـــي واتصلوا بشقيقه. لماذا؟".

هـــزت لي رأســـها وتوجهت نحو النافذة ووقفت تنظر إلى ضوء النهار الساطع. ثم استدارت نحوي وقالت: "قلت إنك ستريني شيئاً ما، ما هو؟".

"اصـــعدي إلى الطابـــق العلوي. غرفة أمي هي الباب الثاني إلى اليسار. ابحثي في الدرج الثالث من خزانتي. ستحتاجين إلى الغوص تحت ثيابـــي الداخلية، لكنها لن تعضّك".

ابتـــسمت - قلـــيلاً فقط، ولكن حتى هذه كانت تُعتبَر تقدماً.

"وماذا سأجد؟ كيساً من الماريجوانا؟".

ابتـــسمت بدوري وقلت: "لقد تخليت عن هذه السنة الماضية... حـــشيش هذه السنة. وأموِّل عادتي من خلال بيع الهيروين في مدرسة جونيور الثانوية".

"ما هو؟ حقاً؟".

"توقيع آرني. محفوظ على الجبيرة".

"توقيعه؟".

هززت رأسي: "على نسختين".

صعدت وجلبتهما، وبعد خمس دقائق كنا جالسين على الأريكة من جديـــد، ننظـــر إلى قطعتين مربعتين من الجبيرة موضوعتين جنباً إلى جنب فوق طاولة القهوة. لقد أشرفْت على الممرضة حين قصّتهما، ولاحقاً قمت أنا بقص المربعين، واحدة من الساق اليمنى والأخرى من اليسرى.

نظرنا إليهما بصمت.

على اليمين:

على اليسار:

نظرت لي إليّ باستغراب وقالت: "هاتان قطعتان من -".

"جبيرتيّ ساقيّ، أجل".

"هل هذه مزحة... أم ماذا؟".

"لـــيس هناك مزاح. لقد راقبته وهو يوقّعهما كليهما". الآن وقد أفصحت عما كان يجول بخاطري، أحسست بنوع غريب من الارتياح. لقـــد احتفظت بهذا الأمر في داخلي لمدة طويلة، وكان يزعجني ويقض مضجعي.

"لكنهما لا يبدوان متشابهين على الإطلاق".

"لكـــن آرني لا يشبه آرني الذي كنت أعرفه أيضاً. وكل هذا بسبب تلك السيارة الملعونة". نقرت بيدي بحدة على الجبيرة اليسرى وأضـــفت: "هذا ليس توقيعه. إنني أعرف آرني طوال حياتي تقريباً. لقـــد رأيت فروضه المدرسية، ورأيته يرسل بعض الأشياء في البريد، وراقبته وهو يوقّع صكوك رواتبه، وهذا ليس توقيعه. التوقيع الموجود على اليمين هو توقيعه. أما هذا، لا. هل تفعلين شيئاً من أجلي غداً، لي؟".

"ما هو؟".

أخبرتها فهزت رأسها موافقةً وقالت: "من أجلنا".

"هه؟".

"ســـأفعل ذلك من أجلنا، لأنه يجب علينا أن نفعل شيئاً ما، أليس كذلك؟".

"أجل، أعتقد ذلك. هل تمانعين لو سألتك سؤالاً شخصياً؟".

هزت رأسها دون أن تبعد عينيها الرائعتين عن عيني.

"كيف كان نومك مؤخراً؟".

"ليس جيداً".

وبعـــد ذلك، ولأنني لم أستطع التحمل أكثر، وضعت يدي على كتفـــيها وقبَّلتها. ترددتْ للحظة في البداية، حتى إنني ظننت أنها ستبعد نفسها... لكنها بعد ذلك قرَّبت وجهها وقبَّلتني بقوة.

وعندما انتهت القبلة نظرت إلى عينيّ، متسائلة.

قلـــت لهـــا: "اتقّاءً للأحلام". اعتقدت أن ما سأقوله سيبدو غبياً وغير صادق، ولكن لحسن الحظ لم يكن كذلك.

"اتقـــاءً للأحـــلام". كـــرَّرتْ لي ما قلته بجدية وكأنها تعويذة جهنمية. وهذه المرة هي التي ابتدأت القبلة الثانية. وبعد ذلك تعانقنا دون أن نـــتكلم. لقد قبَّلنا بعضنا في ذلك اليوم لمجرد إرضاء الشهوة الـــتي تـــأتي مـــع الاتصال - بالتأكيد، وهناك شيء آخر، شيء في بداية تكوّنه. لا أعتقد أننا كنا نخدع بعضنا آنذاك، على الأقل ليس تماماً.

ولكـــن، ثمـــة شيء آخر بخصوص تينك القبلتين - كنت أعرف ذلـــك، ولي كانت تعرف، وأظن أنكم أيضاً تعرفون. وهذا الشيء هو خـــيانة *مخـــزية*. أحسست أن ذكريات ثمانية عشر عاماً كانت تصرخ داخلـــي - مزارع النمل، أدوار الشطرنج، الأفلام السينمائية، الأشياء الـــتي علَّمني إياها، والمرات التي أنقذته فيها من القتل. لكنني لم أستطع إنقاذه في نهاية المطاف، أليس كذلك؟ أعتقد أنني شاهدت آخر ما بقي مـــنه لـــيلة مناسبة الشكر عندما جلب لي ساندويشات الديك الرومي والشراب.

لا أعتقد أننا فعلنا قبل ذلك الحين أي شيء غير قابل للغفران لآربي - شيئاً يمكن أن يغضب كريستين. لكننا الآن، بالتأكيد، فعلنا ذلك.

44

عمل محققين

ما حدث في الأسابيع الثلاثة التالية هو أنني ولي لعبنا دور محققين، ووقعنا في الحب.

ذهبت لي إلى مكاتب البلدية في اليوم التالي ودفعت خمسين سنتاً من أجل تصوير ورقتين بواسطة آلة زيروكس - ستذهب الورقتين إلى هاريسبورغ لكن هاريسبورغ سترسل نسخة عنهما مجدداً إلى البلدة.

هذه المرة كانت العائلة موجودة عندما وصلت لي إلى منزلي. كانت إيلين تسترق النظر إلينا كلما سنحت لها الفرصة. كانت مفتونة بها، حتى إنها بدأت، خلال ذلك الأسبوع الأخير قبل نهاية العام، تعقد شعرها كما كانت تفعل لي، الأمر الذي أغراني لمضايقتها حول هذا الأمر، لكنني قاومت الإغراء. لعلي كنت أنضج قليلاً (ولكن ليس بما يكفي ليمنعني من سرقة واحدة من قطع الكيك بالكريما عندما أجدها مخبأة وراء علب حفظ الطعام البلاستيكية في البراد).

باستثناء نظرات إيلين الفضولية، بقينا أنا ولي في غرفة الجلوس وحدنا عصر ذلك اليوم، السابع والعشرين من كانون الأول (بعد الانتهاء من الطقوس الاجتماعية أولاً، بالطبع). قدّمتُ لي لوالديّ، وأمي قدمت لنا القهوة، ثم تبادلنا أطراف الحديث. كانت إيلين أكثرنا ثرثرة، وتمحور حديثها كله حول مدرستها، كما أمطرت لي بجميع أنواع الأسئلة المتعلقة بمدرستنا. كان واضحاً تماماً بالنسبة إليّ

أن والــديّ أحــبا لي، لكنهما كانا – بنفس القدر من الوضوح – محــتارين وغير مرتاحين إلى حد ما بخصوص موقع آرني في كل ما يحصل.

في الواقــع، كان هذا الأمر موضع تساؤل لدينا أيضاً – أنا ولي. وفي الــنهاية تصرَّف أبــي وأمي كما يتصرف عادة جميع الآباء عندما يجــدون أنفــسهم في مثل هذا الموقف – لقد اعتبرا الأمر شأناً خاصاً بــالأولاد وذهبا إلى الاهتمام بشؤونهما الخاصة بالكبار. استأذن أبــي أولاً قائلاً إن الفوضى تعم ورشته الكائنة في القبو كما يحصل عادة بعد ذكــرى الميلاد، وأن عليه فعل شيء ما بخصوص ذلك. في حين قالت أمي إنها ستنصرف للكتابة قليلاً.

نظرت إيلين إليّ بجدية.

ضــحكنا أنا وإيلين وابتسمت لي بتهذيب كما يفعل الغرباء حين يستمعون إلى طرفة عائلية.

وبعد ذلك قلت: "إيلين، انصرفي".

"ومــاذا ســتفعل إذا لم أنصرف؟" لم تكن هذه مضايقة اعتيادية منها، إذ إنها كانت تهم بالوقوف مسبقاً.

"سأجعلك تغسلين ملابسي الداخلية".

"ستفعل ذلك في أحلامك!" ثم انصرفت.

"أختي الصغيرة".

قالت لي وهي تبتسم: "إنها رائعة".

"إذا اضــطررت إلى العــيش معها طوال الوقت فأعتقد أنك قد تغيرين رأيك. لنرى ماذا لديك".

وضــعت لي إحــدى النــسختين على طاولة القهوة أمامنا. وكانــت إعــادة تسجيل سيارة مستعملة، بليموث سيدان طراز

1958 (أربعة أبواب)، حمراء وبيضاء. وكانت مؤرخة في 1 تشرين الــثاني 1978، وموقَّعة من قبل آرنولد كانينغهام إضافة إلى توقيع والده.

توقيع المالك:

توقيع الوالد أو الوصي:

(إذا كان المالك تحت 18)

سألتها: "كيف يبدو ذلك بالنسبة إليك؟".

"أحد التوقيعين على واحدة من قطعتي الجبيرة اللتين أريتني إياهما. أي واحد منهما؟".

"هــذا توقــيعه بعد إصابتي في ريدج روك. وهو مطابق لتوقيعه الاعتيادي. دعينا نرى الثاني".

وضعت الورقة الثانية بجانب الأولى. كانت وثيقة تسجيل سيارة جديدة؛ بليموث سيدان 1958 (أربعة أبواب)، حمراء وبيضاء، ومؤرخة في 1 تشرين الثاني 1957. صُعقت عندما رأيت التطابق بين التوقيعين، ومن نظرة واحدة إلى لي عرفت أنها رأت ذات الشيء.

قالت بهدوء: "انظر إلى التوقيع".

توقيع المالك: 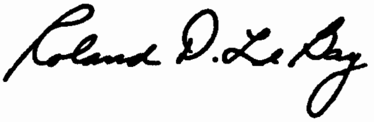

توقيع الوالد أو الوص

(إذا كان المالك تحت 18) ________________

هــذا هو خط آرني عندما وقَّع على جبيرتي في مناسبة الشكر – لــست بحاجــة إلى أن تكون عبقرياً أو خبيراً في الخطوط كي تعرف ذلك. الاسمان مختلفان، لكن الخط واحد.

مدت لي يديها باحثة عن يديّ، وأمسكت بهما.

مـــا كان يفعله أبـــي في ورشة القبو هو صنع الدمى والألعاب. أظـــن أنكـــم قد تجدون هذا غريباً بعض الشيء، لكنها كانت هوايته المفـــضلي. وكنا أنا وإيلين أكثر المستفيدين منها، لكن آرني أيضاً كان يجد بعضاً من ألعاب أبـــي تحت أشجار ذكرى الميلاد وبجانب قوالب الكاتـــو في مناسبات الميلاد، وكذلك الأمر بالنسبة إلى صديقة طفولة إيلـــين، إيمي كاروثرز (انتقلت منذ فترة طويلة إلى نيفادا)، والكثير من الأصدقاء الآخرين.

أمـــا وقـــد كبرنا فقد أصبح أبـــي يهب معظم ما يصنعه إلى صندوق تبرعات جيش الخلاص. كان قبو منـــزلنا قبل ذكرى الميلاد بأيـــام قلـــيلة يذكّـــرني دائماً بورشة سانتا، إذ كان يعج بصناديق كـــرتونية تحـــوي قطارات خشبية، وصناديق خشبية صغيرة خاصة بالعـــدَّة، وســـاعات قابلـــة للتركيب كانت تضبط الوقت فعلاً، وحـــيوانات محـــشوة، ومـــسرحاً صغيراً - أو مسرحين - للدمى. وخلال الأسبوع الذي يلي ذكرى الميلاد يصبح القبو فارغاً تماماً إلا مـــن رائحة نشارة الخشب اللطيفة التي تذكِّرك أن الألعاب كانت موجودة قبل عدة أيام فقط.

وفي هـــذا الأســـبوع يقوم والدي بكنس الأرض وتنظيف المكان وتـــزييت ماكينته والاستعداد للسنة التالية. في السنوات الثلاث السابقة حصل على ثلاث جوائز من جمعية جيش الخلاص، لكنه أبقاها مخفية في أحد الدروج، كما لو أنه كان خجلاً منها. لم أفهم ذلك في حينه وما زلت لا أفهمه الآن - ليس تماماً - لكنني على الأقل أعرف أنه لم يكن شعوراً بالخجل أو العار.

في ذلــك المساء، بعد العشاء، نــزلت إلى القبو متشبثاً بدرابزين السلّم بيد ومستنداً على العكازة الأخرى باليد الثانية.

"دينيس. هل تريد مساعدة؟".

"لا. أنا بخير".

وضــع مكنسته بجانب كومة صغيرة من النشارة ثم قال: "إذاً، ما رأيك بدفعة؟".

"ها - ها - ها، مضحك جداً".

وصــلت إلى الأرض أخيراً وجلست على الكرسي المريح الكبير الذي يبقيه أبــي في الزاوية.

قال: "كيف حالك؟".

"ممتاز".

مــلأ مجرفة بالنشارة وألقى بها في برميل النفاية، ثم عطس، وبدأ يكنس المزيد. "ألا يوجد ألم؟".

"لا... في الواقع، قليلاً".

"ينبغي أن تكون حذراً من السلالم. لو رأت أمك ما فعلته الآن -".

ابتسمت وقلت: "لكانت صرخت، صحيح".

"أين أمك؟".

"ذهبت وإيلين إلى منــزل عائلة رينيك. دايانا رينيك تملك مكتبة كاملة من ألبومات شون كاسيدي من أجل ذكرى الميلاد. إيلين تشعر بالغيرة".

"اعتقدت أن كاسيدي لم يعد رائجاً".

"أظن أن إيلين تخشى من عودة موضته على حين غرة".

ضــحك أبــي، ثم ساد الصمت لبعض الوقت. كنت أعرف أنه سيتطرق إلى موضوع لي.

قـــال وهو يكنس الأرض: "لي، اعتادت أن تخرج مع آرني، أليس كذلك؟".

"أجل".

"لم نعد نرى آرني مؤخراً. هل تعتقد أنه يشعر بالخجل من الورطة التي أوقع نفسه فيها؟".

"لا أعرف".

"لا أظـــن أن هناك أيَّ داعٍ لقلقه بعد الآن. فمع موت دارنل" - ألقـــى مجـــرفة أخـــرى مليـــئة بالنشارة في البرميل - "أشك في أنهم سيحاكمونه أساساً".

"صحيح؟".

"ليس آرني. قد يُغرَّم، ولعل القاضي سيعظه، ولكن لن يضع أحد علامـــة سوداء غير قابلة للمحو في سجل فتى أبيض لطيف على وشك دخول الجامعة وينتظره مستقبل واعد".

رمقـــني بنظـــرة متسائلة طويلة فتململت في الكرسي وأحسست بعدم الارتياح فجأة.

"أجل. أعتقد ذلك".

"إلا إذا لم يعـــد ذلـــك النوع من الشبان الآن. هل لا يزال كما كان، دينيس؟".

"لا. لقد تغيَّر".

"متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟".

"في مناسبة الشكر".

"هل كان على ما يرام حينئذ؟".

هـــزت برأســـي بـــبطأ، وأحسست برغبة مفاجئة في البكاء والبوح بكل ما أعرف. لقد انتابني مثل هذا الشعور مرة واحدة في

الـــسابق لكنني لم أبح بشيء، ولن أفعل الآن، ولكن لأسباب مختلفة هذه المرة. أخبرتني لي عن شعورها بالقلق على والديها عشية الميلاد، ويبدو لي الآن أنه إذا لم يعرف أحد بشكوكنا، فذلك سيكون أكثر أمناً لهم.

"ما خطبه؟".

"لا أعلم".

"وماذا عن لي؟".

"لا، ليس بشكل مؤكد. لدينا... بعض الشكوك".

"هل تريد التحدث عنها؟".

"أجل. أريد ذلك لكنني أعتقد أنه سيكون أفضل إن لم أفعل".

"حسناً. للوقت الحالي فقط". بدأ يكنس الأرض من جديد. كان لصوت احتكاك المكنسة بالأرض تأثير منوِّم إلى حد كبير. "وربما يجدر بك التحدث إلى آرني في وقت قريب".

"أجـــل. كـــنت أفكـــر في هذا". لكنني لم أكن متلهفاً لتلك المقابلة.

ســـاد الصمت مجدداً. أنهى والدي كنس الأرض ثم وقف يتلفت حوله متأملاً المكان. "يبدو جميلاً، هه؟".

"عظيم بابا".

رسم ابتسامة مشوبة بشيء من الحزن ثم أشعل سيجارة وينستون. لقـــد أقلـــع عن التدخين بصورة كلية تقريباً منذ إصابته بالنوبة القلبية، لكـــنه كـــان يحتفظ دائماً بعلبة سجائر في حال رغب في سيجارة بين الحـــين والآخـــر - عادةً، عندما يكون متوتراً فقط. "مخادع. إنه يبدو فارغاً بشكل مريع".

"في الحقيقة... هذا صحيح".

"هل تريد مساعدة على السلّم؟".

وضعت عكازي تحت إبطي وقلت: "لن أمانع".

"لونغ جون سيلفر. ينقصك فقط الببغاء".

"هل ستقف هناك وتقهقه أم ستساعدني؟".

"أعتقد أنني سأساعدك".

وضعت يدي على كتفه، وأحسست كما لو أنني عدت طفلاً صغيراً مـــن جديد - تذكّرته عندما كان يحملني إلى سريري في الطابق العلوي في ليالي الأحد بعد أن يداهمني النعاس في منتصف برنامج إد سوليفان. كانت رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه لا تزال كما هي.

وعـــندما وصلنا إلى قمة السلّم قال: "أعذرني إذا كنت أتدخل في أمور شخصية، دينيس، لكن لي لم تعد على علاقة مع آرني الآن، أليس كذلك؟".

"لا، بابا".

"هل هي على علاقة معك؟".

"أنا... حسناً، لا أعرف صدقاً. لا أظن ذلك؟".

"تعني ليس بعد؟".

"في الواقـــع، أجل. أعتقد ذلك". بدأت أشعر بعدم الارتياح، ولا بد أن ذلك كان واضحاً على وجهي، لكنه لم يتوقف على كل حال.

"هل من المنصف القول إنها قطعت علاقتها بآرني لأنه تغيَّر؟".

"أجل. أعتقد أن ذلك منصف تماماً".

"هل يعلم بما بينك وبين لي؟".

"بابا، ليس هناك أي شيء كي يعلمه... على الأقل، ليس بعد".

بـــدا وكأنـــه كان يفكر في شيء يقوله، لكنه لم يقل أي شيء. تركته ووضعت عكازي تحت إبطي بشيء من الارتباك.

وأخيراً قال: "سأعطيك نصيحة مجانية. لا تدعه يعرف بما بينكما، حتى لو اضطررت إلى التأكيد له بعدم وجود أي شيء. إنك تحاول مساعدته بطريقة ما، أليس كذلك؟".

"لا أعرف إذا كان هناك شيء يمكننا، أنا ولي، فعله من أجل آرني، بابا".

"لقد رأيته مرتين أو ثلاث".

قلت مندهشاً: "رأيته؟ أين؟".

هز كتفيه وقال: "في الشارع، وسط البلدة. كما تعلم، ليبرتيفيل ليست كبيرة دينيس، إنه...".

"إنه ماذا؟".

"بالكاد بدا أنه يعرفني. وكان يبدو أكبر سنّاً. بعد أن أصبح وجهه أكثر صفاءً، بات يبدو أكبر سنّاً. كنت في السابق أعتقد أنه يشبه أباه، ولكن الآن..." - صمَتَ للحظات - "دينيس، هل خطر ببالك أن آرني يمكن أن يكون في حالة من الانهيار العصبي؟".

"أجل". تمنيت لو أن باستطاعتي إخباره بوجود احتمالات أخرى. أسوأ بكثير. احتمالات ستجعل أبي يتساءل إذا كنت أنا من يعاني من الانهيار العصبي.

"كن حذراً. كن حذراً، دينيس". بالرغم من أنه لم يذكر ما حلّ بويل دارنل، ولكن انتابني إحساس قوي ومفاجئ أنه كان يفكر في ذلك.

اتصلت لي في اليوم التالي وقالت إن أباها كان لديه عمل في لوس أنجلوس وقد اقترح عليها وعلى والدتها مرافقته والهرب من البرد والثلج.

"لقد جُنَّت أمي بالفكرة، وأنا لم أتمكن من إيجاد أي سبب مقنع للرفض. إنها عشرة أيام فقط، والمدرسة لن تبدأ حتى الثامن من كانون الثاني".

"يبدو هذا رائعاً. استمتعي بوقتك هناك".

"هل تعتقد أن علي الذهاب؟".

"إذا كنت لا تعتقدين ذلك، فينبغي لك فحص عقلك".

"دينيس؟".

"ماذا؟".

"ستكون حذراً، أليس كذلك؟ أنا... حسناً، إنني أفكر فيك كثيراً مؤخراً".

أغلقت الخط مباشرة بعد هذه الكلمات الأخيرة. شعرت بالدهشة والـدفء - وبالـذنب أيضاً، مع أنه كان يتضاءل حينئذ. لقد سألني أبـي إذا كنت أحاول مساعدة آرني. أحقاً كنت أفعل ذلك؟ أم أنني كـنت أتطفل على جزء من حياته كان قد أعلن بوضوح أنه خاص به وحده... وأسرق فتاته في السياق؟ وماذا سيفعل آرني أو يقول في حال اكتشف الحقيقة؟

في يوم الجمعة، 29 كانون الأول، آخر يوم عمل من السنة المسنّة، اتـصلت بمركز رابطة المحاربين القدامى في ليبرتيفيل وسألت عن أمين السر. حصلت على اسمه - ريتشارد ماكاندلس - من عامل التنظيفات في المبنى إلى جانب رقم هاتف المكان الذي يعمل فيه. تبيَّن لي أن الرقم يعود لمعرض إيميرسون الفاخر لبيع المفروشات في ليبرتيفيل، فاتصلت به. قيل لي أن أنتظر دقيقة وبعد ذلك أخذ ماكاندلس السمّاعة وقال:

"ماكانـدلس". كان صوته عميقاً ومهيباً، ويوحي أنه كان رجلاً قاسياً في الستين من عمره - وبأنه شق طريقه إلى برلين كتفاً بكتف مع الجنرال باتون، ولعلهما كانا يلتقطان طلقات العدو من الهواء بأسنانهما أثناء زحفهما.

"ســـيد ماكانـــدلس، اسمي دينيس جيلدر. في آب الماضي نظّمتم جنازة عسكرية لشخص يُدعى رونالد ليبـــي -".

"هل كان صديقك؟".

"لا، مجرد معرفة، ولكن -".

"إذاً فأنـــا لـــست مضطراً إلى الحرج من إيذاء شعورك. لم يكن ليبــــي ســـوى ابـــن ساقطة مُصفًّى. ولو كان الأمر بيدي لما كانت للـــرابطة علاقة بدفنه. لقد ترك الرابطة في 1970. ولو لم يستقِل لكنا طـــردناه على كل حال. كان ذلك الرجل أكثر السفلة إثارة للمشاكل على الإطلاق".

"حقاً؟".

"بوســـعك المراهنة على ذلك. كان يثير جدالاً ومن ثم يحوِّله إلى عراك إن استطاع. لم يكن بوسعك أن تلعب البوكر مع ذلك السافل، وبالتأكـــيد لم يكـــن بوســـعك أن تشرب معه. كم كان مجنوناً ابن الساقطة. أرجو أن تغفر لي كلماتي النابية. من أنت أيها الفتى؟".

"اشترى صديق لي سيارة من ليبـــي قبل أن يموت بفترة وجيزة -".

"اللعنة! ليست تلك 57؟".

"في الواقع، كانت 58".

"أجـــل، صـــحيح، 58، حمراء وبيضاء. ذلك هو الشيء اللعين الوحيد الذي كان يهتم بأمره. كان يعاملها وكأنها امرأة. وبسبب تلك السيارة ترك الرابطة، هل تعرف ذلك؟".

"لا. ماذا حصل؟".

"آه، اللعـــنة. قصة قديمة أيها الفتى. سأزعج أذنك. ولكن، كلما أتذكـــر ذلك الوغد ليبـــي، أرى اللون الأحمر. ما زالت الندوب على يـــديَّ حـــتى الآن. لقد أخذ العم سام ثلاث سنوات من حياتي خلال

الحـــرب العالمية الثانية ولم أخرج منها بأي وسام من تلك الأوسمة التي تُمنَح للمصابين في الحرب، بالرغم من أنني أمضيت معظم ذلك الوقت في القـــتال. لقد خضت معارك في نصف الجزر القذرة الواقعة جنوب المحيط الهادي. أنا وخمسون رجلاً تقريباً وقفنا بوجه هجوم شرس على قناة جوادال – مليونا ياباني لعين هجموا علينا وهم يلوّحون بسيوفهم المـــصنوعة من علب قهوة ماكسويل هاوس – ولم أُصَب بجرح واحد. أحســـست بمرور طلقتين بالقرب مني فقط، لكن المرات الوحيدة التي رأيت فيها لون دمي هناك في المحيط الهادي حدثت عندما كنت أجرح نفسي أثناء الحلاقة. وبعد ذلك...".

ضحك ماكاندلس.

"اللعـــنة عليّ. ها أنذا أعود من جديد. تقول زوجتي إنني سأفتح فمي ذات يوم وأسقط فيه. ماذا كان اسمك؟".

"دينيس جيلدر".

"حسناً يا دينيس، لقد أزعجت أذنك، والآن حان دورك لتزعج أذني. ماذا كنت تريد؟".

"اشـــترى صديقي تلك السيارة وأصلحها حتى أصبحت... قطعة للعرض، يمكنك قول ذلك باعتقادي".

"أجـــل، مثل ليبـــي تماماً. كان يحب تلك السيارة اللعينة. لم يكن يكترث لزوجته – هل تعرف ماذا حصل لها؟".

"أجل".

قـــال بنبرة حزينة: "هو الذي قادها إلى القيام بذلك. بعد موت طفلـــتهما لم تحصل على أدنى قدر من المواساة منه. لا أعتقد أنه كان يكتـــرث لأمر ابنته أيضاً. عفواً دينيس، إنني لا أستطيع أن أقفل فمي. أتحـــدث طوال الوقت. وكنت كذلك طوال عمري. اعتادت أمي أن

تقـــول لي: ديكي، *لسانك معلّق في الوسط ويدور على الجهتين*. ماذا قلت إنك تريد؟".

"ذهـــبت أنـــا وصديقي إلى جنازة ليبـــي. وبعد انتهائها قدَّمت نفسي إلى شقيقه -".

"كـــان يـــبدو شخـــصاً مستقيماً بما يكفي. أستاذ مدرسة. أوهايو".

"هـــذا صـــحيح. لقـــد تحدثت معه، وبدا لي أنه رجل لطيف بالفعـــل. قلـــت له إنني سأقدم موضوع مادة اللغة الإنكليزية حول إيزرا باوند -".

"إيزرا من؟".

"باوند".

"ومن يكون هذا بحق الله؟ هل كان في جنازة ليبـــي؟".

"لا يا سيدي. باوند كان شاعراً".

"ماذا؟".

"شاعر. وهو ميت أيضاً".

"أوه".

"على كل حال، قال ليبـــي - أعني جورج ليبـــي - إنه سيرسل لي مجمـــوعة مـــن المجلات حول باوند من أجل تقريري، إذا رغبت في ذلـــك. وفي الواقع، تبيَّن أن بوسعي الاستفادة منها، لكنني نسيت أن أطلب عنوانه. وفكّرت في أنكم قد تملكونه".

"بالتأكـــيد، ســـيكون موجوداً في السجلات. كل شيء موجود فـــيها. أكـــره أن أكون أميناً للسر، لكن ستنتهي في تموز القادم، ولن أكرر ذلك أبداً".

"آمل أنني لا أسبب لك أي إزعاج".

"لا، بالتأكـــيد لا. هذا هو سبب وجود رابطة المحاربين القدامى، ألـــيس كذلك؟ مساعدة الناس. أعطِني عنوانك، دينيس، وأنا سأرسل لك بطاقة تحوي المعلومات المطلوبة".

أعطيته عنواني واعتذرت منه مرة أخرى لتعطيله عن عمله.

"لا تقل ذلك أبداً. إنني الآن في استراحة القهوة، على أي حال".

صـــمت ماكاندلس للحظة، ما أتاح لي الفرصة للتساؤل بداخلي عما يمكـــن أن يفعله ماكاندلس في معرض ديفيد إيميرسون، المعرض الذي يـــشتري مـــنه أثرياء ليبرتيفيل. هل كان بائعاً؟ تخيَّلته يتجول مع سيدة شابة أنيقة في أرجاء المعرض ويقول لها: *هذه الأريكة اللعينة جميلة بحق، ســـيدتي، وانظري إلى تلك... أيضاً. من المؤكد أننا لم نكن نملك مثل هـــذه الأشـــياء في قـــناة جوادال عندما هاجمنا أولئك اليابانيين أبناء الساقطات بسيوفهم المصنوعة من علب قهوة ماكسويل هاوس.*

ابتسمت قليلاً، لكن ما قاله تالياً أعادني إلى الواقع بسرعة.

"لقـــد ركـــبت في تلك السيارة مرتين. لم أحبها أبداً. سأكون ملعـــوناً لو كنت أعرف لماذا، لكنني لم أحبها قط. و لم أركب فيها بعد موت زوجته... كما تعلم، لقد أحسست بالخوف".

"لا شـــك في ذلك. اسمع، ماذا حصل عندما استقال من الرابطة؟ قلت إن لذلك علاقة بالسيارة؟".

ضحك وكأنه سُرَّ لسماع ذلك، ثم قال: "إنك لست مهتماً بتلك القصة القديمة، أليس كذلك؟".

"في الواقع، أجل. لقد اشترى صديقي تلك السيارة، هل تذكر؟".

"حسناً، سأخبرك إذن. كان أمراً غريباً بحق، اللعنة. بعض الرجال يذكرونها من حين إلى آخر، عندما لا يكون لدينا شيء نتحدث حوله. لست الوحيد الذي أُصيب بسببها. باختصار، كان أمراً مخيفاً".

"ما هو؟".

"آو. كانت حيلة يقوم بها الأطفال. ولكن، لم يكن أحد يحب ابن الساقطة، كما تعلم. كان منعزلاً ووحيداً -".

قلت في نفسي: *مثل آرني.*

"- وكنا نشرب الشراب حينئذ. حدث ذلك بعد الاجتماع. وكان ليبي يثير المشاكل كالمعتاد، كنا مجموعة نجلس معاً، وكان ليبي يقوم بارتداء سترته ويتجادل مع بووتشي أثناء ذلك. المهم أننا عرفنا أنه كان في طريقه للرحيل. وهو كان يغادر دائماً بنفس الطريقة. كان يقفز داخل سيارته البليموث ويرجعها إلى الخلف ثم ينطلق إلى الأمام. تلك اللعينة كانت تنطلق من المرأب مثل الصاروخ ناثرة الحصى في كل مكان. وهكذا، خرج أربعة منا من الباب الخلفي نحو المرأب - كانت تلك فكرة سوني بيليرمان - عندما كان ليبي يصرخ في وجه بووتشي. وقفنا جميعاً خلف الزاوية البعيدة من المبنى، لأننا كنا نعرف أنه سيرجع سيارته إلى ذلك المكان قبل أن ينطلق. كان دائماً يدعوها باسم فتاة، أخبرتك أنه كما لو كان متزوجاً بتلك السيارة.

قال سوني لنا: *ابقوا أعينكم مفتوحة ورؤوسكم منخفضة، وإلا فإنه سيرانا. ولا تتحركوا حتى أعطيكم الإشارة.* كنا كلنا مخمورين، كما تعلم. دخل ليبي سيارته وأرجعها إلى الوراء. وكان الأمر مثالياً، لأنه توقف كي يشعل سيجارة. وبينما كان يقوم بذلك، أمسكنا بالمصد الخلفي ورفعنا الإطارين الخلفين عن الأرض، وبذلك عندما سيحاول الإقلاع، ناثراً الحصى في كل مكان كالمعتاد، فإنه سيجد أن إطاريه يدوران في الهواء ولن يتحرك إلى أي مكان. هل تفهم ما أقصده؟".

"أجل". إنها حيلة صبيانية بالفعل، وكنا نقوم بها بين الحين والآخر في حفلات الرقص التي تقيمها المدرسة، حتى إننا ذات مرة رفعنا سيارة المدرب بافر.

"لكننا صُعقنا، مع ذلك. لقد أشعل سيجارته ثم أدار الراديو، وهذا شيء آخر كان يثير جنوننا جميعاً. كان يستمع إلى موسيقى الروك أند رول كما لو كان شاباً مراهقاً وليس عجوزاً مسنّاً مؤهَّلاً ليكون ضمن المستفيدين من برنامج الأمن الاجتماعي اللعين. وبعد ذلك، وضع ذراع التعشيق على وضعية القيادة. لم نرَ ذلك، لأننا كنا جميعنا مقرفصين حتى لا يتمكن من رؤيتنا. أتذكّر أن سوني بيليرمان قال لنا هامساً وهو يضحك: *إنها مرفوعة أيها الرجال*. لقد كان الشخص الوحيد الذي تأذّى فعلاً بيننا، وذلك بسبب خاتم زواجه. لكنني أقسم بالله إن الإطارين كانا مرفوعين".

"ماذا حصل؟".

"ماذا حصل؟ لقد انطلق بالسيارة مثل العادة، هذا ما حصل. كما لو أن الإطارات الأربعة كانت على الأرض. دارت الإطارات وانطلقت السيارة منتزعة المصد الخلفي من أيدينا ومعه ياردا من اللحم. لقد انتزعت معظم الإصبع الثالثة من يد سوني بيليرمان - علق خاتمه تحت المصد، كما تعلم، وطارت تلك الإصبع كما تطير الفلينة من الزجاجة. وسمعنا ليبي يضحك عندما كان يبتعد، وكأنه كان يعرف بوجودنا. ربما كان يعلم، لأنه إذا دخل الحمام بعد انتهائه من الصراخ على بووتشي، فإنه سيتمكن من رؤيتنا من خلال النافذة عندما كنا واقفين خلف المبنى في انتظار خروجه.

وهنا انتهى أمره بالنسبة إلى الرابطة. أرسلنا له رسالة تقول إننا نريد منه الاستقالة، فاستقال. وكي تعرف كم العالم غريب حقاً، كان

سوني بيليرمان هو الذي وقف في الاجتماع بعد وفاة ليبي مباشرة وقال إن علينا القيام بواجبنا نحوه كالعادة. *صحيح أن الرجل كان وغداً قذراً، لكنه خاض الحرب معنا. لماذا إذاً لا ندفنه بالطريقة المناسبة.* هذا ما قاله سوني. وهذا ما فعلناه. لا أعرف، أظن أن سوني بيليرمان أكثر تسامحاً مما سأكون في حياتي كلها".

"لم يكن يجدر بكم رفع السيارة عن الأرض". كنت أفكر في ما حصل لأولئك الشبان الذين حطموا كريستين في تشرين الثاني. ما حصل لهم كان أشنع بكثير من مجرد انتزاع اللحم من أصابعهم.

"لكننا فعلنا، مع ذلك. عندما أصابتنا الحصى، لم يكن ذلك من الإطارين الخلفيين، بل من *الأماميين*. لم أفهم حتى هذا اليوم كيف تمكن من فعل ذلك. إنه أمر مخيف، كما قلت لك. كان جيري بارلو - كان واحداً من الذين شاركوا في تلك الحيلة - يزعم دائماً أن ليبي تمكّن بطريقة ما من تحويل سيارته بحيث تكون قادرة على الدفع بإطاراتها الأربعة، لكنني لا أعتقد أن ذلك ممكن، أليس كذلك؟".

"لا. لا أظن ذلك".

"هذا صحيح. والآن، لقد استهلكت معظم استراحة القهوة وأريد استكمال شرب النصف الآخر من الفنجان قبل أن تنفذ مني الاستراحة. سأرسل لك العنوان إذا كان موجوداً. وأظن أنه موجود".

"شكراً لك سيد ماكاندلس".

"هذا من دواعي سروري، دينيس. اعتني بنفسك".

"بالتأكيد. استخدمه، ولكن لا تسء استخدامه، صحيح؟".

ضحك وقال: "هذا ما اعتدنا أن نقوله في الفيلق الخامس". ثم أقفل الخط.

أعـــدت السماعة إلى مكانها ببطء وأنا أفكر في ما قاله لي. *كان أمـــراً مخيفاً*. إنه أمر مخيف بالفعل، وندوب ماكاندلس لا تزال موجودة لتثـــبت ذلـــك. تذكَّرت حينئذ شيئاً قاله لي جورج ليبـــي. كان لديه جـــرح تـــسبب به شقيقه رونالد دي ليبـــي. وكانت الندبة تكبر مع تقدمه بالسن.

45

ليلة رأس السنة

اتـــصلت بـــآرني هاتفـــياً ليلة رأس السنة، بعد تفكير دام يومين كـــاملين. لم أكن أريد القيام بذلك في الواقع، لكنني كنت مضطراً إلى رؤيته. لقد توصلت إلى قناعة مفادها أنني لن أتمكن من تقرير أي شيء إلا بعـــد رؤيـــته بنفـــسي. ذكرت موضوع السيارة أمام والدي على الفطور، بشكل عابر، وأخبرني أنه يعتقد أن كل السيارات المحتجزة في مرأب دارنل صُوِّرت وأُعيدت.

ريجينا هي التي أجابت على الاتصال قائلة: "منـــزل كانينغهام".

"هاي ريجينا، أنا دينيس".

"دينـــيس! كـــيف حالك؟ سمعت أنهم أخرجوك من المستشفى". بدت مندهشة ومسرورة في آن واحد. وبدا صوتها يشبه صوت ريجينا القديمـــة، ريجينا التي كانت تعد ساندويشات زبدة الفول السوداني لي وآرني.

"أنا بخير، كيف حالك أنت؟".

صـــمتت للحظة ثم قالت: "حسناً، أنت تعرف كيف كانت الأمور هنا".

"مشاكل، أجل".

"كـــل المشاكل التي لم نكن نعرفها في السنوات السابقة. أعتقد أنها كانت متجمعة في إحدى الزاوايا في انتظارنا. هل تريد التحدث إلى آرني؟".

"إذا كان موجوداً".

بعـــد فترة قصيرة أخرى من الصمت قالت: "أذكر في السنوات السابقة أنك وهو كنتما تلعبان في ليلة رأس السنة وتراقبان قدوم السنة الجديدة، هل هذا ما اتصلت بشأنه، دينيس؟".

"في الحقيقة، أجل. أشياء صبيانية، أعلم، ولكن -".

قاطعتني بسرعة، قائلة: "لا، لا. على الإطلاق! إن لم يسبق لآرني أن احـــتاج إليك من قبل - أعني احتاج إلى صديق - فإنه بحاجة إليك الآن. إنـــه... في الطابق العلوي الآن، نائم. إنه ينام كثيراً هذه الأيام. وهو ليس... لم... لم...".

"لم ماذا، ريجينا؟".

قالـــت بحـــدة: "لم يُقـــدِّم أي طلبات قبول إلى الجامعات!" ثم أخفضت صوتها على الفور، كأنها كانت تخشى أن يسمعها آرني. "ولا حـــتى طلب واحد. السيد فيكيرز، الموجه، اتصل بـــي وأخبرني. لقد حـــصل علـــى علامة 700 في اختبار الأهلية للجامعة، وهذا يعني أنه يـــستطيع دخـــول أي جامعة في البلد - على الأقل، قبل هذه... هذه المـــشكلة". ارتعش صوتها قليلاً كما لو أنها كانت على وشك البكاء، ثم تماسكت من جديد. "تكلم معه، دينيس. أتمنى لو تستطيع تمضية هذا المساء معه. اشرب بعض الشراب معه وتحدث معه... فقط تحدث معه...".

"ريجيـــنا. هـــوِّني عليك. لا داعي للقلق". لم أحب ريجينا القديمة المتسلطة التي كانت تدير حياتي زوجها وابنها بما ينجسم مع برنامجها، لكنني لم أحب أيضاً ريجينا الباكية المرتبكة هذه.

"أنا أخشى التحدث معه، وكذلك مايكل. إنه... إنه ينفجر على الفور إذا فتحت معه بعض الموضوعات. في البداية كانت سيارته فقط، والآن الجامعة أيضاً. تحدث معه دينيس، رجاءً". صمتت مجدداً للحظات ثم أفصحت فجأة عن مكمن ذعرها: "أعتقد أننا سنفقده".

"لا، ريجينا، اسمعي -".

قطاعتني قائلة: "سأناديه". سمعت صوت ارتطام السماعة بالطاولة. أحسست أن الانتظار سيطول، لذا وضعت السماعة بين فكي وكتفي ورحت أنقر بأصابعي على الجبيرة التي كانت لا تزال تغطي أعلى ساقي اليسرى. قاومت دافعاً جباناً يأمرني بإغلاق الهاتف والتخلي عن الأمر برمته.

ثم التُقطت السماعة الأخرى مجدداً وسمعت صوتاً حذراً يقول: "هلو؟" قلت في نفسي بثقة تامة: *هذا ليس آرني.*

"آرني؟".

"يبدو لي أن هذا صوت دينيس جيلدر، الفم الذي يمشي مثل إنسان". هنا بدا الصوت يشبه صوت آرني بالفعل - أقول يشبه صوت آرني. لقد أصبح أكثر خشونة، ربما بفعل الإفراط في الاستعمال أو بفعل الصراخ. كان مخيفاً، وكأنني كنت أتحدث إلى شخص غريب يقلّد صوت صديقي آرني ببراعة تامة.

"احذر مما تقوله أيها الأحمق". كنت أبتسم لكن يديّ كانتا باردتين.

قال بصوت خافت: "أتعلم؟ وجهك ومؤخرتي يحملان شبهاً مثيراً للريبة".

"لقد لاحظت الشبه، ولكن في المرة الأخيرة اعتقدت أن الأمر معكوس". صمتنا قليلاً - بعد انتهائنا من التمهيد اللازم للدخول في صلب الموضوع. "إذاً، ماذا ستفعل الليلة؟".

"ليس كثيراً. لا توجد مواعيد ولا أي شيء. وأنت؟".

"بالتأكـــيد. أنـــا في حالـــة ممتازة. سأمر لاصطحاب روزان إلى اســـتوديو 2000. بوســـعك مرافقتنا وحمل عكازيَّ بينما نرقص، إذا أردت".

ضحك قليلاً.

"كـــنت أفكر في زيارتك. لعلنا نراقب قدوم السنة الجديدة كما اعتدنا أن نفعل في الماضي، كما تعلم؟".

"أجـــل". بدا مسروراً للفكرة - لكنه كان لا يزال لا يشبه آرني تمامـــاً. "نشاهد جاي لومباردو وكل ذلك الهراء الفرح. سيكون ذلك ممتعاً".

صـــمتُّ للحظات غير متأكد مما سأقول، لكنني في النهاية أجبته بحذر: "حسناً، ربما ديك كلارك أو شخص ما. جاي لومباردو مات، آرني".

"صحيح؟ أوه، أجل، أعتقد أنه ميت. لكن ديك كلارك لا يزال موجوداً، أليس كذلك؟".

"أجل".

"سأعطيه خمسة وثمانين، ديك، لديه إيقاع جيد وبوسعك الرقص علـــيه". هـــذا لم يكن صوت آرني مطلقاً. على الفور قام ذهني بعملية ربط بشعة وغير متوقعة.

(أجمل رائحة في العالم... ربما باستثناء رائحة القذارة)

لم أكـــن أتحدث مع آرني... كنت أتحدث مع رونالد ليبـــي... كنت أتحدث مع رجل ميت.

قلت له بشرود: "هذا هو ديك بالفعل".

"كيف حال تعافيك من الإصابة، دينيس؟ هل يمكنك القيادة؟".

"لا، لــيس بعد. كنت أفكر في الطلب من والدي أن يوصلني إلى منــــزلك" - تــوقفت قليلاً، أفكر في ما سأقوله تالياً - "وربما أنت ستوصــلني في طريق العودة، إذا كانت سيارتك بحوزتك. هل سيكون هذا مناسباً؟".

قال بسرور واضح: "بالتأكيد. هذا سيكون جيداً، دينيس، جيداً جداً. سوف نضحك مثل الأيام الماضية".

"أجــل". وبعد ذلك - أقسم بالله إن الجملة خرجت لوحدها - أضفت، قائلاً: "كما في باحة الآليات".

أجــاب آرني وهو يضحك: "أجل، هذا صحيح. صحيح تماماً. أراك لاحقاً، دينيس".

"أجــل، أراك لاحقاً". أغلقت الهاتف وبدأت أرتجف على الفور. لم يــسبق لي أن شــعرت بمثل هذا الخوف من قبل. لاحقاً، شككت في ما سمعــته، أو قــدت نفسي للاعتقاد أن آرني لم يفهم تماماً تعليقي، ولكن، خــلال اللحظــات التي تلت إنهاء المكالمة، كنت متأكداً أن ليبــي احتل جسده. بطريقة ما كان ليبــي - ميتاً أم غير ميت - موجوداً داخل آرني.

كانت ليلة رأس السنة باردة وصافية. أوصلني أبــي إلى منــزل كانينغهام في السابعة والربع وساعدني للوصول إلى الباب الخلفي - لم تُصنَع العكازات للشتاء والممرات المغطاة بالثلج المرصوص بقوة.

لم تكــن سيارة عائلة كانينغهام الكبيرة موجودة، لكن كريستين كانت واقفة في الممر الفرعي المؤدي إلى منــزلهم. لقد حُرِّرت مع بقية الــسيارات المحجــوزة في ذلك الأسبوع. مجرد النظر إليها جعلني أشعر بشيء يشبه الصداع. لم أكن أريد العودة إلى المنــزل بواسطتها، لا في هذه الليلة ولا في أي وقت آخر.

اشـــتعل ضوء المدخل الخلفي، ثم رأينا آرني يمشي باتجاه الباب. لم يكن يبدو مثل آرني. كانت كتفاه مائلتين وحركته بطيئة. لكنني قلت لنفسي إن هذه مجرد تخيلات.

فـــتح الـــباب وخرج مرتدياً قميصاً قطنياً رقيقاً وسروال جينـــز وقال: "دينيس، صديقي".

"مرحباً آرني".

"مرحباً سيد جيلدر".

قال أبـــي: "أهلاً آرني، كيف الأوضاع؟".

"في الحقـــيقة، ليست جيدة، كما تعلم. ولكن، كل هذا سيتغير. ســـنة جديـــدة، مكنسة جديدة. القذارة القديمة تخرج، وتدخل قذارة جديدة، صحيح؟".

"أظـــن ذلك" - بدا أبـــي مستغرباً نوعاً ما - "دينيس، هل أنت متأكد من أنك لا تريد أن أعود وأقلك إلى المنـــزل؟".

كنت أريد ذلك أكثر من أي شيء آخر، لكن آرني كان ينظر إلي بعينين مراقبتين، وكان لا يزال مبتسماً. لكنني مع ذلك قلت: "لا، آرني سيقلني إلى المنـــزل... أعني إذا دارت تلك الخردة".

"انتبه لما تقوله بحق سيارتي. إنها حساسة جداً".

"حقاً؟".

قال وهو يبتسم: "أجل".

التفتُّ وصرخت: "أنا آسف".

"هذا أفضل".

قال أبـــي: "حسناً، لا بأس. ولكن، ابقيا صاحيين أيها الولدان. إذا شربتما أكثر من زجاجتي شراب، آرني، اتصل بـــي".

"لا تقلق سيد جيلدر".

قلــت مــع ابتسامة زائفة: "سنكون على ما يرام. اذهب وامنح وجهك الجميل بعض النوم، بابا. إنه بحاجة إليه".

"أوه، أوه. احذر لما تقوله بحق وجهي، دينيس. إنه حساس جداً".

وقفت أراقب أبــي بينما كان يتجه إلى سيارته، واضعاً عكازي تحت إبطي. راقبته وهو يعبر من وراء كريستين. و لم أشعر بالارتياح إلا عندما رجع بسيارته حتى وصل إلى الطريق الرئيسي ثم انعطف متوجهاً نحو البيت.

ضــربت عكــازيَّ بالأرض، واحداً بعد الآخر، كي أزيل الثلج العالــق في الجــزء الــسفلي منهما. كانت أرضية مطبخ منــزل آرني مكسوة بالبورسلان، وقد تعلَّمت من تجربتين سابقتين أن العكازين إذا كانا ملطخين بثلج رطب فإنهما قد يتحولان إلى مزلاجين على الأسطح الملساء.

قــال آرني وهــو يــراقبني بينما كنت أعبر فوق الأرض: "إنك تستخدم هذين الشيئين ببراعة". أخرج علبة سجائر من جيب قميصه، وسحب واحدة منها، وحشرها في فمه، ثم أشعلها.

"سأكون سعيداً بفقدان هذه البراعة. متى بدأت التدخين؟".

"في مــرأب دارنــل. أنــا لا أدخن أمام والدتي. الرائحة تفقدها عقلها".

لاحظــت أنــه لم يكــن يدخن مثل ولد تعلَّم هذه العادة منذ مدة قصيرة، بل كان يدخن مثل رجل مدمن على التدخين منذ عشرين سنة.

"فكّرت في إعداد الفوشار، ما رأيك؟".

"بالتأكيد. هل لديك شراب؟".

"طبعاً. هناك حزمة من ست علب في البراد وحزمتين أخريين في القبو".

"عظـــيم". جلست بجانب الطاولة ومددت ساقي اليسرى. "أين أهلك؟".

"ذهـــبوا لحضور حفلة رأس السنة في منـــزل عائلة فاسنباك. متى ستنـــزع هذه الجبيرة؟".

"ربما في نهاية كانون الثاني، إذا كنت محظوظاً". لوّحت بالعكازين في الهـــواء في حـــركة مسرحية ثم صرخت: "تيم الصغير سيمشي من جديد! ليبارككم الله جميعاً!".

ضحك آرني بينما كان يتجه نحو الفرن حاملاً بيديه مقلاة عميقة وكيـــساً مـــن الفوشار وزجاجة زيت، ثم قال: "هذا هو دينيس القديم نفسه. إنهم لم يغيِّروك كثيراً، أيها المتغوط".

"لم تغمرني بزياراتك إلى المستشفى، آرني".

"جلبت لك عشاء الشكر، ما الذي تريده بحق الجحيم؟".

هززت كتفي.

تـــنهد آرني وقـــال: "أحـــياناً أعتقد أنك تميمتي الجالبة للحظ، دينيس".

"اغرب عني أيها الأحمق".

"لا. أتكلـــم بجدية. إنني أخوض في مستنقع قذر منذ أن كسرت عظامـــك، وما زلت". ثم ضحك من أعماقه. لا يمكنك أن تتوقع هذه الـــضحكة من ولد يعاني من مشاكل عويصة، وإنما من رجل – نعم، رجـــل – يمـــتِّع نفسه إلى أقصى حد ممكن. وضع المقلاة على الفرن ثم صـــب الـــزيت فيها. سقط شعره على جبينه فأرجعه إلى الوراء بحركة سـريعة من رأسه – كان شعره أقصر من المعتاد وممشَّطاً إلى الخلف في تـــسريحة جديدة عليّ. أفرغ كيس الفوشار فوق الزيت ووضع الغطاء فـــوق المقـــلاة. ثم توجه نحو البراد وأخرج رزمة من الشراب ووضعها

علـــى الطاولـــة أمامي. أخرج علبتين منها وفتحهما ثم أعطاني واحدة ورفع علبته، فرفعت علبتي بدوري.

"إليك هذا النخب، الموت لكل متغوطي العالم في 1979".

أنـــــزلت علـــبتي ببطء وقلت: "لا يمكنني أن أشرب على هذا النخب يا رجل".

لمحـــت شـــرارة غضبت تلمع في عينيه للحظة فقط قبل أن تختفي مجدداً. "حسناً، على أي نخب يمكنك أن تشرب - يا رجل؟".

قلت بهدوء: "ما رأيك بالجامعة؟".

نظر إلي بوجه متجهم وقال: "كان ينبغي أن أعرف أنها ستملؤك بهذه التفاهة. أمي امرأة لا تتورع عن فعل أي شيء في سبيل تحقيق ما تريد. أنت تعرف ذلك، دينيس. بوسعها عقد صفقة مع النذل إذا كان الأمر يتطلب فعل ذلك".

"حـــسناً، لكنها لم تعقد صفقة معي. قالت فقط إنك لم تقدم أي طلبات للجامعة وبأنها كانت تشعر بالقلق".

"إنها حياتي، وسأفعل ما أريد".

"والجامعة، ألا تريدها؟".

"أجل، أريدها. ولكن، في الوقت الذي أختاره أنا. أخبرها ذلك، إذا ســـألتك. في الوقت الذي أختاره أنا. ليس في هذه السنة. بالتأكيد لا. إذا كانت تعتقد أنني سأذهب إلى بيتسبورغ أو هورليكس أو روتجيرز وأعتمر تلـــك القـــبعة الـــتي يضعها طلاب السنة الأولى، فإنها بالتأكيد فقدت عقلها. ليس بعد كل ما مررت به مؤخراً. هذا مستحيل يا رجل".

"وماذا ستفعل؟".

"سأرحل. سأركب في كريستين وسنرحل عن هذه البلدة المملة. هل تفهمني؟" هنا علا صوته بالتدريج حتى أصبح صراخاً. أما أنا، فقد

شـــعرت بالرعب يتملكني من جديد، لأن الأمر لم يعد يتعلق بصوت ليبــــــي فقـــط، بـــل بوجه ليبـــي أيضاً. كان وجهه يلوح من تحت قسمات وجه آرني مثل شيء ميت محفوظ في مادة الفورمالين. "وأعتقد أن جانكينـــز اللعين ما زال يلاحقني خطوة بخطوة، ومن الأفضل له أن يحذر لأن شخصاً ما قد يحطمه -".

"من جانكينـــز؟".

"لا تكتـــرث. ليس أمراً هاماً" - بدأ الزيت يغلي، وفرقعت حبة فوشار تحت غطاء المقلاة - "علي أن أهز المقلاة، دينيس. هل تريد أن تقترح نخباً أم لا. الأمر سيان بالنسبة إليّ؟".

"حسناً، ما رأيك بنخبنا؟".

ابتسم آرني - وهدأ خوفي قليلاً - ثم قال: "نخبنا، أجل. هذا نخب جيد، دينيس. نخبنا. يجب أن يكون كذلك، هه؟".

"أجل. هذا صحيح".

نقرنا علبتينا ببعضهما وشربنا.

ذهـــب آرني إلى الفـــرن وبدأ يهز المقلاة. كان فرقعة الفوشار قد بـــدأت تتسارع حينئذ. شربت جرعتين من الشراب. لم أثمل أبداً من الـــشراب، لأنني كنت أحب مذاقه، مع أن الأصدقاء كانوا يقولون لي إنني إذا ثملت يوماً ما منها، فإنني لن أستطيع حتى النظر إليها لأسابيع.

لكن آرني كان يشرب كما لو أنهم كانوا سيعيدون فرض الحظر علـــى المـــشروب في الأول في كانون الثاني. لقد أنهى علبته الأولى قبل انـــتهائه من صنع الفوشار، وعصرها بيده ثم غمزني وقال: "راقبني وأنا أُدخلـــها في مؤخـــرة المتشرد الصغير، دينيس". لم أفهم التلميح لكنني ابتسمت على كل حال وهو يقذف العلبة باتجاه سلة المهملات، حيث أصابت حافتها العليا ثم سقطت فيها.

قال آرني: "نقطتين. أعطني علبة أخرى من فضلك".

أعطيته ما أراد بشرود. كنت أفكر في ما سأفعله. سيمضي أهلي ليلة رأس السنة في البيت، فإذا ثمل آرني فعلاً وغاب عن الوعي، فبوسعي الاتصال بوالدي. وآرني يمكن أن يقول أشياء وهو ثمل لن يقولها وهو صاحٍ. وأنا لم أكن أريد الذهاب إلى البيت بواسطة كريستين، على كل حال.

غير أن الشراب لم يكن يؤثر في آرني، على ما يبدو. بعد انتهائه من الفوشار أفرغه في صحن بلاستيكي كبير، ثم ذوَّب نصف قطعة من الزبدة النباتية وصبَّها فوق الصحن، ثم أضاف الملح، وقال: "لنذهب إلى غرفة الجلوس ونشاهد التلفزيون. ما رأيك؟".

"هذا جيد". أمسكت بالعكازين ووضعتهما تحت إبطيّ، ثم مددت يدي كي أحمل علب الشراب الثلاث الباقية.

قال آرني: "سأعود من أجلها لاحقاً. هيا قبل أن تكسر كل شيء من جديد". ابتسم لي، وفي هذه اللحظة أحسست أنه لم يكن سوى آرني كانينغهام الذي أعرفه منذ نعومة أظفاري.

كان التلفزيون يبث برنامجاً غبياً خاصاً برأس السنة، فتجاهلناه ورحنا نتحدث. أخبرت آرني عن جلسات العلاج الفيزيائي وكيف كنت أحمل الأوزان، وبعد علبتي شراب اعترفت له أنني في بعض الأحيان خفت من ألا أتمكن من المشي بشكل صحيح مجدداً. عدم لعب كرة القدم في الجامعة لم يكن يزعجني، أما هذا فبلى. وأثناء حديثي كان آرني يهز رأسه بهدوء وتعاطف.

ومع ذلك يمكنني التوقف هنا والقول إنني لم أشهد في حياتي كلها مثل هذه الأمسية الغريبة. في بعض الأحيان، كان يبدو لي مثل آرني، لكنه في أحيان أخرى لم يكن يشبه آرني على الإطلاق. لقد اكتسب حركات

معيـــنة لم ألاحظهـــا فيه من قبل، مثل تدوير مفاتيح سيارته بعصبية حول قطعـــة الجلد المستطيلة المتصلة بها (أي بالمفاتيح)، وطقطقة مفاصل أصابع يديه، وعض مفصل إبهامه بأسنانه العلوية، فضلاً عن التعليق الذي لم أفهمه عـــندما رمى علبة الشراب الفارغة في سلة المهملات. وبالرغم من أنه أنهى خمس علب شراب عندما أنهيت علبتي الثانية، إلا أنه كان صاحياً تماماً.

إضـــافة إلى اخـــتفاء حركاته الاعتيادية التي كنت دائماً ألاحظها علـــيه، مثل شد شحمة أذنه بشكل عصبـــي عندما يتكلم، ومد نهايتي ســـاقيه بشكل مفاجئ بحيث يتقاطع كاحلاه لفترة وجيزة، والضحك بإخــــراج الهـــواء من خلال شفتيه المزموتين بدلاً من الضحك بشكل صريح. في الحقيقة، لقد فعل ذلك مرة أو مرتين، لكنه في الغالب كان يعبِّر عن شعوره بالتسلية من خلال إطلاق سلسلة من القهقهات العالية التي كانت تشبه طريقة ضحك ليبـــي.

انتهـــى البرنامج الخاص برأس السنة في الحادية عشرة، فأدار آرني المحطات إلى أن وجد حفلة راقصة في أحد فنادق نيويورك حيث كانت الصورة تنتقل بين الحين والآخر إلى حشد مجتمع في ساحة تايمز سكوير ثم تعود إلى الحفلة من جديد.

"ألن تذهب حقاً إلى الجامعة؟".

"لـــيس في هذه السنة. سنذهب أنا وكريستين إلى كاليفورنيا بعد التخرج من الثانوية مباشرة. هذا أكيد".

"أيعلم والداك بذلك؟".

"بالطبع لا. ولا تخبرهما أنت أيضاً. أنا بحاجة ماسة إلى ذلك".

"وماذا ستفعل هناك؟".

هز كتفيه وقال: "سأبحث عن عمل يتعلق بتصليح السيارات. إنني ماهر في هذا الأمر. آمل أن أتمكن من إقناع لي بالذهاب معي".

ابـتلعت جـرعة مـن الشراب بطريقة غير صحيحة فبدأت أسـعل. صـفعني آرني مـرتين على ظهري وهو يقول: "هل أنت بخير؟".

"أنا بخير. لقد دخلت في القصبة الخاطئة، هذا كل شيء. آرني... إذا كـنت تعتقد أنها ستذهب معك، فإنك تعيش في عالم من الأحلام. إنها تعمل على تقديم طلبات الجامعة. لديها ملف كامل بخصوص ذلك يا رجل. وهي تفكر جدياً في هذا الأمر".

تـضيَّقت عيناه على الفور، وأحسست أن الشراب خانني ودفعني إلى قول شيء لم يكن يجدر بـي قوله.

"وكيف تعرف كل هذه الأشياء عن فتاتي؟".

انتابني شعور مفاجئ أنني سقطت في حقل مليء بالألغام الأرضية. "هذا الشيء الوحيد الذي تتحدث عنه، آرني. وعندما تبدأ الحديث، لا يمكنك إسكاتها أبداً".

"جمـيل. إنـك لا تتقرب منها، أليس كذلك، دينيس؟"، كان يتفحـصني بعيـنين مليئتين بالشك. "إنك لن تفعل شيئاً كهذا، أليس كذلك؟".

"لا" - هـذه كذبة صريحة، بالطبع - "كيف يمكنك قول شيء كهذا؟".

"إذاً، كيف تعرف كل هذه الأشياء عما تريد فعله؟".

"إنني أراها بين الحين والآخر. ونحن نتحدث عنك".

"هي تتحدث عني؟".

"أجل، قليلاً. قالت إنكما تشاجرتما بخصوص كريستين".

لا بد أنني قلت الشيء الصائب، إذ بدا عليه الارتياح قليلاً. "كان أمـراً تافهـاً. مجرد شجار صغير. سوف تغير رأيها. وهنالك جامعات

جـــيدة في كاليفورنيا، إذا كانت تريد دخول الجامعة. سوف نتزوج، دينيس، وننجب أولاداً وكل هذا الهراء".

قلـــت وأنا أجاهد كي لا يظهر أي شيء على قسمات وجهي: "هل تعرف هي بذلك؟".

ضحك وقال: "لا، ليس بعد. لكنها ستعرف في وقت قريب. أنا أحـــبها ولـــن يقف أي شيء في طريق هذا الحب. ما الذي قالته حول كريستين؟".

لغـــم آخر. "قالت إنها لم تكن تحبها. أعتقد... ربما كانت تشعر بالغيرة بعض الشيء".

قول صائب آخر، إذ انفرجت أساريره أكثر من قبل. "أجل، هذا صـــحيح. لكنها ستغير موقفها، دينيس. إن طريق الحب الحقيقي ليس ســـهلاً علـــى الإطـــلاق، لكنها ستغير رأيها، لا تقلق. إذا رأيتها مرة أخرى، أخبرها أنني سأتصل بها، أو سأتحدث معها عندما تبدأ المدرسة من جديد".

فكّـــرت في إخـــباره أن لي كانت في كاليفورنيا في ذلك الحين، لكـــنني قررت ألا أفعل. وتساءلت بيني وبين نفسي ما الذي يمكن أن يفعلـــه آرني الـــشكوك هـــذا إذا علم أنني قبّلت الفتاة الذي يعتقد أنه سيتزوجها، وعانقتها... وبأنني واقع في غرامها.

صاح آرني فجأة وهو يشير إلى التلفزيون: "انظر دينيس!".

كانـــت المحطـــة قد انتقلت إلى ساحة تايمز سكوير مجدداً. كان الحـــشد منتشياً - وآخذاً بالازدياد. كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والنصف بقليل، والسنة القديمة تلفظ أنفاسها الأخيرة.

"انظـــر إلى هـــؤلاء المتغوطين". أطلق قهقهة عالية ثم أنهى علبة الـــشراب وبعد ذلك نـــزل إلى القبو من أجل جلب رزمة أخرى من

الـــشراب. وجلـــست هـــناك أفكـــر كيف أن آرني ولي كانا فقط متخاصمين بسبب شجار تافه، كما يحصل عادة بين العاشقين، وكيف أهما سينهيان السنة الدراسية بالزواج.

وأحسست بالدم يغلي في عروقي.

جلـــب آرني الشراب وشربنا نخب العام 1979 وتحدثنا قليلاً عن أشـــياء عادية مثل الانهيار المخيب للآمال لفريق فيلادلفيا في الدور قبل النهائي وفرص فريق ستيليرز بالوصول إلى المباراة النهائية.

كـــان الفوشـــار قـــد وصل إلى قعر الصحن عندما استجمعت شـــجاعتي وطرحت على آرني أحد الأسئلة التي كنت أتجنبها. "آرني، ماذا حصل لدارنل برأيك؟".

رمقني بنظرة حادة ثم التفت مجدداً إلى التلفزيون حيث كان هناك شـــاب وفتاة يرقصان وقصاصات الورق الملوّن منثورة على شعرهما. ثم شـــرب جرعة من الشراب وقال: "الأشخاص الذين كان يعمل معهم أسكتوه قبل أن يتحدث. هذا ما حصل له".

"الأشخاص الذين كان يعمل لصالحهم؟".

"اعـــتاد ويل أن يقول إن المافيا الجنوبية سيئة، لكن الكولومبيين كانوا أكثر سوءاً".

"من هم الـــ -".

"الكولومبـــيون؟" ضـــحك آرني بـــسخرية، "إنهم رعاة بقر الكـــوكايين، هـــؤلاء هـــم الكولومبيون. كان ويل يزعم أنهم قد يقـــتلونك إذا نظرت إلى إحدى نسائهم بطريقة خاطئة، وفي بعض الأحيان حتى إذا نظرت إليها بطريقة صحيحة. لعل الكولومبيين هم الذين فعلوها".

"هل كنت تنقل الكوكايين لصالح دارنل؟".

هــز كتفيه وقال: "كنت أنقل بعض الأشياء لصالح ويل. لكنني نقلـت الكوكايين مرة أو مرتين، وأحمد الله على أنني لم أكن أحمل أي شيء أسوأ من الدخان المهرَّب عندما ألقوا القبض علي. ولكن لو ظل الأمـر على حاله، لربما فعلت ذلك مجدداً. صحيح أن ويل كان قذراً كريهاً وابن عجوزاً ساقطة، لكنه في أحد جوانبه كان جيداً. نعم، كان جـيداً بـصورة ما. لكنه كان يعرف الكثير. ولهذا السبب قُتل. كان يعـرف الكـثير... وعـاجلاً أم آجـلاً كان سيقول شيئاً ما. لعلهم الكولومبيون. الأوغاد المجانين".

"إنني لا أفهمك. وهذا ليس شأني، كما أظن".

غمزني وهو يبتسم ثم قال: "إنها نظرية الدومينو. على الأقل، هذا مـا كان يُفترَض أن يحصل. هناك رجل يُدعى هنري باك، وكان من المفترَض أن يشي بـي. وكان من المفترض أن أشي بويل. وبعد ذلك، كـان من المفترض أن يشي ويل - الكازينو الكبير - بالأشخاص في الجـنوب الـذين كانـوا يبيعونه المخدرات والألعاب النارية والدخان والـشراب. وهـؤلاء هم الأشخاص الذي كان جانك - أو الشرطة تريدهم فعلاً. وخاصة الكولومبيين".

"وتعتقد أنهم هم الذين قتلوه؟".

"هم أو المافيا الجنوبية، بالتأكيد. ومن غيرهـم؟".

هززت رأسي.

"حـسناً، دعنا نشرب علبة شراب أخرى، وبعد ذلك سأوصلك إلى المنـزل. لقد استمتعت بهذه الليلة، دينيس. استمتعت بها حقاً".

"أجل، وأنا كذلك".

بالـرغم من أنني لم أكن أرغب في شرب المزيد من الشراب، إلا أنـني أخـذت واحـدة، على كل حال، ذلك أنني كنت أريد تأجيل

اللحظـــة المحتومة التي سأركب فيها داخل كريستين. بدا لي ذلك قبل عـــدة ساعات فقط أنها خطوة ضرورية - كي أستكشف جو السيارة بنفسي - لكنها أصبحت تبدو الآن فكرة مرعبة ومجنونة.

"اسمـــع، بوسعي الاتصال بوالدي كي يأتي ويوصلني، إذا أردت ذلك آرني. سيكون صاحياً".

"ليست مشكلة. بإمكاني السير على خط مستقيم بطول ميلين، لا تقلق".

"فكّرت فقط في".

"لكنك متلهف لكي تكون قادراً على القيادة بنفسك، هه؟".

"أجل، صحيح".

"لا يوجد شيء أجمل من الجلوس خلف مقود سيارتك" - غمزني غمزة فاسق عجوز - "ربما باستثناء... فهمت أليس كذلك!".

حانـــت اللحظة المرتقبة. أطفأ آرني التلفزيون، وتوجهت أنا نحو المطـــبخ وارتـــديت معطفي، آملاً أن يأتي مايكل وريجينا من حفلتهما ويؤخـــرا تلك اللحظة لمدة أطول - لعل مايكل سيشتم رائحة الشراب في نفَس آرني ويعرض عليّ إيصالي إلى المنـــزل بنفسه.

أخـــذ آرني علـــبتي شراب من البراد قائلاً إنهما *من أجل الطريق*. فكّـــرت في القول له إنه إذا قُبض عليه وهو يقود السيارة مخموراً بينما هو لا يزال قيد الكفالة، فإنه قد يذهب إلى السجن حتى قبل أن يتمكن من الالتفات لكنني قررت إبقاء فمي مغلقاً. وخرجنا من المنـــزل.

كانـــت الساعات الأولى من صباح العام 1979 باردة لدرجة أن الـــرطوبة في أنفـــك كانت تتجمد خلال ثوانٍ فقط. كانت كريستين واقفـــة هـــناك والصقيع يغشي نوافذها السوداء. حدَّقت إليها. *المافيا*

الجنوبــية أو الكولومبيون. بدا ذلك معقولاً، لكن المافيا في العادة تقتل الــناس بالرصــاص، أو تدفعهم من النوافذ، أو تخنقهم. وهناك إشاعة تقــول إن آل كابوني قتل أحد الأغبياء المساكين بواسطة مضرب كرة قاعــدة محشو من الداخل بمادة الرصاص. ولكن، أن تقود سيارة فوق مــرج حديقــة مغطاة بالثلج ثم تقتحم بها أحد جوانب منــزل أحد الأشخاص وتدخل بها غرفة معيشته؟

الكولومبــيون، ربما. قال آرني أن الكولومبيين مجانين، ولكن هذا الكلام هو الجنون.

ومــاذا لو أن كريستين هي من قتلت دارنل؟ ماذا لو علمت أنني ولي نشك فيها؟ والأسوأ من ذلك، ماذا لو علمت أننا نخون آرني.

"هل تريد مساعدة على السلّم؟".

"لا، بإمكاني القيام بذلك، ولكن ربما ستضطر إلى مساعدتي على الطريق".

"ليست مشكلة".

وصلنا إلى السيارة وسألني آرني إذا كان باستطاعة دخولها بنفسي، فأجبــته بــنعم. تركني ودار حول مقدمة كريستين. أمسكت بمقبض الــباب وعلى الفور انتابني شعور بالاشمئزاز والخوف في آن واحد. في تلــك اللحظــة فقط بدأت أصدق أن شخصاً ما كان يعيش فيها، في أعماقهــا. لأن تلــك القبضة بدت لي حيّة تحت يدي. بدا لي وكأن وحــشاً مــا كان نائماً. لم تكن القبضة تبدو أنها مصنوعة من الفولاذ المغلف بالكروم، بل كان ملمسها - يا الله الرحيم - يشبه ملمس جلد إنــسان. أحسست وكأنني أستطيع الضغط عليها وإيقاظ الوحش من نومه.

وحش؟

ما هو هذا الوحش؟

"هيي، هل أنت بخير؟ هل يمكنك الدخول لوحدك؟".

"أجـــل". ودخلـــت السيارة وقلبـــي يخفق بقوة في صدري، ثم أغلقت الباب. أدار آرني المفتاح وهدر المحرك على الفور - وكأنه كان ســـاخناً بالرغم من البرد القارس. عندها هاجمتني الرائحة. بدت لي أنها تنـــبعث من كل مكان، ولكن بشكل خاص من فرش السيارة. كانت رائحة موت وتعفن.

لا أعـــرف كيف أخبركم عن تلك التوصيلة إلى منـــزلي، الذي يـــبعد ثلاثة أميال، والتي استغرقت عشر أو اثنتي عشرة دقيقة، من دون أن أبـــدو مجـــنوناً هارباً من مستشفى المجانين. يستحيل أن يكون المرء موضوعياً في هذا الأمر - مجرد جلوسي هنا ومحاولة كتابة ذلك يجلعني أشعر بالبرودة والحرارة في آن واحد. لا يمكن الفصل بين ما هو حقيقي ومـــا قام ذهني بتركيبه، بين الموضوعي والذاتي، بين الحقيقة والهلوسة الصرفة. ولكن، لم تكن الثمالة هي السبب - إذا كان بوسعي أن أكون واثقـــاً من شيء ما، فهو هذا الأمر بالذات. لأن حالة النشوة البسيطة الـــتي تسبب بها الشراب تبددت فور دخولي السيارة. وما حصل بعد ذلك كانت جولة واعية في بلد الملعونين.

لقد رجعنا بالزمن إلى الوراء - هذا أحد الأسباب.

لفتـــرة من الوقت لم يكن آرني هو الذي يقود السيارة، بل جثة ليبـــي المتعفنة - نصف هيكل عظمي ونصف لحم متحلل. وفي بعض الأحـــيان، كنت أرى أشخاصاً آخرين معنا في السيارة. نظرت مرة في مـــرآة الرؤية الخلفية فرأيت دمية من الشمع على شكل امرأة تحدق إليّ بعينين لامعتين تشبهان عيني حيوان محنَّط. كانت تسريحة شعرها تشبه

التسريحات التي كانت رائجة في الخمسينيات، وكان خدّاها يبدوان وكأنهما مطليان بطبقة كثيفة من البودرة الحمراء، فتذكّرت أن التسمم بأول أوكسيد الكربون يضفي على الشخص المتسمم لوناً حيوياً زاهياً. ونظرت إلى المرآة مجدداً فرأيت طفلة صغيرة مزرقّة الوجه وجاحظة العينين بسبب الاختناق. أغلقت عيني بقوة ثم فتحتهما فرأيت بادي ريبرتون وريتشي تريلوني في المرآة. كان الدم المتخثر متجمداً على فم ريبرتون وذقنه ورقبته وقميصه. أما تريلوني فكان عبارة عن جثة متفحِّمة، باستثناء عينيه، اللتين كانتا حيَّتين وواعيتين.

ببطء مد ريبرتون نحوي يداً مسودَّة حاملة زجاجة تكساس درايفر، فأغلقت عيني مرة أخرى، ولم أنظر بعد ذلك إلى المرآة أبداً.

أذكر أن الراديو كان يبث أغاني روك أند رول لديون وبيلمونتس، وإيرني ك - دو، والرويال تيينز، وبوبي رايدل (أوه بوبي أوه... كل شيء على ما يرام... إننا سعداء لأنك ستذهب إلى مدرسة جميلة...).

وأذكر أنني رأيت قطعة نرد بلاستيكية حمراء معلقة على مرآة الرؤية الخلفية، فإذا بها تختفي بعد قليل ويظهر مكانها حذاء طفل، وبعد ذلك يختفي الاثنان.

وأذكر أنني في أغلب الوقت كنت أقول لنفسي إن هذه الأشياء، إضافة إلى رائحة اللحم المتحلل والفرش النتن، كانت موجودة في ذهني فقط - إنها لم تكن أكثر من أخيلة مسكونة في وعي مدمن على الأفيون.

كنت أشبه بشخص منتشٍ من جراء جرعة عالية من المخدرات يحاول إجراء حوار عقلاني مع شخص صاح، لأننا - أنا وآرني - تحدثنا؛ أذكر هذا جيداً، لكنني لا أذكر حول ماذا. تماسكت،

وحافظت على صوتي طبيعياً، وتجاوبت معه. وبدت تلك الدقائق العشر أو الاثنتي عشرة وكأنها دامت ساعات.

أخبرتكم أننا رجعنا بالزمن إلى الوراء. كانت شوارع ليبرتيفيل في أواخـــر الـــسبعينيات لا تزال موجودة، لكنها كانت أشبه بغشاء رقيق ملقـــىً فوق زمن كان يبدو أكثر واقعيةً، وكنت أشعر أن ذلك الزمن كان يمد يديه الميتتين نحونا ويحاول إمساكنا وجذبنا إليه إلى الأبد. كان آرني يـــتوقف عـــند بعض التقاطعات الطرقية، في حين كان ينبغي له مواصلة سيره، وعند تقاطعات أخرى، كان يواصل سيره بهدوء بالرغم من أن إشارات المرور الضوئية كانت حمراء. وفي شارع مين رأيت محل شيبـــستاد للمجوهرات ومسرح ستراد، بالرغم من أنهما هُدما في العام 1972 مـــن أجل إفساح المجال لبناء مصرف بنسلفانيا التجاري الجديد. والسيارات المركونة على امتداد الطريق - على شكل تجمعات متفرقة حيث كانت حفلات رأس السنة مقامة - كانت كلها تعود إلى ما قبل الستينيات... أو ما قبل 1958.

قال آرني: "أجل، هذه السنة ستكون أفضل". رفع علبة الشراب ليـــشرب منها، وقبل أن تصل إلى شفتيه تحوّل وجهه إلى وجه ليبـــي. كانـــت أصابعه التي تحمل العلبة مجرد عظام. أقسم بالله إنها كانت مجرد عظـــام، والسروال الذي كان يرتديه كان مسترخياً على المقعد بشكل شبه مستوٍ، وكأنه لم يكن هناك شيء تحته سوى عصاتي مكنسة.

قلـــت لـــه وأنا أتنفس - بأقل قدر ممكن - هواء السيارة الكريه محاولاً عدم الاختناق: "حقاً؟".

قـــال آرني هذه المرة: "أجل". وعندما توقفنا عن إشارة توقف، تجاوزتنا سيارة كامارو موديل 1977 بسرعة كبيرة. "كل ما أطلبه منك هو أن تقف بجانبـــي قليلاً، دينيس. لا تدع أمي تحرُّك إلى هذا الهراء.

الأمـــور ســـتتغير". هنا تحوَّل إلى ليبـــي مجدداً، وكانت هناك ابتسامة عريضة على وجهه المتحلل. أحسست أن عقلي بدأ يهتز.

أخفضت عيني عن ذلك الوجه المرعب فرأيت ما رأته لي من قبل: رأيت عينين خضراوين تنظران إلي من لوحة القيادة.

أخيراً توقفنا بجانب رصيف في منطقة من البلدة لم أستطع تمييزها، مـــنطقة لم أرَها من قبل في حياتي. كانت المنازل جميعها متشابهة وقيد الإنـــشاء، بعضها كانت قد أنجزت ثلاثة أرباع العمل فيه، في حين أن بعـــضها الآخر كانت لا تزال على الهيكل فقط. وفي منتصف الشارع كانت هناك لافتة مضاءة بواسطة مصابيح كريستين كُتب عليها:

عقارات مابلواي

الوكلاء الحصريون لبيع العقارات في ليبرتيفيل

خير مكان لتربية أطفالك

فكّر في الأمر

"ها قد وصلنا. هل يمكنك المشي لوحدك يا رجل؟".

نظرت بتشكك إلى هذه المنطقة المهجورة والمغطاة بالثلج وهززت رأسي دلالة على الموافقة. من الأفضل أن أكون هنا وحدي، ولو على عكـــازيّ، مـــن أن أكون في تلك السيارة المرعبة. ثم ابتسمت وقلت: "بالتأكيد. شكراً. عام سعيد. آرني". مددت يدي إلى المقبض وفتحت الـــباب متسائلاً إذا كنت سأتمكن من الخروج من السيارة، إذا كانت ذراعاي المرتعشتان ستقدران على سند العكازين.

أنهـــى علبته ورماها في كيس بجانبه ثم قال - ليبـــي الآن - مع ابتـــسامة عريـــضة على وجهه: "فقط ابقَ إلى جانبـــي، دينيس. أنت تعرف ما الذي يحدث للمتغوطين الذين لا يبقون إلى جانبـــي".

قلت بصوت هامس: "أجل". كنت أعرف ذلك بالفعل.

أخرجت عكازيّ أولاً، غير مكترثين للثلج تحتهما - ثم استندت عليهما ورفعت جسدي. وما إن أصبحت خارج السيارة حتى تغير العالم الخارجي على الفور. اشتعلت الأنوار - كانت مضاءة سلفاً، بالطبع. كنا قد انتقلنا للسكن في عقارات مابلواي في حزيران 1959، قبل ولادتي بعام واحد. وكنا لا نزال نعيش فيها، لكن المنطقة لم تعد تُسمى عقارات مابلواي منذ 1963 أو 1964 على الأكثر.

التفتُّ إلى الوراء غير متأكد مما سأرى، آرني أم ليبي، لكنه كان آرني هذه المرة. كان يرتدي سترة المدرسة الثانوية التي تحمل اسمه مخاطاً على صدرها الأيسر. كان يبدو شاحباً جداً ووحيداً جداً، وكانت هناك علبة شراب محشورة بين فخذيه.

قال آرني: "تصبح على خير يا رجل".

"تصبح على خير. كن حذراً في طريقك إلى المنزل. يجب ألا تدعهم يقبضون عليك".

"لا تقلق. انتبه لنفسك، دينيس".

"سأفعل".

أغلقت الباب. في تلك اللحظة تحوَّل رعبي إلى حالة حزن وإشفاق شديدين. كان آرني يبدو وكأنه مدفون حياً. راقبت كريستين وهي تنحرف عن الرصيف ثم تنطلق في الشارع، وظللت أراقبها إلى أن سلكت المنعطف واختفت عن الأنظار. ثم بدأت أمشي نحو المنزل. كان الممر خالياً من الثلج تماماً - يبدو أن أبي فرش فوقه كيساً كاملاً من كلور الصوديوم من أجلي.

لم أكن قد قطعت سوى ربع المسافة نحو المنزل عندما أحسست بدوخة مفاجئة فاضطررت إلى التوقف وأحنيت رأسي محاولاً استجماع

نفـــسي. فكّرت في تلك اللحظات أنني قد أسقط مغشياً على الأرض وأتجمد حتى الموت أمام ممشى منـــزلي حيث كنا أنا وآرني نلعب حين كنا طفلين.

وأخـــيراً أحسست بيد تلتف حول خصري. التفتّ فرأيت أبـــي برداء الاستحمام وخف منـــزلي.

"دينيس، هل أنت بخير؟".

"أجل. دوخة بسيطة فقط. دعنا ندخل، سوف تتجمد هنا".

مـــشينا معاً وساعدني كي أصعد السلّم. كنت سعيداً لأن ذراعه كانت تطوّقني.

"هل ما زالت أمي صاحية؟".

"لا. لقـــد ظلت ساهرة حتى بداية السنة الجديدة ثم ذهبت وإيلين إلى النوم. هل أنت سكران، دينيس؟".

"لا".

أغلق الباب خلفه وقال: "لكنك لا تبدو على ما يرام".

أطلقـــت ضحكة صغيرة مجنونة وأحسست بالدوخة من جديد، لكـــنها كانـــت قصيرة هذه المرة. وعندما انتهت كان أبـــي ينظر إلي بقلق.

"ماذا حدث هناك؟".

"بابا –".

"دينيس، أخبرني!".

"بابا، لا أستطيع".

"ما الذي يحدث معه؟ ما هي مشكلته، دينيس؟".

هـــززت رأسي. في تلك اللحظة، لم أعد خائفاً على نفسي، بل كنت خائفاً عليهم جميعاً – أبـــي وأمي وإيلين ولي ووالديها.

فقــط ابــقَ إلى جانبــي، دينيس. أنت تعرف ما الذي يحدث للمتغوطين الذين لا يبقون إلى جانبــي.

هل سمعت ذلك حقاً؟

أو هل كان ذلك محض أوهام؟

كان أبــي لا يزال ينظر إلي.

"لا أستطيع".

"حــسناً. الآن فقــط. لكــنني بحاجة إلى أن أعرف شيئاً واحداً دينيس. وأريدك أن تخبرني به. هل تملك أي سبب يدعوك إلى الاعتقاد أن آرني متورط بطريقة ما بمقتل دارنل، ومقتل الأولاد الآخرين؟".

"لا. ليس آرني". وكان ذلك صحيحاً إلى حد كبير.

"حسناً. هل تريد أن أساعدك كي تصعد إلى غرفتك؟".

"بوسعي فعل ذلك. اذهب إلى النوم بابا".

"أجــل. ســأذهب. سنة سعيدة دينيس - وإذا أردت أن تخبرني بشيء ما فأنا ما زلت موجوداً".

"لا يوجد أي شيء أخبرك به".

"لسبب ما، أشك في ذلك".

ذهبت إلى غرفتي واستلقيت على السرير وتركت النور مضاءً و لم أنم على الإطلاق. كانت تلك أطول ليلة تمر علي في حياتي كلها. وعدة مرات فكَّرت في النهوض والذهاب إلى غرفة أبــي وأمي، كما كنت أفعــل حــين كنت صغيراً. حتى إنني في واحدة منها هممت بالنهوض وأمــسكت بالعكــازين، لكنني عدت واستلقيت مجدداً على السرير. صحيح أنني كنت خائفاً عليهم جميعاً، ولكن لم يعد ذلك هو أسوأ ما كنت أفكر فيه.

كنت خائفاً من أن أفقد عقلي.

كانـــت الـــشمس قد بدأت تبرز من تحت الأفق عندما غفوت أخـــيراً. استيقـــضت بعد ثلاث أو أربع ساعات، وكان عقلي قد بدأ مسبقاً بشفاء نفسه.

46

جورج ليبي من جديد

في يوم الجمعة، 5 كانون الثاني، تلقيت بطاقة بريدية من ريتشارد ماكانـــدلس، أمـــين ســـر مركز رابطة المحاربين القدامى في ليبرتيفيل، مكـــتوب علـــيها من الخلف عنوان منـــزل جورج ليبـــي في بارادايز فولـــز، أوهايو. وضعت البطاقة في جيب سروالي الخلفي طوال اليوم، أخـــرجها بين الحين والآخر وأنظر إليها ثم أعيدها مجدداً. لم أكن أريد الاتصال به. لم أكن أريد التحدث معه حول شقيقه المجنون مرة أخرى. لم أكن أريد أن يستمر هذا الجنون أكثر من ذلك.

في ذلـــك المساء، خرج والداي وإيلين - التي كانت تريد إنفاق بعـــضاً من نقودها التي حصلت عليها في الميلاد لشراء زوج جديد من زلاجـــات الـــثلج الجبلية - إلى مونروفيل مول. بعد نصف ساعة من ذهـــابهم أخـــرجت البطاقة ووضعتها أمامي ثم رفعت سماعة الهاتف. اتـــصلت بقـــسم الاستعلامات فأخبرني العامل أن الرقم الخاص بخدمة مـــنطقة غربـــي أوهايو، حيث تقع بارادايز فولز، هو 513. وبعد فترة مـــن التفكير، اتصلت بالرقم 513 وحصلت على رقم منـــزل ليبـــي. كتبت الرقم على البطاقة، ثم توقفت للتفكير من جديد - كانت أطول هذه المرة - ثم رفعت السماعة للمرة الثالثة. ضربت نصف رقم منـــزل ليبـــــي ثم أغلقت الهاتف. قلت لنفسي: *هذا يكفي. لن أتصل به. لقد*

سئمت من هذا الأمر برمته. سأغسل يديّ من كل هذه الورطة اللعينة. ليذهب إلى الجحيم وهو سيارته. اللعنة عليه.

ابتعدت عن الهاتف قبل أن يبدأ ضميري بوخزي من جديد. صعدت إلى الطابق العلوي واستحممت ثم ذهبت إلى السرير مباشرة. كنت غافياً قبل أن يعود أهلي إلى المنزل. لقد نمت طويلاً وبشكل عميق في تلك الليلة. وكان ذلك مريحاً، لأنه سيمضي وقت طويل قبل أن أنام مثل هذا النوم العميق - وقت طويل جداً.

أثناء نومي، قام شخص ما - أو شيء *ما*، بالأحرى - بقتل رودولف جانكينز. قرأت هذا الخبر في الجريدة عندما استفقت في الصباح. وكان العنوان يقول: *مقتل محقق في جريمة قتل دارنل بالقرب من بليرسفيل.*

كان والدي في الطابق العلوي يستحم، وكانت إيلين واثنتان من صديقاتها تلعبن لعبة مونوبولي في الجزء المسقوف من مدخل المنزل، في حين كانت أمي تعمل على إحدى قصصها في غرفة الخياطة. أما أنا فقد كنت جالساً لوحدي بجانب المائدة في المطبخ - كنت مذهولاً وخائفاً. تذكرت أن لي وأبويها سيعودون من كاليفورنيا في اليوم التالي، وأن المدرسة ستبدأ من جديد في اليوم الذي يليه. وما لم يغيِّر آرني (أو ليبي) رأيه، فإنها قد تجد نفسها ملاحَقة بصورة حثيثة.

دفعت عني طبق البيض المقلي الذي أعددته بنفسي، لأنني لم أعد أريد تناوله. في الليلة الماضية، دفعت عني مسألة كريستين المشؤومة وغير القابلة للتفسير بنفس السهولة التي دفعت فيها طبق البيض اليوم.

جانكينز هو الرجل الذي ذكره آرني أمامي ليلة رأس السنة. وقالت الجريدة إنه هو الرجل المسؤول - من جهة بنسلفانيا - عن التحقيق في جريمة قتل ويل دارنل، كما لمَّحت إلى إمكانية وجود منظمة

إجـــرامية غـــير معـــروفة وراء ذلك. لو كان آرني هنا لقال إنها المافيا الجنوبية، أو الكولومبيون المجانين.

لكنني كنت أفكر في شيء آخر...

لقـــد انحرفت سيارة جانكينـــز عن طريق ريفي منعزل وصُدمت مراراً حتى تحولت إلى حطام، وجانكينـــز في داخلها.

(*جانكينـــز اللعين ما زال يلاحقني خطوة بخطوة، ومن الأفضل له أن يحـــذر لأن شخصاً ما قد يحطمه... فقط ابقَ إلى جانبـــي، دينيس. أنت تعرف ما الذي يحصل لأولئك الذين لا يقفون بجانبـــي*).

عـــندما قُتل ريبرتون وصديقاه، كان آرني في فيلادلفيا مع نادي الشطرنج. وعندما قُتل دارنل، كان في ليجونيير مع أبويه يزورون خالته وزوجها. حجة غياب فعّالة. وكنت أعتقد أنه يملك واحدة أخرى من أجـــل جانكينـــــز. لقد أصبح عدد الضحايا سبع ضحايا الآن، وهم يشكلون حلقة مميتة حول آرني كانينغهام وكريستين. لا بد أن الشرطة لاحظـــت ذلك، إذ حتى الشخص الأعمى يمكنه ملاحظة هذه السلسلة الواضحة من الدوافع. ولكن لا أعرف لماذا كانت حواسي تقول لي إن شرطة الولاية لم تكن تحقق جدياً في علاقة آرني في الجريمة الأخيرة.

مـــا الـــذي رآه جانكينـــز خلفه في ذلك الطريق الريفي المنعزل خـــارج بليرسفيل؟ سيارة حمراء وبيضاء؟ ولعلها كانت فارغة، أو ربما كانت تُقاد بواسطة جثة؟

سبعة قتلى.

وكـــان يجـــب أن يتوقف ذلك. إذا لم يوافق مايكل وريجينا على خطـــة آرني المجـــنونة المـــتعلقة بالـــذهاب إلى كاليفورنيا، فقد يكون أحدهما – أو كلاهما ربما – هو التالي. وعلى فرض أنه ذهب إلى لي في قاعـــة الدراسة يوم الثلاثاء القادم وطلب منها الزواج به ورفضت؟ ما

الـــذي يمكـــن أن تراه واقفاً بجانب الطريق عندما تصل إلى البيت بعد الظهر؟

مدت أمي رأسها من باب غرفة الخياطة وقالت: "دينيس، إنك لا تأكل".

"إنني أقرأ الصحيفة. أعتقد أنني لست جائعاً جداً، ماما".

"علـــيك أن تأكل بشكل جيد إذا أردت أن تتعافى. هل تريد أن أعد لك دقيق الشوفان؟".

ابتسمت لها وقلت: "لا، لكنني سآكل وجبة غداء كبيرة".

"وعد؟".

"وعد".

"ديـــني، هـــل تشعر أنك بخير؟ كنت تبدو مرهقاً وشاحباً للغاية مؤخراً".

"أنا بخير ماما". وسَّعت ابتسامتي كي أريها كم كنت بخير.

"متأكد؟ ليست ساقك التي تزعجك، أليس كذلك؟".

"لا".

"هل تناولت فيتاميناتك؟".

"نعم".

"وشراب ثمار rosehip؟".

انفجـــرت بالضحك لسؤالها هذا، فرمقتني بنظرة انـــزعاج أولاً، ثم ابتـــسمت وقالت بلكنة إيرلندية ممتازة (أصبحت كذلك منذ مجيء أمهـــا من موطن أجدادها): "إنك غير لبقٍ يا دينيس جيلدر". ثم عادت إلى غرفة الخياطة، وبعد لحظات سمعت صوت آلة الكاتبة من جديد.

أمـــسكت الجريدة ونظرت إلى صورة سيارة جانكينـــز المحطمة، وقلت في نفسي: *لنقل إن جانكينـــز كان مهتماً بأكثر من مجرد معرفة*

مـــن كـــان يبـــيع الألعـــاب النارية والدخان المهرب لصالح دارنل. وجانكينـــــز كان محققاً من الولاية، ومحققو الولاية يعملون على أكثر مـــن قضية واحدة في وقت واحد. لعله كان يحاول اكتشاف من قتل موتشي ويلش، أو لعله كان -.

وضعت العكازين تحت إبطي ومشيت نحو غرفة الخياطة ثم قرعت الباب.

"نعم؟".

"آسف لإزعاجك ماما".

"لا تكن سخيفاً، دينيس".

"هل ستذهبين إلى وسط البلدة اليوم؟".

"ربما. لماذا؟".

"أود الذهاب إلى المكتبة".

بحلول الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت ذاك بدأ الثلج ينهمر مـــن جديد. انتابني صداع خفيف من جراء التحديق إلى قارئ الوثائق المصغَّرة، لكنني حصلت على ما كنت أريده. كان جانكينـــز مسؤولاً عـــن التحقـــيق في مقتل موتشي ويلش، بالفعل، وكذلك في ما حصل لريبرتون وتريلوني وستانتون. وسيكون شرطياً غبياً إن لم يقرأ اسم آرني كانينغهام بين السطور.

أسندت ظهري على ظهر الكرسي وأطفأت القارئ. حاولت أن أضع نفسي مكان جانكينـــز قليلاً. إنه يشك في علاقة آرني بالجرائم. هو لم يرتكبها، لكنه كان متورطاً بطريقة ما. هل يشك في كريستين؟ ربمـــا. بحسب البرامج التلفزيونية التي تتحدث عن التحقيق في الجرائم، يكون المحققون بارعين دائماً في التعرُّف على الأسلحة، والآلات الكاتبة

الـــتي تكتب رسائل الفدية، والسيارات التي تصدم الناس ثم تهرب. ربما بواسطة آثار طلاء...

ثم يأتي القبض على دارنل. وهذا رائع بالنسبة إلى جانكينـــز، لأن المرأب سيكون مغلقاً وسيُحجَز على كل ما فيه. لعله كان يشتبه في... ماذا؟

في شريك، بالطبع. لو كنت مكانه سأشتبه في وجود شريك. لا يوجد عاقل يشتبه بأن السيارة ترتكب تلك الجرائم لوحدها. إذاً...؟

إذاً، بعـــد إغـــلاق المرأب، يجلب جانكينـــز أفضل ما يستطيع الحصول عليه من الميكانيكيين والمخبريين. وهؤلاء سيتفحصون كل شبر في كريستين بحثاً عن دليل ما. لا بد أن يكون هناك دليل ما، لأن صدم جـــسد بـــشري لـــيس كصدم وسادة من الريش. والاصطاد بحاجز خشبـــي ليس كالاصطدام بوسادة من الريش أيضاً.

وماذا سيجد هؤلاء الخبراء في حوادث القتل الناجمة عن الاصطدام بالسيارات؟

لا شيء.

لـــن يجدوا أي انبعاجات، ولا آثار إعادة طلاء، ولا بقع دم. ولن يجدوا قشور طلاء بني من الحاجز الخشبـــي الذي كُسر في سكوانتيك هيلـــز. باختصار، لن يجد جانكينـــز أي دليل على استخدام كريستين في أي مـــن تلك الجرائم. والآن، لنتحول إلى مقتل دارنل. هل أسرع جانكينـــز إلى المرأب في اليوم التالي كي يلقي نظرة على كريستين؟ لو كـــنت مكانه، سأفعل. إذ إن جدار أحد المنازل ليس كوسادة الريش آنفـــة الذكـــر، والسيارة التي تخترق مثل هذا الجدار لا بد أن تُصاب بأضـــرار جسيمة، أضرار لا يمكن إصلاحها بين ليلة وضحاها. وعندما يصل جانكينـــز إلى المرأب، ماذا سيرى؟

كريستين من دون أي خدش.

وهــذا ســيؤدي إلى اســتنتاج آخر، استنتاج يفسر عدم لجوء جانكينــز إلى وضع مراقبة على السيارة. لنفرض أن جانكينــز ذهب إلى المــرأب ليستكشف حالة كريستين بعد مقتل دارنل مباشرة، فمن المــؤكد أنه كان سيخلص إلى نتيجة مفادها أن كريستين لا يمكن أن تكون متورطة، مهما كانت الدلائل الأخرى تشير إلى عكس ذلك.

من دون أي خدش. و لم لا، فجانكينــز لا يعرف كل الحقائق. فكّــرت في عداد المسافة الذي يسير إلى الخلف، وفي آرني وهو يقول: مجــرد *عطل بسيط*. فكّرت في شبكة التشققات على الزجاج الأمامي الــتي بدت وكأنها صغرت - كما لو أنها كانت تسير بالعكس أيضاً. وأخيراً فكرت في تلك التوصيلة المرعبة إلى منــزلي ليلة الأحد.

مجرد عطل بسيط.

فكّــرت في أن عــدم معرفة جانكينــز بذلك *العطل البسيط* هو الذي أدى إلى مقتله.

لأنــك إذا كنت تملك سيارة لفترة طويلة بما يكفي، فإنها ستُبلى مهمــا كان اعتناؤك بها كبيراً. تخرج السيارات من خط التركيب مثل المولود الجديد، ومثل المولود الجديد، تبدأ السنوات بترك آثارها عليها. بطارية تتشقق، قضيب شد ينكسر، محمل كريات يتجمد في مكان ما، طــوافة كاربوراتور تعلق، إطار ينفجر، انقطاع في الدارة الكهربائية، فرش يهترئ.

يمكــنكم تشبيه الأمر بفيلم سينمائي، ولكن إذا أمكنك إرجاع الفيلم إلى الوراء -.

"هل هناك شيء آخر يا سيدي؟" قال موظف السجلات وكدت أصرخ من المفاجأة.

كانـــت أمـــي تنتظرني في قاعة الاستقبال الرئيسة. في طريق عودتنا إلى المنـــزل تحدثت معظم الوقت عن كتاباتها وصفِّها الجديد، وهـــو رقـــص الديـــسكو. كنت أهز برأسي وأجيبها في الأماكن المناسبة.

"أتريد أن أشغِّل السخّان، دينيس؟".

"من فضلك، ماما؟".

فكَّـــرت في لي الـــتي سيحين موعد عودتها من كاليفورنيا غداً. فكـــرت في وجهها الجميل وجسدها الأنثوي المثير، الذي لم يتأثر بعد بقـــوتي الـــزمن والجاذبية، مثل تلك البليموث الهرمة التي خرجت من ديتـــرويت في شاحنة نقل في 1957. ثم فكرت في ليبـــي، الميت وغير المـــيت. وفي آرني وهو يقول لي بكل ثقة واطمئنان أنهما سيتزوجان. تخـــيلت ليلة عرسهما. رأيتها مستلقية على سرير في أحد الفنادق تنظر إلى الأعلـــى فإذا بها ترى جثة متحللة تبتسم فوقها. سمعتها تصرخ بينما كانـــت كريـــستين - المزيَّنة بالشرائط الملونة ولافتات *تزوجنا للتو* - تنتظـــر بـــإخلاص خارج الباب المقفل. ستعرف كريستين - أو القوة الأنـــثوية المرعبة التي تحركها - أن لي لن تبقى طويلاً، وأنها هي - أي كريستين - ستكون موجودة عندما ترحل لي.

أغلقت عيني لإبعاد هذه الأخيلة، لكن ذلك لم يزدها إلا تشبثاً.

في الـــبداية، لي هـــي التي رغبت في آرني، ثم تطور الأمر بشكل تدريجي إلى أن أصبح آرني يرغب فيها أيضاً. لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد... لأن ليبـــي أصبح يمتلك آرني... وهو يريد لي.

لكنه لن يحصل عليها، ما دام باستطاعتي منع ذلك.

في تلك الليلة اتصلت بجورج ليبـــي.

"أجل سيد جيلدر. أتذكرك جيداً. لقد أنهكت أذنك وأنا أتحدث أمام وحدتي في ذلك الفندق الذي أعتقد أنه أسوأ فندق في الكون كله. بماذا يمكنني أن أخدمك؟" بدا أنه كان يأمل ألا أطلب الكثير.

تـــرددت. هل أخبره أن شقيقه عاد من عالم الأموات؟ وأن القبر نفـــسه لم يقـــدر علـــى إنهاء كرهه للمتغوطين؟ هل أخبره أن شقيقه استحوذ على صديقي، وبأنه انتقاه كما انتقى آرني كريستين؟

"سيد جيلدر، هل أنت معي؟".

"لدي مشكلة، سيد ليبـــي. ولا أعرف بالضبط كيف أخبرك بها. إنها تخص شقيقك".

"لا أعـــرف أي مـــشكلة لديك يمكن أن تكون لها علاقة به. إنه ميت".

قلت بصوت مرتجف: "هذه هي المشكلة. لا أظن أنه ميت".

"مـــا الذي تقوله؟" - كان صوته مشدوداً، ومتَّهِماً... وخائفاً - "إذا كانت هذه هي فكرتك عن النكتة، فإنني أقول لك إنها الأسوأ على الإطلاق".

"إنـــني لا أمزح. فقط دعني أخبرك عن بعض الأشياء التي حدثت منذ موت شقيقك".

"ســـيد جـــيلدر، لـــدي عدة مجموعات من الأوراق بحاجة إلى التصحيح، ورواية أريد إنهاءها، وليس لدي الوقت لإنفاقه في -".

"أرجوك. أرجوك سيد ليبـــي. ساعدني وساعد صديقي".

صـــمت ليبـــي لفترة طويلة ثم تنهد وقال: "أخبرني حكايتك... اللعنة عليك".

وهكـــذا رويت القصة له. أخبرته عن مشكلة آرني مع ريبرتون، وعـــن طـــرد ريبرتون من المدرسة وانتقامه. وأخبرته عن مقتل موتشي

ويلـــش، وما حصل في سكوانتيك هيلز، وخلال عاصفة عشية الميلاد. وأخبرته عن التشققات على الزجاج الأمامي التي بدت أنها تصغر، وعن عـــداد المـــسافة الذي كان - بالتأكيد - يسير بالعكس. وعن الراديو المولَّـــف على محطة الأغنيات القديمة، WDIL. سمعت همهمة استغراب خفيفة من ليبـــي على هذا الكلام. وأخبرته عن التوقيعين على جبيرتيّ، وكـــيف أن التوقـــيع الذي خطَّه آرني ليلة مناسبة الشكر كان مطابقاً لتوقيع شقيقه على ورقة تسجيل كريستين الأصلية. وعن استخدام آرني المتكـــرر لكلمـــة *المتغوطين*، وعن تغييره تسريحة شعره بحيث أصبحت تشبه التسريحات التي كانت رائجة في الخمسينيات. أخبرته بكل شيء باســـتثناء مـــا حصل معي عندما أوصلني آرني إلى المنـــزل ليلة رأس السنة. أردت ذلك لكنني لم أستطع.

وعندما انتهيت ساد الصمت بيننا.

"سيد ليبـــي، هل ما زلت معي؟".

"أنـــا هـــنا. سيد جيلدر - دينيس - لا أقصد الإساءة إليك، ولكن يجب أن تدرك أن ما تلمِّح إليه يتخطى أي ظاهرة نفسية ويصل إلى...".

"الجنون؟".

"ليـــست الكلمة التي سأستخدمها. قلت لي إنك تعرضت لحادثة فظـــيعة في مـــباراة كـــرة قدم، وبأنك مكثت في المستشفى لشهرين، وعانـــيت من ألم شديد لفترة طويلة من بقائك هناك. والآن، ألا يمكن أن تكون مخيلتك -".

"سيد ليبـــي، هل كان لأخيك قول يتعلق بالمتشرد الصغير؟".

"ماذا؟".

"المتـــشرد الصغير. مثلاً، عندما ترمي كرة من الورق باتجاه سلة مهمـــلات وتـــدخل فيها، فتقول نقطتين، ولكن بدلاً من ذلك تقول:

راقبني وأنا أدخلها في مؤخرة المتشرد الصغير. هل قال شقيقك هذا ذات مرة؟".

"كيف علمت بهذا؟ لقد استخدم هذه العبارة في إحدى المرات التي قابلته فيها، أليس كذلك؟".

"لا".

"سيد جيلدر، أنت كاذب".

لم أقل شيئاً. لم يقل أي شخص بالغ هذه الكلمة طوال حياتي.

"دينيس، أنا آسف. لكن أخي ميت. كان شخصاً كريهاً، وربما شريراً أيضاً، لكنه ميت الآن، وكل هذه الأخيلة المتعلقة بالموت –".

"من هو المتشرد الصغير".

صمت.

"هل هو تشارلي شابلن؟".

لم أعتقد أنه سيجيب أبداً، لكنه فعل أخيراً، وإن بصعوبة: "بشكل غير مباشر فقط. كان يقصد هتلر. كان هناك شبه بين هتلر والمتشرد الصغير الذي يمثله شابلن. كما صنع شابلن فيلماً بعنوان *الديكتاتور العظيم*. ربما لم تَرَه أبداً. كان اسماً رائجاً للغاية خلال سنوات الحرب. لكن هذا لا يعني شيئاً".

هنا حان دوري لكي أصمت.

صرخ ليبي: "إنها لا تعني شيئاً! لا شيء! إنها خيالات وإيحاءات، لا شيء أكثر! يجب أن تدرك ذلك!".

"يوجد سبعة قتلى هنا غربي بنسلفانيا. وهذه ليست خيالات. هناك توقيعان على جبيرتيّ ساقيّ، وهما ليسا خياليين أيضاً. لقد احتفظت بهما سيد ليبي. دعني أرسلهما إليك. انظر إليهما وأخبرني إذا كان أحدهما ليس خط شقيقك".

"قد يكونا مزيفين عن علم أو غير علم".

"إذا كنت تصدّق ذلك، اجلب خبيراً في الخطوط. سأدفع أنا له".

"بوسعك فعل ذلك بنفسك".

"سيد ليبـــي، أنا لا أحتاج إلى المزيد من القناعة".

"ولكـــن، ماذا تريد مني؟ أن أشاركك أوهامك؟ لن أفعل ذلك. أخي ميت. وسيارته مجرد سيارة".

"أريد منك أن تشرح شيئاً قلته لي في تلك الليلة عندما تحادثنا".

"وما هو هذا الشيء؟".

"قلـــت إنه كان مهووساً وغاضباً، لكنه لم يكن وحشاً. أو على الأقـــل، قلـــت إنـــك لم تكن تعتقد أنه كذلك. ثم بدا لي أنك غيَّرت الموضوع كلياً. ولكن كلما فكَّرت في ذلك، كلما ازددت اقتناعاً أنك لم تغيِّـــر الموضوع على الإطلاق، لأن الشيء التالي الذي قلته هو إنه لم يضع علامة على أي من تلك الصفات".

"دينيس، إنني حقاً -".

هنا لم أتمالك أعصابـــي فصرخت: "اسمع، إذا كنت ستقول شيئاً مـــا، أرجوك قله الآن! هذا ليس أسهل علي مما هو عليك. آرني متعلق بفـــتاة تُدعـــى لي كابوت، لكنني لا أعتقد أن آرني هو المتعلق بها، بل شقيقك، شقيقك الميت، *والآن أخبرني، رجاءً!*".

تـــنهّد وقـــال: "أخـــبرك؟ أخـــبرك؟ أخبرك عن تلك الأحداث القديمـــة... لا، تلـــك الـــشكوك القديمة.... هذا سيوقظ أحداً نائماً، دينيس. أرجوك، أنا لا أعرف شيئاً".

"أخبرني فقط بماذا تشك".

"سأتصل بك".

"سيد ليبـــي، رجاءً".

"سأتصل بك. علي الاتصال بشقيقتي مارسيا في كولورادو".

"إذا كان ذلك سيساعد، سأتصل -".

"لا، إنها لن تتحدث معك أبداً. لقد تكلمنا حول الأمر معاً مرة أو مرتين. أتمنى أن يكون ضميرك مرتاحاً بالنسبة إلى هذا الأمر، دينيس، لأنك تطلب منا أن ننكأ جراحاً قديمة ونجعلها تنزف من جديد. لذا، سأسألك مرة أخرى، إلى أي حد أنت متأكد؟".

"أنا متأكد".

"سأتصل بك". وأقفل الخط.

مرَّت خمس عشرة دقيقة، ثم عشرين. ظللت في تلك الأثناء أدور في الغرفة على عكازيَّ، لأنني لم أكن قادراً على الثبات في مكان واحد. ومرة أو مرتين ذهبت نحو الهاتف لكنني لم أرفع السماعة، خشية أن يكون في نفس الوقت يحاول الاتصال بي. وفي المرة الثالثة، وما إن وضعت يدي على الهاتف حتى بدأ يرن. قفزت في الهواء كما لو أن شيئاً ما لسعني، ثم رفعت السماعة.

كانت إيلين قد رفعت سماعة الهاتف في الطابق السفلي قبلي، وسمعتها تقول: "هاي".

"هل دينيس جيلدر موجود؟" بدا صوت ليبي هرماً ومجروحاً.

هنا قلت: "لقد رفعت السماعة إيلين".

ردت بوقاحة: "ومن يبالي". ثم أقفلت الخط.

"مرحباً سيد ليبي". كان قلبي يخفق بشدة.

"لقد تحدثت معها. قالت لي أن أحتكم لعقلي. لكنها خائفة. لقد تآمرنا أنا وأنت معاً، على إخافة سيدة عجوز لم تؤذِ أحداً قط، وليست لها أي علاقة بهذا الأمر".

"لسبب وجيه".

"حقاً؟".

"لــو لم أكن أعتقد ذلك لما اتصلت بك أبداً. سيد ليبـــي، هل ستتكلم أم لا؟".

"أجـــل. لــك فقــط، وليس لأي شخص آخر. إذا أخبرت أي شخص غيرك، فإنني سأنكر. هل تفهم؟".

"أجل".

"حسناً" - تنهَّد - "في حديثنا في الصيف الماضي، أخبرتك كذبة حول ما حدث وكذبة أخرى حول شعوري - أنا ومارسي - حول ما حـــدث. لقد كذبنا على نفسينا. ولولاك الآن، أعتقد أننا كنا سنستمر في الكـــذب علـــى نفسينا حول تلك - تلك الحادثة بجانب الطريق - طوال ما بقي من حياتينا".

"الفـــتاة الصغيرة؟ ابنة ليبـــي؟" كنت أقبض على السماعة بقوة شديدة، وكأنني كنت أحاول عصرها.

"أجل. ريتا".

"ماذا حصل فعلياً عندما اختنقت؟".

"كانـــت أمـــي تدعو رولي بالولد البديل (changeling) - أي الـــولد الـــذي وضـــع (استبدل) بدلاً من ولدها الأصلي رولاند. هل أخبرتك بذلك؟".

"لا".

"لا. بالتأكيد لا. كانت أمي تقول إنه كان ولداً مثالياً حتى شهره الـــسادس. وبعـــد ذلك... تقول أمي إن ذلك حدث عندما جاء باك الـــشرير وأخذ ابنها الجميل ووضع مكانه ولداً بديلاً. كانت تضحك عـــندما كانـــت تقـــول ذلك، لكنها لم تقله أبداً عندما يكون رولي موجـــوداً. و*عيناها* لم تكن تضحكان أبداً، دينيس. أظن أن ذلك كان

تفسيرها الوحيد لشخصيته، لغضبه غير المحدود... ولعناده الشديد بالنسبة إلى غاياته القليلة البسيطة...

"كان هناك ولد – نسيت اسمه – ولد ضخم ضرب رولي ضرباً شديداً ثلاث أو أربع مرات. ولد متنمر. كان يسخر من رولي ويسأله إذا كانت ملابسه الداخلية ملبوسة منذ شهر أو شهرين هذه المرة. وكان رولي يشتمه ويهدده ويهجم عليه لكن المتنمر كان يبقيه بعيداً عنه بواسطة ذراعيه الطويلتين ومن ثم يقوم بضربه إلى أن يتعب أو ينزف الدم من أنف رولي. وبعد ذلك كان رولي يجلس في إحدى الزوايا ويدخن سيجارة وهو يبكي. وإذا اقتربنا منه أنا أو درو، فإنه كان يضربنا ضرباً مبرحاً".

"احترق منزل ذلك المتنمر الشرس ذات ليلة، دينيس. ومات في الحريق هو وأبوه وشقيقه الصغير. وأُصيبت أخته الصغرى بحروق مريعة. افتُرض أن الفرن في المطبخ هو السبب، وربما كان ذلك صحيحاً، لكن صفارة إنذار الحريق أيقظتني من نومي، وكنت لا أزال صاحياً عندما تسلق رولي عريشة اللبلاب ودخل غرفة النوم التي كنا نتشاركها أنا وهو. كان السخّام يلوث جبهته ورائحة البنزين تفوح منه. وعندما رآني مستلقياً وعيناي مفتوحتان قال لي: *إذا أخبرت أحداً، جورجي، سأقتلك*. ومنذ تلك الليلة، دينيس، حاولت ألا أقول لنفسي إنه كان يقصد تنفيذ تهديده إن أخبرت أحداً أنه كان في الخارج يراقب الحريق. ولعل هذا ما كان يفعله فقط".

"كم كان عمر شقيقك حينئذ؟" كان حلقي جافاً ومعدتي تتقلب بشدة.

قال ليبي بهدوء زائف: "لم يكن قد بلغ الثالثة عشرة تماماً. وذات يوم شتوي، بعد تلك الحادثة بنحو عام، وقع عراك في مباراة

هوكي وقام شخص يُدعى راندي ثروجمورتون بشق رأس رولي بعصاه، وأفقده وعيه. أخذناه إلى الطبيب فارنر - كان قد استعاد وعيه حينئذ، لكـــنه كان لا يزال مترنحاً - الذي اضطر إلى غرز اثنتي عشرة قطبة في رأسه. وبعد أسبوع واحد، سقط راندي ثروجمورتون في حفرة جليدية في بالمـــر بوند وغرق. كان يتزلج في منطقة تنتشر فيها بوضوح لافتات تحمل عبارة *ثلج رقيق*".

"هـــل تقول إن أخاك قتل هذين الشخصين؟ هل تريد القول إن ليبـــي قتل ابنته؟".

"ليس أنه قتلها دينيس - لا تظن ذلك أبداً. لقد ماتت اختناقاً. ما ألّمح إليه هو أنه ربما تركها تموت".

"قلت لي إنه قلَبَها رأساً على عقب، وضربها على ظهرها وحاول دفعها للتقيؤ -".

"هذا ما قاله رولي لي في الجنازة".

"ثم ماذا؟".

"تحدثـــنا أنـــا ومارسيا حول الأمر لاحقاً. مرة واحدة فقط، هل تفهمني؟ وقال لي رولي على مائدة العشاء في تلك الليلة: *أمسكتها من حـــذائها وحاولـــت أن أصـــفعها كي تخرج تلك القطعة من حلقها، جورجي، لكنها كانت عالقة*. وقالت فيرونيكا لمارسيا: *أمسكها رولي مـــن حـــذائها وحاول إخراج القطعة التي كانت تخنقها، لكنها كانت عالقة*. لقد أخبرا القصة ذاتها وبنفس الكلمات. وهل تعلم بماذا جعلني ذلك أفكر؟".

"لا".

"لقد جعلني ذلك أفكر في رولي عندما تسلق العريشة ودخل غرفة النوم وقال لي هامساً: *إذا أخبرت أحداً*، جورجي، *سأقتلك*".

"ولكن لماذا... لماذا ي -".

"في ما بعد، كتبت فيرونيكا رسالة إلى مارسيا أشارت فيها إلى أن رولي لم يحاول جدياً إنقاذ ابنتها. وأنه في النهاية وضعها في المقعد الخلفي من السيارة كي يبعدها عن الشمس، حسب قوله. لكن فيرونيكا تقول في رسالتها تلك إنها تعتقد أن رولي كان يريدها أن تموت في السيارة".

"هل تلمِّح إلى أن شقيقك قدَّم ابنته كنوع من الأضحية البشرية؟".

"ليس بصورة واعية، لا. لو كنت تعرف أخي لعرفت كم هو سخيف اهتمامه بالشعوذة. إنه لم يكن يعتقد بأي شيء أبعد من حواسه... باستثناء، ربما، إرادته بالذات. أريد القول إن حدساً ما ربما انتابه فجأة... أو شيئاً ما دفعه إلى القيام بما فعله. كانت أمي تقول إنه ولد بديل".

"وفيرونيكا؟".

"لا أعرف. قررت الشرطة أنه كان انتحاراً، بالرغم من عدم وجود رسالة انتحار. لربما كان كذلك. لكن المرأة المسكينة كانت تملك بعض الأصدقاء في البلدة، ولطالما تساءلْت ما إذا كانت قد ألمحت لبعضهم - كما ألمحت لمارسيا - أن موت ريتا لم يكن مطابقاً تماماً للوصف الذي قدَّمته هي ورولي. وتساءلت أيضاً ما إذا كان رولي قد اكتشف ذلك. *إذا أخبرت أحداً، جورجي، سأقتلك*. ليس هناك أي دليل، بالطبع، لكنني تساءلت لماذا أقدمت على الانتحار بتلك الطريقة - وتساءلت كيف يمكن لامرأة لا تعرف أي شيء عن السيارات أن تجلب خرطوماً وتصله بأنبوب العادم وتدخله من خلال النافذة. أحاول ألا أتساءل حول هذه الأمور، لأنها تمنعني من النوم في الليل".

فكّـــرت في مـــا قالـــه وفي ما لم يقله – الأشياء التي تركها بين السطور. *حدساً ما... عناده الشديد بالنسبة إلى غاياته القليلة البسيطة.* لنفتـــرض أن رونالد ليبـــي أدرك بطريقة ما أنه لا يستطيع الاعتراف حـــتى لنفـــسه أن قـــوة ماورائية ما كانت تسكن سيارته البليموث؟ ولنفرض أنه كان ينتظر الوريث المناسب... والآن...

"هل هذا يجيب عن أسئلتك؟".

"أعتقد ذلك".

"ماذا ستفعل؟".

"أظن أنك تعرف".

"ستدمّر السيارة؟".

"سأحاول". ثم نظرت إلى عكازيِّ المستندين إلى الجدار بجانبـــي. عكازاي اللعينان.

"ولكن، قد تدمر صديقك أيضاً".

"وقد أنقذه".

"أتساءل إذا كان ذلك لا يزال ممكناً".

47
الخيانة

قبَّلتها.

زلقَـــت ذراعيها خلف رقبتي وبرقّة ضغطت بإحدى يديها على رأســـي. لم يعد لدي أدنى شك بخصوص ما كان يجري بيننا. وعندما أفلتـــتني ورأيت عينيها نصف المغمضتين، أدركت أنه لم يعد لديها أي شك، أيضاً.

"دينـــيس". قبَّلـــتها مجدداً. تلامس لسانانا برقة ثم اشتدت قبلتها فجـــأة قبل أن تبعد شفتيها وتقول: "هذا يكفي. سيُقبَض علينا لأننا في وضع غير محتشم، أو شيء من هذا القبيل".

كان ذلك في 18 كانون الثاني، وكنا جالسين في سيارتي الدستر في باحـــة إيقاف السيارات خلف مطعم كنتاكي فرايد تشيكين، *وبقايا الدجاجـــة متناثـــرة حولنا*. ووجودنا في سيارتي كان يمثل حدثاً هاماً بالنسبة إليّ، لأنها كانت المرة الأولى التي أقود فيها السيارة منذ الحادثة. لقـــد نـــزع الطبيب جبيرة ساقي اليسرى في صباح ذلك اليوم ووضع مكانهـــا مشدّاً. ومع أن تحذيره بعدم استعمالها كان صارماً، إلا أنني شـــعرت برضاه عن حالتي عموماً. لقد تعافيت قبل شهر من الموعد المفتـــرَض، وقد عزا الطبيب ذلك إلى التقنية المتفوقة، في حين عزته أمـــي إلى حساء الدجاج، أما المدرب بافر فقد عزاه إلى شراب ثمار rosehip.

أمـــا أنا فقد كنت أعتقد أن الكثير من الفضل في تعافيّ كان يعود للي كابوت.

قالت: "يجب أن نتحدث".

"لا، دعينا نداعب بعضنا قليلاً".

"نتحدث الآن ونداعب بعضنا لاحقاً".

"هل بدأ مجدداً؟".

أومأت برأسها دلالة على الإيجاب.

خلال الأسبوعين اللذين تبعا محادثتي التلفونية مع جورج ليبـــي، أول أســـبوعين من الفصل الشتوي، كان آرني يحاول التقرّب من لي – وكانت محاولاته تلك حادة لدرجة أنها أخافت كلينا. كنت قد أخبرتها بحديثـــي مع جورج ليبـــي (لكنني، كما قلت سابقاً، لم أخبرها شيئاً

حول تلك التوصيلة المرعبة ليلة رأس السنة) وأوضحت لها ضرورة عدم قطع علاقتها به مهما كانت الأسباب، لأن ذلك يمكن أن يثير غضبه. وفي تلـــك الأيام، عندما كان آرني يغضب من شخص ما، فإن أشياء فظيعة تحدث لهذا الشخص.

"هذا يجعل الأمر يبدو وكأننا نخونه".

"أعرف، وأنا لا أحب ذلك، لكنني لا أريد لتلك السيارة أن تسير من جديد".

"إذاً؟".

هززت رأسي.

في الحقيقة، كنت قد بدأت أشعر أنني أشبه الأمير هاملت، أؤجل وأؤجل. كنت أعرف ما ينبغي فعله بالطبع، أي تدمير كريستين. وقد فكّرنا أنا ولي في بعض الطرائق لتنفيذ ذلك.

الفكرة الأولى كانت فكرة لي، وهي زجاجات مولوتوف. قالت لي إننا سنملأ بعض زجاجات الشراب الفرنسي بالبنـــزين ونأخذها إلى منـــزل كانينغهام في ساعات الصباح الأولى ثم نشعل الفتائل، (سألتها: "فـــتائل؟ أي فـــتائل؟" فقالت: "الكوتكس ستفي بالغرض")، ثم نلقي الزجاجات عبر نوافذ كريستين.

"ومـــاذا لـــو كانـــت النوافذ مغلقة والأبواب موصدة؟ وهذا ما سيكون على الأرجح، كما تعلمين".

نظرت إلي وكأنها كانت تنظر إلى شخص غبـــي كلياً، ثم قالت: "هـــل تقـــول إن إحـــراق سيارة آرني أمر مقبول، لكنك تملك بعض الاعتبارات الأخلاقية بخصوص كسر بعض النوافذ؟".

"لا، ولكن من سيقترب من كريستين إلى الحد الكافي كي يكسر الزجاج بمطرقة؟ أنت؟".

نظـــرت إلي وهــــي تعض على شفتها السفلى من دون أن تقول شيئاً.

والفكرة التالية كانت فكرتي: الديناميت.

فكّرت لي فيها ثم هزّت رأسها رافضةً.

"أعتقد أن بوسعي الحصول عليه من دون كثير من العناء". كنت أرى بـــراد جيفريز بين الحين والآخر، وبراد كان لا يزال يعمل لصالح وزارة المواصـــلات في بنـــسلفانيا، وهـــذه الأخيرة تملك ما يكفي من الدينامـــيت لوضع ملعب ثري ريفرز ستاديوم على القمر. اعتقدت أن بإمكـــاني استعارة المفتاح الصحيح من دون أن يعلم براد أنني استعرته، لأنه يثمل دائماً عندما يشاهد فريق البينغوينـــز يلعبون على التلفزيون. أســـتعير مفـــتاح كـــوخ المتفجرات خلال الشوط الثالث من إحدى المباريات ثم أعيده إلى الحلقة في الشوط الثالث من مباراة أخرى. وكان احـــتمال أن يحتاج براد إلى المتفجرات في كانون الثاني ضئيلاً بالفعل. صـــحيح أن ذلـــك كـــان خداعاً، خيانة أخرى، لكنها كانت طريقة لتحقيق مرادنا.

قالت: "لا".

"لماذا؟".

"لأن آرني يبقيها في الطريق الفرعي المؤدي إلى منـــزله الآن. هل تـــريد حقاً أن تنثر الشظايا في أنحاء ضاحية سكنية؟ وتخاطر بقطع رأس أحد الأطفال؟".

جفلت. في الواقع، لم أفكر في ذلك، لكنها عندما ذكرت الأمر، أصـــبحت الصورة واضحة بما يكفي، ومخيفة أيضاً. ولكن، مع ذلك، تشبثت بالفكرة لأطول فترة ممكنة.

"ماذا لو قمنا بذلك في الليل؟".

"لا تـــزال خطرة جداً. وأنت تعلم ذلك أيضاً. هذا واضح على وجهك".

صمتنا لفترة طويلة، طويلة جداً، ثم قالت لي أخيراً: "ماذا عن آلة سحق السيارات في مرأب دارنل؟".

"نفس العقبة السابقة. من سيقودها إلى هناك؟ أنت، أنا، أم آرني؟".

وبقيت الأمور عند هذا الحد.

"ماذا حصل اليوم؟".

"يـــريد أن أخرج معه الليلة، للعب البولينغ هذه المرة". في الأيام الـــسابقة كـــان يـــتذرع بالسينما أو العشاء أو مشاهدة التلفزيون في منـــزله، أو الدراسة. وكانت كريستين موجودة دائماً كوسيلة للتنقل. "لقد أصبح سمجاً في إصراره، والأعذار نفذت مني. إذا كنا سنفعل شيئاً ما، فعلينا أن نفعله بسرعة".

أومأت برأسي موافقاً. في الحقيقة، كان إخفاقنا في إيجاد الطريقة المناســبة أحـــد العوائق، وساقي كانت عائقاً آخر. فبالرغم من إزالة الجبيرة إلا أنني كنت لا أزال أستخدم العكازين، طبقاً لتعليمات الطبيب الـــصارمة. صـــحيح أنني اختبرت ساقي ذات مرة من دونهما، إلا أنني أحســـست بالألم - مع أنه لم يكن شديداً بقدر ما كنت أخاف. لكن العائق الأهم كان نحن، أنا ولي. إن الحب يبطئ زمن ردّ الفعل عند المرء ويـــسكت إحـــساسه بالخطر. فعلى سبيل المثال، كان قد مضى على حديثي مع جورج ليبـــي اثني عشر يوماً فقط، لكنني عندما كنت أفكر في الأشـــياء الـــتي قلتها له - والأسوأ من ذلك، الأشياء التي ألمح هو إليها - لم أعد أشعر بذلك الخوف الذي شعرت به حينئذ.

والشيء نفسه ينطبق على المرات القليلة التي تحدثت فيها مع آرني أو رأيته في ممرات المدرسة. بطريقة ما بدا لي أننا عدنا إلى شهري أيلول

وتـــشرين الأول عندما ابتعدنا عن بعضنا بسبب انشغال آرني. وعندما تحدثنا، كان آرني مسروراً بوضوح، بالرغم من برودة عينيه الرماديتين. كـــنت أنتظر اتصالاً من ريجينا الباكية أو مايكل الحزين يخبرانني فيه أن آرني تخلى عن فكرة الجامعة في الخريف نهائياً.

لكـــن ذلـــك لم يحـــصل. وقد سمعت من موتورماوث نفسه – موجِّهـــنا التربوي – أن آرني أخذ إلى منـــزله الكثير من الأوراق التي تحـــوي معلـــومات عـــن جامعة بنسلفانيا، وجامعة درو، وجامعة بين ســـتيت. وتلـــك الجامعات كانت هي نفس الجامعات التي كانت لي مهتمة بها. كنت أعرف ذلك، وكذلك آرني.

قبل يومين سمعت بالصدفة أمي وإيلين تتحدثان في المطبخ.

"لمـــاذا لم يعـــد آرني يـــأتي إلى منـــزلنا، ماما؟ هل تشاجر هو ودينيس؟".

"لا، حبيبتي. لا أظن ذلك. ولكن، عندما يكبر الأصدقاء... إنهم يفترقون في بعض الأحيان".

قالت إيلين باقتناع وثقة فتاة في الخامسة عشرة من عمرها: "هذا لن يحصل معي أبداً".

جلـــست في الغـــرفة الأخرى أتساءل ما إذا كان ذلك صحيحاً. مجرد فجوة تكبر بين صديقي طفولة. أو ما إذا كان مكوثي الطويل في المستـــشفى – كما ألمح إلى ذلك جورج ليبـــي – جعلني أتوهَّم بعض الأشياء. وجدت بعض المنطق في هذا التفسير، بما في ذلك تركيزي على كريستين، الإسفين الذي انغرز بيني وبين آرني.

ومـــع أن هـــذا التفسير كان يتجاهل الحقائق المادية، إلا أنه كان يـــبعث على الراحة. إذ إن تصديقي لهذا الشيء سيسمح لنا، أنا ولي، بمـــتابعة حياتينا الطبيعيتين – بالانخراط في الأنشطة المدرسية، والدراسة

باجتهاد أكبر استعداداً للاختبارات في آذار، وبالطبع، لمداعبة بعضنا حالما يغادر والداها أو والداي الغرفة.

تلك الأشياء كانت تريحني... تريحنا معاً. كنا حذرين - في الواقع، حذرين جداً، وكأننا كنا بالغين وليس مجرد مراهقين - لكن الجبيرة لم تعد موجودة الآن، وأصبح بإمكاني استخدام مفاتيح الدستر بدلاً من الاكتفاء بالنظر إليها. وهكذا قررت أن أتصل بها وأطلب منها الذهاب معي إلى مطعم كنتاكي تشيكين، وقد سُرَّت كثيراً لذلك.

لربما أصبحتم الآن تعرفون كيف تضاءل اهتمامنا، وكيف أصبحنا أقل حذراً. وهكذا جلسنا في سيارتي في باحة إيقاف السيارات خلف المطعم، مع إبقاء المحرك شغالاً كي نحظى ببعض الدفء، وتحدثنا حول كيفية وضع حد لتلك السيارة المتوحشة بالغة الذكاء، مثل طفلين يلعبان لعبة رعاة البقر.

من دون أن نلاحظ متى وقفت كريستين خلفنا.

قلت: "إنه يحاول الآن فرض حصار طويل، إذا كان هذا ما يتطلبه الأمر".

"ماذا؟".

"الجامعات التي تقدّم لها. ألم تنتبهي لذلك؟".

"لا أعتقد".

"إنها نفس الجامعات التي تريدينها أنت".

نظرت إلي باستغراب من دون أن تقول أي شيء. حاولت الابتسام لكنها لم تستطع.

"حسناً، لنفكر في الأمر مرة أخرى. زجاجات المولوتوف استثنيناها، والديناميت خطر. ولكن، إذا -".

أوقفـــتني شـــهقة لي المفاجئة ومن ثم تعبير الرعب على وجهها. كانت عيناها جاحظتين وفمها مفتوحاً وهي تنظر إلى الخارج من خلال الــزجاج الأمامـــي. التفتُّ ونظرت إلى ذلك الاتجاه وما رأيته جعلني أتجمد في مكاني أيضاً.

كان آرني واقفاً أمام سيارتي.

لقد ركن سيارته خلفنا ودخل المطعم ليجلب دجاجته ولم يتمكن مـــن معرفة سيارتي. ولماذا يجب أن يعرف؟ فالمكان كان مظلماً تقريباً وســـيارتي الدستر كانت ملطخة بالطين بحيث إنها كانت تبدو مثل أي سيارة أخرى. لقد دخل المطعم وأخذ دجاجته وخرج... وها هو يقف أمامـــنا ويحـــدِّق إلينا من خلال الزجاج الأمامي. كنا جالسين بجانب بعـــضنا وكل منا يضع ذراعه حول كتف الآخر. مصادفة بحتة، أليس كـــذلك؟ غير أن جزءاً من عقلي ما زال حتى الآن مقتنعاً أن كريستين هي التي قادته إلى ذلك المكان.

انــــزلق الكـــيس المخطط بالأبيض والأحمر، المرسوم عليه وجه الكولونيل المبتسم، من يده وسقط على الثلج المرصوص.

قالت لي بصوت هامس: "دينيس، دينيس، أوه يا الله".

ثم بـــدأ يعدو. التوى فمه وأصبح يبدو مثل فم حيوان يزمجر من الغضب - لقد رأيت هذا التعبير من قبل، ولكن ليس على وجهه، بل على وجه ليبـــي. اعتقدت أنه قادم نحوي يريد تحطيم جسدي. لكنه لم يـــتوقف عـــند سيارتي بل استمر بالعدو وتجاوزني. التفتُّ إلى الوراء، وعندئذ رأيت كريستين.

فتحت باب السيارة، وبدأت أجاهد للخروج، ممسكاً بحافة سقف السيارة.

صرخت لي: "دينيس، لا!".

وقفـــت على قدميَّ في اللحظة التي فتح فيها آرني باب كريستين، ثم صرخت: "آرني! هيي!".

التفت نحوي بعنف ونظر إلي. كان الشرر يتطاير من عينيه وكان اللعـــاب ينساب من إحدى زاويتي فمه. وبدا لي أيضاً أن شبكة قضبان مبرِّد كريستين كانت مثل فم يزمجر أيضاً.

رفـــع قبضتيه في الهواء ولوَّح بهما أمامي ثم صرخ بصوت مدوٍّ: "أيهـــا المـــتغوط! خـــذها! إنك تستحقها! إنها زبالة! كلاكما زبالة! استمتعا معاً! ولكن ليس لوقت طويل!".

التـــصق الـــناس بالنوافذ السميكة لمطعم كنتاكي فرايد تشيكين ومطعم كاولوون المجاور لرؤية ما يجري.

"آرني، دعنا نتحدث يا رجل -".

دخل سيارته وأغلق الباب بقوة. هدر محرك كريستين واشتعلت مـــصابيحها الأمامـــية، تذكرت العينين البيضاوين الكبيرتين اللتين رأيتهما في الحلم. ومن خلف الزجاج، رأيت وجه آرني المريع، وجه متعب من الخطيئة. ذلك الوجه، الحاقد والمسكون، عاش في أحلامي منذ ذلك الحين. وبعد ذلك اختفى ذلك الوجه ليحل مكانه جمجمة مبتسمة.

التفتت لي إلى الوراء لتنظر وأطلقت صرخة رعب مدوية، فعرفت أن ما رأيته لم يكن من اختلاق مخيلتي لأنها رأت ذلك أيضاً.

انطلقت كريستين إلى الأمام مزوبعة الثلج وراء إطاريها الخلفيين. لم تـــتجه نحـــو سيارتي بل نحوي أنا. أعتقد أنه كان ينوي سحقي بين ســـيارته وسيارتي. لكن ساقي المعطوبة هي التي أنقذتني، لأنها ترنحت تحت وطأة ثقلي فسقطت داخل السيارة، واصطدم وركي الأيمن بالمقود مصيباً الزمور.

لفحـــت وجهي موجة ريح باردة مع مرور كريستين بمحاذاتي، علـــى بعـــد ثلاث أقدام فقط مني. عبرت طريق إنديانا وهي تزمجر ثم انعطفت، من دون إبطاء سرعتها، نحو شارع جون كنيدي. ثم اختفت عن الأنظار.

كانـــت لي تبكـــي. جذبت ساقي اليسرى بكلتا يديّ وأغلقت الـــباب، ثم عانقـــتها. ضمَّتني بذراعيها بقوة وقالت وهي ترتجف من الذعر: "إنه... إنه ليس...".

"ششش، لي. هدِّئي من روعك. لا تفكري في الأمر".

"لم يكـــن آرني هو الذي يقود السيارة! كان شخصاً ميتاً! كان شخصاً ميتاً!".

"هـــذا هـــو ليبـــــي. إنه هو، لي. لقد قابلت للتو رونالد دي ليبـــي". أحسست في تلك اللحظة - بعد أن حصل ما حصل - بنوع مـــن الهدوء الغريب بدلاً من الإحساس بالرعب - أو بالذنب بسبب انكشاف علاقتي مع حبيبة أفضل صديق لي.

نظرت إلي والدموع تبلل خديها وقالت: "وماذا الآن، دينيس؟".

"الآن سنقضي عليها؟".

"كيف؟".

"إنـــه بحاجة إلى حجة غياب. ينبغي لنا أن نكون مستعدين عندما يغادر البلدة. المرأب. مرأب دارنل. سأحجزها هناك. سأحاول قتلها".

"دينيس، ما الذي تقوله؟".

"إنـــه سيغادر البلدة. ألا ترين ذلك؟ كل الأشخاص الذين قتلتهم كريـــستين، أصبحوا يشكلون طوقاً حول عنق آرني. إنه يعرف ذلك، ولهذا سيخرج آرني من البلدة مرة أخرى".

"تقصد ليبـــي؟".

هززت رأسي فارتعشت لي.

"يجب أن نقتلها".

"ولكن كيف؟ دينيس، رجاءً... كيف ستفعل ذلك؟".

وأخيراً أصبحت لدي فكرة.

48

الاستعدادات

أنـــزلت لي بجانب منـــزلها وطلبت منها أن تتصل بـــي إذا رأت كريستين تحوم حول المكان.

"وماذا ستفعل؟ ستأتي ومعك قاذفة لهب؟".

"بازوكا". وبدأنا نضحك بشكل هستيري.

صاحت لي: "فجِّر 58! فجِّر 58!" وضحكنا مرة أخرى. ولكن، بالـــرغم مـــن أننا كنا نضحك، إلا أننا كنا خائفيْن. وأنا كنت أشعر بالإشفاق على آرني -- مما رآه ومما فعلته - وأعتقد أن لي كانت تشعر ذات الشعور. ولكن، في بعض الأحيان لا بد أن تضحك. وإذا جاءت الضحكة فلا شيء يقف في طريقها.

وعندما هدأنا قليلاً، قالت لي: "إذاً، ماذا سأقول لأهلي؟ لا بد أن أخـــبرهما بشيء ما، دينيس. لا يمكنني أن أخاطر بتركهما يسيران على الطريق".

"لا شيء. لا تخبريهما بأي شيء نهائياً".

"ولكن -".

"أولاً، لأنهمـــا لن يصدقاك. وثانياً، لأنه لن يحدث أي شيء طالما آرني موجود في ليبرتيفيل. أراهن بحياتي على ذلك".

قالت هامسة: "إنك غبـــي".

"أعلم. حياتي وحياة أبـــي وأمي وأختي".

"وكيف ستعرف إذا غادر؟".

"سأهتم بهذا الأمر. أنت ستكونين مريضة غداً. ولن تذهبـــي إلى المدرسة".

"أنـــا مريـــضة مـــنذ الآن. دينيس، ما الذي سيحدث؟ ماذا تخطط؟".

"سأتصل بك لاحقاً هذه الليلة". ثم قبَّلتها وذهبت.

عـــندما وصـــلت إلى المنـــــزل، كانـــت إيلين ترتدي معطفها بانـــــزعاج وتتمـــتم بكلمات عدائية تجاه الأشخاص الذين يرسلون أشخاصاً آخرين لمتجر توم من أجل شراء الخبز والحليب حالما يبدأ فيلم *حمّى الرقص* على التلفزيون. وكانت مستعدة للتهجم علي أيضاً، لكنها ابتهجت عندما عرضت مرافقتها بسيارتي ذهاباً وإياباً - مع أنها رمقتني بنظـــرة متشككة، وكأن هذه اللطافة غير المتوقعة تجاه الأخت الصغرى كانـــت عرَضاً لمرض ما. سألتني إذا كنت على ما يرام، فابتسمت لها وقلت أن تركب في السيارة قبل أن أغير رأيي. صحيح أنني أخبرت لي أن كريستين لن تخرج إلى الطرقات طالما أن آرني موجود في ليبرتيفيل، وأعـــرف منطقـــياً أن ذلك صحيح... لكنني لم أستطع أن أترك إيلين تمـــشي لـــوحدها المسافة القريبة إلى متجر توم وتعبر الشوارع الجانبية المظلمـــة بمعطفها الأصفر اللامع. تخيّلت كريستين رابضة في ظلمة أحد تلك الشوارع، مثل ساقطة تنتظر فريستها.

وعندما وصلنا إلى المتجر أعطيتها دولاراً وقلت لها: "اجلبـــي لنا قطعتي كيك بالكريما وعلبتي كوكا".

"دينيس، هل أنت على ما يرام؟".

"أجل. وإذا وضعت الفكّة في لعبة الأستيرويدس تلك، فسأكسر ذراعك".

يبدو أن كلامي الأخير أراحها أخيراً، فتركتني ودخلت المتجر. وبقيت أنا في سيارتي أفكر في المأزق المريع الذي نحن فيه. لم يكن باستطاعتنا التحدث مع أحد، وهذا هو مكمن قوة كريستين. لكن الشيء الوحيد الذي كان في صالحنا – إلى جانب أن السيارة لم تكن لتتحرك قبل أن يمتلك آرني حجة غياب – هو أن كريستين لم تكن تريد أي شاهد – موتشي ويلش، دون فاندنبيرغ، وويل دارنل كانوا وحدهم حين قُتلوا، وبادي ريبرتون ورفيقاه قُتلوا في مكان بعيد.

عادت إيلين تحمل كيساً مشدوداً على صدرها المتفتح. دخلت السيارة وأعطتني قطعة كيك بالكريما وعلبة كوكا.

قلت لها: "الفكة".

قالت وهي تضع نحو عشرين سنتاً في يدي الممدودة: "إنك مريع".

"أعرف، لكنني أحبك مع ذلك". دفعت قبعة معطفها إلى الوراء وعبثت بشعرها ثم قبّلت خدّها. في البداية، نظرت إلي باستغراب وارتياب، لكنها ابتسمت بعد ذلك.

في المنزل، وبعد إلقاء التحية على أمي، سألتني عن حال ساقي فقلت لها إنها جيدة ثم صعدت إلى غرفتي في الطابق العلوي ومنها إلى خزانة الأدوية في الحمام. تناولت قرصي إسبيرين على الفور لأن ساقيّ كلتيهما كانتا تصرخان من الألم. وبعد ذلك، توجهت إلى غرفة نوم والديّ، حيث يوجد الهاتف الخاص بالطابق العلوي. جلست على كرسي أمي الهزاز ثم رفعت سماعة الهاتف وأجريت أولى اتصالاتي.

"دينـــيس جيلدر، جلاّد مشروع وصلة الطريق السريع المأجور".

أجـــاب براد جيفريز بسرور كبير: "سعدت لسماع صوتك أيها الفتى. متى ستزورني لنشاهد البينجونيز معاً مرة أخرى؟".

"لا أعـــرف. إنـــي أسأم من مشاهدة مجموعة من المعاقين يلعبون الهوكـــي بعـــد فتـــرة قصيرة. ولكن، إذا كنت مهتماً بفريق جيد مثل الفلايرز -".

"يا الله، هل أنا مضطر إلى سماع مثل هذا الكلام من فتىً ليس ابني حتى؟ إن العالم متجه نحو الجحيم فعلاً".

ثرثـــرنا بعد ذلك لفترة من الوقت، في موضوعات غير مهمة، ثم أخبرته بما اتصلت من أجله.

ضحك وقال: "اللعنة! أستقوم بالعمل لحسابك؟".

"بإمكانك قول هذا. لفترة محدودة".

"ألا تريد أن تتحدث حول الأمر؟".

"في الواقع، ليس الآن. هل تعرف شخصاً يمكن أن يملك مثل هذا الشيء للإيجار؟".

"سأخبرك دينيس. هناك شخص واحد فقط يمكن أن يتعامل معك مع أي شيء يشبه هذا. جوني بومبرتون. إنه يعيش في ريدج رود، وهو يملك من السيارات أكثر مما يملك كارتر من حبوب الكبد".

"حسناً. شكراً براد".

"كيف حال آرني؟".

"بخير كما أظن. إنني لم أعد أراه كثيراً هذه الأيام".

"إنه شاب ظريف، دينيس. عندما وقعت عيناي عليه لأول مرة لم أتخـــيل علـــى الإطلاق أنه يستطيع البقاء حتى نهاية الصيف. لكنه كان يملك عزيمة قوية للغاية".

"أجل. هذا صحيح بالفعل".

"سلِّم عليه عندما تراه".

"سأفعل ذلك براد".

"دينيس، مرَّ بـــي ذات ليلة وافتح معي بعض العلب".

"سأفعل. ليلة سعيدة".

"ليلة سعيدة".

أغلقـــت الهاتـــف وترددت لدقيقة أو دقيقتين بشأن إجراء الاتصال الـــثاني. غير أنه كان ضرورياً جداً بالنسبة إلى ما أنا مقدم عليه. لذا رفعت الـــسماعة مجـــدداً واتصلت بمنـــزل كانينغهام. إن ردّ آرني فسأغلق الخط على الفور، لكنني كنت محظوظاً، إذ إن مايكل هو الذي رفع السماعة.

"هلو؟" بدا صوته متعباً ومشوشاً.

"مايكل، هذا دينيس".

قال بسرور صادق: "هيي، أهلاً دينيس".

"آرني موجود؟".

"في الطابـــق العلوي. جاء إلى البيت من مكان ما وذهب مباشرة إلى غرفته. كان الغضب بادياً عليه، ولكن هذا ليس غير طبيعي في هذه الأيام. هل تريد أن أدعوه؟".

"لا. في الحقيقة أردت التحدث معك على كل حال. أحتاج إلى خدمة منك".

"بالتأكيد، ما هي؟ لقد صنعت معنا معروفاً عظيماً بالتحدث مع آرني بشأن الجامعة".

"مايكل، لا أعتقد أنه أصغى لكلمة واحدة مما قلته".

"حـــسناً، مـــن المـــؤكد أن *شيئاً ما* حدث. لقد تقدَّم إلى ثلاث جامعـــات هـــذا الشهر فقط. ريجينا تعتقد أنك تمشي على الماء. وبيني

وبينك، إنها تشعر بخجل شديد من طريقة معاملتها معك عندما أخبرنا عن سيارته لأول مرة. لكنك تعرف ريجينا، إنها غير قادرة على قول *أنا آسفة* أبداً".

كنت أعرف ذلك بالفعل. ولكن - تساءلت بيني وبين نفسي - مـــاذا ســـتقول ريجينا إذا علمت أن آرني - أو مهما كان ذلك الشيء الذي يسيطر عليه - لم يكن مهتماً على الإطلاق بالجامعة؟ وبأنه كان مهتماً فقط بملاحقة لي أينما توجهت؟

"مايكـــل، أود أن تتصل بـــي إذا قرر آرني مغادرة البلدة لأي ســـبب كان. وخاصة في اليوم أو اليومين القادمين، أو خلال عطلة نهاية الأسبوع. نهاراً أو ليلاً. إنني بحاجة إلى أن أعرف إذا كان آرني ســـيغادر ليبرتيفيل. وينبغي أن أعرف ذلك قبل مغادرته. إنه أمر في غاية الأهمية".

"لماذا؟".

"لا يمكنني إخبارك بشيء في الوقت الحالي. الأمر معقد، وهو... سيبدو... سيبدو جنونياً".

صـــمت مايكل لفترة طويلة جداً، وعندما تكلم من جديداً كان صوته أقرب إلى الهمس: "إنها سيارته اللعينة، أليس كذلك؟".

هـــل كان يشك في شيء ما؟ هل كان يعرف شيئاً ما؟ وإلى أي حد؟ إذا كان مثل جميع الأشخاص الذي أعرفهم، فإنه ربما كان يشتبه في أشـــياء بـــسيطة جـــداً. في الواقع، حتى في هذه اللحظة، لا أعرف بالتأكـــيد إلى أي حـــد، لكنني أعتقد أن ما كان يشتبه به كان يفوق الجميع - ربما باستثناء ويل دارنل.

"أجل. إنها السيارة".

"عرفت ذلك. عرفت. ما الذي يجري، دينيس؟ هل تعرف؟".

"مايكـــل، لا يمكـــنني أن أقول شيئاً الآن. هل ستخبرني إذا كان سيغادر البلدة غداً أو بعد غد؟".

"أجل. أجل سأفعل".

"شكراً".

"دينيس، هل تظن أنني سأستعيد ولدي مجدداً؟".

كـــان هـــذا الـــرجل المسكين يستحق الحقيقة. لذا قلت له: "لا أعـــرف" - عضضت على شفتي السفلى بقوة لدرجة آلمتني - "أعتقد أننا تأخرنا كثيراً".

قـــال بـــصوت شبه باكٍ: "دينيس، ما الأمر؟ مخدرات؟ نوع من المخدرات؟".

"ســـأخبرك عـــندما أستطيع. هذا كل ما يمكنني أن أعدك به. أنا آسف. سأخبرك عندما أستطيع".

كان التحدث مع جوني بومبرتون أسهل بكثير.

كـــان بومـــبرتون رجلاً حيوياً وثرثاراً. وأي مخاوف كانت لدي بخـــصوص رفـــضه التعامل مع ولد مثلي تبددت على الفور. بدا لي أن جـــوني بومـــبرتون مستعد لعقد صفقة مع النذل إذا كان يملك عرضاً جيداً.

ولم تكـــن لتـــبدأ اقتراحاً ما حتى يبادر جوني بالقول: "بالتأكيد، بالتأكـــيد". كانت لدي قصة تصلح كغطاء، لكنني لا أعتقد أنه حتى اســـتمع إليها، بل اكتفى بعرض سعر عليَّ - وكان سعراً مقبولاً جداً، كما تبيَّن لي لاحقاً.

"هذا يبدو مناسباً".

"بالتأكيد. متى ستأتي؟".

"ما رأيك بالتاسعة والنصف غداً صب -".

"بالتأكيد. أراك حينئذ".

"سؤال آخر سيد بومبرتون".

"بالتأكيد، ولتناديني بجوني".

"حسناً، جوني. ماذا عن ناقل سرعات أوتوماتيكي؟".

ضـــحك جوني من أعماق أعماقه - لدرجة أنني أبعدت السماعة عن أذني قليلاً. وكانت تلك الضحكة جواباً كافياً.

"علـــى واحـــدة من هذه السيارات. لا بد أنك تمزح. لماذا؟ ألا يمكنك القيادة بناقل سرعات عادي؟".

"أجل، هذا ما تعلّمت عليه".

"بالتأكيد! إذاً ليست هناك أي مشاكل، صحيح؟".

"لا أعتقد ذلك". كنت أفكر في ساقي اليسرى التي ستضغط على الدبرياج. لقد تألمت كثيراً هذه الليلة بسبب ذلك. تمنيت أن ينتظر آرني بضعة أيام قبل القيام برحلته إلى خارج البلدة، لكنني لم أكن أظن ذلك.

"حسناً، ليلة سعيدة سيد بومبرتون. أراك غداً".

"بالتأكـــيد. شكراً على اتصالك أيها الفتى. لدي واحدة في ذهني خصيصاً من أجلك. ستعجبك. وإذا لم تبدأ بمناداتي بجوني، فسأضاعف السعر".

"بالتأكيد". ثم أغلقت الخط على ضحكته.

وبعد ذلك أجريت اتصالي الاستعدادي الأخير. كان هناك أربعة أشخاص يحملون الاسم سايكس في الدليل، لكنني وجدت ما أريد في محاولتي الثانية، وجيمي سايكس هو الذي أجابني. قدّمت نفسي له على أنني صديق آرني كانينغهام فأشرق صوت جيمي. كان يحب آرني لأنه لم يكـــن يزعجه أو يضربه كما كان يفعل ريبرتون عندما كان يعمل

لـــدى ويل دارنل. سألني عن أحوال آرني، فكذبت مجدداً وأخبرته أنه بخير.

"يا الله، هذا جيد. لقد زج نفسه في ورطة هناك. كنت أعرف أن الألعاب النارية والدخان غير جيدة بالنسبة إليه".

"إنـــني أتصل من أجل آرني. هل تذكر عندما اعتُقل ويل وأغلقوا المرأب، جيمي؟".

"طبعاً. لقد مات ويل المسكين الآن وأنا بلا عمل. تقول أمي لي دائماً إنه ينبغي لي الذهاب إلى مدرسة صناعية، لكنني لا أصلح لذلك. أعـــتقد أنـــني سأعمل كحارس مبنى، أو شيئاً كهذا. عمي فريد يعمل كحـــارس في الجامعة، وهو يقول إنه هناك شاغر، لأن الحارس الآخر اختفى، و-".

قاطعـــته قـــائلاً: "يقول آرني إنه فقد حقيبة أدواته عندما أغلقوا المرأب. كانت موجودة خلف تلك الإطارات القديمة، كما تعلم، فوق الرفوف العليا. لقد وضعها هناك حتى لا يسرقها أحد".

"هل ما زالت هناك؟".

"أظن ذلك".

"يا له من شيء مزعج".

"بالفعل. تلك المجموعة تساوي مائة دولار".

"يـــا الله. أراهـــن أنها لم تعد موجودة الآن. أراهن أن الشرطة أخذتها".

"يعتقد آرني أنها ربما لا تزال موجودة هناك. ولكن، لا يُفترَض به الاقتراب من ذلك المكان بسبب المشكلة التي وقع فيها".

"أوه، اللعنة. حسناً، اسمع. سأذهب إلى هناك من أجلكما. أجل. غداً صباحاً، أول شيء سأفعله. ما زلت أملك مفاتيحي".

هـــناك تنفّست الصعداء، فأنا لم أكن أريد مجموعة أدوات آرني الأسطورية، بل مفاتيح جيمي بالذات.

"أود أن أجلبها أنا، جيمي، هذا ما أريده. كمفاجأة. وأنا أعرف تماماً أين وضعها. قد تبحث هناك اليوم بأكمله ولا تجدها".

"أوه، صـــحيح. لم أكن بارعاً أبداً في إيجاد الأشياء، هذا ما كان يقوله دارنل دائماً. كان يقول إنني لا أستطيع إيجاد مؤخرتي بكلتا يديّ بينما أملك مصباحاً كشافاً".

"أوه، كـــان يثـــبط همّتك فقط. لكنني حقاً أود أن أقوم بذلك بنفسي".

"حسناً، موافق".

"فكّرت بالمرور بك غداً واستعارة مفاتيحك. بإمكاني جلب تلك الحقيبة وإعادة المفاتيح قبل حلول الظلام".

"يا الله، لا أعرف. قال ويل ألا أعير مفاتيحي أبداً".

"بالتأكـــيد، هذا كان في السابق، لكن المرأب فارغ الآن إلا من حقيـــبة أدوات آرني وبعض السيارات التالفة في الخلف. والمكان كله ســـيُعرَض للبيع قريباً جداً، بكل ما فيه. وإذا أخذها بعد ذلك، فيكون ذلك مثل السرقة".

"أوه! حسناً، أعتقد أنني موافق. إذا أعدت مفاتيحي". ثم قال شيئاً مؤثراً بحق: "إنه الشيء الوحيد الذي يذكّرني بويل".

"هذا وعد".

"حسناً. إذا كان ذلك من أجل آرني، فأنا موافق".

وقـــبل أن أتـــوجه إلى ســـريري للنوم - في الطابق السفلي هذه المرة - أجريت اتصالي الأخير مع لي النعسانة.

"في إحـــدى اللـــيالي القليلة القادمة سننتهي من الأمر. هل أنت مستعدة؟".

"أجل. أعتقد ذلك. ما هي خطتك، دينيس؟".

أخبرها بكل شيء، خطوة بخطوة، معتقداً أنها ستكشف لي عشر ثغرات في فكرتي، لكنها اكتفت بالقول: "وماذا لو لم تنجح؟".

"سأبقيك بعيداً عن الأمر إن استطعت. لكن ليبـــي سيتوقع فخاً ما، لذا ينبغي أن يكون الطعم جيداً".

"لـــن أدعك تبقيني خارجاً. هذا يخصني أيضاً. لقد أحببته. أحببته فعـــلاً. وعـــندما تحب شخصاً ما، لا أعتقد أنك تتخطاه بسهولة. هل تستطيع أنت، دينيس؟".

فكّرت في كل تلك السنوات. في مواسم الصيف التي أمضيناها في القـــراءة والـــسباحة وممارســـة الألعاب المختلفة، مونوبولي، سكرابل، والدامة الصينية. في مزارع النمل. في المرات التي حميته فيها من الأولاد الآخرين.

"لا. لا أظـــن ذلك. لقد أحببته أيضاً. وربما لم يفت الأوان بعد، حـــتى الآن". ثم دعـــوت الله في داخلي: يا *الله، أرجوك ساعدني على حماية آربي، هذه المرة فقط*.

"إنني لا أكرهه، بل ذلك الرجل، ليبـــي... هل رأينا ذلك الشيء فعلاً هذا اليوم، دينيس؟ في تلك السيارة؟".

"أجل. أعتقد ذلك".

"هو وتلك الساقطة كريستين. هل سيكون ذلك قريباً؟".

"قريباً، أجل. أعتقد ذلك".

"حسناً، أحبك دينيس".

"أحبك أيضاً".

وكمـــا تبـــيّن، لقد انتهى الأمر في اليوم التالي - الجمعة، التاسع عشر من كانون الثاني.

49

آرني

بـــدأت ذلـــك اليوم المريع الطويل بالذهاب إلى منـــزل جيمي سايكس بسيارتي. كنت أتوقع بعض العرقلة من والدة جيمي، ولكن لم يحصل شيء من هذا، لحسن الحظ - كانت قدراتها العقلية أضعف من قـــدرات ابـــنها، كمـــا تبيّن لي. دعتني لتناول اللحم مع البيض لكنني اعتذرت منها بلطف. وأخذت مني عكازي بينما كان جيمي يبحث في غرفته عن حلقة مفاتيحه. تبادلنا أنا والسيدة سايكس - وكانت تقريباً بحجـــم جبل إتنا - الأحاديث لوقت بدا طويلاً جداً لدرجة أنني بدأت أخـــشى أن يكون جيمي قد أضاع المفاتيح في مكان ما، وبذلك تضيع فرصتي لتنفيذ خطتي حتى قبل أن تبدأ.

عـــاد جيمـــي أخيراً وقال وهو يهز برأسه: "لم أستطع إيجادها. يا الله. لا بد أنني أضعتها في مكان ما. يا له من أمر مزعج".

قالت السيدة سايكس بعملانية: "هل بحثت في جيوبك، جيم؟".

ارتـــسمت ملامح الاستغراب على وجه جيمي. مدّ يده في أحد جـــيوب سرواله الأخضر الخاص بالعمل ثم أخرج مجموعة من المفاتيح وهو يبتسم بخجل.

"ها هي أيها اللعينان".

"انتبه إلى كلماتك أيها الشاب. أرِ دينيس أي مفتاح يفتح الباب وأبقِ كلماتك القذرة في رأسك".

في النهاية، أعطاني جيمي ثلاثة مفاتيح لأنه لم يستطع معرفة أيها كان يفتح الباب الرئيس. كان أحدها يفتح البوابة الرئيسة، والثاني يفتح الباب الخلفي، والثالث يفتح باب مكتب ويل دارنل.

"شكراً. سأعيدها لك بأسرع وقت ممكن، جيمي".

"عظيم. بلّغ آرني تحياتي عندما تراه".

"سأفعل حتماً".

قالت السيدة سايكس: "هل أنت متأكد أنك لا تريد البيض واللحم، دينيس؟ يوجد الكثير".

"شكراً. ينبغي لي الذهاب بسرعة". كانت الساعة قد بلغت الثامنة والربع. والمدرسة تبدأ في التاسعة. وآرني يصل عادةً نحو التاسعة إلا ربعاً - أخبرتني لي بذلك. كان لدي الوقت الكافي للوصول قبله. وضعت العكازين تحتي ووقفت على قدميّ.

"ساعده جيم. لا تبقَ واقفاً هكذا".

حاولت الاعتراض لكنها قاطعتني قائلة: "لا أريدك أن تسقط وأنت تصعد إلى سيارتك، دينيس. قد تكسر ساقك مرة أخرى". وضحكت بصوت عالٍ، في حين أمسك بي جيمي المطيع وأخذني إلى السيارة.

كانت السماء في ذلك اليوم رمادية ومكفهرة، وقد توقعت الأرصاد عبر الراديو مزيداً من الثلج بحلول أواخر بعد الظهر. وصلت إلى المدرسة وسلكت الطريق المؤدي إلى باحة إيقاف سيارات الطلاب، ثم ركنت السيارة في الصف الأمامي. لم أكن بحاجة إلى لي كي تخبرني أن آرني يركن السيارة في العادة في الصف الخلفي. كان يجب علي أن أراه. كان يجب علي أن أنثر الطعم أمام أنفه، لكنني كنت أريده بعيداً

قـــدر المستطاع عن كريستين عندما سأقتلها. عندما يكون بعيداً عنها، تصبح سيطرة ليبـــي عليه أضعف.

جلست في السيارة ونظرت إلى ملعب كرة القدم. بدا لي أنني لم أتبادل الساندويشات مع آرني على مقاعده ذات يوم، وبأنني أنا نفسي لم أركض وأقفز فوق عشبه، مرتدياً الحشوات الواقية والسروال الضيق، وواضـــعاً الخـــوذة، وكلي قناعة أنني منيع جسمانياً... وبأنني غير قابل للكسر.

كان الطلاب يأتون ويركنون سياراتهم ثم يتوجهون إلى المبنى وهم يثرثرون ويضحكون ويمرحون. انخفضت أكثر في مقعدي كي لا يراني أحد. توقفت حافلة بجانب الأبواب ونـــزل منها مجموعة من الأولاد. كانـــت هناك مجموعة صغيرة من الشبان والشابات متجمعين في منطقة الـــتدخين، حيث تهجّم بادي ريبرتون على آرني ذات يوم في الخريف الماضي. بدا لي ذلك اليوم بعيداً جداً في تلك اللحظة.

كـــان قلبـــــي يخفق بشدة وكنت متوتراً إلى أبعد الحدود. جزء جبان مني تمنّى في تلك اللحظة ألا يأتي آرني أبداً، فإذا بـــي أرى سيارة مألـــوفة حمراء وبيضاء تأتي من شارع المدرسة وتسلك الطريق الخاص بالطلاب. كان آرني وراء المقود مرتدياً سترة المدرسة. توجّه نحو المكان المعتاد في الجزء الخلفي من الباحة وركن السيارة.

فـــتحت بـــاب السيارة وأخرجت عكازي ثم حمَّلت ثقلي عليهما ووقفت على قدمي فوق الثلج المرصوص. قُرع الجرس الأول في المدرسة – لم يكن آرني يتأخر إلى هذا الحد في العادة. اعتادت أمي أن تقول إن آرني كان دقيقاً في مواعيده لدرجة مزعجة. لعل ليبـــي لم يكن كذلك.

مـــشى باتجاهي، حاملاً كتبه تحت ذراعه. كان ينظر إلى الأرض، ويمـــشي بين السيارات بشكل متعرج. اختفى عن نظري لفترة وجيزة

بينما كان يمشي خلف سيارة فان، ثم عاد إلى مجال الرؤية مجدداً، ورفع رأسه ونظر إلى عيني مباشرة.

اتسعت عيناه واستدار على الفور نحو كريستين.

"هل تشعر أنك عارٍ عندما لا تكون خلف المقود؟".

الـــتفت ونظر إلي، والتوت شفتاه قليلاً نحو الأسفل وكأنه تذوَّق للتو شيئاً ذا طعم غير مستساغ.

"كيف حالك دينيس؟".

مشيت خطوتين بعكازيَّ نحو المكان الذي كان يقف فيه.

"هـــل كـــنت تشعر بالسعادة عندما كان ريبرتون يدعوك وجه القـــذارة؟ هـــل كان ذلك يعجبك إلى درجة أنك تريد الآن استخدام نفس الأسلوب مع شخص آخر؟".

أحســـست أن شـــيئاً مـــا أجفل فيه - ربما عيناه فقط - لكن الابتسامة المحتقرة الحذرة ظلت مرسومة على شفتيه. كان الطقس شديد الـــبرودة في الخـــارج، وأنـــا لم أضع قفازي، فبدأت يداي الممسكتان بعـــوارض العكـــازين تتخدران. وكان البخار يتصاعد مع كل نفَس نـــزفره.

"أو ما رأيك في الصف الخامس عندما كان تومي ديكينجر يدعوك رائحـــة كريحة؟" لم يكن الغضب منه جزءاً من الخطة، لكنه خرج مني بـــشكل عفـــوي. "هل كنت تحب ذلك؟ وهل تذكر عندما كان لاد سمـــيث مـــسؤولاً عـــن الدورية في الكشّافة وهجّم عليك في الشارع وكيف أخذتُ أنا قبّعته وحشرتها داخل سرواله؟ أين كنت، آرني؟ هذا الرجل، ليبـــي، جاء مؤخراً. أما أنا فكنت هنا معك على الدوام".

أجفـــل مـــرة أخرى - هذه المرة كان ينظر إلي بشكل مائل - وبـــدأت الابتـــسامة المحتقرة المرسومة على شفتيه تفقد ثقتها، في حين

كانـــت عيناه تبحثان عن كريستين، كما يمكن أن تبحث عيونكم عن شخص عزيز في مركز توقف حافلات مزدحم.

"هـــل أنـــت بحاجة إليها إلى هذه الدرجة؟ يا رجل، إنه مهووس حتى العظم، أليس كذلك؟".

قـــال آرني بصوت أجش: "لا أعرف ما الذي تتحدث عنه. لقد ســـرقت فـــتاتي. ولا شيء سيغيِّر هذا. لقد لعبت من وراء ظهري... خدعتني... أنت لست سوى متغوط، مثل البقية". كان ينظر إلي الآن، وكانـــت عيـــناه تقدحان شرراً من شدة الغضب. "كنت أعتقد أنني أســـتطيع الوثوق بك، ولكن تبيَّن أنك أسوأ من ريبرتون أو أي واحد مـــنهم!" خطـــا خطوة نحوي وصرخ بأعلى صوته: "لقد سرقتها، أيها المتغوط!".

خطـــوت خطوة أخرى بدوري - كنا أشبه براعيي بقر يحملان مسدسين ويقتربان من بعضهما.

"لا يمكنك أن تسرق شيئاً تخلى عنه شخص آخر".

"ما الذي تتحدث عنه؟".

"أتحـــدث عـــن اللـــيلة التي اختنقت فيها في سيارتك. الليلة التي حاولت فيها كريستين قتلها. قلت لها إنك لا تحتاج إليها. قلت لها أن تغرب عنك".

"لم أفعل ذلك أبداً! هذا كذب! هذا كذب لعين!".

"من الذي أتحدث معه الآن؟".

"لا علاقـــة لك بمن تتحدث معه! هذه ليست سوى كذبة قذرة! ولا أتوقع أكثر من ذلك من ساقطة!".

خطوة أخرى إلى الأمام.

"عندما وقّعت اسمك، إنه لم يعد يبدو مثل توقيعك، آرني".

"اخرس، دينيس".

"يقول والدك إن الأمر يشبه وجود شخص غريب في المنـــزل".

"إنني أحذرك يا رجل".

"ولمـــاذا تـــزعج نفسك؟ إنني أعرف ما الذي سيحصل. ريبرتون ودارنـــل وكل الآخرين. لأنك لم تعد آرني أبداً. هل أنت موجود هنا، ليبـــــي؟ اخــــرج ودعني أراك. لقد رأيتك من قبل. رأيتك ليلة رأس السنة. ورأيتك البارحة بجانب المطعم. أنا أعرف أنك موجود هنا، لمَ لا تكف عن اللعب وتُظهر نفسك؟".

وهـــذا ما فعله بالفعل... ولكن على وجه آرني هذه المرة. وكان هـــذا أكثر رعباً من كل الجماجم والهياكل العظمية التي يمكن أن تخطر بـــبال مؤلفي مجلات الرعب الكاريكاتورية المصورة. وعادت ابتسامة الاحتقار لترتسم على وجهه من جديد.

اقترب مني أكثر، وبدأت المسافة بيننا تتقلص شيئاً فشيئاً. كانت هـــناك غـــشاوة على عينيه الساهمتين البعيدتين عن المنال، وكان تعبير الاحتقار مطبوعاً على وجهه مثل أثر واسمة حيوانات.

كـــان لـــدي الوقت للتفكير في الندبة الموجودة على باطن ذراع جـــورج ليبـــــي، الممتدة من المرفق إلى الرسغ. وكان بوسعي سماع صـــوت رونالـــد ليبـــي ذي الأربعة عشر عاماً يقول: *ابقَ بعيداً عن طريقـــي من الآن فصاعداً، يا صاحب الأنف المخاطي. ابقَ بعيداً عني، هل تسمع؟*

إنه ليبـــي الذي أواجهه الآن، وليس آرني. وهو ليس رجلاً يقبل الهزيمة بسهولة. إنه لا يقبل الهزيمة على الإطلاق.

"قاومه آرني. إنه يسيطر عليك منذ مدة طويلة جداً. قاومه، اقتله، أبقِه مي –".

مـــد قدمـــه وركل عكازي الأيمن من تحتي. ترنحت قليلاً محاولاً الحفـــاظ على توازني، وكدت أن أنجح لكنه عاجلني برفسة أخرى على العكاز الآخر فسقطت على الثلج المرصوص البارد. تقدّم خطوة أخرى ووقف فوقي، ثم قال: "لن يطول الأمر. سوف تحصل على ما تريد".

"أجل، صحيح. هل تذكر مزارع النمل، آرني؟ هل أنت موجود هـــنا في مكان ما؟ هذا الوغد العجوز لم يملك مزرعة نمل في حياته. إنه لم يملك صديقاً في حياته".

فجـــأة اختفـــى الهدوء القاسي، وتعكَّر وجهه - لا أعرف كلمة أخـــرى أصـــف بها حالة وجهه في ذلك الحين. كانت ملامح ليبـــي غاضـــبة لاضطراره إلى إخماد نوع من التمرد الداخلي، فإذا بوجه آرني المـــرهق والخجل والحزين يزيح وجه ليبـــي الكريه، ولكن ليس لفترة طـــويلة، إذ مـــا لبث أن ظهر ليبـــي مجدداً وأرجع قدمه إلى الوراء في محاولـــة لتوجيه رفسة إلى جسدي العاجز الممدد على الأرض. ثم ظهر آرني مرة أخرى، صديقي آرني، ورفع شعره المنسدل على جبهته بتلك الحـــركة المعـــتادة، وقال: "أوه، دينيس... دينيس... أنا آسف... أنا آسف جداً".

"لقد فات الآوان على الأسف يا رجل".

أمـــسكت بأحـــد العكازين ثم بالآخر وجذبت جسدي بشكل تدريجـــي مـــستنداً عليهما إلى أن تمكنت من الوقوف. كانت يداي في ذلـــك الحـــين قـــد أصبحتا مثل قطعتين من الخشب. لم يحاول آرني مـــساعدتي، بل ظل واقفاً مكانه - ظهره على سيارة الفان - ينظر إلي بعينين جاحظتين مصدومتين.

"دينـــيس، لا أســـتطيع. هذا يحصل رغماً عني. أحياناً أشعر أنني لست موجوداً. ساعدني دينيس. ساعدني".

"هل ليبـــي موجود معك؟".

"إنه دائماً معي. أوه يا الله، دائماً إلا عندما -".

"السيارة؟".

"عـــندما تذهب كريستين... إنه يذهب معها. إنه الوقت الوحيد الذي... الذي...".

صمت آرني فجأة وأدار وجهه جانباً ثم أخفض رأسه حتى لامس ذقـــنُه صـــدرَه فتدلّى شعره نحو الأسفل وسال البصاق من فمه وسقط علـــى جزمته. وبعد ذلك رفع قبضتيه الواضعتين قفازاً وبدأ يهوي بهما على سيارة الفان وهو يصرخ:

"ابتعد عني! ابتعد عني! ابتعد عنيييي!".

وبعـــد ذلك لم يحدث أي شيء ربما لمدة خمس ثوان - لا شيء باســـتثناء ارتعـــاش جـــسده، وكأن سلّة مليئة بالأفاعي أُلقيت داخل جسده. لا شيء باستثناء ترنُّح ذقنه البطيء والمرعب فوق صدره.

ظنـــنت أنه كان في طريقه للانتصار، أنه كان يهزم ذلك العجوز القـــذر. لكـــنه عندما رفع رأسه، رأيت أن ليبـــي هو الذي تمكن من إزاحة آرني.

"سيحـــصل كل شيء كما قال لك بالضبط. لا تقحم نفسك في المشاكل أيها الفتى. ولعلي لن أدهسك".

"تعـــالَ إلى مـــرأب دارنل هذه الليلة. سوف نلعب. سأجلب لي واجلب أنت كريستين".

ابتـــسم ليبـــي وقال: "أنا من سيختار الوقت والمكان. لن تعرف متى وأين. لكنك ستعرف... عندما يحصل ذلك".

قلـــت بهـــدوء: "فكِّر مجدداً. تعالَ إلى مرأب دارنل الليلة، وإلا فسنتحدث أنا وهي غداً".

أطلـــق ضـــحكة ساخرة وقال: "وإلى أين سيوصلكما ذلك؟ إلى ملجأ المجانين هناك في ريد سيتي؟".

"أوه، لن يأخذونا على محمل الجد في البداية، أنت محق في ذلك. لكن ذلك الكلام عن إلقائك في ملجأ المجانين حالما تتحدث عن أشياء غير موجودة... ليبـــي، لربما كان هذا في زمنك، قبل الصحون الطائرة وذلـــك المنـــزل في أميتيفيل. في هذه الأيام يوجد عدد كبير جداً من الناس يعتقدون بهذه الأشياء".

كـــان لا يـــزال مبتسماً، لكن عينيه تضيّقتا قليلاً ورمقتاني بنظرة متشككة... وشيء آخر، أعتقد أنه الخوف.

"ومـــا لا تدركـــه أيضاً، في ما يبدو، هو عدد الأشخاص الذين يعرفون بوجود خطب ما".

حينـــئذ تـــبددت ابتسامته كلياً. بالتأكيد، لا بد أنه كان يدرك ذلك، وكان قلقاً من ذلك أيضاً. ولكن، لعل القتل يتحول إلى نوع من الحمّـــى. وربما بعد فترة من الوقت لا يعود بإمكانك التوقف وحساب التكلفة.

"بصرف النظر عن نوع القذارة والغرابة اللتين تعشعشان في تلك الـــسيارة، فإنك كنت تعرف ذلك، وقد خططت لاستغلال آرني منذ الـــبداية – باستثناء أن *خططت* ليست الكلمة المناسبة، لأنك لم تخطط لأي شيء أبداً، أليس كذلك؟ إنك تتبع حدسك فقط؟".

أصدر صوتاً يشبه الزمجرة ثم استدار وهمّ بالذهاب.

"فكّر في الأمر. والد آرني يعرف أن شيئاً عفناً ما يحصل. ووالدي كـــذلك. وأعتقد أن هناك بعضاً من رجال الشرطة مستعدون للإصغاء إلى أي شـــيء يتعلق بالطريقة التي قُتل فيها صديقهم جانكينـــز. وكل ذلك يعود إلى كريستين، كريستين، كريستين. وعاجلاً أم آجلاً سيقوم

شـــخص ما بإدخالها في آلة سحق السيارات هناك خلف مرأب دارنل، من أجل الصالح العام فقط".

استدار مجدداً ونظر إلي بمزيج من الكره والخوف.

"ســـنظل نتحدث وسيسخر الكثير من الناس منا، لا شك في ذلـــك. ولكـــن، لدي قطعتين من الجبيرة تحملان توقيع آرني، لكن واحـــداً منهما ليس توقيعه. إنه توقيعك أنت. سآخذهما إلى شرطة الولاية ولن أتركهم إلى أن يجلبوا خبير خطوط للتأكد من كلامي. وســـيبدأ الناس بمراقبة آرني. وسيبدأون بمراقبة كريستين أيضاً. هل وصلتك الصورة؟".

"يا بني، إنك لا تثير ذرة من القلق فيّ".

"هـــذا ما سيحصل. الناس عقلانيون ظاهرياً فقط. إنهم لا يزالون يرمون الملح من وراء أكتافهم اليسرى إذا سقط الملح من طاحونة الملح، ولا يمـــشون تحـــت السلالم، ويعتقدون بالحياة بعد الموت. وعاجلاً أم آجـــلاً - ربما عاجلاً إذا بدأنا أنا ولي بالحديث - سيحوِّل شخص ما سيارتك إلى علبة سردين. وأنا مستعد للمراهنة أنها عندما تختفي، فإنك ستختفي معها".

"احلم".

"ســـنكون في مرأب دارنل هذه الليلة. إذا كنت بارعاً ستتخلص مـــن كلينا معاً. ومع أن ذلك لن ينهي الأمر، إلا أنك ستحظى بوقت كـــاف لمغـــادرة البلدة. ولكن، لا أظن أنك بارع كفاية، يا صديقي. سوف نتخلص منك".

التفتُّ وعدت إلى سيارتي ودخلتها. استخدمت العكازين بصورة خـــرقاء كـــي أبدو أكثر عجزاً مما كنت عليه في الواقع. لقد زعزعت كـــيانه عندما ذكرت مسألة التوقيعين، وحان الوقت للذهاب قبل أن

أفـــسد الأمر. ولكن، بقي هناك شيء واحد فقط. شيء سيضمن دفع ليبـــي إلى نوبة من الجنون.

أمـــسكت ســـاقي اليـــسرى بكلتا يدي وجذبتهما إلى الداخل، وأغلقـــت الـــباب، ثم مـــددت رأســـي من النافذة ونظرت إلى عينيه وابتسمت، ثم قلت: "إنها رائعة في الفراش. من المؤسف أنك لن تعرف ذلك أبداً".

أطلـــق زمجرة غاضبة وهجم علي. رفعت النافذة وأنـــزلت قفل الأبـــواب، ثم شـــغّلت المحـــرك بهدوء بينما كان يضرب بقبضتيه على الـــزجاج. كان آرني قد اختفى تماماً في تلك الأثناء. أحسست بأسى شـــديد أكثـــر عمقاً من الدموع أو الخوف، لكنني حافظت على تلك الابتـــسامة القـــذرة المهينة مرسومة على وجهي. وبعد ذلك، رفعت إصبعي الوسطى في وجه ليبـــي بهدوء.

"اللعـــنة عليك ليبـــي!" وانطلقت بالسيارة تاركاً إياه ورائي يـــرتجف مـــن الغضب، ذلك الغضب غير المحدود الذي حدَّثني عنه شقيقه جورج ليبـــي. وهذا الغضب هو ما كنت أعتمد عليه أكثر مـــن أي شـــيء آخر كي أحمله إلى المجيء إلى مرأب دارنل في تلك الليلة.

سنرى.

50

بيتونيا

قطعت نحو أربعة مباني قبل أن يبدأ ردّ الفعل بالظهور عليّ. وبعد ذلك اجتاحني كالسيل الجارف. شعرت ببرد شديد ينخر عظامي، برد

لم يفلـــح حتى سخّان السيارة، الموضوع على أعلى طاقة له، بالقضاء عليه. وكنت أتنفس على شكل لهاث قصير متتابع. تكومت على نفسي كـــي أشعر بالدفء، ولكن بدا لي أنني لن أشعر بالدفء مجدداً، أبداً. تذكـــرت قول آرني، *إنه موجود هنا دائماً، إلا عندما – ماذا؟* عندما تسير كريستين لوحدها، بالطبع. ليبـــي لا يستطيع التواجد في مكانين في وقت واحد. ذلك يتجاوز قدراته.

لكـــنني تمكنت على الأقل من قيادة السيارة من جديد، و لم أدرك أنـــني كـــنت أبكـــي إلا عندما نظرت في مرآة الرؤية الخلفية ورأيت الدائرتين الرطبتين تحت عيني.

وصـــلت إلى منـــزل جوني بومبرتون في العاشرة إلا ربعاً. كان رجـــلاً طـــويلاً عريض الكتفين ينتعل جزمة مطاطية خضراء ويرتدي معطـــف صـــيد ثقيلاً ذا مربعات سوداء وحمراء. رفع رأسه ليتمعن في السماء الرمادية المكفهرة فمالت قبعته العتيقة الملطخة بالشحم، كاشفة عن رأسه الأصلع.

"المـــزيد من الثلج قادم، هذا ما يُقال عبر الراديو. لم أكن أعرف أنـــك ســـتخرج حقاً، لكنني جلبتها إلى هنا من أجلك في حال قررت المجيء. ما رأيك فيها؟".

وضـــعت العكازين تحت إبطيّ من جديد وخرجت من السيارة. كان شكل السيارة الواقفة أمام كومة حطب جوني بومبرتون واحداً من أغرب الأشكال التي رأيتها في حياتي. وكانت هناك رائحة قوية، ليست لطيفة تماماً، صادرة عنها.

ذات يـــوم بعيد، كانت هذه السيارة من منتجات شركة جنرال موتـــورز – أو هـــذا ما يوحي به شعار الشركة المثبت على مقدمتها

العملاقة. لكنها باتت الآن مشكّلة من أجزاء متنوعة. الوصف الوحيد الـــذي يمكـــن أن نطلقه عليها بثقة هو أنها كانت هائلة الحجم. كان مـــبرِّدها بارتفـــاع رجل طويل القامة، ووراءه من الأعلى بدت كابينة القـــيادة مثل خوذة مكعّبة كبيرة موصولة بجسد أسطواني طويل يشبه جـــسد ناقلـــة وقود، مستند على زوج من الإطارات من كل جانب. لكـــنني لم أرَ ناقلة وقود، قبل هذه، مطلية بلون وردي فاقع. وكانت كلمة *بيتونيا* مكتوبة بأحرف قوطية على أحد جانبيها.

"لا أعرف ما رأيي فيها".

وضع بومبرتون سيجارة كاميل في فمه وأشعلها بنقرة خاطفة من ظفر إبهامه السميك على عود الثقاب. "إنها ماصّة الكاكا".

"ماذا؟".

"سعة عشرين ألف غالون، إنها رائعة، إنها بيتونيا".

"إنني لا أفهم". مع أنني بدأت أفهمه في الواقع.

كنت قد سألت بومبرتون عبر الهاتف إذا كان يملك شاحنة كبيرة ثقـــيلة للإيجار، وكانت هذه أكبر الشاحنات الموجودة آنذاك في باحته. كانـــت شاحناته الأربع كلها تعمل، اثنتان في ليبرتيفيل واثنتان في فيلي هـــيل. وقـــال لي إنه يملك شاحنة لتمهيد الطرقات لكنها تعطلت بعد المـــيلاد مباشـــرة. وأخـــبرني أيضاً أنه أصبح يعاني كثيراً للحفاظ على جاهزية شاحناته بعد إغلاق مرأب دارنل.

وبيتونيا باختصار مجرد ناقلة، لا أكثر ولا أقل. ومهمتها استخراج المواد العضوية المتحللة من مكبّات المخلّفات البشرية.

"كم تزن؟".

"فارغة أم محمّلة بالقذارة؟".

"وما هو وضعها الآن؟".

أرجع رقبته إلى الوراء وضحك، ثم قال: "هل تظن أنني سأؤجرك شـــاحنة محمّلة؟ اهدأ اهدأ. إنها جافة، جافة كعظمة. لكن الرائحة ما زالت تفوح منها، أليس كذلك؟".

"أجل، ولكن يمكنها أن تكون أسوأ بكثير، كما أظن".

"بالتأكـــيد. إن نَـــسَبَ بيتونـــيا الأصلي فُقد منذ زمن طويل، لكن الموجود على أوراق تسجيلها الحالية هو ثمانية عشر ألف باوند، GVW".

"وما هو ذاك؟".

"وزن السيارة الإجمالي. إذا أوقفوك على الطرقات السريعة وكنت تـــزن أكثـــر مـــن ثمانـــية عشر ألفاً، فإن لجنة التجارة بين الولايات ســـتنـــزعج. وعندما تكون فارغة، فهي تزن، لا أعرف، نحو ثمانية أو تسعة آلاف باوند. لديها خمس سرعات أساسية وسرعتان تفاضليتان، مـــا يمـــنحك عـــشر سرعات بشكل إجمالي... إذا كنت قادراً على استخدام الدبرياج".

ألقى نظرة متشككة على عكازي ثم أشعل سيجارة أخرى.

"هل يمكنك استخدام الدبرياج؟".

"أجل، إذا لم يكن قاسياً جداً". ولكن، إلى متى، هذا هو السؤال.

"حـــسناً، هـــذا شأنك ولن أتدخَّل فيه. سأمنحك عشرة بالمائة كحسم إذا دفعت نقداً".

تفقّـــدت محفظـــتي فوجدت أربع أوراق من فئة العشرين وأربعاً أخرى من فئة العشرة دولارات. "كم قلت لليوم الواحد؟".

"ما رأيك بتسعين دولاراً؟".

أعطيـــته المـــبلغ المطلـــوب - كنت مستعداً لدفع مائة وعشرين دولاراً.

"ماذا ستفعل بسيارتك الدستر هناك؟".

في الحقيقة، لم أفكر في هذا حتى هذه اللحظة. "هل يمكنني تركها هنا؟ ليوم واحد فقط؟".

"بالتأكيد. بوسعك تركها هنا طوال الأسبوع. لا أبالي بذلك. فقط ضعها في الخلف هناك واترك المفاتيح فيها في حال اضطررت إلى نقلها".

ركنتها حيث قال لي ثم عدت إلى بيتونيا. عندما اقتربت منها أحسست بالخوف يتجمّع في داخلي مثل غيمة سوداء صغيرة. لم يكن لدي أدنى شك أنها ستوقف كريستين - إذا جاءت إلى مرأب دارنل الليلة، وإذا تمكنت من قيادة الشاحنة اللعينة. لم يسبق لي أن قدت آلية بمثل هذا الحجم من قبل، بالرغم من أن براد جيفريز سمح لي بقيادة بولدوزر لعدة ساعات في الصيف قبل الماضي.

كان جوني بومبرتون يضع يديه في جيبي سرواله ويراقب كل خطوة أخطوها. وصلت إلى جانب السائق ووضعت يدي على مقبض الباب وانزلقت قليلاً فخطا بومبرتون خطوة أو خطوتين باتجاهي.

"بإمكاني القيام بذلك".

"حسناً".

وضعت العكازين تحت إبطيّ مجدداً ثم فتحت الباب. أمسكت مقبض الباب الداخلي بيدي اليمنى ووازنت نفسي بواسطة ساقي اليمنى مثل لقلق، ثم رميت العكازين داخل الكابينة ولحقت بهما. كانت المفاتيح داخل دارة التشغيل، وكان نموذج تغيير السرعات مطبوعاً على ذراع القيادة. أغلقت الباب وضغطت على الدبرياج بقدمي اليسرى فلم أشعر بألم يُذكَر - هذا جيد حتى الآن - ثم شغّلت المحرك. بدا صوت محرك بيتونيا مثل حقل مليء بالدراجات النارية في فيلي بلينز.

تقــدّم بومــبرتون نحوي ببطء وصاح: "صاخبة بعض الشيء، أليس كذلك؟".

"صحيح!".

"أتعلــم، أشك أنك تملك علامة I في شهادة السوق الخاصة بك أيها الفتى". علامة I تعني أن الولاية اختبرتك على الشاحنات الكبيرة. في الحقــيقة، كــنت أملــك علامة A الخاصة بقيادة الدراجات الآلية (مصدر رعب هائل لأمي) ولكن ليس I.

نظــرت إلــيه مبتسماً وقلت بصوت عالٍ: "لم تتفقّد ذلك لأنني بدوت محلّ ثقة".

ابتسم لي أيضاً وصاح: "بالتأكيد".

ضــغطت علــى دواسة البنــزين قليلاً فأطلقت بيتونيا فرقعتين مدوِّيتين تشبهان انفجار قذيفة هاون.

"هل تمانع إذا سألتك لماذا تريدها؟".

"من أجل الهدف الذي صُنعت لأجله".

"عفواً؟".

"سأتخلص من بعض القذارة".

انــتابني شــيء مــن الخوف عندما نــزلت الجبل حيث يقع منــزل بومبرتون، لأن هذه الشاحنة تسير بسرعة حقاً. بدوت عالياً جــداً إذ كنت قادراً على النظر إلى أسقف السيارات التي أمر بها. وعــندما وصــلت إلى ليبرتيفيل شعرت أنني محط أنظار الجميع مثل صــغير حــوت في بركة للأسماك الذهبية الصغيرة - لم يكن حجم بيتونــيا هــو الــسبب الوحيد، بالطبع، وإنما لون طلائها الوردي الفاقع أيضاً.

بـــدأت ساقي اليسرى تؤلمني قليلاً، لكن التعامل مع نموذج تغيير السرعات غير المألوف ضمن حركة المرور الكثيفة في البلدة أبقى ذهني مـــشغولاً عنها. ولكن، كان هناك ألم آخر ينمو في كتفيّ وصولاً إلى صدري بسبب قساوة المقود.

انعطفـــت من شارع مين إلى شارع وولنَت ثم إلى ساحة إيقاف السيارات خلف شركة ويسترن أوتو. ترجَّلت بحرص شديد من كابينة القـــيادة وأغلقت الباب (كان أنفي قد بدأ يعتاد على الرائحة الصادرة من بيتونيا) ثم دخلت المبنى من المدخل الخلفي.

أخـــرجت المفاتيح الثلاثة من حلقة مفاتيح جيمي وأعطيتها لقسم صـــنع المفاتـــيح في المبنى، وحصلت على نسختين من كل واحد منها مقابـــل دولار وثمانين سنتاً. وضعت المفاتيح الجديدة في أحد جيبـــي، ووضـــعت المفاتيح الأصلية، بعد إرجاعها إلى الحلقة، في الجيب الآخر. خـــرجت مـــن الـــباب الأمامي إلى شارع مين متوجهاً إلى مطعم ليـــبرتيفيل لانـــش، حـــيث يوجد هاتف عمومي. كانت السماء قد أصبحت أكثر اكفهراراً وأقرب من ذي قبل. سيهطل الثلج قريباً كما قال بومبرتون.

داخـــل المطعـــم، طلـــبت فنجان قهوة وبعض المعجّنات الحلوة وحصلت على بعض الفكة من أجل الهاتف. دخلت المقصورة وأغلقت الباب خلفي واتصلت بمنـــزل لي.

رفعت السماعة من الرنَّة الأولى: "دينيس! أين أنت؟".

"في ليبرتيفيل لانشن. هل أنت وحدك؟".

"أجـــل. أبـــي في العمل وأمي ذهبت لتشتري بعض الخضار. دينيس... لقد... لقد أخبرتها بكل شيء تقريباً. فكّرت في أنها ستركن السيارة في مرأب محال A&P ثم تخرج من المرأب، و... لا أعرف. ما

قلته عن مغادرة آرني للبلدة لم يساعدني كثيراً. صحيح أنه منطقي، لكنه لم يساعدني كثيراً. هل تفهمني؟".

"أجـــل. أفهمـــك جيداً". فكّرت في توصيل إيلين إلى مخزن توم مساء البارحة، بالرغم من أن ساقي كانت تؤلمني بشدة.

"دينيس، لا يمكنني الاستمرار على هذه الحال لفترة طويلة. سوف أجنّ. هل ما زلت تريد تنفيذ خطتك؟".

"أجـــل. اتركـــي رسالة لأمك، لي. قولي لها إنك اضطُررت إلى الذهاب لبعض الوقت. لا تقولي أكثر من ذلك. وعندما لن ترجعي إلى المنـــــزل عند العشاء، سيتصل والداك بوالديّ على الأغلب. ولعلهم سيعتقدون أننا هربنا كي نتزوج".

"لا تبدو فكرة سيئة" - ضحكت بطريقة أشعرتني بالراحة قليلاً - "أراك".

"هيـــي، شـــيء آخـــر فقط. هل يوجد لديكم مسكّن للألم في المنـــزل؟ دارفون؟ أي شيء مثله؟".

"ما زال لدينا دارفون من الفترة التي كان فيها أبـــي يعاني من ألم في ظهره. إنها ساقك، أليس كذلك؟".

"تؤلمني قليلاً".

"إلى أي حد؟".

"إنها بخير حقاً".

"من دون خداع؟".

"مـــن دون خداع. وبعد هذه الليلة سأمنحها فترة راحة طويلة، موافقة؟".

"موافقة".

"تعالي إلى هنا بأسرع وقت ممكن".

وصلت عندما كنت أطلب فنجاناً ثانياً من القهوة. كانت ترتدي معطفـــاً مؤطّراً بالفرو وسروال جينـــز باهت اللون مطوياً داخل جزمة طويلة. كانت تبدو مثيرة وعملية في آن واحد - التفتت الرؤوس حين دخلت.

"تبدين جميلة". ثم قبّلت خدّها.

أعطـــتني كبـــسولات رمادية ووردية وقالت: "لكنك لا تبدو في أحسن حالاتك، دينيس. خذ".

جاءت النادلة - وهي امرأة في الخمسينيات من عمرها - حاملة قهوتي بيدها. "لماذا لستما في المدرسة أيها الولدان؟".

أجبتها: "انصراف خاص".

قالت لي وهي تنـــزع قفازها: "قهوة من فضلك". وعندما عادت الـــنادلة إلى طاولتها، انحنت لي نحوي وقالت: "سيبدو الأمر ظريفاً جداً إذا شاهدنا مسؤول التغيُّب عن المدرسة، أليس كذلك؟".

"ظـــريفاً للغاية". في الحقيقة، لم يكن شكل لي جيداً كما هو في العادة، بالرغم من التورُّد الذي أضفاه البرد على وجهها. كانت هناك دائـــرتان صغيرتان داكنتان أسفل عينيها، ما يدل على أنها لم تنم جيداً ليلة البارحة.

"إذاً، ماذا سنفعل؟".

"سوف نتخلص منها. انتظري إلى أن تري عربتك، مدام".

قالـــت لي وهي تحدق إلى روعة طلاء بيتونيا: "يا الله. ما هذه؟" كانت هناك سيارة فان من طراز شيفروليه وسيارة فولكسفاغن تحيطان ببيتونيا من الجانبين، وكانتا تبدوان مثل قزمتين بالنسبة إليها.

قلت بجدية: "ماصّة الكاكا".

نظرت إلي باستغراب، ثم انفجرت بالضحك.

"أعرف أنها تبدو سخيفة بعض الشيء".

قالت وهي لا تزال تضحك: "هذا التوصيف أقل مما تستحق".

"لكنها ستفي بالغرض، أكثر من أي شيء آخر".

"أجـــل، أجـــل. أعتقد ذلك... وهي مجهّزة بشكل جيد، أليس كذلك؟".

أومـــأت برأسي دلالة على الموافقة. كنت قد فكّرت في ذلك فعلاً.

"حسناً، دعنا ندخل إذن. أنا أشعر بالبرد".

تـــسلّقت إلى الكابينة قبلي. وعندما وصلت إلى الباب تجعّد أنفها وقالت: "أوه".

ابتسمت وقلت: "ستعتادين عليها". أعطيتها العكازين وصعدت وجلـــست وراء المقود. كان الألم قد خفّ إلى حد ما في ذلك الحين، بعد تناول قرصَي دارفون في المطعم.

"دينيس، هل ستكون ساقك على ما يرام؟".

"يجب أن تكون كذلك".

51

كريستين

خرجنا من مرأب ويسترن أوتو في الحادية عشرة والنصف تقريباً. كانت أولى ندف الثلج قد بدأت تسقط في ذلك الحين. توجهت أولاً نحـــو منـــزل جيمي سايكس - أصبح استخدام الدبرياج أكثر سهولة بعد أن أخذ الدارفون مفعوله.

كـــان منـــزل سايكس مظلماً وموصداً. لعل السيدة سايكس كانت في العمل، وربما ذهب جيمي لتحصيل راتبه الخاص بالعاطلين عن العمل. أخرجت لي مغلّفاً خاصاً بها من حقيبة يدها وخربشت بـــالقلم علـــى عـــنوانها ثم كتبت اسم جيمي سايكس على المقدمة ووضـــعت حلقة المفاتيح فيها، ثم أدخلته عبر شق الرسائل في الباب الأمامي.

قالت وهي تصعد إلى الكابينة: "ماذا الآن؟".

"اتصال آخر".

وجـــدت مقـــصورة هاتـــف عند تقاطع شارعي جون كنيدي وكريسينت. ترجّلت بحذر شديد من الشاحنة ثم توجهت نحو المقصورة تحـــت الثلج الذي بدأ يشتد حينئذ. اتصلت بجامعة هورليكس وطلبت من عامل المقسم أن يصلني بمكتب مايكل كانينغهام. أخبرني آرني ذات مـــرة أن والـــده لا يبارح مكتبه، حتى إنه يجلب طعام الغداء معه إلى المكتب ويبقى فيه. وعندما رُفع الهاتف وسمعت صوته، شكرت الله على هذه الخصلة فيه.

"دينيس! حاولت الاتصال بك في المنـــزل! قالت أمك -".

"إلى أين سيذهب؟".

"كيف علمت أنه سيذهب؟ ينبغي لك أن تخبرني -".

"لـــيس لدي وقت للأسئلة، ولن أستطيع الإجابة عنها، على كل حال. إلى أين سيذهب؟".

صمت قليلاً ثم أجاب ببطء: "سيذهب هو وريجينا إلى جامعة بين ســـتيت بعـــد المدرسة مباشرة. اتصل آرني بها هذا الصباح وسألها إذا كانـــت تستطيع الذهاب معه. قال لها... إنه يشعر أنه عاد إلى رشده

فجأة. قال لها إنه فكّر فجأة في أثناء توجهه إلى المدرسة هذا الصباح أنه إن لم يفعـــل شـــيئاً بخصوص الجامعة، فإنها قد تضيع منه. وأخبرها أن جامعـــة بين ستيت هي الخيار الأفضل بالنسبة إليه وطلب منها مرافقته والـــتحدث مع عميد كلية الفنون والعلوم وبعض الأشخاص في قسمي التاريخ والفلسفة".

"وهل بدا ذلك صادقاً بالنسبة إليك؟".

قـــال مايكـــل بانفعال: "بالطبع لا! ولن يبدو كذلك بالنسبة إلى ريجيـــنا أيضاً، إن كانت تفكر في شكل سليم! بحسب إعلان القبول في الجامعات هذه الأيام، ستسجله جامعة بنسلفانيا في تموز، إذا كان يملك المـــال للتـــسجيل والعلامات المؤهلة للقبول - وآرني يملكهما معاً. إنه يتحدث وكأنه في الخمسينيات وليس في السبعينيات!".

"متى سيغادران؟".

"ستقابله عند المدرسة بعد الحصة السادسة - هذا ما قالته عندما اتصلت بـــي. سيحصل على إذن للانصراف".

هذا يعني أنهما سيغادران ليبرتيفيل خلال أقل من ساعة ونصف. ولهذا سألته سؤالي الأخير، بالرغم من أنني كنت أعرف الإجابة مسبقاً: "إنهما لن يأخذا كريستين، أليس كذلك؟".

"لا، سيذهبان بسيارة الستيشن. كانت في غاية السعادة، دينيس، في غايـــة السعادة. مسألة حملها للذهاب معه إلى الجامعة... كان أمراً فائـــق الـــذكاء. لـــيس هناك شيء في العالم سيمنعها من تفويت هذه الفرصة. دينيس، ما الذي يجري؟ رجاءً".

"غـــداً. هذا وعد. أكيد. في الوقت الحالي، أريد أن تقوم بشيء لأجلـــي. إنهـــا مـــسألة حياة أو موت بالنسبة إلى عائلتي وعائلة لي كابوت. ينبغي -".

"يـــا الله" – بـــدا صوته وكأنه عرف فجأة حل لغز ما – "كان يغيب كلما – باستثناء ليلة مقتل الفتى ويلش، وفي ذلك الوقت كان... ريجيـــنا رأتـــه نائماً، وأنا متأكد أنها لم تكن تكذب بخصوص ذلك... دينيس، من الذي يقود تلك السيارة؟ *من الذي يستخدم كريستين لقتل الناس عندما لا يكون آرني موجوداً؟"* .

كنت على وشك إخباره بكل شيء، لكن مقصورة الهاتف كانت شـــديدة البرودة وساقي بدأت تؤلمني من جديد، إضافة إلى أن الإجابة عن هذا السؤال ستقودنا إلى أسئلة أخرى – عشرات الأسئلة.

"مايكـــل، اسمعـــني. يجب أن تتصل بوالدي ووالد لي. اطلب من العائلـــتين أن تجتمعا في منـــزل لي. وأعتقد أنك يجب أن تذهب أيضاً، مايكل. ابقوا جميعاً معاً إلى أن نعود أنا ولي أو حتى أتصل بكم. ولكن أخـــبرهم ألا يخرجوا من المنـــزل أبداً بعد" – بدأت أحسب في ذهني: إذا غـــادر آرني وريجينا المدرسة في الثانية، كم سيحتاج من الوقت كي تصبح حجة غيابه متينة ومحكمة – "بعد الساعة الرابعة. بعد الرابعة، لا يخرج أي واحد منكم إلى الشارع، *أي شارع. مهما كانت الظروف*".

"دينيس، لا يمكنني هكذا ببساطة أن –".

"يجـــب أن تفعل ذلك، مايكل. سوف تقدر على إقناع أبـــي، وأنـــتما الاثـــنان لا بد أن تستطيعا إقناع السيد والسيدة كابوت. ولا تقترب من كريستين أنت يا مايكل".

"ســـيغادران بعد المدرسة مباشرة. وهو قال إن السيارة ستكون بخير في مرأب المدرسة".

كنت أشعر من صوته أنه لم يصدِّق ذلك أيضاً.

"هه – هه. ولكن إذا حدث ونظرت من النافذة ورأيت كريستين في ممر المنـــزل على كل حال، ابقَ بعيداً عنها. هل تفهمني؟".

"أجل، ولكن -".

"اتصل بأبــي أولاً. عدني".

"حسناً، أعدك. ولكن دينيس -".

"شكراً مايكل". أغلقت الهاتف.

كانـــت يداي وقدماي خدرة من شدة البرد، لكن جبهتي كانت مـــبللة بالعرق. دفعت باب المقصورة برأس أحد عكازيّ وعدت نحو الشاحنة.

"ماذا قال لك؟ هل وعدك؟".

"أجـــل، وعدني. وسيعمل أبـــي على جمعهم معاً. أنا متأكد من ذلك. إذا كانت كريستين ستهاجم أحداً اليوم، فإنها ستهاجمنا نحن".

"حسناً. جيد".

وهكـــذا بعـــد أن أنهيت جميع التحضيرات اللازمة، لم يعد هناك شيء نفعله سوى الانتظار وترقُّب ما سيحصل.

وصلنا إلى مرأب دارنل عند الساعة الواحدة ظهراً بالضبط. شقّت بيتونــيا طـــريقها عبر الثلج العميق غير المجروف ثم توقفت أمام البوابة الرئيـــسة. كان المبنى الطويل والواسع، بسقفه وجوانبه المغطاة بصفيح مـــتموج الـــشكل، مهجوراً تماماً. وكانت اللافتات المثبتة على البوابة الأمامـــية هـــي نفسها التي رأيناها أنا وآرني عندما جلبنا كريستين إلى المـــرأب لأول مـــرة - *وفّر نقودك! خبرتك، أدواتنا! ومرأب للإيجار بالأســـبوع أو الشهر أو السنة*، *وزمِّر للدخول* - باستثناء لافتة جديدة معلّقـــة على نافذة مكتب دارنل، كُتب عليها: *مغلق حتى إشعار آخر*. وكانت هناك سيارة موستانج قديمة مركونة تحت الثلج في إحدى زوايا الباحة الأمامية.

قالت لي بصوت منخفض: "إنه مخيف".

"أجـــل، بالفعل". أعطيتها المفاتيح الجديدة قائلاً: "أحدها سيفتح البوابة".

تـــرجلت لي، واتجهت نحو البوابة. كنت أراقبها وأبقي عيناً على مرآتي الرؤية الخلفية بينما كانت تبحث عن القفل. يبدو أننا لم نثر أي اهـــتمام غـــير مرغوب. أعتقد أن هناك جانباً نفسياً في ما يتعلق برؤية شـــيء كبير كهذه الشاحنة الملفتة للأنظار، بمعنى أنها تجعل فكرة وجود سري أو غير قانوني أمراً غير قابل للتصديق.

فجأة جذبت لي البوابة بقوة، ثم وقفت، ثم جذبت مرة أخرى، ثم عادت إلى الشاحنة وقالت: "برمت المفتاح لكنني لم أستطع رفع البوابة. أعتقد أنها مجمّدة بالأرض، أو شيء من هذا القبيل".

قلت في نفسي: *عظيم. لن يحدث أي شيء من هذا بسهولة.*

قالـــت وكأنهـــا عـــرفت ما كنت أفكر فيه من تعابير وجهي: "دينيس، أنا آسفة".

"لا، لا عليك". فتحت الباب، وقمت بعملية خروج هزلية أخرى من الشاحنة.

وضعت يدها على خصري، ومشت معي بينما كنت أخطو بحذر فوق الثلج، وقالت: "كن حذراً. انتبه إلى ساقك".

أجبـــتها مبتسماً: "أجل، ماما". عندما وصلت إلى البوابة، وقفت بـــشكل مائـــل نحو جانبـــي الأيمن كي أتمكن من الانحناء على ساقي الـــيمنى، وإبعاد ثقلي عن ساقي المصابة. جذبت بقوة، وأحسست أن البوابة ارتخت قليلاً، ولكن ليس إلى الحدّ الكافي. كانت محقة. لا بد أن الثلج هو السبب، لأنني سمعت صوت تكسّره.

"أمسكي بـــي وساعديني".

وضعت لي كلتا يديها فوق يدي اليمنى وجذبنا معاً. كان صوت التكسّر أعلى، لكن الثلج لم يفلت قبضته على أسفل البوابة.

قلت: "كدنا أن نفتحها. سأعدّ. عند ثلاثة اجذبـــي بكل قوتك. مستعدة؟".

"أجل".

"واحد... اثنان... ثلاثة!".

الـــذي حـــصل هو أن البوابة تحررت من الثلج بسهولة سخيفة، وارتفعـــت على مساريها بسرعة كبيرة، فاختلّ توازني، وسقطت إلى الوراء وطار العكازان في الهواء. انثنت ساقي اليسرى وسقطت عليها. صـــحيح أن الثلج العميق خفّف من شدة السقطة نوعاً ما، إلا أن الألم بدا وكأنه انفجر في فخذي الأيسر وشق طريقه بسرعة كبيرة كالشهب نحـــو صدغيّ، ثم عاد إلى فخذي من جديد. ضغطت على أسناني كي أمنع صرخة كادت أن تنفلت من فمي.

جـــثت لي على ركبتيها بجانبـــي، ووضعت ذراعها حول كتفي وقالت: "دينيس، هل أنت بخير؟".

"ســـاعديني كـــي أقف". جلبت لي العكازين، وساعدتني على الوقـــوف. وعـــندما تمكـــنت في النهاية من الوقوف - تحمّلت معظم الجـــذب - كنا كلانا نلهث مثل عدّائي مسافات طويلة. كانت ساقي اليسرى تصرخ من الألم.

"دينيس، لن تكون قادراً على استخدام الدبرياج في تلك الشاحنة الآن -".

"أجل أستطيع. ساعديني كي أعود إليها، لي".

"إنك شاحب مثل شبح. أعتقد أنه يجب أن ترى طبيباً".

"لا. ساعديني كي أعود".

"دينيس –".

"لي، ساعديني كي أعود إلى الشاحنة!".

وصـــلنا إلى الشاحنة بمشقة بالغة. مددت يدي، وفتحت الباب، وأمسكت بالمقود وجذبت نفسي، لكنني لم أستطع الدخول إلا بعد أن وضـــعت لي يـــديها تحـــتي ودفعتني. على الأقل، أصبحت وراء مقود بيتونيا – أرتعش من الألم. كان قميصي مبللاً بالثلج الذائب والعرق.

حاولـــت أن أضـــغط على الدبرياج بقدمي اليسرى لكن ذلك الـــشهاب من الألم انطلق من جديد، ما جعلني أدفع رأسي إلى الوراء، وأطبق أسناني بشدة إلى أن خفّ قليلاً.

"دينـــيس، ســـأذهب إلى الـــشارع، وأبحث عن هاتف، وأتصل بطبيب" – كان وجهها شاحباً ومذعوراً – "لقد كسرت ساقك مجدداً، أليس كذلك؟".

"لا أعرف. ولكن، لا يمكنك فعل ذلك، لي. سيكون دور أهلك أو أهلي إن لم ننهِ الأمر الآن. أنت تعرفين هذا. ليبـــي لن يتوقف. إنه يملك حاسة انتقام متطورة جداً. لا يمكننا التراجع الآن".

قالـــت وهي تبكي: "لكنك لن تستطيع أن تقودها!". كانت لا تزال واقفة بجانب باب السائق.

"اذهبــــــي إلى هـــناك وابحثـــي عن مكنسة أو عصاً طويلة من الخشب".

"وبماذا سيفيدك هذا؟". كانت تبكي بشدة أكثر الآن.

"اجلبيها فقط وبعدها سنرى".

دخلـــت عـــبر البوابة الكبيرة المفتوحة، واختفت عن ناظري. إذا كانـــت ســـاقي قد كُسرت مرة أخرى فعلاً، فثمة احتمال كبير أنني ســـأنتعل حذاء ذا كعب سميك طوال حياتي. ولكن، قد لا أعيش إلى

هـــذا الحدّ إن لم نضع حداً لكريستين الليلة. الآن خطرت ببالي فكرة مفرحة.

عادت لي حاملة مكنسة بيدها. "هل ستنفع هذه؟".

"كـــي تُدخلنا المرأب، أجل. وبعد ذلك سنضطر إلى البحث عن شيء أفضل".

حررت العصا من المكنسة، وأدخلتها إلى الكابينة. وضعت نهايتها علـــى الدبرياج، وأمسكت بها بيدي اليسرى - عكاز لعين آخر - ثم ضغطت الدبرياج بها حتى النهاية. ثبتت في مكانها للحظة، ثم انـــزلقت فارتد الدبرياج بسرعة إلى الأعلى وطار رأس العصا وكاد يصيب فمي.

"دينيس، هل أنت متأكد مما تفعل؟".

"إنني أفعل ما بوسعي".

دارت لي حول مقدمة الشاحنة، وصعدت، وجلست بجانبـــي، ثم أغلقت الباب. أغلقت بابـــي أيضاً، وضغطت بالعصا مجدداً، ووضعت ذراع القيادة على السرعة الأولى. كانت بيتونيا قد بدأت السير عندما انـــــزلقت العصا مرة أخرى. دخلت الشاحنة مرأب دارنل في سلسلة من الارتجاجات المتتالية، وعندما ضغطت بقدمي اليمنى على الكابح كنا قد أصبحنا تقريباً في الداخل.

"لي، يجب أن يكون هناك شيء أعرض من هذه".

"سأرى ماذا يوجد هناك".

تـــرجلت لي من الشاحنة، وبدأت البحث في أطراف المرأب. *إنه مخـــيف*، كانت محقة في ذلك. كانت هناك أربع أو خمس سيارة قديمة فقـــط، وكانت كلها معطوبة إلى درجة أن أحداً لم يكبّد نفسه مشقة اســـتعادتها. في حين كانت بقية المواقف كلها فارغة. ألقيت نظرة على الموقف عشرين ثم أشحت بناظري على الفور.

استخدمت لي مفتاحاً آخر لفتح باب مكتب ويل دارنل. كان بوسعي رؤيتها تتحرك في الداخل من خلال النافذة التي اعتاد ويل أن ينظر عبرها إلى زبائنه... أولئك الرجال العاملون الذين يبقون سياراتهم صالحة للسير كي... إلى آخر هذا الهراء. نقرت على بعض المفاتيح، فاشتعلت أضواء الفلورسينت في السقف. شركة الكهرباء لم تقطع الكهرباء إذاً. سأضطر إلى أن أطلب منها إطفاء الأنوار مجدداً خشية أن نثير الانتباه إلينا - ولكن، يمكننا على الأقل الاستمتاع ببعض الحرارة حالياً.

فتحت لي باباً آخر، واختفت عن الرؤية لفترة وجيزة. نظرت إلى ساعتي فوجدت أنها كانت تشير إلى الواحدة والنصف.

عندما عادت مجدداً رأيت أنها كانت تحمل ممسحة مؤلفة من عصا موصلة في نهايتها بإسفنجة عريضة.

"هل ستنفع هذه؟".

"مثالية. ادخلي أيتها الفتاة. لدينا عمل ننجزه".

صعدت إلى الشاحنة، وجلست مرة أخرى، ثم ضغطت بالممسحة على الدبرياج، ثم قلت: "أفضل بكثير. أين وجدتها؟".

قالت باشمئزاز: "في الحمام".

"مقرف، أليس كذلك؟".

"قذر، وتفوح منه رائحة سيجار بشعة، وهناك كومة كبيرة من الكتب القديمة، ذلك النوع من الكتب التي يبيعونها في المتاجر الرخيصة. أتوق إلى الخروج من هنا بفارغ الصبر".

"حقاً. أما أنا فقد أعجبني إلى حدٍّ ما. أفكر في الانتقال والعيش هنا". وضعت يدي على كتفها، ونظرت إلى عينيها وأردفت: "بوسعنا إنشاء عائلة".

رفعت قبضتها وقالت: "هل تريدني أن ألكم أنفك؟".

"لا، لا بأس. في الحقيقة، إنني أنتظر الخروج من هنا بفارغ الصبر أيضاً". قدت بيتونيا حتى أصبحنا في الداخل تماماً. وجدت أنني أستطيع الضغط على الدبرياج بشكل جيد باستخدام الممسحة... على السرعة الأولى على الأقل.

"يجب علينا أن نطفئ الأنوار مجدداً. قد يرانا شخص ما".

نـــزلت مجدداً، ثم ذهبت وأطفأت الأنوار، وفي تلك الأثناء أدرت بيتونيا، وأرجعتها إلى الخلف إلى أن كاد جزؤها الخلفي يصطدم بنافذة مكتب ويل، وبذلك أصبحت مقدمة الشاحنة تتجه مباشرة نحو البوابة الأمامية التي دخلنا منها.

مـــع انطفاء الأنوار عادت الظلال لتخيم على المكان من جديد. كان الضوء الداخل عبر البوابة المفتوحة ضعيفاً ويصل فقط إلى منتصف أرضية المرأب.

صاحت لي من مكتب ويل: "أنا أشعر بالبرد، دينيس. لقد أشار هنا إلى مفاتيح السخّانات. هل أشغِّلها؟".

"بالطبع".

للحظـــة، بـــدأ المـــرأب يهمس بصوت نافخات الهواء الساخن. أســـندت ظهري على المقعد، ومررت يدي على ساقي اليسرى. كان قمـــاش سروالي الجينـــز مشدوداً بنعومة – من دون تجعيدات – فوق الفخذ. كانت ساقي اللعينة متورِّمة، وتؤلمني. يا الله.

عـــادت لي، وجلـــست بجانبـــي. شردت للحظة ولسبب ما لا أعـــرفه فكّرت في اليوم الذي جلبنا فيه أنا وآرني كريستين إلى هنا، في زوج ملكـــة الجاز عندما كان يصرخ بوجه آرني كي يبعد تلك الخردة مـــن أمام منـــزله، وفي آرني وهو يقول لي إن هذا الرجل كان روبرت

ديدفـــورد اعتـــيادياً، وكـــيف ضحكنا. أطبقت عيناي على لسعات الدموع.

مـــع عدم بقاء أي شيء نفعله سوى الانتظار، أصبح الوقت بطيئاً جداً. أصبحت الساعة الثانية إلا ربعاً، ثم الثانية. وفي الخارج كان الثلج قـــد اشتدّ قليلاً. ترجلت لي من الشاحنة، وضغطت الزر الذي يتحكم بفـــتح وإغلاق البوابة، فتدحرجت نـــزولاً حتى انغلقت، وازداد ظلام المرأب حلكةً.

عـــادت وصـــعدت إلى الباب وقالت: "هناك أداة مسلية بجانب الـــبوابة، هـــل تراها؟ تبدو مثل فاتح الباب الإلكتروني الذي كان في منـــزلنا عندما كنا نعيش في ويستون".

عدّلت جلستي فجأة وقلت: "أوه، أوه يا الله".

"هـــذا هـــو. إنه فاتح بوابة المرأب. وهناك أحد أجهزة الإرسال داخل كريستين. ذكر آرني ذلك أمامي في ليلة مناسبة الشكر. يجب أن تكسريه، لي. استخدمي عصا المكنسة تلك".

نـــــزلت مـــن الشاحنة، وأخذت عصا المكنسة وضربت العين الإلكترونية للأداة فكسرتها. ثم عادت، وصعدت وجلست بجانبـــي، ثم قالـــت: "دينـــيس، ألا تعتقد أن الوقت قد حان لتخبرني بما يدور في ذهنك بالضبط؟".

"ماذا تعنين؟".

"تعلـــم مـــا أعنيه". أشارت إلى البوابة المغلقة. هناك خمس نوافذ مـــربعة الشكل في الربع العلوي من البوابة تسمح بدخول ضوء خافت إلى المـــرأب من خلال زجاجها القذر. "عندما يحل الظلام، إنك تخطط لفتح تلك البوابة مجدداً، صحيح؟".

أومــأت برأســي دلالة على الإيجاب. كانت البوابة خشبية في الأســاس لكنها مدعَّمة بمجموعة من القضبان الفولاذية المتشابكة، مثل البوابة الداخلية للمصاعد القديمة. سأدع كريستين تدخل، ولكن عندما ســتُغلَق البوابة، لن تتمكن من الخروج مجدداً. أو هذا ما كنت أرجوه. انتابــتني القــشعريرة عندما فكّرت كم كنا قريبين من عدم الانتباه إلى فاتح البوابة الإلكتروني.

سأفتح البوابة، وأدع كريستين تدخل. ثم أغلق البوابة من جديد. وبعد ذلك سأستخدم بيتونيا لضربها حتى الموت.

قالــت لي: "حــسناً، هــذا هو الفخ. ولكن، عندما تدخل كريــستين، كــيف ســتغلق تلك البوابة مرة أخرى كي تبقيها في الداخل؟ ربما يوجد زر آخر في مكتب دارنل يقوم بذلك، لكنني لم أرَه".

"على حدّ علمي لا يوجد واحد هناك. إذاً، ستقفين هناك بجانب الزر الذي يفتح البوابة". أشرت إلى الزر اليدوي الموجود على الجانب الأيمن من البوابة تحت حطام علبة الفاتح الإلكتروني بنصف متر تقريباً. "ســتقفين وظهــرك علــى الجدار، بعيداً عن الرؤية. وعندما تدخل كريستين، ستضغطين الزر، فتبدأ البوابة بالنــزول وبعد ذلك ستهربين إلى الخارج بسرعة. ستُغلَق البوابة وتُغلَق المصيدة".

قالــت لي وقــد امــتقع وجههــا: "علــيك وعليها. أو بتعبير ووردسوورث، هذا مريع".

"إنــه كولريدج وليس ووردسوورث. ليست هناك طريقة أخرى للقــيام بــذلك، لي. إذا بقيت في الداخل عندما تُغلَق البوابة، ستهجم عليك كريستين. وحتى لو كان هناك زر في مكتب ويل، لقد شاهدت في الجريدة ماذا حصل لجدار منــزله".

قالـــت بعـــناد: "اركـــن الـــشاحنة بجانب الزر، وعندما تدخل كريستين، سأمد يدي من النافذة، وأضغط عليه، وأغلق البوابة".

"إذا ركنتها هناك، فسأكون مرئياً. وإذا كانت هذه الدبابة مرئية، فلن تدخل كريستين".

قالـــت بعـــصبية: "لم تعجـــبني هذه الفكرة! لا أريد أن أتركك بمفردك! يبدو الأمر وكأنك خدعتني!".

"ببساطة، لا توجد طريقة أخرى. لو لم تكن ساقي معطوبة، ولو كـــنت تعرفين كيف تتحكمين بناقل السرعة اليدوي". رفعت كتفيّ وأنـــزلتهما.

"إنني خائفة عليك، دينيس. أريد أن أساعد".

"ســـتقدمين لي مساعدة كبيرة. إنك في خطر أكثر منا جميعاً، لي. ســـتكونين في الخارج، وعندما ستأتي الساقطة، سأكون هنا بانتظارها وأحوِّلها إلى قطع تبديل".

"آمـــل أن تسير الخطة على هذا النحو". ثم وضعت رأسها على صدري، ورحت أمسِّد شعرها.

وانتظرنا.

تخيّلت آرني يخرج من المدرسة واضعاً كتبه تحت ذراعه. وتخيلت ريجيـــنا تنتظـــره في سيارة الستيشن، والدنيا لا تسعها من شدة الفرح. آرني يبتـــسم بـــشرود واستـــسلام لعناقها. *آرني، لقد اخترت الخيار الصحيح... لا تعرف كم أنا وأبوك سعيدان؛ أجل، ماما؛ هل تريد أن تقود السيارة، حبيبـــي؛ لا، قودي أنت، ماما. لا بأس في ذلك.*

يـــتجه الاثنان نحو جامعة بين ستيت تحت الثلج الخفيف. ريجينا خلف المقود وآرني يجلس بجانبها واضعاً يديه في حجره. وجهه شاحب وغير مبتسم وخالٍ من البثور.

في موقـــف سيارات الطلاب في المدرسة، تقبع كريستين بصمت بانتظار اشتداد سقوط الثلج وحلول الظلام.

عـــند الـــساعة الثالثة والنصف، ذهبت لي إلى حمام مكتب ويل، وأثـــناء وجودها تناولت قرصَي دارفون آخرين من دون ماء، لأن الألم كان فظيعاً.

بعـــد ذلـــك، لا أذكر بالضبط ما حصل. أظن أن الدواء شوّش ذهـــني. وما أذكره يبدو لي مثل الحلم - تعمُّق الظلال داخل المرأب، الـــتحوُّل البطيء للضوء الأبيض المتسلل عبر النوافذ إلى رمادي غامق، أزيز السخّانات في السقف.

أظن أنني ولي أقمنا علاقة... ليس بالطريقة الاعتيادية، فساقي لم تكن تساعد على ذلك، ولكن بطريقة عذبة بديلة. يبدو لي أنني أتذكر أنفاســـها تتـــسارع في أذني إلى أن قاربت على اللهاث، ويبدو لي أنني أتذكرها تهمس طالبةً مني التزام الحذر، راجيةً التزام الحذر، وأنها قالت إنها فقدت آرني ولن تتحمّل فقداني أيضاً. يبدو لي أنني أتذكر انفجاراً مـــن النشوة جعل الألم يختفي نهائياً - ولو لفترة وجيزة - بطريقة لن تـــنجح في فعلها كل أقراص الدارفون في العالم. وبعد ذلك، أظن أنني غفوت.

الـــشيء الـــتالي الذي أذكره، بشكل مؤكد هذه المرة، هو أن لي كانـــت تهـــزني وتهمـــس في أذني باسمي مرة بعد مرة بعد مرة إلى أن صحوت.

"هه؟ ماذا؟". كان الألم قد امتد من ساقي إلى صدغيّ، وشعرت أن عـــينيّ أكبر من محجريهما. رمشت عدة مرات وأنا أنظر إلى لي مثل بومة ضخمة بلهاء.

"لقد حل الظلام. أظن أنني سمعت شيئاً ما".

رمشت مجدداً، ولاحظت أنها كانت تبدو متعبة ومذعورة، ثم نظرت باتجاه البوابة فرأيتها مفتوحة.

"كيف انفتحت تلك -؟".

"أنا... أنا فتحتها".

"يا الله!"، عدَّلت جلستي قليلاً، "هذا ليس تصرفاً ذكياً، لي. ماذا لو أنها أتت -".

"إنها لم تأتِ. حلّ الظلام، واشتد انهمار الثلج، هذا كل ما في الأمر. فنزلت وفتحت البوابة، ثم عدت إلى هنا. ومنذ قليل سمعت صوتاً".

نظرت إلى ساعتي فرأيت أنها كانت السادسة إلا ربعاً. إذا سار كل شيء بصورة صحيحة، فإن والديّ وإيلي سيكونون مع مايكل ووالديّ لي مجتمعين معاً الآن. نظرت إلى الثلج المنهمر بكثافة عبر البوابة المفتوحة. كانت الريح تعصف في الخارج.

"لقد سمعتِ صوت الريح. إنها تعصف في الخارج".

"ربما، ولكن -".

"حسناً. ولكن، تذكّري... قفي في تلك الفجوة الصغيرة على الجانب الأيمن من البوابة. إذا أتت، قد تقف في الخارج لبعض الوقت" - *تشتم الهواء مثل الحيوانات* - "لا تخافي، ولا تتحركي. ابقي هادئة وانتظري حتى تدخل. وبعد ذلك اضغطي على الزر واخرجي. هل تفهمين؟".

"أجل. دينيس، هل سينجح هذا؟".

"يجب أن ينجح، هذا إذا أتت".

"لن أراك إلى أن ينتهي الأمر".

"أعتقد ذلك".

مالت نحوي، ووضعت يدها برقّة على جانب رقبتي، وقبّلتني على فمي. "كن حذراً، دينيس. ولكن اقتلها. اقتلها".

"سأفعل".

نظرت إليّ وقالت: "افعل ذلك من أجل آرني. حرِّره".

تعانقنا. انزلقت قليلاً على المقعد، فارتطمت ركبتها بحقيبة يدها، وسقطت على أرض الكابينة. توقفت للحظة، وبدا عليها الذهول والتفكير، ثم ابتسمت، والتقطت الحقيبة، وراحت تفتش فيها.

"دينيس، هل تذكر موت *آرثر*؟".

"قليلاً". كانت مادة كلاسيكيات الأدب الإنكليزي واحدة من المواد التي حضرناها أنا ولي وآرني معاً قبل إصابتي، وكان قصة موت *آرثر* للمؤلف مالوري واحدة من تلك الأعمال. أما لماذا كانت لي تسألني عنها في ذلك الوقت، فذلك كان لغزاً بالنسبة إليّ.

أخرجت من حقيبتها وشاحاً وردياً رقيقاً، مصنوعاً من النايلون – من النوع الذي تضعه الفتاة فوق رأسها عندما يكون هناك مطر خفيف – وربطته حول الذراع اليسرى من معطفي.

قلت وأنا أبتسم: "ما هذا؟".

ابتسمت أيضاً – لكن عينيها كانتا جدِّيتين – وقالت: "كن فارسي. كن فارسي، دينيس".

أمسكت بعصا المسحة، وقمت بتحية فارس هزلية ثم قلت: "بالتأكيد. فقط ادعيني السيد عصا".

"امزح إن شئت، ولكن لا تسخر من هذا حقاً".

"حسناً. إذا كان هذا ما تريدينه. سأكون فارسك اللطيف اللعين".

ضحكت قليلاً. وجعلني ذلك أشعر بالارتياح نوعاً ما.

"تذكـــري ذلك الزر، أيتها الفتاة. اضغطي عليه بقوة. لا نريد أن تنـــزل البوابة قليلاً ثم تتوقف، صحيح؟".

"صحيح".

تـــرجَّلت لي من بيتونيا، ومشت ببطء ورأس مرفوع - أصبحت الآن هي *الحيوان*، ولكن ليس مفترساً. كانت تمشي برشاقة وحذر حمار وحـــشي يقتـــرب من بركة ماء عند الغسق. كانت تمشي مثل حيوان يستـــشعر وجود خطر. ثم توقفت فجأة، وشدّت قبضتي يديها. وتلك كانـــت اللحظة التي انبثقت فيها بشكل مفاجئ دائرتان متوحشتان من الـــضوء في الظلمـــة المثلجة في الخارج. كانتا تشبهان عينين بيضاوين تنفتحان.

تجمَّـــدت لي في مكانهـــا. كانت على بعد عشرة أمتار تقريباً من الـــبوابة، منحرفة قليلاً إلى يمين الوسط. تحركت المصابيح الأمامية إلى الأمـــام، وكان باستطاعتي رؤية شكل جسد كريستين الطويل وراءها، وسماع صوت هدير محركها الغاضب عندما وثبت باتجاهنا من الشارع حـــيث كانـــت تقبع منتظرة؛ ربما قبل حتى حلول الظلام. وصلت إلى الطريق المؤدي إلى المدخل بسرعة متزايدة.

صـــرخت وأنا أمد يدي إلى المفاتيح الموجودة في دارة التشغيل: "لي!".

التفتت لي إلى اليمين، وهرعت باتجاه زر البوابة. وعندما وصلت كريـــستين إلى البوابة كانت لي قد بلغت الزر وضغطت عليه. سمعت صوت قعقعة البوابة وهي تنـــزل على مساريها.

دخلـــت كريـــستين بـــشكل منحرف باتجاه لي، فأصابت حافة الجـــدار، وانتـــزعت معها قطعة كبيرة من الخشب والشظايا الخشبية. انفلـــت مصدّها الأيمن وتجرجر على الأرض مصدراً شلالاً من الشرر

بينما كانت تقوم بالتفافة منحرفة بشكل واضح. لقد أخطأت لي هذه المـــرة، لكـــنها لن تخطئها عندما تعود إليها مجدداً. كانت لي عالقة في الجانـــب الأيمـــن من البوابة من دون أي مكان للهرب. قد تتمكن من الوصول إلى الخارج، لكنني كنت مرعوباً من عدم انغلاق البوابة بسرعة كافـــية بحيث تقطع الطريق على كريستين. وإلا فإن البوابة النازلة قد تنتزع سقف كريستين لكنها لن توقفها - كنت متأكداً من ذلك.

هدر محرك بيتونيا، وجذبت مفتاح المصابيح الأمامية نحو الخارج، فاشـــتعلت مسلطة ضوءاً هائلاً على البوابة النازلة ولي. كانت لي تسند ظهـــرها على الحائط وكانت عيناها جاحظتين. نظرت بشكل خاطف نحو الأعلى، ثم عادت ونظرت إلى كريستين.

زعقـــت إطـــارات كريـــستين بوحشية عندما انقضت على لي، وتـــصاعد الدخان من الإسفلت. لاحظت أن كريستين لم تكن فارغة، بل كانت كل مقاعدها مشغولة بأشخاص لم أستطع تبيُّن ملامحهم.

في اللحظـــة التي هجمت فيها كريستين على لي، وثبت لي نحو الأعلـــى، وأمـــسكت بالدعامتين المعدنيتين الصدئتين اللتين كانتا تسندان رفّاً بعلو متر وثمانين سنتيمتراً تقريباً عن الأرض. كان هذا الرف ممتداً على طول الجدران الأربعة كلها. عندما جلبت أنا وآرني كريستين لأول مرة، كان هذا الرف مكدّساً بإطارات مستعملة أُعيد تركيب الغلاف السطحي عليها وإطارات أخرى تنتظر تجديدها. أما الآن فكـــان معظمـــه فارغـــاً. بينما كانت لي ممسكة بالدعامتين المعدنيتين، رفعت ساقيها مثل طفل يحاول إدخال ساقيه بين كتفيه. اصطدمت كريستين بالجدار تحتها مباشرة. طارت قطعة من الكروم وســـقط اثنان من الإطارات القديمة الباقية على الرف وراحا يقفزان بجنون فوق الإسمنت.

اصطدم رأس لي بالجدار خلفها بقوة بينما كانت كريستين ترجع إلى الوراء.

ماذا كنت أفعل طوال ذلك الوقت، لا بد أنكم تتساءلون؟ ليس *طـــوال الوقت*، هذه هي إجابتي. إن الوقت الذي استغرقته في الضغط بالمســـحة على الدبرياج ووضع ذراع القيادة على السرعة الأولى هو بـــضع ثـــوانٍ فقط، حتى إن البوابة النازلة، في تلك الأثناء، لم تكن قد انغلقت تماماً.

كانـــت لي لا تزال ممسكة بالدعامتين، رافعة ساقيها إلى الأعلى، وكان رأسها متدلياً نحو الأسفل.

ضغطت على دواسة البنـــزين إلى أن زمجر محرك بيتونيا، ثم أفلتُّ الدبـــرياج مرة واحدة. وهجمت كريستين على لي مجدداً. كان غطاء محـــركها مجعّداً بفعل الاصطدام الأول، وكان المعدن اللامع ظاهراً من خلال الطلاء المتشقق في مناطق الانثناء الحادة.

صـــدمْتُ كريستين قبل أن تصل إلى لي بمسافة كافية فانـــزلقت بـــشكل مائـــل، وانفلت الغلاف المطاطي لأحد إطاراتها من مكانه، ثم اصـــطدمت بمجمـــوعة متناثرة من المرفاعات القديمة وقطع السيارات التالفة قبل أن تصطدم بالجدار مصدرة صوت تحطم مدوياً. وبعد ذلك، سمعت صوت محركها يتسارع ثم يتباطأ، يتسارع ثم يتباطأ. كان الجزء الأيـــسر مـــن مقدمتها بأكمله محطماً، ومع ذلك كان محركها لا يزال يعمل.

ضـــغطت بقدمي اليمنى بسرعة على الكابح، وبالكاد تمكنت من تجنب سحق لي بنفسي. وتوقف محرك بيتونيا. ولم يعد يُسمَع في المرأب سوى صوت محرك كريستين.

"لي! اهربـــي!".

نظـــرت نحوي بترنُّح - استطعت رؤية دم متخثر في شعرها - ثم أفلـــتت يديها من الدعامتين، وحطّت على الأرض، فتمايلت قليلاً ثم وقعت على إحدى ركبتيها.

هجمـــت كريـــستين عليها. نهضت لي مجدداً، وخطت خطوتين متـــرنحتين، ثم وقعـــت على جانبها خلف بيتونيا. انحرفت كريستين، واصطدمت بمقدمة بيتونيا، فأحسست بدفعة خشنة نحو اليمين. وزمجر الألم في ساقي اليسرى.

صـــرخت وأنـــا أحاول مدّ جسدي أكثر نحو جهتي اليمنى وفتح الباب: "انهضي! انهضي!".

تـــراجعت كريستين إلى الوراء، ثم تقدمت من جديد، وانعطفت بـــشدة نحو يمينها، وغابت عن مجال رؤيتي. لمحتها في مرآة الرؤية الخلفية وهـــي تـــدور حول الجزء الخلفي لبيتونيا. وبعد ذلك لم أتمكن إلا من سماع صوت زعيق إطاراتها.

مشت لي أمام مقدمة بيتونيا وهي تمسك بالجزء الخلفي من رأسها بكلتا يديها. كان الدم يقطر من رأسها. ثم توقفت فجأة.

لم أكـــن بحاجة إلى رؤية كي أعرف ما سيجري تالياً. كريستين ستتراجع وتعود إلى جانبـــي مجدداً، وتسحق لي بالحائط.

ضـــغطت بسرعة على الدبرياج بواسطة الممسحة، وأدرت مفتاح الـــشاحنة، فاشتغل المحرك، ثم عنّ قليلاً، وبعد ذلك توقف. شممت رائحـــة بنـــــزين قـــوية في الهواء - يبدو أنني أغرقت الكاربوراتور بالبنـــزين.

ظهـــرت كريستين في مرآة الرؤية الخلفية مرة أخرى متوجهة نحو لي، الـــتي تمكـــنت من الرجوع خطوتين إلى الوراء والاحتماء بمقدمة بيتونـــيا. اصطدمت مقدمة كريستين بالجدار بقوة شديد. انفتح الباب

الجانبـــــي واكتملت حلقة الرعب. رفعت يدي اليمنى ووضعتها على فمي وصرخت من خلالها.

كـــان مايكـــل كانينغهام جالساً مثل دمية بشعة بحجم إنسان في مقعد السائق في كريستين. انجذب رأسه – المترنح بتراخٍ فوق رقبته – بقوة إلى أحد جانبيه بينما كانت كريستين تتراجع مجدداً لتقوم بمحاولة هجوم أخرى على لي. رأيت أن لون وجه مايكل كان وردياً فاقعاً مثل اللون الناتج عن التسمم بأول أكسيد الكربون. لم يعمل بنصيحتي. لقد ذهـبت كريستين إلى منـــزل عائلة كانينغهام أولاً كما توقعت. أتى مايكـــل من الجامعة ورآها واقفة هناك في ممر المنـــزل. ذهب إليها... وبطريقة ما تمكنت من قتله. هل دخل إليها لمجرد أنه كان يريد الجلوس وراء مقودها لعدة لحظات فقط، كما فعلت أنا في مرأب ليبـــي. ربما. هـــل شغَّلت كريستين نفسها؟ وقادت نفسها نحو المرأب؟ ربما. ربما. وهل اكتشف مايكل أنه لا يستطيع إيقاف عمل المحرك المتسارع بجنون ولا الخـــروج مـــن السيارة؟ هل التفت ورأى من كان يقود كريستين حقيقةً، جالسة في المقعد الجانبـــي، فأُغمي عليه من الرعب؟

لم يعد ذلك مهماً الآن. الأهم هو لي.

يبدو أنها رأت مايكل أيضاً، لأن صرخاتها الهستيرية ملأت المكان فجأة. لكن هذا، على الأقل، أعاد لها وعيها، وأنهى دوختها. استدارت وركـــضت نحو مكتب ويل دارنل والدم يقطر من رأسها. كانت قبة معطفها منقوعة بالدم.

تـــراجعت كريـــستين بسرعة شديدة، وقامت باستدارة شديدة الانحراف كي تصبح في مواجهة لي مجدداً، فجذبت قوة الطرد المركزي الباب المفتوح وأغلقته – ولكن ليس قبل أن أرى رأس مايكل يميل إلى الجانب الآخر.

بقـــيت كريـــستين مـــتوقفة لثوانٍ بعد أن أصبحت مقدمتها في مـــواجهة لي. ربما كان ليبـــي يستمتع باللحظة التي تسبق القتل. على كـــل حال، لقد أسعدني ذلك، لأنها لو هجمت مباشرة لربما كانت لي الآن ميـــتة. ولكـــن، بما أنني حظيت بعدة لحظات من الزمن، ضغطت علـــى الدبـــرياج وأدرت مفتاح التشغيل، وتمتمت بصوت عالٍ - ربما بدعاء - فعاد محرك بيتونيا إلى العمل. تركت الدبرياج، وضغطتُ على دواســـة البنـــزين في لحظة انطلاق كريستين. هذه المرة أصاب مصد بيتونـــيا الأمامي جانبها الأيمن مخترقاً المعدن خلف واقية الطين. مالت كريـــستين، واصدمت بالجدار وتحطم زجاجها. لكن محركها كان لا يـــزال قـــيد العمل. التفت ليبـــي من وراء المقود ورسم ابتسامة كره عريضة على وجهه البغيض.

توقف محرك بيتونيا عن العمل مرة أخرى.

أطلقت سلسلة من جميع اللعنات التي أعرفها بينما كنت أمد يدي نحـــو المفـــتاح من جديد. لولا ساقي اللعينة، ولولا تلك السقطة على الثلج، لكان الأمر منتهياً الآن. لم تكن المسألة تحتاج إلا إلى حشرها في الزاوية وتحطيمها وتفكيكها إلى أجزاء.

بينما كنت أحاول تشغيل بيتونيا، محاولاً إبقاء قدمي اليمنى بعيدة عـــن دواسة البنـــزين كي لا يوقف المحرك عن العمل مجدداً، تراجعت كريـــستين مرة أخرى بين مقدمة بيتونيا والجدار، مصدرةً صرير معدن يصم الآذان، ومخلّفة وراءها قطعة مجعدة من بدنها الأحمر، معرِّية إطارها الأمامي الأيمن.

شغّلت بيتونيا، ووضعت ذراع القيادة على وضعية الإرجاع. في تلك الأثناء، كانت كريستين قد رجعت حتى نهاية المرأب. كانت جميع مـــصابيحها الأمامـــية مطفـــأة، وتحوّل زجاجها الأمامي إلى مجرَّة من

التـــشققات، وبدا غطاء محركها المثني وكأنه كان يرسم تعبير احتقار. وكـــان صـــوت مـــذياعها عالياً، إذ كان بوسعي سماع صوت ريكي نيلسون يغني ***أنت منتظر في المدرسة***.

الـــتفتُّ نحو لي فرأيتها في مكتب ويل تنظر نحو المرأب. كان الدم يغطي شعرها الأشقر وينساب على الجانب الأيسر من وجهها نـــزولاً إلى معطفهـــا. قلـــت في نفسي، *إنها تنـــزف بغزارة، حتى بالنسبة إلى جرح في الرأس.*

جحظـــت عيناها فجأة، وتحركت شفتاها بكلمات غير مسموعة من وراء نافذة المكتب.

كانت كريستين تنطلق مجدداً وبسرعة متزايدة على أرضية المرأب الفارغـــة. ولكـــن، لم يكن هذا سبب ذهول لي، بل أمراً آخر شديد الغرابة.

كان غطاء محركها المغضَّن يصلح نفسه من جديد، وكان المعدن الأحمر يظهر من العدم، ويمتد نـــزولاً بشكل انسيابـــي ليغطي الإطار الأمامـــي الأيمن والجانب الأيمن من مقصورة المحرك، وكانت التشققات على الزجاج الأمامي تلتئم من تلقاء ذاتها باتجاه الداخل إلى أن اختفت كلـــياً. ارتعـــش اثنان من مصابيحها الأمامية، واشتعلا من جديد. أما الإطار الذي انفلت من مكانه فقد أصبح يبدو مثل إطار جديد.

إنها تبدو مثل سيارة جديدة. ساعدنا يا الله.

كانت متوجهة مباشرة نحو الجدار بين أرض المرأب ومكتب ويل. تركت الممسحة تنفلت من الدبرياج بسرعة آملاً أن أعترض كريستين بجـــسد بيتونـــيا، لكـــنها عبرت قبل أن أصل إليها. تراجعْتُ إلى أن اصـــطدمْتُ بخـــزائن الأدوات المصفوفة هناك، فسقطت على الأرض مـــصدرة صـــوت قعقعـــة معدنية مدوية. نظرت عبر الزجاج الأمامي

ورأيـــت كريستين تصطدم بالجدار بين أرض المرأب ومكتب ويل من دون إبطاء سرعتها.

لـــن أنـــسى في حياتي تلك اللحظات القليلة التالية؛ إنها لا تزال واضـــحة في ذهـــني وكـــأنني رأيتها بواسطة عدسة مكبِّرة. رأت لي كريستين متوجهة نحوها، فتراجعت إلى الخلف، وتعثّرت، وسقطت من فوق كرسي ويل على الأرض خلف طاولة المكتب، واختفت عن مجال رؤيـــتي. وبعـــد لحظـــة واحـــدة فقط - أعني لحظة واحدة حرفياً - اصـــطدمت كريستين بالجدار، وانفجر زجاج نافذة مكتب ويل بفعل الـــصدمة. ارتفع غطاء محرك كريستين، ثم انخلع من مكانه، وطار وراء سقفها، ثم حط على الأرض الإسمنتية مصدراً جلبة عالية.

تهـــشم زجاجهـــا الأمامي، وطارت جثة مايكل كانينغهام عبر الفجـــوة المثلّمة، ودخلت من خلال نافذة المكتب المكسورة، وسقطت علـــى الطاولة مثل كيس من الحنطة، ثم انـــزلقت فوقه، ووقعت على الأرض تاركة القدمين بارزتين فوق المكتب.

بدأت لي بالصراخ.

لعـــل تعثُّـــرها أنقذها من التعرض لجروح بليغة، وربما حتى من المـــوت، بفعل الزجاج المتطاير، لكن ما حدث بعد ذلك أرعبها بشدة، وأدخلها في نوبة هستيرية حادة. لقد انـــزلقت جثة مايكل فوق طاولة المكتب، ووقعت على لي، والتفّت ذراعاه حول كتفيها، وعندما وقفت علـــى قدمـــيها، بدت وكأنها كانت ترقص الفالس مع الجثة. كانت صرخاتها تشبه صوت سيارة الإطفاء. أصبح شعرها ملتصقاً برأسها من شدة النـــزيف. ألقت جثة مايكل على الأرض، وركضت نحو الباب.

صـــرخت لهـــا: "*لي، لا!*" ثم ضغطت بالممسحة على دواسة الدبرياج، فانكسرت العصا إلى نصفين ووجدت نفسي ممسكاً بقطعة

مـــن الخـــشب لا يـــتعدى طولها خمسة عشر سنتيمتراً. "*أووووه، اللعنة!*".

تـــراجعت كريستين مبتعدةً عن النافذة المكسورة، مخلّفة بركة من الماء، ومانع التجمد، والزيت وراءها.

دست على الدبرياج بقدمي اليسرى، التي بالكاد كانت تؤلمني في تلك اللحظة، ثم ضغطت بيدي اليسرى على ركبتي اليسرى بينما كنت أحرك ذراع القيادة.

في تلـــك الأثـــناء، فتحت لي باب المكتب، وخرجت راكضة، فانعطفت كريستين نحوها.

ضغطت على دواسة البنـــزين، وانطلقت باتجاهها. وبينما كانت تلك السيارة الملعونة الآتية من الجحيم تتضخم في زجاج بيتونيا الأمامي رأيـــت وجهـــاً متورِّماً بنفسجياً لطفلة ملتصقة بالنافذة الخلفية. كانت تنظر إليّ، وكأنها كانت تتوسل إليّ.

اصطدمت بها بقوة، فانفتح غطاء الصندوق الخلفي مثل فم فاغر، ومالـــت نصف استدارة، ثم راحت تنـــزلق بشكل جانبـــي - عابرةً بجانب لي، التي ركضت مذعورة - إلى أن اصطدمت بالجدار.

لقد أصبحت الكلمة لي الآن. أجل. سأستمر بقيادة الشاحنة حتى لو قطعوا ساقي اليسرى من مفصلها بعد انتهاء هذا الأمر.

ضـــغطت علـــى الدبرياج، ووضعت ذراع القيادة على وضعية الإرجـــاع، وأرجعـــت الشاحنة نحو ثلاثة أمتار إلى الوراء، ثم ضغطت علـــى الدبـــرياج مجدداً، وأرجعت الذراع إلى وضعية السرعة الأولى، وانطلقـــت. حاولت كريستين الابتعاد عن الجدار، لكنني انحرفت إلى اليـــسار، وضـــربتها مجـــدداً في المنتصف تقريباً، فانخلعت الأبواب من إطاراتها العلوية والسفلية. التفت ليبـــي - أصبح جمجمة الآن - نحوي

وحـــدَّق إليّ مع ابتسامته اللعينة واضعاً يداً على المقود وملوِّحاً بقبضة اليد الأخرى في وجهي.

لا يزال محركها يعمل.

تـــراجعْتُ إلى الوراء مجدداً - هنا عاد الألم إلى ساقي اليسرى من جديـــد - وسارت كريستين - أو ما بقي منها - بشكل مترنح على امتداد الجدار، فأسقطت قطع العدة المعلقة، وخلعت الدعائم، وأوقعت الرفوف على الأرض.

ضغطت على دواسة البنـــزين حتى النهاية، فانطلقت بيتونيا مثل وحش كاسر، وأصابت كريستين في جانبها الأيمن، منتزعة الهيكل عن محـــورها الخلفـــي، ثم سارت بها إلى أن اصطدمت بالبوابة التي اهتزت وقعقعـــت بجـــنون. ارتفعْتُ عن مقعدي بفعل الصدمة، وانقذفت إلى الأمام، فاصطدم بطني بالمقود - وانقطعت أنفاسي - ثم ارتددت مجدداً إلى المقعد وأنا أتنفس بصعوبة.

حينئذ رأيت لي. كانت منكمشة في الزاوية البعيدة واضعة يديها على وجهها.

كان محرك كريستين لا يزال يعمل.

جرَّت نفسها ببطء نحو لي، مثل حيوان كُسرت ساقاه الخلفيتان في مصيدة. لكنني لاحظت أنها كانت تعيد تكوين نفسها من جديد، حـــيث انـــتفخ أحد إطاراتها فجأة، وارتفع هوائي مذياعها مصدراً صـــوت تويـــنججججج! وبدأ المعدن ينمو ويمتد حول نهايتها الخلفية المهشمة.

صرخت وأنا أبكي: "*ابقي ميتة!*" وضعت كلتا يدي فوق ركبتي اليسرى، وضغطت على الدبرياج. فأحسست أن بصري أصبح مشوشاً من شدة الألم. كان بوسعي سماع احتكاك عظامي المكسورة.

حـــين انطلقت بيتونيا مجدداً، سمعت صوت ليبـــي للمرة الأولى والوحـــيدة: "أيهـــا المـــتغوط! ابتعد عني أيها المتغوط الحقير! اتركني وشأني!".

أصـــبت نهايـــتها الخلفية إصابة مباشرة، فتمزق خزان الوقود من جراء تغضُّن الجزء الخلفي. اشتعلت النار لفترة وجيزة، فحميت وجهي بـــيدي، لكنني عندما أبعدهما مجدداً، كانت النار قد انطفأت. كانت كريستين قابعة في مكانها مثل سيارة تحطمت في سباق للسيارات. عاد محركها للعمل بشكل متقطع، ثم توقف، ثم عمل مجدداً، ثم توقف نهائياً.

والآن لم يعد هناك صوت في المرأب سوى ضجيج محرك بيتونيا.

رأيـــت لي تـــركض نحوي، وهي تبكي، وتصرخ باسمي مرة بعد مـــرة. أدركـــت فجأة أنني كنت ألبس وشاحها الوردي حول ذراع معطفـــي اليسرى. نظرت إلى الوشاح ثم تشوشت الدنيا في ناظري من جديد.

أحسست بيديها تلمسني، وبعد ذلك أُغمي عليّ.

عدت إلى وعيي بعد خمس عشرة دقيقة تقريباً. كان وجهي مبللاً وبـــارداً؛ لحـــسن الحظ. كانت لي واقفة على دواسة الصعود إلى جهة السائق، وتمسح وجهي بخرقة تفوح منها رائحة البنـــزين.

"دينـــيس، لا تقلـــق. لقد خرجت إلى الشارع... أوقفت جرافة ثلـــج... أدخلـــت الـــرعب في قلب السائق، كما أظن... بكل هذه الدماء... قال... سيارة إسعاف... قال إنه، كما تعلم... دينيس، هل أنت بخير؟".

قلت هامساً: "هل أبدو بخير؟".

"لا". ثم انفجرت بالبكاء.

"لا تسألي أسئلة غبية. أحبك".

عانقتني.

"قال إنه سيستدعي الشرطة أيضاً".

نظـــرت إلى هيكل بقايا كريستين الصامتة - هيكل هي الكلمة الـــصحيحة، لأنهـــا لم تعد تبدو كسيارة على الإطلاق. ولكن، لماذا لم تحترق؟ كان هناك غطاء إطار منبعج ملقىً على الأرض بجانبها.

"منذ متى أوقفت الجرافة؟".

"ربمـــا منذ خمس دقائق. ثم جلبت خرقة وغمستها في ذلك الدلو هناك. دينيس... الحمد الله أن كل شيء انتهى الآن".

بانك! بانك! بانك!

كنت لا أزال أنظر إلى غطاء الإطار.

بدأت الانبعاجات تبرز إلى الخارج.

وفجأة وقف على حافته، وبدأ يدور نحو السيارة مثل عملة معدنية عملاقة.

رأتـــه لي أيـــضاً، فـــتجمَّد وجهها، واتسعت حدقتاها، ورسمت شفتاها كلمة *لا*، ولكن لم يخرج منها أي صوت.

قلـــت بـــصوت مـــنخفض، وكأن بإمكانها سماعي: "ادخلي إلى الشاحنة. ادخلي من جانب الراكب. ستضغطين على دواسة البنـــزين بينما أضغط أنا بقدمي اليسرى على الدبرياج".

قالت بصوت هامس: "لا... لا... لا".

كـــان حطام كريستين يرتعش بأكمله. كان ذلك أكثر الأشياء الـــتي شـــاهدتها في حياتي رعباً. كانت ترتعش بأكملها مثل حيوان... حيوان لم يمت... تماماً.

"ادخلي!".

"دينـــيس، لا أســـتطيع" - كانت شفتاها ترتعشان بشدة - "لا أســـتطيع. تلك الجثة... كانت تلك جثة والد آرني. لم أعد أستطيع. رجاءً -".

"ينبغي لك أن تفعلي ذلك".

نظـــرت إلي، ثم نظـــرت بفزع إلى البقايا المرتعشة المقرفة لتلك الـــساقطة التي كان ليبـــي وآرني يتشاركانها، ثم نـــزلت، وسارت من أمـــام مقدمـــة بيتونيا. وقعت عليها قطعة من الكروم وأصابت ساقها بجـــرح عميق، فصرخت وركضت. صعدت إلى الشاحنة، وجلست ثم دنت مني، وقالت: "ماذا أفعل؟".

أخـــرجت نصف جسدي من الشاحنة. وأمسكت بالسقف، ثم ضغطت بقدمي اليمنى على الدبرياج. كان محرك بيتونيا لا يزال يعمل. "اضـــغطي على دواسة البنـــزين، وحافظي على هذه الوضعية، مهما حدث".

أفلـــتُّ الدبرياج، وانطلقنا إلى الأمام - باستخدام يدي اليمنى من أجـــل التحكم بالمقود - واصطدمنا بالحطام وسحقناه وبعثرناه. عندئذ سمعت صرخة غضب مدوية.

"لا أستطيع دينيس، لا أستطيع. إنها تصرخ!" ورفعت قدمها عن الدواسة.

"ينبغي لك فعل ذلك. هيا!".

"سأحاول". ثم ضغطت على دواسة البنـــزين من جديد.

أرجعت بيتونيا سبعة أمتار تقريباً إلى الوراء، ثم ضغطت على الدبرياج وعلى السرعة الأولى، وفجأة صرخت لي: "دينيس، لا! انظر! انظر!".

كانـــت الأم وابنـــتها الصغيرة - فيرونيكا وريتا - واقفتين أمام حطام كريستين يداً بيد، تنظران إلينا بحزن وأسىً عميقين.

"إنهمـــا ليـــستا موجودتين. وحتى لو كانتا موجودتين، فقد حان الوقت كي يعودا إلى حيث ينتميان. أبقي قدمك عليها".

أفلـــتُّ الدبرياج، فانطلقت بيتونيا مرة أخرى بسرعة متزايدة. لم تخـــتفِ الأم وابنتها كما تختفي الأشباح في الأفلام، بل بدوتا وكأنهما تبخّرتا في كل الاتجاهات قبل أن تختفيا كلياً.

صـــدمت كريستين مجدداً. ثم أرجعتها، ثم صدمتها، ثم أرجعتها، ثم صدمتها. كم مرة؟ لا أعرف. كل ما أذكره هو أننا كلما كنا نقوم بـــذلك، كان الألم يتفجر في ساقي مثل القنبلة، وكانت الأشياء تصبح أكثر ضبابيةً في عيني.

في النهاية، نظرت إلى الخارج عبر النوافذ أعلى البوابة، فبدا لي أن الهـــواء في الخـــارج كان مليئاً بالدم. لكنه لم يكن دماً، بل ضوءاً أحمر مـــتذبذباً منعكساً على الثلج المتساقط. كان الناس يطرقون على البوابة من الخارج.

قالت لي: "هل هذا جيد بما يكفي؟".

نظرت إلى كريستين، إلا أنها لم تعد كريستين أبداً. كانت كومة متناثـــرة مـــن قطع معدنية ملتوية ومكسورة، وبقايا تنجيد يتطاير في الهواء، وشظايا زجاج مكسور.

"أعتقد ذلك. دعيهم يدخلون، لي".

بينما كانت في طريقها لتفتح البوابة. أُغمي عليّ من جديد.

بعـــد ذلك لا أذكر سوى سلسلة من الصور المشوشة، أشياء تأتي إلى دائـــرة الضوء ثم تتلاشى. بإمكاني أن أتذكر حمّالة تخرج من الجزء الخلفي لسيارة إسعاف، وأتذكر كيف كانت تُفتَح. بإمكاني أن أتذكر شخـــصاً يقـــول: "شقّوه، يجب أن تشقوه حتى نتمكن على الأقل من

النظـــر إلـــيها". بإمكاني أن أتذكر فتاة - أعتقد أنها لي - تقول: "لا تؤلمـــوه. أرجوكم لا تؤلموه إذا كنتم تستطيعون". وبإمكاني أن أتذكر ســـقف سيارة إسعاف من الداخل... لا بد أنها كانت سيارة إسعاف لأنـــني رأيـــت كيسين معلَّقين من أجل الحقن الوريدي. وبإمكاني أن أتذكر برودة محلول مطهِّر وبعده وخزة إبرة.

بعد ذلك، أصبحت الأشياء غريبة إلى حدٍّ كبير. كنت أعرف في أعماقـــي أنني لم أكن أحلم - الألم كان دليلاً، إن لم يكن يدل على شيء آخر - لكن كل شيء كان يبدو مثل الحلم، ربما بسبب التخدير. كانت أمي تبكي في غرفة تبدو تماماً مثل غرفة المستشفى الـــتي أمضيت فيها الشتاء كله. ثم جاء أبـــي ومعه والد لي، وكان وجهاهمـــا مشدودين ومتجهمين. انحنى والدي نحوي وقال: "كيف وصل مايكل إلى هناك، دينيس؟" هذا ما كانا يريدان معرفته، كيف وصـــل مايكل إلى هناك. *أوه، يا أصدقائي، بإمكاني أن أسرد لكم قصصاً...*

بعـــد ذلك قال السيد كابوت: "ما الذي ورَّطت ابنتي فيه، أيها الفـــتى؟" ويبدو لي أنني قلت له: "ليس ما ورَّطتها فيه، بل ما أنقذَتْكم منه". لا أزال أعتقد حتى الآن أنها كانت إجابة حاذقة نسبة إلى الظرف الذي كنت فيه.

وكانـــت إيلين موجودة - لفترة قصيرة - وبدت وكأنها كانت تحمـــل بيدها كعكة بالكريما أو قطعة توينكي بعيداً عن منالي. وكذلك لي الـــتي كانـــت تمسك بوشاحها الوردي الرقيق وتطلب مني أن أرفع ذراعـــي كـــي تتمكن من ربطه حولها. لكنني لم أستطع، لأن ذراعي كانت أشبه بقضيب من الرصاص.

ثم جاء آرني؛ وبالطبع، لا بد أن ذلك كان حلماً.

قــال لي: *شكراً يا رجل*. لاحظت بشيء من الرعب أن العدسة اليسرى من نظارته كانت مكسورة. *لقد قمت بعمل جيد. أشعر أنني أفضل الآن. أعتقد أن الأمور ستصبح أفضل الآن.*

قلت له: *لم يكن أمراً شاقاً، آرني.* أو هذا ما حاولت قوله، لكن آرني كان قد ذهب.

في الــيوم الــتالي - الأحد، 21 كانون الثاني - بدأت أعود إلى وعيي من جديد. كانت ساقي اليسرى مجبَّرة ومرفوعة في الوضع القديم المألــوف وسط البكرات والأثقال. وكان هناك رجل لم يسبق أن رأيته من قبل جالساً إلى يسار سريري، يقرأ قصة جون دي ماكدونالد. رآني أنظر إليه فأنــزل كتابه، وقال بلطف:

"أهلاً بعودتك إلى عالم الأحياء، دينيس". وضع غطاء علبة ثقاب في المكــان الــذي وصل إليه في الكتاب، ثم وضع الكتاب في حجره، وطوى يديه فوقه.

"هل أنت طبيب؟" من المؤكد أنه لم يكن الدكتور أرووااي، لأن هذا الرجل كان أصغر بعشرين عاماً، وأنحف بخمسين رطلاً على الأقل. ويبدو من ملامحه أنه كان صلباً.

"محقــق في شــرطة الولاية. اسمي ريتشارد ميرسير، أو ريك، إذا شــئت". مــدّ يده نحوي فمددت يدي وصافحته. كان رأسي يؤلمني وكنت أشعر بالعطش.

قلــت له: "اسمع، لا أمانع حقاً في التحدث معك، وسأجيب عن جمــيع أسئلتك، لكنني أود أن أرى طبيباً... أريد أن أعرف إذا كنت سأمشي مجدداً أم لا".

"إذا كــان ما يقوله ذلك الرجل أرووااي صحيحاً، فإنك ستكون قادراً على المشي خلال أربعة إلى ستة أسابيع. إنك لم تكسرها مجدداً،

دينيس، بل أرهقتها بشدة، هذا ما قاله. لقد تورّمت مثل قطعة نقانق. وقال أيضاً إنك كنت محظوظاً".

"وماذا عن آرني؟ آرني كانينغهام؟ هل تعرف...".

اضطربت عيناه.

"ما الأمر؟ ماذا حصل مع آرني؟".

"دينيس، لا أعرف إذا كان الوقت مناسباً".

"رجاءً... هل آرني ميت؟".

تنهَّد ميرسير وقال: "أجل. إنه ميت. هو وأمه تعرَّضا لحادث على طريق بنسلفانيا، في الثلج. إذا كان حادثاً".

حاولت أن أتحدث فلم أستطع. أشرت إلى إبريق الماء على الطاولة بجانب السرير، فصبّ ميرسير كأساً من الماء، ووضع قشَّة مائلة من الأعلى ثم أعطاني إياها. شربت، وأحسست بالراحة قليلاً.

"ماذا تعني *بإذا* كان حادثاً؟".

"حدث ذلك مساء الجمعة، والثلج لم يكن كثيفاً. ونعتقد، من قوة الاصطدام، أنهما لم يكونا يسيران بسرعة تزيد عن خمسة وأربعين ميلاً في الساعة. لقد انحرفت السيارة واصطدمت بشاحنة. كانت فان الفولفو الخاصة بالسيدة كانينغهام. لقد انفجرت".

أغلقت عيني وقلت: "ريجينا؟".

"وتوفيا على الفور. أعتقد أنهما لم –".

أكملت ما يريد قوله: " – يتعذبا. هراء. لقد عانيا الكثير"، أحسست أنني على وشك البكاء لكنني منعت نفسي، "ثلاثتهم جميعاً. يا الله، ثلاثتهم جميعاً".

"كُسرت ذراع سائق الشاحنة. هذا أسوأ شيء حصل له. قال إنهم كانوا ثلاثة في السيارة، دينيس".

"ثلاثة!".

"أجـــل. وقال إنهم كانوا يتعاركون. ونحن نفكر في فرضية تقول إنهما أقلاّ معهما طالب توصيلة مزعجاً، لكنه هرب بعد الحادث، وقبل وصول شرطة الطرقات العامة".

لـــو كان يعرف ريجينا، لعرف أن ذلك غير قابل للتصديق. كنت واثقـــاً أنها لن تقلّ طالب توصيلة بمقدار ثقتي في أنها لن تلبس سروالاً عادياً فضفاضاً في حفلة شاي لهيئة المدرسين في الجامعة. إن الأشياء التي يجـــب أن تفعلها وتلك التي يجب ألا تفعلها راسخة كالإسمنت في عقل ريجينا.

إنه ليبـــي، بالتأكيد. بما أنه لم يكن قادراً على التواجد في مكانين في وقت واحد، قرر في نهاية المطاف - عندما رأى كيف كانت الأمور تسير في مرأب دارنل - أن يتخلى عن كريستين، ويحاول الوصول إلى آرني. أمـــا ما حصل بعد ذلك فهذا غير معروف. اعتقدت في حينه - ولا أزال أعتقد الآن - أن آرني قاومه، وحقق تعادلاً على الأقل.

لم أتمكن من حمايته من القتل في نهاية الأمر. وهنا بكيت.

"أخـــبرني بما حصل" - وضع كتابه على الطاولة ثم مال نحوي - "أخبرني بكل ما تعرف، دينيس، من البداية حتى النهاية".

"ماذا قالت لي؟ وكيف حالها؟".

"لقـــد أمضت ليلة الجمعة تحت المراقبة. كانت تعاني من ارتجاج خفـــيف في الـــدماغ، وجرح في فروة الرأس تطلّب اثنتي عشرة قطبة لإغلاقه. لا توجد أي آثار على وجهها. محظوظة. إنها فتاة جميلة جداً".

"إنها أكثر من ذلك".

"لم تقـــل أي شـــيء"، ارتسمت على وجهه ابتسامة - إعجاب ربمـــا - مائلة إلى اليسار، "لا لي ولا لوالدها. يمكننا القول إنه في حالة

غضب شديد بخصوص كل ما حدث. وهي تقول إن ما يجب أن يُقال ومتى رهن بك وحدك... لأنك - حسب تعبيرها - أنت الذي أنهيت الأمر".

"لم أقم بعمل عظيم كهذا".

"ماذا حدث؟ أخبرني، دينيس".

"لن تصدِّق أبداً".

"قـــد تستغرب مما أصدق، وقد تستغرب أكثر مما أعرف. هناك شـــخص يُدعى جانكينـــز كان المحقق المسؤول على هذه القضية. قُتل في مكان ليس ببعيد جداً عن هنا. وكان صديقاً لي، صديقاً جيداً. قبل أســـبوع مـــن مـــوته أخبرني أنه كان يعتقد أن شيئاً ما كان يجري في ليبرتيفيل قد لا يصدقه أحد. وبعد ذلك قُتل. وهذا يجعل الأمر ذا طابع شخصي بالنسبة إليّ".

"لم يخبرك أكثر من ذلك؟".

"أخبرني أنه كان يظن أنه اكتشف جريمة قديمة، لكنه قال أيضاً إن ذلك لم يعد مهماً لأن القاتل كان ميتاً".

"ليبـــي". فكَّرت في نفسي، *لا عجب أن كريستين قتلته، لأنه إذا اكتشف ذلك حقاً، فإنه أصبح قريباً جداً من الحقيقة كلها.*

"صـــحيح، ليبـــي هو الاسم الذي ذكره لي"، اقترب مني أكثر، "سأقول لك شيئاً آخر، دينيس. جانكينـــز كان سائقاً ماهراً. وعندما كـــان أصـــغر عمراً، كان معتاداً على المشاركة في سباقات الدراجات النارية في فيلي بلينـــز وقد فاز بعدد منها. وكان يقود سيارة دورية من نـــوع دودج بنـــصف محـــرك بسرعة تزيد عن مائة وعشرين ميلاً في الـــساعة. مهما كان الشخص الذي يلاحقه - ونحن نعرف أن شخصاً كان يلاحقه - فلا بد أنه كان سائقاً بارعاً للغاية".

"أجل، صحيح".

"لقــد جئت لوحدي. إنني هنا منذ ساعتين في انتظار أن تصحو مــن الــنوم. وبقيت هنا الليلة الماضية إلى أن طردوني. ليس معي دفتر لتدوين الملاحظات، وليس معي مسجلة، وأؤكد لك أنني لا أضع جهاز تنــصت. عندما ستدلي ببيان رسمي - إذا اضطررتَ إلى ذلك - فهذا ســيكون أمراً مختلفاً. أما الآن، فإنه بيني وبينك. يجب أن أعرف، لأنني أرى زوجة رودي جانكينـــز وأطفاله بين الحين والآخر، هل تفهمني؟".

فكّرت في الأمر لفترة تقارب الخمس دقائق، وهو ظل جالساً في مكانه ينتظرني حتى أفرغ من التفكير. وفي النهاية هززت رأسي وقلت: "حسناً. ولكن، مع ذلك، لن تصدِّق".

"سنرى".

"كان فاشلاً، كما تعلم. كل مدرسة ثانوية لا بد أن تحوي على الأقـــل اثنين من هؤلاء الفاشلين، ذكر وأنثى. إنه أشبه بقانون وطني. إنهـــم مكب نفايات الجميع... ولكن، في بعض الأحيان، إنهم يجدون شـــيئاً ما يتمسكون به فيبقيهم بعيدين عن الأذى نوعاً ما. وآرني كان لديه أنا. ومن ثم كريستين".

نظـــرت إلـــيه، وأقول لكم بصدق إنني لو لاحظت أدنى إشارة إلى السخرية في عينيه الرماديتين، اللتين تشبهان إلى حدٍّ مقلق عيني آرني، فإنني كنت سأتوقف عند ذلك الحدّ وأقول له أن يضع ذلك في تقاريره بالطريقة التي يراها مقنعة وأن يخبر أطفال رودي جانكينـــز بأي شيء يرضيه.

لكنه كان يهز برأسه وفقط، وينظر إلي بتمعن.

"أردتك فقط أن تفهم هذا فقط". وبعد ذلك أحسست بغصة في حلقـــي فلم أستطع قول ما كان ربما ينبغي لي قوله تالياً، وهو، *أما لي، فقد جاءت لاحقاً*.

شـــربت المزيد من الماء، وعانيت من صعوبة في البلع، ثم تحدثت لمدة ساعتين كاملتين.

أخـــيراً أنهيت ذلك. لم أسأله إذا صدَّقني أم لا، و لم أسأله إذا كان سيضطر إلى وضعي في ملجأ المجانين أو يعطيني ميدالية الكذابين. كنت أعرف أنه صدّق جزءاً كبيراً من قصتي، لأن ما قلته كان يتقاطع مع ما كـــان يعرفه. أما بالنسبة إلى رأيه في بقية القصة - كريستين وليبـــي، والماضي الذي يمد يديه إلى الحاضر - فلا أعرف ذلك حقاً.

خـــيمّ الصمت علينا لفترة وجيزة، وبعد ذلك، ضرب بيديه على فخذيه، ووقف على قدميه، ثم قال: "حسناً. لا بد أن والديك ينتظران زيارتك حتماً".

"ربما، أجل".

أخرج محفظته، وأخذ منها بطاقة بيضاء تحمل اسمه ورقم هاتفه، ثم قال: "يمكنك إيجادي هنا عادةً. عندما تتحدث مع لي مجدداً، هل تخبرها بما قلته لي، وتطلب منها الاتصال بـــي؟".

"أجل، إذا كان هذا ما تريد. سأفعل".

"هل ستؤكد قصتك؟".

"أجل".

نظـــر إلى عيني مباشرة وقال: "سأقول لك شيئاً واحداً. إذا كنت تكذب، فإنك بالتأكيد لا تعرف أنك تكذب".

ثم غادر الغرفة. و لم أرَه بعد ذلك إلا مرة واحدة، في جنازة آرني ووالديـــه. كتبت الصحف قصة مأساوية غريبة عن أب يُقتَل في سيارة موجودة في ممر منـــزله في حين تُقتَل الأم وابنها على طريق بنسلفانيا. وسرد بول هارفي القصة نفسها في برنامجه.

لم يذكر أحد أن كريستين كانت موجودة في مرأب دارنل.

جاءت عائلتي لزيارتي في تلك الليلة، وكنت آنذاك أشعر براحة أكبر من الناحية الذهنية؛ جزئياً بسبب الإفصاح عن مكنونات صدري لميرسير، كما أظن (كان ميرسير في حالتي تلك يمثل ما يدعوه أحد أساتذة علم النفس في جامعتي *الغريب المهتم*، ذلك النوع من الأشخاص الذين يكون التحدث معهم أسهل غالباً)، لكن السبب الأكبر في شعوري ذاك هو زيارة الدكتور أرووای لي في ذلك اليوم. كان منزعجاً وغاضباً مني، حيث طلب مني أن آخذ معي في المرة التالية منشاراً آلياً وأقطع الساق اللعينة وأوفّر عليهم الكثير من الوقت والكثير من المشاكل... لكنه أعلمني أيضاً (مكرهاً، كما أظن) أنني لم أُصَب بضرر دائم. وقبل أن يغادر، أخبرني أنني لم أحسِّن فرصي في المشاركة في ماراتون بوسطن.

كانت زيارة عائلتي مفرحة؛ طبعاً بسبب إيلي، التي ظلت تتحدث وتتحدث عن ذلك الطوفان القادم، أول موعد لها مع شاب. لقد دعاها شاب أحمق يُدعى براندون هيرلينغ للتزلج معه. وأبي سيوصلهما بسيارته. شيء ظريف للغاية.

شارك أبي وأمي في الحديث، لكنني لاحظت أن أمي كانت ترمق والدي بنظرات *لا تنسَ* بين الحين والآخر، ولهذا السبب بقي معي في الغرفة عندما أخذت إيلين وخرجتا.

"ماذا حدث؟ أخبرت لي والدها قصة جنونية عن سيارات تقود نفسها بنفسها وفتيات صغيرات كن أمواتاً ولا أعلم ماذا غير ذلك. وهو غاضب جداً".

هززت رأسي. كنت مرهقاً، لكنني لم أشأ أن أترك لي تتحمل المضايقات من والديها، أو تحملهما على الاعتقاد أنها كانت إما كاذبة

أو مجـــنونة. وإذا كانت ستؤكد قصتي مع ميرسير، فأنا سأؤكد قصتها مع والديها.

"حسناً. لكنها قصة طويلة نوعاً ما. هل تريد أن ترسل أمي وإيلين لـــشرب شـــيء ما؟ أو ربما من الأفضل أن تطلب منهما الذهاب إلى السينما".

"طويلة إلى هذا الحدّ؟".

"أجل، إلى هذا الحدّ".

رمقني بنظرة مضطربة ثم قال: "حسناً".

بعد وقت قصير، أخبرته قصتي للمرة الثانية. والآن ها قد أخبرتكم إياها للمرة الثالثة، والمرة الثالثة - كما يقولون - ثابتة.

فلترقد بسلام يا آرني.

أحبك يا رجل.

خاتمة

أعتقد أنه لو كانت هذه القصة مختلقة، لأهميتها بإخباركم كيف أَحَبَّ فارس مرأب دارنل ذو الساق المكسورة فتاة أحلامه وفاز بها... الفتاة صاحبة الوشاح الوردي الرقيق والوجنتين البارزتين المتكبرتين. لكن ذلك لم يحصل أبداً. لي كابوت أصبحت لي أكرمان الآن. إنها تعيش في تاوس، نيو مكسيكو، ومتزوجة بمسؤول في خدمة الزبائن في شركة IBM. وهي تبيع أمووای في أوقات فراغها، لكنني لا أعتقد أنها تملك الكثير من وقت الفراغ، لأنها تقوم على رعاية طفلتيها؛ توأم متطابق. لم يذبل ولعي بهذه السيدة أبداً. إننا نتبادل البطاقات في المناسبات، كما أرسل لها بطاقة في ذكرى ميلادها، لأنها لا تنسى أبداً ذكرى ميلادي. أشياء من هذا القبيل. في بعض الأوقات، أحس أنه مضى أكثر من أربع سنوات بكثير.

ماذا حصل لنا؟ لا أعرف حقاً. بقينا لمدة سنتين معاً، وأقمنا علاقة حميمية معاً (بشكل مرضٍ للغاية)، وذهبنا إلى الجامعة معاً (جامعة درو)، وكنا خير صديقين لبعضنا. توقف والدها عن التحدث عن قصتنا المجنونة بعد وقت قصير من حديث والدي معه، مع أنه ظل دائماً ينظر إليّ بعين الريبة بعد تلك الحادثة. وأعتقد أنه والسيدة كابوت شعرا بالراحة عندما افترقنا. شعرت بذلك عندما بدأنا نتباعد عن بعضنا، وقد آلمني ذلك كثيراً.

أو لعلي أعرف ماذا حصل بالضبط. ما حصل في تلك الليلة في مرأب دارنل كان سراً بيننا، وبالطبع يحتاج العشاق إلى أسرارهم...

ولكـــن لـــيس هذا السر. كان سراً بارداً وغير طبيعي. كان يذكّرني بالجـــنون وبمـــا هو أسوأ من الجنون، كان يذكّرني بالموت. في بعض اللـــيالي، بعـــد علاقة حميمية، كنا نرقد في السرير، عاريين متعانقين، وفجـــأة يـــبرز وجه رونالد دي ليبـــي بيننا. وقد أكون أقبّلها، برغبة جارفـــة، فإذا بـــي أسمع صوته فجأة: *إنها أجمل رائحة في العالم... ربما باستثناء رائحة...* فأجمد في مكاني وتخمد تلك الرغبة الحارقة وتتحول إلى رماد.

في بعض الأحيان - الله وحده يعلم ذلك - كنت أرى وجهه في وجههـــا أيضاً. إن العشاق لا يعيشون سعداء إلى الأبد دائماً، حتى إذا قامـــوا بما بدا لهم أنه الصواب وبأفضل طريقة ممكنة. وهذا أيضاً تطلّب مني أربعة أعوام كي أتعلّمه.

هكـــذا افترقنا. وبالرغم من أنني أحببتها بشدة، وبالرغم من كل القبلات، وكل تعابير الحب، وكل النـــزهات - يداً بيد - تحت أوراق تـــشرين الأول المتساقطة... إلا أن أياً من ذلك لم يكن يرقى لذلك الفعـــل البسيط الرائع التي قامت به، وهو ربط وشاحها الوردي حول ذراعي.

تـــركت لي الجامعـــة كي تتزوج، واستقرت منذ ذلك الحين في تـــاوس. ذهبت إلى زفافها وكنت طبيعياً جداً - شخص لطيف - ولم تحدث أي مشاكل هناك.

لم يكن علي القلق بشأن التنافس كي أكون عضواً في فريق كرة القـــدم، لأن جامعة درو لم تكن تملك فريق كرة قدم. بدلاً من ذلك، أخـــذت مـــادة إضافية كل فصل، والتحقت بمعهد صيفي لمدة سنتين. ولهذا السبب، تخرجت في وقت مبكر - قبل ثلاثة فصول، في الواقع.

إذا قابلــتموني في الــشارع، فلن تلاحظوا أي عرَج. ولكن إذا مشيتم معي مسافة أربعة أو خمسة أميال (أسير ثلاثة أميال يومياً كنوع مــن الــتدريب - يبدو أن العلاج الفيزيائي يعلق في الذهن)، فإنكم ستلاحظون أنني بدأت أميل إلى اليمين قليلاً.

تؤلمني ساقي اليسرى في الأيام الممطرة والليالي المثلجة.

في بعض الأحيان، عندما كانت الكوابيس تراودني خلال النوم - لم تعــد متكررة كثيراً هذه الأيام - كنت أصحو من النوم وأنا أمسك بــساقي اليسرى، حيث لا يزال يوجد حتى الآن انتفاخ قاسٍ من اللحم فوق الركبة، وأتصبب عرقاً. لكن كل مخاوفي بشأن الكراسي المدولبة، والــدعائم، والأحذيــة ذات الكعوب المرتفعة، تبين أنها كانت فارغة لحسن الحظ. وفي كل الأحوال، أنا لم أكن مولعاً بكرة القدم كثيراً.

دُفــن مايكـــل وريجينا وآرني في مدفن العائلة في مقبرة ليبرتيفيل هايــتس. ولم يذهب أحد إلى المقبرة سوى أفراد العائلة، وقد كانوا من أقــارب ريجيــنا من ليجونير، وبعض أقارب مايكل من نيو هامبشاير ونيويورك، وبضعة أشخاص آخرين.

جرت مراسم الجنازة بعد خمسة أيام من ذلك المشهد الختامي في مــرأب دارنل. وقد بكيت قليلاً عندما رأيت الصناديق الخشبية الثلاثة المصفوفة فوق الحامل الثلاثي - مثل جنازات الجنود. مشيت في ممر دار العــبادة نحــو التوابيت ووضعت يدي بتردد على التابوت الموجود في الوســط، غير عالم إذا كان لآرني أم لا. وبقيت على تلك الحالة لفترة مــن الــوقت - بــرأس منخفض - إلى أن سمعت صوتاً يقول لي من الخلف: "هل تريد دفعة ترجعك إلى غرفة الاجتماعات في دار العبادة، دينيس؟".

"طبعاً. فقط امنحني بضع ثوانٍ، موافق؟".

"لا بأس".

"حسناً".

ترددت قليلاً، وبعد ذلك قلت له: "تفيد الصحف أن مايكل قُتل بجانب المنـــزل، وأن السيارة دهسته بعد انـــزلاقه على الثلج، أو شيء كهذا".

"أجل".

"هل هذا منك أنت؟".

صـــمت قلـــيلاً قبل أن يجيب: "إنها تجعل الأمور أكثر بساطة". التفتَ نحو المكان الذي كانت لي تقف فيه مع والديَّ. كانت تتحدث مـــع أمي، لكنها كانت تنظر بقلق نحوي. "فتاة جميلة". لقد قال ذلك سابقاً، في المستشفى.

"سأتزوجها يوماً ما".

"لـــن أســـتغرب إذا فعلت ذلك. هل قال لك أحد ما إنك تملك خصيتي نمر؟".

"أعتقد أن المدرب بافر قال ذلك لي ذات مرة".

ضـــحك وقال: "هل أنت مستعد للدفعة، دينيس؟ لقد بقيت هنا لفترة طويلة بما يكفي. يجب أن تتجاوز هذا الأمر".

"الكلام أسهل من الفعل".

"أجل، أعتقد ذلك".

سألته: "هل ستخبرني بشيء واحد؟ أريد أن أعرف".

"سأفعل إن استطعت".

"ماذا فعلت بالـــ... بالبقايا؟".

"لماذا، لقد أشرفت على ذلك بنفسي. لقد جعلت اثنين من رجال الـــشرطة المحليين يدخلون كل تلك البقايا في آلة السحق خلف مرأب

دارنل. حوّلوها إلى مكعب صغير بهذا الحجم" - باعد بين يديه بمقدار ستين سنتيمتراً - "تعرَّض أحدهما إلى جرح بليغ، تطلّب قُطَباً"، ثم ابتسم وأضاف: "قال إنها عضَّته".

وبعد ذلك دفعني إلى حيث كانت لي وعائلتي واقفين بانتظاري.

هذه هي قصتي... باستثناء الأحلام.

لقد كبرت أربع سنوات الآن، وأصبح وجه آرني ضبابياً بالنسبة إليّ، مثل صورة آخذة بالاصفرار في ألبوم يحوي صور إحدى دفعات التخرج من المدرسة الثانوية. لم أكن لأصدّق أن ذلك سيحدث، لكنه حدث بالفعل. لقد تجاوزت الأمر، وتخطيت مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرجولة، وحصلت على شهادة جامعية بالكاد جفَّ حبرها، وأدرِّس مادة التاريخ في مدرسة جونيور الثانوية. بدأت العام الماضي، وكان لدي طالبان - كلاهما من صنف بادي ريبرتون - أكبر مني سنّاً. لا أزال عازباً، ولكن هناك بضع سيدات رائعات في حياتي، ولا أفكر في آرني مطلقاً.

إلا في الأحلام.

ليست الأحلام هي السبب الوحيد الذي دفعني إلى كتابة هذه القصة - ثمة سبب آخر سأخبركم به قريباً - لكنني سأكون كاذباً إذا قلت إنها ليست جزءاً كبيراً منه. لعلها محاولة لشق الجرح وتنظيفه بشكل جيد. أو ربما لأنني لست ثرياً بما يكفي لدفع نفقات طبيب نفسي.

في أحد الأحلام أرى نفسي في دار العبادة حيث أُقيمت مراسم الجنازة. التوابيت الثلاثة موجودة على الحامل الثلاثي، ولكن ليس هناك أحد في دار العبادة سواي. إنني أقف على العكازين بجانب الباب عند

بدايـــة الممر. لا أريد الذهاب إلى حيث توجد التوابيت لكن العكازين يـــدفعانني إلى هناك - إنهما يتحركان من تلقاء نفسيهما. ألمس التابوب الموجـــود في المنتـــصف فينفـــتح عند لمستي وأجد رونالد دي ليبـــي مستلقياً هناك، جثة متحللة ترتدي بذلة عسكرية. عندما تصل الرائحة العفـــنة إلى أنفـــي تفتح الجثة عينيها، وتمد يديها المتحللتين السوداوين، وتمسك بقميصي قبل أن أتمكن من التراجع، ثم ترفع نفسها حتى يصبح وجهها النتن على بعد عدة سنتيمترات فقط من وجهي. ثم تبدأ بالنعيق بشكل متكرر: *لا يمكنك مقاومة هذه الرائحة، أليس كذلك؟ لا يوجد شـــيء تفـــوح مـــنه مثل هذه الرائحة... ربما باستثناء... باستثناء... باستثناء...* أحاول أن أصرخ لكنني لا أستطيع لأن يديّ ليبـــي تطبقان على رقبتي بإحكام.

في الحلم الآخر - وهذا أسوأ نوعاً ما - أنتهي من تدريس إحدى الحصص أو الإشراف على قاعة دراسة في مدرسة جونيور، حيث أقوم بالتعليم الآن. أعيد كتبـــي إلى حقيبتي، المليئة بالأوراق، وأغادر الغرفة للالـــتحاق بالصف التالي. فإذا بـــي أرى كريستين واقفة في الممر بين صـــفوف خـــزائن الطلاب. إنها جديدة ولامعة وفارغة، لكن محركها يتـــسارع ثم يتـــباطأ، يتـــسارع ثم يتباطأ، يتسارع ثم يتباطأ. في بعض الأحـــلام أسمـــع صـــوت مذياعها يبث أغنية *لا بامبا* بصوت ريتشي فالينـــــز - الذي قُتل منذ مدة طويلة في حادثة تحطم طائرة مع بادي هـــولي وج. ب. ريتشاردسون. وعندما تهجم كريستين عليّ - خالعةً في طريقها الأبواب المفتوحة من الخزائن المصفوفة على الجانبين - أرى أن هـــناك لوحة مثبتة في مقدمتها؛ جمجمة بيضاء مبتسمة على خلفية ســـوداء، وهـــناك كلمات مكتوبة على الجمجمة: الروك أند رول لا يموت أبداً.

عـــندئذ أصحو من النوم، في بعض الأحيان أستيقظ وأنا أصرخ، ودائماً أكون ممسكاً بساقي.

لكـــن الأحلام أصبحت أقل تكراراً الآن. قرأت شيئاً في إحدى المـــواد المتعلقة بعلم النفس – أخذت الكثير منها آملاً بفهم الأشياء التي لا أستطيع فهمها – الأحلام تقل مع التقدم بالعمر. أعتقد أنني سأكون علـــى مـــا يرام الآن. في الميلاد الماضي، عندما أرسلت إلى لي بطاقتها الـــبريدية الـــسنوية، أضفت سطراً على الملاحظة التي أكتبها في العادة. كتبت تحت توقيعي: *كيف تتعاملين مع الأمر؟* ثم وضعتها في مظروف، وأرســـلتها قـــبل أن أغير رأيي. تلقيت بطاقة لي بعد نحو شهر. على المقدمـــة هـــناك صورة مركز الفنون المسرحية الجديد في تاوس، وعلى الجزء الخلفي عنواني وسطر واحد يفيد: *أتعامل مع ماذا؟*

بطريقة أو بأخرى، أعتقد أننا نكتشف الأشياء عندما نكون بحاجة ماسة إلى ذلك.

في تلك الأثناء تقريباً – يبدو لي أن أفكاري تنحو هذا المنحى في موســـم الميلاد غالباً – أرسلت ملاحظة إلى ريك ميرسير، لأن السؤال كان يكبر في رأسي ويزعجني. سألته ماذا حصل بذلك المكعب المعدني الذي كان ذات يوم كريستين.

لم أتلقَّ أي جواب منه.

لكـــن الـــزمن يعلّمني كيف أتعامل مع هذا أيضاً – لا أفكر فيه كثيراً. وهذا ما أفعله حقاً.

هكذا وصلت إلى النهاية، ذكريات قديمة وكوابيس قديمة جُمعت كلـــها ضمن حزمة مرتَّبة من الأوراق. وبعد وقت قصير سأضع الحزمة

في ملف، وسأضع الملف في خزانة ملفاتي، وأقفل ذلك الدرج، وبذلك تكون النهاية فعلاً.

لكـــني أخـــبرتكم أن هناك شيئاً آخر، أليس كذلك؟ سبباً آخر دفعني إلى كتابة قصتي.

غايته العنيدة. غضبه اللامحدود.

لقـــد قرأت خبراً في الصحيفة منذ بضعة أسابيع، وهذا الخبر هو الذي دفعني إلى فعل ذلك أكثر من جميع الأحلام والذكريات.

يتمحور هذا الخبر حول شخص يُدعى ساندر جالتون؛ ولا بد أن لقبه هو ساندي.

قُتل ساندر جالتون هذا في كاليفورنيا، حيث كان يعمل في صالة سينما طرُقية (drive - in movie theater) في لوس أنجلوس. يبدو أنه كان وحيداً، يغلق المكان بعد انتهاء الفيلم ويستعد للنوم. كان موجوداً في محـــل الوجـــبات السريعة، فإذا بسيارة تخترق أحد الجدران، وتحطم طاولة تقديم الخدمة للزبائن وآلة صنع الفوشار، وتقتله بينما كان يحاول فتح الباب المقفول المؤدي إلى مقصورة العرض. عرفت الشرطة أن ذلك مـــا كـــان يريد فعله لأنها رأت المفتاح في يده. قرأت ذلك الخبر تحت عنوان **جريمة قتل غريبة بواسطة سيارة في لوس أنجلوس** وفكّرت في ما قاله لي ميرسير، *قال إنها عضَّته*.

بالطـــبع إنـــه أمر مستحيل، لكن القصة بأكملها مستحيلة منذ البداية.

لا أزال أفكر في جورج ليبـــي في أوهايو.

وبأخته في كولورادو.

ولي في نيو مكسيكو.

ماذا لو بدأ مجدداً؟

ماذا لو أنه يشق طريقه شرقاً، يريد إنهاء **عمله؟**
ماذا لو أنه كان يبقيني إلى النهاية؟

غايته العنيدة.
غضبه اللامحدود.

ــ تمت ــ

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com
علي مولا

صدر للروائي ستيفن كينغ

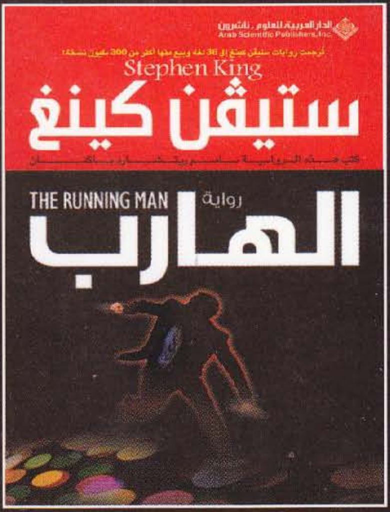

الهارب

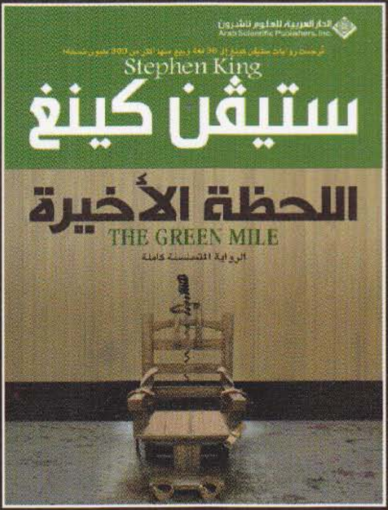

اللحظة الأخيرة

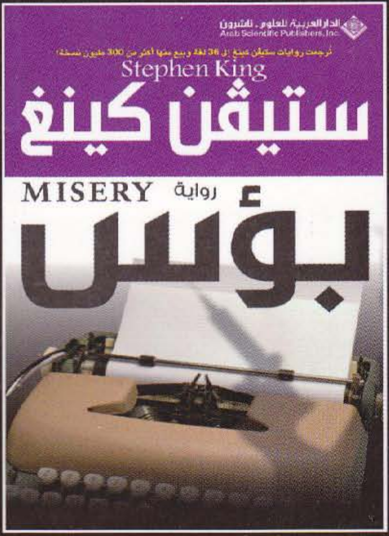

بؤس

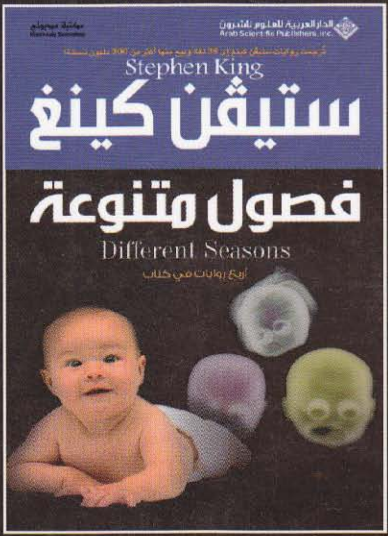

فصول متنوعة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

نيل وفرات.كوم
nwf.com
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

ISBN 978-614-01-0051-0
9 786140 100510

تصميم الغلاف: سامح خلف